جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
مركز السيرة والسنة

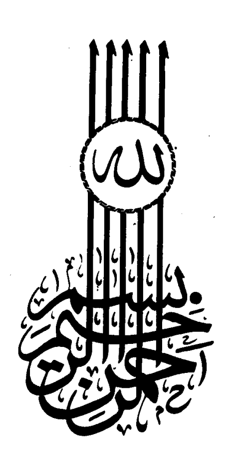
كتاب الانتصار

فى ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين
تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيميَّة

تأليف
محمد بن عبد الهادى المقدسى
(٧٠٤ ـ ٧٤٤هـ)

تحقيق وتقديم
أ. د. محمد السيد الجليند

الطبعة الأولى
القاهرة
١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م



تنويـــه وشكـــر

لقد سنَّ مركز السيرة والسنة سُنَّة حسنة؛ إذ حرص على تدريب جيل من شباب الباحثين على تحقيق التراث بإشراف نخبة من العلماء المتخصصين، وقد أسهم معى فى تحقيق هذا الكتاب مجموعة من خيرة الباحثين بالمركز من ذوى الكفاءة العالية فوجب لهم الشكر والتنويه بجهدهم؛ وهم - حسب الترتيب الألفبائى :

١ - الأستاذ / أحمد بهجت أحمد.

٢ - الأستاذة / أمل محمد لطفى كامل.

٣ - الأستاذ / أيمن إبراهيم أحمد طاجن.

٤ - الأستاذ / طاهر مصطفى على نصار.

وجميعهم من الباحثين بمركز السيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .. فجزاهم الله خيراً.

أ. د. محمد السيد الجليند

على سبيل التقديم

أ . د / عبد الصبور مرزوق

الكتاب الذى بين أيدينا هو : «الانتصار فى ذكر أحوال شيخ الإسلام ابن تيمية ت (٧٢٦ هـ)»؛ تأليف ابن عبد الهادى المقدسى ت (٧٤٤ هـ)؛ وهو من تلامذة ابن تيمية الكبار، وقد استطاع - فى هذا الكتاب - أن يسرد الأحداث المزامنة لحياة ابن تيمية ويبين فيها دوره الإصلاحى بصورة دقيقة؛ جديرة بعناية العلماء وطلاب العلم فى هذا العصر ليسلكوا نفس المنهج الإصلاحى الذى سلكه هذا العالم المجاهد.

❖❖❖❖

وهذا الكتاب يعد ثمرة يانعة من ثمار مشروع «التلمذة العلمية» الذى آتى أكله بفضل الله تعالى وتوفيقه، والذى اعتمده المجلس أسلوباً لتحقيق التواصل العلمى للأجيال من خلال إعداد الكوادر المؤهلة التى تحمل رسالة المجلس فى التعريف بالإسلام والدفاع عنه، وتقديم عطائه الحضارى - وخاصة فى جانبيه العلمى والفكرى.

وواجب الأمانة العلمية يفرض علينا أن نقرر أن العبء الأكبر فى تحقيق هذا الكتاب، والدراسة المستفيضة التى جاءت موضحة

لموضوعاته، ومبرزة لمحاسنه، ومنبهة على أهميته؛ هو ما نهض به الأخ الفاضل والزميل العزيز الأستاذ الدكتور محمد السيد الجليند - أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم؛ الذى عهدناه من المحققين المدققين الحاملين لأمانة إحياء التراث، والحريصين على إعداد جيل متقن لهذه الصنعة، وقائم بعبء هذه الأمانة.

كما أعرب عن تحيتى واعتزازى بأبنائى الأعزاء : أحمد بهجت أحمد، وأمل محمد لطفى كامل، وأيمن إبراهيم أحمد طاجن، وطاهر مصطفى على نصار؛ من باحثى مركز السيرة والسنة؛ الذين شاركوا فى تحقيق هذا الكتاب؛ راجياً لهم مواصلة السير على تلك الطريقة المباركة.

كما لا يفوتنى أن أشكر الدكتورة / إلهام محمد خليل - المدير العام لإدارة تحقيق وتجميع التراث بمركز السيرة والسنة؛ التى ساعدت وتابعت هذا العمل حتى أصبح بين يدى من يفيدون منه.

وأخيراً .. أسأل الله تعالى أن يجعل كل جهد بذل فى هذا الكتاب فى ميزان حسنات من قام به وأعان عليه ..

والله من وراء القصد .. وهو - دائماً - حسبى ونعم الوكيل

الأمين العام ونائب رئيس
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

أ . د / عبد الصبور مرزوق

مقدمـــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن عمل بسنته؛

وبعد :

فمن حق الأجيال المعاصرة أن تتعرف على حياة النماذج البشرية وسيرتها الذاتية؛ خاصة تلك النماذج التى تركت أثرها فى حركة التاريخ الثقافى والاجتماعى لأمتها.

وقد تكون الحاجة شديدة وملحّة إلى إحياء تاريخ هذه النماذج فى أوقات الأزمات التاريخية التى تمر بها الأمم وتعيشها الشعوب.

ومن واجب المسئولين عن رعاية الشباب وقيادتهم أن يذكِّروا الأجيال بتاريخ هذه النماذج، ويعملوا على إحياء سيرتهم؛ لتكون نبراسًا لهم يسيرون على هديه، وقدوة لهم يترسمون خطاهم حين يغيب عن مجتمعهم القدوة والنموذج.

وما أحوج أبناء هذا الجيل إلى نبش التاريخ يستمدون منه القدوة، ويتلمسون فيه المثل والنموذج؛ حتى يحيا الأمل فى نفوسهم الذى كاد أن يتلاشى، وحتى نقضى على روح اليأس التى كادت خيوطها أن تتسلل إلى قلوب الناس، وما أكثر هذه النماذج فى تاريخ أمتنا وماضيها!.

ومن حسن الطالع أن يهتم المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ويبادر بالنهوض بهذه المسئولية القومية من خلال أحد مراكزه البحثية وهو مركز السيرة والسنة، فيعمل على إحياء التراث الذاخر بهذه النماذج المضيئة على هدى من المنهج العلمى الدقيق، ويختار من كتب التراث أنفعها ويتولى تحقيقها ونشرها، فيعم بذلك نفعها والإفادة منها بين الباحثين والمتخصصين.

ويأتى هذا الكتاب «الانتصار» واحدًا من سلسلة كتب التراث التى يقدمها المجلس الأعلى للشئون الإسلامية إلى قراء العربية؛ كاشفًا عن حياة نموذج من العلماء العاملين الذين أثْرَوا حياة الأمة وأثَّروا فى تاريخها الثقافى والاجتماعى؛ ليتعرف الشباب على مواقف العلماء التى سجلها التاريخ بأحرف من نور، وليعرف الشباب كيف يعيش العلماء هموم الأمة بدلاً من أن يكونوا بمعزل عنها، وكيف يؤثرون فى حركة التاريخ بدلاً من أن يعيشوا على هامشه.

ومن المعروف أنه على قدر عظمة الرجال وقوة تأثيرها يكون الاهتمام بها والاحتفاء بتراثها، كما يكون الاختلاف وتعدد الآراء بين المؤيد والمعارض، وبين الولاء والبراء، وهذه سنة الله فى خلقه.

وشخصية ابن تيميَّة واحدة من هذه النماذج التى أثَّرت وأثْرَتْ التاريخ الفكرى لأمتنا؛ إذ كان نموذجًا للعالم العامل، لم يعرف النفاق طريقًا إلى قلبه، وقف من أمراض مجتمعه موقف الطبيب الحاذق فى معرفة العلة وأسبابها والطريق إلى علاجها، لم يتردد أبدًا أن يمسك بيده مبضع الجراح ليعمل على استئصال ما فسد من عادات المجتمع وتقاليده، لم يتردد فى أن يرفع أمام أمته شعار الجهاد فى وجه التتار حتى تم تحرير أرض الشام منهم، تقدم الصفوف فى شهر رمضان وأفطر أمام الجنود، وأفتى بضرورة الفِطْر ليقوى الجنود على ملاقاة عدوهم،

جاهد أهل البدع والخرافات ليسلم بنيان المجتمع منها، كما جاهد أهل الملل والنحل الفاسدة لتصح العقيدة فى قلوب أبنائها، وما أكثر هذه النماذج فى تاريخنا، وما أحوجنا إلى التعرف على حياتها وإحياء سيرتها.

وفى هذه العجالة أرى من واجبنا أن نقدم الشكر الجزيل إلى كل القائمين على هذا المشروع القومى الجليل، وأخص من بينهم معالى وزير الأوقاف الأستاذ الدكتور محمود حمدى زقزوق رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، والأستاذ الدكتور عبدالصبور مرزوق الأمين العام للمجلس، وكذلك السيدة الفاضلة الدكتورة إلهام خليل المدير العام المسئول عن تجميع وتحقيق التراث بمركز السيرة والسنة؛ والتى كان لمتابعتها الدائمة دور كبير فى إنجاز هذا العمل، كما لا يفوتنى أن أنوه بالجهد المشكور الذى يبذله الأخ الفاضل الأستاذ أبو سليمان صالح وكيل الوزارة المسئول عن متابعة هذا المشروع، كما أخص بالشكر الأخ الفاضل الأستاذ محمد الشيبانى المدير المسئول عن مركز المخطوطات والتراث والوثائق بدولة الكويت؛ الذى تفضل بتصوير نسخة خطية لهذا الكتاب وسارع بإرسالها إلينا؛ فجزى الله جميعهم خير الجزاء، وجعل جهدهم المشكور فى ميزان حسناتهم.

اللهم اجعل عملنا خالصًا لوجهك الكريم، وتقبله منا قبولاً حسنًا، ولا تحرمنا أجره يوم القيامة .. آمين.

أ.د. محمد السيد الجليند

الجيزة فى ١٥ جمادى الأولى سنة ١٤٢٢هـ

الموافق ٥ أغسطس سنة ٢٠٠١م

ابــن عبــد الهـــادى
حياتـــه وتراثـــه
(٧٠٤ - ٧٤٤هـ)

هو محمد بن الشيخ عماد الدين أحمد بن عبد الهادى بن عبد الحميد بن عبدالهادى بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسى الجماعيلى ثم الصالحى الحنبلى، درس الفقه وأصوله، وبرع فى مسائل الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله تعالى - وقرأ القرآن الكريم بالروايات وأقرأه، واشتغل بالحديث وعلومه، واشتهر بالنحو وفنونه واللغة وآدابها، وله فيهما جهد طيب، أثنى عليه كل من ترجم لحياته.

اختلف المؤرخون فى تاريخ مولده، فذكره ابن رجب الحنبلى فى «الذيل على طبقات الحنابلة»[1] وقال : إن مولده كان فى شهر رجب سنة ٧٠٤هـ - أربع وسبعمائة، وأن وفاته كانت فى العاشر من شهر جمادى الأولى سنة ٧٤٤هـ - أربع وأربعين وسبعمائة، ووافقه على ذلك ابن العماد فى «شذرات الذهب فى أخبار مَنْ ذهب»[2].

وذكره الذهبى فى «تذكرة الحفاظ» فقال : إن مولده كان سنة خمس أو ست وسبعمائة[3].

وترجم له ابن كثير فى «البداية والنهاية» فذكر أن مولده كان فى شهر رجب سنة ٧٠٥هـ - خمس وسبعمائة[4].

---

(١) انظر : ٤٣٦/٢ - بتحقيق محمد حامد الفقى - دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبى).
(٢) انظر : شذرات الذهب: ١٤١/٦.
(٣) انظر : تذكرة الحفاظ : ١٥٠٨/٤.
(٤) انظر : البداية والنهاية : ٢١٠/١٤.

وكذلك ذكره السيوطى فى «بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة»؛ وقال: إن مولده كان فى شهر رجب سنة ٧٠٥ هـ ـ خمس وسبعمائة[1]. والذى صح عندى أن مولده كان فى سنة ٧٠٤ هـ، وأن وفاته كانت سنة ٧٤٤ هـ بإجماع المؤرخين؛ حيث قالوا: إنه توفى عن أربعين عاماً.

شيوخـــه :

نشـأ ابن عبـد الهـادى فى أسـرة محبـة للعلم وفى عصـر تميـز بوفـرة علمـائه الأثبات، فإن القرن الثـامن الهـجرى حفل بجهود علمـاء كبـار؛ ذاع صيتـهم، وعمَّ فضلهم، وانتفع بعلمهم الكثيرون من أبناء هذا العصر.

ولقد تلقى ابن عبد الهادى العلم والأدب على يد كثير من أبناء عصره، فتتلمذ لابن تيميَّة ولازمه فترة من حياته ليست بالقصيرة أثَّرت فى حياته العلمية، وأثَّرت ـ ولا شك ـ فى توجيه سيرته العملية، فقرأ عليه كتاب الأربعين فى أصول الدين للرازى، وسمع من شيخه ـ ولا شك ـ رأيه فى موقف الرازى من الدليل السمعى؛ الذى وضع من أجل إبطاله وتفنيد رأيه كتابه العظيم «درء تعارض العقل والنقل»، تلك القضية التى شغلت حياة ابن تيمية الفكرية وجرَّت عليه كثيرًا من المعارك الفكرية التى جرت بينه وبين المخالفين له.

وقرأ الفقه على الشيخ مجد الدين الحرَّانى على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

كما لازم الشيخ أبا الحجاج المزِّى وأخذ عنه فى التاريخ والحديث، وكان لطول ملازمته للمزِّى أثر كبير فى معرفته بعلم الرجال.

وتتلمذ على الإمام الذهبى ونقل عنه فى ترجمته لشيخ الإسلام ابن تيميَّة،

---

(١) بغية الوعاة : ١/٢٩ ـ تحقيق أبى الفضل إبراهيم.

وأفاد منه فى علم الرجال والتراجم، وذكره الذهبى فى معجمه فقال : إنه سمع من ابن عبد الهادى وهو يدرِّس فى المدرسة الصدرية.

ويحكى الصَّفَدى أن ابن عبد الهادى واسع العلم والمعرفة بفنون عصره - خاصة علم النحو واللغة والأدب - فيقول: كنت إذا لقيته وسألته فى مسائل أدبية ينحدر كالسيل، وكنت أراه يوافق المِزِّى فى أسماء الرجال ويرد عليه ويقبل منه.

عنى بالحديث وعلومه وخاصة علم الجرح والتعديل ومعرفة الرجال ودرجاتهم فى التحديث، وقرأ الأصلين - أصول الفقه وأصول الدين - وألَّف فيهما، كما ألَّف فى فنون أخرى بعضها أكمله، والبعض الآخر لم يكمله لأن المنية عاجلته وهو فى الأربعين من عمره.

وفاتـــــه :

ذكر ابن كثير أن وفاته كانت فى عصر يوم الأربعاء العاشر من جمادى الأولى سنة ٧٤٤هـ - أربع وأربعين وسبعمائة، ولازمه المرض لمدة ثلاثة أشهر كان يشكو فيها من علة أصابته بقرحة وحُمَّى، واشتد به المرض وتزايد ضعفه إلى أن مات قبل أذان العصر يوم الأربعاء، وأخبر عنه والده أن آخر كلامه كان قوله:«أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، اللهمَّ اجعلنى من التوَّابين واجعلنى من المتطهِّرين». وصلَّى عليه جمع غفير من العلماء ووجهاء القوم يوم الخميس بالجامع المظفرى، وحضر جنازته قضاة البلد وأعيان الناس من العلماء والتجار والعامة، ودفن بالروضة إلى جانب قبر السيف ابن المجد بسفح قاسيون[١].

آثاره العلميــــة :

ألف ابن عبد الهادى فى كثير من فنون العلوم العربية والإسلامية؛ بحيث نجد له فى الفقه والنحو والتراجم وعلم الرجال.

---

(١) انظر : البداية والنهاية : ١٤/٢١٠.

ومن أهم ما ذكره المؤرخون له:

١ - تنقيح التحقيق فى أحاديث التعليق لابن الجوزى - مجلدان.

٢ - الأحكام الكبرى - المرتبة على أحكام الحافظ الضياء، كمل منها سبع مجلدات.

٣ - الرد على أبى بكر الخطيب الحافظ فى مسألة الجهر بالبسملة - مجلد.

٤ - المحرر فى الأحكام - مجلد.

٥ - فصل النزاع بين الخصوم فى الكلام على أحاديث: «أفطر الحاجم والمحجوم» - مجلد.

٦ - الكلام على أحاديث مسِّ الذَّكَر - جزء كبير.

٧ - الكلام على حديث: «البحر هو الطهور ماؤه» - جزء كبير.

٨ - الكلام على أحاديث القُلَّتين - جزء.

٩ - الكلام على حديث معاذ فى الحكم بالرأى - جزء كبير.

١٠- الكلام على حديث: «أصحابى كالنجوم» - جزء.

١١- الكلام على حديث أبى سفيان: «ثلاث أعطيتهن يارسول الله»، والرد على ابن حزم فى قوله: إنه موضوع.

١٢- كتاب العُمْدة فى الحفَّاظ - كمل منه مجلدان.

١٣- تعليقه فى الثقات - كمل منه مجلدان.

١٤- الكلام على أحاديث: «مختصر ابن الحاجب».

١٥- الكلام على أحاديث كثيرة فيها ضعف من «المستدرك» للحاكم.

١٦- أحاديث الصلاة على النبى ﷺ.

١٧- جزء منتقى من «مختصر المختصر» لابن خزيمة، ومناقشته على أحاديث أخرجها فيه فيها مقال - مجلد.

١٨- الكلام على أحاديث الزيارة - جزء.

١٩- مصنف فى الزيارة - مجلد.

٢٠- الكلام على أحاديث محلل السباق - جزء.

٢١- جزء فى مسافة القصر.

٢٢- جزء فى قوله تعالى: ﴿ لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ ﴾ (التوبة ١٠٨).

٢٣- جزء فى أحاديث الجمع بين الصلاتين فى الحَضَر.

٢٤- الإعلام فى ذكر مشايخ الأئمة الأعلام - أصحاب الكتب الستة - عدة أجزاء.

٢٥- الكلام على حديث : «الطواف بالبيت صلاة».

٢٦- جزء كبير فى مولد النبى ﷺ.

٢٧- تعليقه على سنن البيهقى الكبرى - كمل منها مجلدان.

٢٨- جزء كبير فى المعجزات والكرامات.

٢٩- جزء فى تحريم الربا.

٣٠- جزء فى تملك الأب من مال ولده ما شاء.

٣١- جزء فى العقيقة.

٣٢- جزء فى الأكل من الثمار التى لا حائط عليها.

٣٣- الرد على إلكيا الهرّاسى - جزء كبير.

٣٤- ترجمة الشيخ تقى الدين ابن تيمية - مجلد، وهو كتابنا هذا.

٣٥- منتقى من تهذيب الكمال للمزِّى ـ كمل منه خمسة أجزاء.

٣٦- إقامة البرهان على عدم وجوب صوم يوم الثلاثين من شعبان ـ جزء.

٣٧- جزء فى فضائل الحسن البصرى رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣٨- جزء فى حجب الأم بالإخوة، وأنها تحجب بدون ثلاثة.

٣٩- جزء فى الصبر.

٤٠- جزء فى فضائل الشام.

٤١- صلاة التراويح ـ جزء كبير.

٤٢- الكلام على أحاديث لبس الخفين للحرم ـ جزء كبير.

٤٣- جزء فى صفة الجنة.

٤٤- جزء فى المراسيل.

٤٥- جزء فى مسألة الجد والإخوة.

٤٦- منتخب من مسند الإمام أحمد ـ مجلدان.

٤٧- منتخب من سنن البيهقى ـ مجلد.

٤٨- منتخب من سنن أبى داود ـ مجلد لطيف.

٤٩- تعليقة على «التسهيل فى النحو» ـ كمل منها مجلدان.

٥٠- جزء فى الكلام على حديث : «أفرضكم زيد».

٥١- أحاديث حياة الأنبياء فى قبورهم ـ جزء.

٥٢- تعليقة على «العلل» لأبى حاتم ـ كمل منها مجلدان.

٥٣- تعليقة على «الأحكام» لأبى البركات ابن تيميَّة ـ لم تكمل.

٥٤- منتقى من علل الدارقطنى ـ مجلد.

٥٥- جزء فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

٥٦- شرح لألفية ابن مالك ـ جزء.

٥٧- ما أخذ على تصانيف أبى عبدالله الذهبى الحافظ شيخه ـ عدة أجزاء.

٥٨- حواشى على كتاب «الإلمام».

٥٩- جزء فى الرد على أبى حيان النحوى فيما رده على ابن مالك وأخطأ فيه.

٦٠- جزء فى اجتماع الضميرين.

٦١- جزء فى تحقيق الهمز والإبدال فى القراءات.

٦٢- رد على ابن طاهر وابن دحية وغيرهما.

(●) وله تعاليق كثيرة فى الفقه وأصوله والحديث، ومنتخبات كثيرة فى أنواع العلم.

كتـاب « الانتصـار »

اسـم الكتـاب :

لقد امتدت صحبتى لابن تيمية قرابة الثلاثين عامًا من حياتى العلمية، باحثًا فى تراثه، وتتلمذًا على مؤلفاته، ناهلاً من فيض علمه، معتزًا بشجاعته فى الحق من أجل الحق، وقد استوقفنى فى رحلتى مع تراث ابن تيمية بعض الأمور؛ لعل من أهمها : كيف لم يترك لنا ابن تيمية تفسيرًا للقرآن الكريم؟ وقد كان القرآن هو شغله الشاغل الذى ملأ عليه حياته العلمية؛ دفاعًا عنه وتوضيحاً وشرحاً لما غمض منه على بعض العقول، وقد طرحت هذه التساؤلات على أستاذى المرحوم الدكتور محمد رشاد سالم حين كنت أعمل معه فى إخراج وتحقيق الجزء الأول من كتاب «درء تعارض العقل والنقل»(١) فى مطلع السبعينات من القرن العشرين، فأخبرنى ـ رحمه الله ـ أن ذلك كان يمثل أمنية لشيخ الإسلام، ولكن لم تتسع حياته بظروفها التى عاشها لإنجاز هذا العمل. وقد وفقنى الله تعالى لتحقيق هذه الأمنية وقمت بجمع ما يتعلق بتفسير القرآن الكريم من مؤلفاته ـ المطبوع منها والمخطوط ـ وحققته وطبع بعنوان «دقائق التفسير» الجامع لتفسير شيخ الإسلام ابن تيمية.

أما الأمر الثانى الذى استوقفنى خلال رحلتى مع تراث ابن تيمية أن كتاب «العقود الدُّرِّيَّة» لابن عبد الهادى كان مصدرًا أساسًا فى دراستى عن ابن تيمية وعن حياته، كما كان ـ أيضًا ـ بالنسبة لغيرى من الدارسين؛ لأهميته التاريخية فى تسجيل حياة الشيخ ومواقفه، وهذا الكتاب قد قام بتصحيحه والإشراف على طباعته عالم كبير من المهتمين بتراث ابن تيمية ومدرسته السلفية هو الشيخ محمد حامد الفقى ـ رحمه الله تعالى وأجزل عطاءه.

---

(١) طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ثم أكمله ـ رحمه الله ـ وطبع كاملاً بعناية جامعة الإمام محمد ابن سعود بالسعودية.

ولا يوجد لهذا الكتاب طبعات أخرى يمكن الرجوع إليها. وأثناء عملى فى دراستى للماجستير مع أستاذى المرحوم الدكتور محمود قاسم عن «موقف ابن تيمية من قضية التأويل» استوقفنى فى كتاب «العقود الدُّرِّيَّة» كلمتان جاءتا فى نص منقول عن ابن تيمية وصفًا لله - سبحانه وتعالى - هما «الفائق الرائق» بالهمز فى الكلمتين؛ توقفت طويلاً أمام هذين الوصفين باحثًا لهما عن معنى مقبول أو مصدر فى كتاب معروف لابن تيمية، ولم أوفق - حينذاك - فى العثور على حل لهذا الإشكال.

وعدت إلى كتاب «العقود الدرية» لأتعرف فيه على النسخة الأصلية المخطوطة لهذا الكتاب، فلم أعثر على أى معلومات تتعلق بها ولا أى بيانات عن مصدرها أو المكتبة التى توجد بها المخطوطة. وطرحت هذه المشكلة على بعض الأصدقاء المشتغلين بالمخطوطات وقضايا التراث، فأشار بعضهم بالرجوع إلى فهرس معهد المخطوطات العربية بالقاهرة، وكان صاحب هذا الفضل صديقى المرحوم الأستاذ منير المدنى - ابن من أبناء دار العلوم - جزاه الله عني خير الجزاء - وبالرجوع إلى فهرس المخطوطات بذلك المعهد عثرت على مخطوط بعنوان «الانتصار فى ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقى الدين ابن تيمية»، وكان عثورى على هذا المخطوط يمثل فتحًا كبيرًا بالنسبة لى؛ إذ وجدت فيه حلاً للمشكلة التى عانيت منها؛ وهى قراءة كلمتى «الفائق الرائق» بالهمزة على أنهما وصفان لله ..

إذ وجدت الكلمتين فى هذا الكتاب مقروءتين هكذا (الفاتق الراتق) بالتاء المثناة من فوق؛ مأخوذتين من قوله تعالى: ﴿**أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ**﴾(١)؛ فأثلج ذلك صدرى

(١) سورة الأنبياء : آية ٣٠.

وأراحنى من عناء هذه المشكلة، ولكن ذلك دعانى إلى مقارنة كتاب ابن عبد الهادى المسمَّى: «العقود الدرية» بكتاب «الانتصار» الذى عثرت عليه لتكون المفاجأة أن كتاب «الانتصار فى ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين» هو هو نفس كتاب ابن عبد الهادى المسمَّى «بالعقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية».. وهذا أثار أمامى مشكلة أخرى مما دعانى إلى البحث عن مصدر هذه التسمية «العقود الدرية» ومن الذى وضعها هل هو ابن عبد الهادى نفسه؟ أم هى من وضع تلامذته؟ أم من وضع الشيخ محمد حامد الفقى؟ ثم شغلتنى الصوارف عن ذلك فترة طويلة امتدت إلى عشرين عامًا، كنت خلالها أعود إلى القضية بين الحين والآخر لأجدد البحث فيها ثم تصرفنى عنها الصوارف؛ لكن يعلم الله أنها لم تفارقنى خلال هذه الفترة الطويلة.

وحين عقدت النية على تحقيق الكتاب ـ ساعدنى على ذلك ما وجدته من تشجيع بمركز السيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الذى أمدنى ـ مشكورًا ـ بمجموعة من شباب الباحثين كانوا نعم العون ـ بعد الله سبحانه وتعالى ـ فى إعانتى على إنجاز هذا العمل ـ كان أول ما عنيت به هو تحقيق هذه المسألة، والتثبت منها ومعرفة مصدر هذه التسمية.

لقد ترجم كثيرون لابن عبد الهادى، واهتم الكثيرون منهم بذكر مناقبه ومؤلفاته نذكر من هؤلاء المؤرخين :

١ – الحافظ الذهبى فى «تذكرة الحفاظ»[1].

٢ – الحافظ ابن رجب الحنبلى فى «الذيل على طبقات الحنابلة»[2].

(١) ١٥٠٨/٤ ـ دار إحياء الكتاب العربى بيروت.
(٢) ٤٣٦/٢ ـ بتحقيق محمد حامد الفقى.

٣ - الحافظ ابن كثير فى «البداية والنهاية»[١].

٤ - ابن العماد فى «شذرات الذهب فى أخبار من ذهب»[٢].

٥ - ابن طولون الصالحى فى «تاريخ الصالحية»[٣].

٦ - السيوطى فى «بغية الوعاة»[٤].

وترجم لابن عبد الهادى كثيرون ممن أتوا بعد هؤلاء من المعاصرين له وغيرهم.

والذى لفت نظرى خلال قراءة هذه التراجم - ومعظم أصحابها كانوا معاصرين لابن عبد الهادى - أنه لم يذكر واحد منهم اسم الكتاب المذكور «العقود الدرية»، والذى ذكر مؤلفاته منهم ذكر من بينها «ترجمة الشيخ تقى الدين ابن تيمية - مجلد» هكذا؛ دون ذكر لاسم هذه الترجمة ولا عنوانها، وتكرر ذلك فى جميع التراجم لابن عبد الهادى.

وفى «الذيل على طبقات الحنابلة» - (وهى من تحقيق الشيخ محمد حامد الفقى، ٢/٤٣٦ - ٤٣٩) ترجم ابن رجب الحنبلى لابن عبد الهادى، وذكر من بين مؤلفاته : «ترجمة الشيخ تقى الدين ابن تيمية - مجلد»، وعلق المحقق الشيخ الفقى فى الهامش رقم (١) قائلاً: وقد أسماها «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية»، ومن اللافت للنظر هنا أن المحقق هو نفسه الشيخ محمد حامد الفقى الذى تولى تحقيق كتاب «العقود الدرية» دون أن يشير أو يبين لنا مصدر هذه

---

(١) ١٤/٢٠١.
(٢) ٦/١٤١.
(٣) ص ٤٣٢ - ٤٣٥.
(٤) ١/٢٦.

التسمية، ومن أى كتاب لابن عبد الهادى أخذها، وأيضا دون أن يقول لنا إنه هو صاحب هذه التسمية؛ مما جعلنا فى حيرة من أمرنا هل هذه التسمية من وضع الشيخ الفقى؟ ولماذا لم يصرح هو بذلك؟

ولماذا قال فى هامش (٤٣٦/٢١) معلقًا أن ابن عبد الهادى هو الذى أسماها بالعقود الدرية؟

ولماذا لم يبين لنا فى مقدمة «العقود الدرية» النسخة الأصل التى اعتمد عليها حتى نتثبت من أن هذه التسمية تعود إلى المؤلف؟

هذه الأسئلة الكثيرة التى لم نجد إجابة لها عند الشيخ الفقى قد زالت جميعها حين قابلنا مخطوط «الانتصار» على كتاب «العقود الدرية» فوجدناه هو هو - إلا فى اليسير من الفروق المعتادة بين النسخ الكثيرة لكتاب واحد كما هو معروف بين المشتغلين بالتحقيق.

وقد وفقنى الله تعالى بمساعدة إخوة لنا كرام بدولة الكويت - وأخص منهم الأخ الفاضل الأستاذ محمد الشيبانى المدير المسئول عن مركز تحقيق التراث بدولة الكويت - إذ وجدت فى فهارس المركز الذى يديره نسخة خطية «ترجمة ابن تيمية» وتفضل مشكورًا بتصوير هذه النسخة وأرسلها إلىَّ مع أحد الأبناء من طلبة العلم، وعند مطالعة هذه النسخة ظهرت لنا المفاجأة، فقد تبين لنا أن هذه النسخة هى نفس النسخة الخطية التى اعتمد عليها الشيخ محمد حامد الفقى فى تحقيقه لهذا الكتاب، وليس فى بياناتها أن عنوان الكتاب هو «العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية»؛ ولكن صفحة العنوان بها بيانات كثيرة سوف نوضحها فيما بعد، لكن أهم ما فيها ما يفيد تملك الشيخ محمد حامد الفقى لهذه النسخة الخطية، وهذا قد أكد لنا أن هذه التسمية ليست من وضع المؤلف

(ابن عبد الهادى) وإنما هى من وضع الشيخ محمد حامد الفقى. وفى كل هذه الحالات كان من واجب شيخنا ـ رحمه الله ـ أن يكفينا هذا العناء، ويشير بأن هذه التسمية من وضعه هو أو على الأقل لا ينسب هذه التسمية إلى ابن عبد الهادى فى التعليق (هـ١ ـ ٤٣٦/٢ من الذيل على طبقات الحنابلة) لأن هذا التعليق قد زاد من حيرتنا فى البحث عن مصدر هذه التسمية.

أما اسم هذا الكتاب الذى اخترناه فهو الذى وجدناه عنوانًا للنسخة الخطية التى عثرنا عليها فى معهد المخطوطات بالقاهرة وهو : «الانتصار فى ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقى الدين أحمد بن تيمية»، وغالب الظن أن الشيخ الفقى لم يكن قد اطلع على هذه النسخة، ولم يقف على عنوانها فاختار أن يسمى هذه الترجمة «بالعقود الدرية» اجتهادًا منه يؤجر عليه ـ إن شاء الله تعالى. وبعد أن عثرنا على هذه النسخة بعنوانها المذكور؛ فلم يعد هناك ما يبرر الإبقاء على الاسم الذى وضعه الشيخ الفقى من عنده، مادام قد ظهر الاسم الأصل لهذه الترجمة عنوانًا لإحدى النسخ الخطية الموجودة.

أما عن نسبة الكتاب إلى مؤلفه «ابن عبد الهادى» فإن جميع المؤرخين الذين ترجموا له ـ خاصة من اهتم منهم بذكر مؤلفاته ـ قد ذكروا من بين كتبه «ترجمة لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ مجلد[1]. ولم يشكك أحد فى نسبة الكتاب إلى مؤلفه بل إن إجماع المختصين بتراث ابن تيمية منعقد على ذلك، ومن هنا فقد ذكر كل من ترجموا له هذه الترجمة منسوبة إليه؛ غير أنهم لم ينصوا على اسمها ـ كما سبق أن أشرنا إلى ذلك. والنسخة التى اعتمدنا عليها فى اختيار عنوان الكتاب هى نسخة (ص) لأننا وجدناها تحمل نفس العنوان المذكور وليس لدينا ما يشكك فى ذلك.

(١) راجع فى ذلك المصادر التى ترجمت لابن عبد الهادى والتى أشرنا إليها سابقًا.

مسائل الكتاب

اهتم كثيرون من مؤرخى الإسلام بابن تيمية، وترجموا له، وأفاضوا فى ذكر مناقبه وتعداد مواقفه وآرائه العلمية ومساجلاته ومناظراته مع العلماء، ولاشك أن ذلك الاهتمام بابن تيمية وتاريخه يرجع إلى عظمة الرجل وتعدد جوانب حياته العلمية وتنوعها بحيث يجد كل طالب للعلم بغيته فى تراثه؛ ومن هنا نجد الفقهاء ورجال الأصول يعدونه إمامًا فيهم؛ وصاحب رأى ينفرد به عن بقية المذاهب الفقهية المعروفة.

ونجد علماء الحديث ورجال الجرح والتعديل يعدونه رائداً من رواد المنهج الحديثى فى نقد المتن ونقد الرجال، ومعرفة تامة بجوانب الجرح والتعديل ومعرفة العلل.

والمتصوفة - مع حدة الخصومة مع ابن تيمية وتراثه - ينقلون عنه، ويحتكمون إلى أقواله فى تقييم تجارب الصوفية، والحكم عليها بالصواب أو الخطأ حسب موافقتها لما صح من سنة رسول الله ﷺ، وقياس أذواقهم ومواجيدهم على الكتاب والسنة.

وكذلك نجد المتكلمين والمناطقة؛ إذ لا تجد دارسًا لعلم الكلام والمنطق إلا وله نصيب وافر فى التزود بآراء الشيخ والتعرف على مواقفه، وأيضًا نجد دارس الفلسفة الإسلامية لا تكتمل له رؤيته المعرفية الصحيحة إلا إذا تعرف على موقف ابن تيمية من المسائل الفلسفية الأم، واستوضح رأيه فيها وموقفه من الفلاسفة ورأيهم فيها؛ مثل رأيه فى مسائل : الخلود - الزمان - المكان - الخلاء - الملاء - الطبيعة؛ بالإضافة إلى آرائه فى قضايا الألوهية.

من هنا كان لابد أن تتسع دائرة الاهتمام بابن تيمية، وأن تتنوع وتختلف مواقف المفكرين منه ومن تراثه ما بين مؤيد ومعارض، بل ما بين محب عاشق وغاضب ساخط حاقد.

لقد كانت حياة ابن تيمية والتأريخ له، وتسجيل مواقفه وآرائه محل اهتمام وعناية من كلا الفريقين على سواء؛ من المحب العاشق ومن الغاضب الحاقد، وكان تراثه أشبه بدائرة المعارف التى وجد فيها كل فريق هدفه وغايته، وهذا التراث الموسوعى الذى خلفه لنا شيخ الإسلام فسر لنا كثرة التراجم التى امتلأت بها كتب التاريخ والطبقات والتى قل أن نجد نظيرًا لها بين أبناء جيله.

ويكفى أن نضع أمام القارئ الكريم إشارة موجزة إلى أهم هذه التراجم كنموذج ومثال لاهتمام المؤرخين بحياة ابن تيمية، وتسجيل مواقفه التاريخية من أحداث عصره وسلاطين زمانه؛ فقد ترجم له على سبيل المثال لا الحصر :

١ - ابن سيد الناس (٦٧١ - ٧٣٤ هـ)[١].

٢ - ابن دقيق العيد (ت ٧٠٢ هـ)[٢].

٣ - ابن الوردى (ت ٧٤٩ هـ) فى تاريخه الكبير[٣].

٤ - أبو حيان النحوى (٦٥٤ - ٧٤٥ هـ)[٤].

٥ - ابن القيم (٦٩١ - ٧٥١ هـ)[٥].

٦ - ابن الزِّملِكَانى (٦٦٦ ـ ٧٢٧هـ)[٦].

---

(١) انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٩٠.
(٢) انظر : الكواكب الدرية ورقة ٣ مخطوط.
(٣) انظر : تاريخ ابن الوردى ٢/٤٠٧.
(٤) انظر : المرجع السابق ٢/٤١٠.
(٥) انظر : الرد الوافر ص ٦٨.
(٦) انظر : طبقات الحفاظ لابن عبد الهادى ـ نقلاً عن الرد الوافر ص ٢٨، الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٩٢.

٧ - الذهبى (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) فى تاريخ الإسلام، وتذكرة الحفاظ.

٨ - الإمام المزِّى (٦٠٤ - ٧٤٢ هـ)[١].

٩ - البرزالى (٦٦٥ - ٧٣٨ هـ)[٢] فى معجم شيوخه.

١٠ - ابن رجب الحنبلى (ت ٧٩٥ هـ)[٣].

١١ - ابن فضل الله العمرى (٦٩٧ - ٧٤٩ هـ) فى كتابه مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار[٤].

١٢ - السبكى (٧٠٧ - ٧٧٧ هـ)[٥].

١٣ - ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) فى البداية والنهاية[٦].

١٤ - مرعى الحنبلى (ت ٧٣٢ هـ)[٧].

١٥ - أبو عبدالله الدمشقى (ت ٨٤٩ هـ)[٨].

١٦ - البزَّار (٧٤٩ هـ) فى الأعلام العلية[٩].

١٧ - ابن عبد الهادى فى كتابنا هذا «الانتصار فى ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين شيخ الإسلام أحمد بن تيمية» والذى سبق أن طبعه الشيخ محمد حامد الفقى بعنوان «العقود الدرية من مناقب ابن تيمية».

---

(١) انظر : الرد الوافر ص ١٢٩.
(٢) انظر : السابق ص ١٢٠.
(٣) انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ٢٠/٣٨٧.
(٤) انظر : الشهادة الذكية لمرعى الحنبلى ص ٥٤.
(٥) انظر : الذيل على طبقات الحنابلة ٢/٣٩٢، والرد الوافر ص ٥٠ - ٥١.
(٦) انظر : البداية والنهاية ١٤/١٣٥.
(٧) فى الشهادة الذكية، وانظر: الرد الوافر ص ٥٠، ٥١، ١٢٠.
(٨) انظر : الشهادة الذكية ص ٥٤.
(٩) انظر : الأعلام العلية فى مناقب ابن تيمية بتحقيق زهير الشاويش.

وتختلف هذه التراجم السابقة فيما بينها - طولاً وقصرًا، وتفصيلاً وإجمالاً - ومعظمها قد دَّونه تلاميذ الشيخ بأنفسهم - حسب مشاهداتهم للحوادث التى عاصروها أو المواقف التى رأوها - غير أن كتابنا هذا يقف وحده بين هذه الترجمات متميزًا عنها كمًّا وكَيْفًا، فكان أكثر تفصيلاً وسردًا للأحداث والمواقف، وكان أضبط من غيره فى دقة التأريخ للأحداث وتدوينها، ذلك أن المؤلف كان ملازمًا لشيخه فدون ما سمع من شيخه كما سمعه، وسجل ما رآه وشاهده، كما أنه كان يملك حسَّ الناقد ودقة المؤرخ، وكان صاحب ذوق خاص فى ملازمته لشيخه، وربما شارك ابن القيم فى كثير من صفات النجابة والتلمذة لابن تيمية، فكان أمينًا فى نقله عنه، دقيقًا فى تسجيل أحداث حياته وما جرى له من محن وابتلاءات، فكانت ترجمته أوفى التراجم كمًّا، وأدقها كيفاً، جمع فيها المؤلف ما سمعه من الثقات الذين شاهدوا ابن تيمية أو عاصروه أمثال الذهبى والبرزالى والبزَّار وابن القيم، وأضاف إلى ذلك ما سمعه وما شاهده هو مما حدث لشيخه، ومن هنا كان هذا الكتاب مصدرًا أساساً لكل من أراد أن يتعرف على حياة ابن تيمية، أو يقف على الأحداث التى وقعت له فى حياته مع خصومه ومع حكام عصره فى الشام وفى مصر، سواء ما كان منها فى داخل السجن أو فى خارجه، وهى حياة حافلة - ولا شك - بنماذج من مواقف العلماء الأفذاذ الذين لايجود الزمان بمثلهم كثيرًا - خاصة فى ساعات العسرة - وما أكثرها فى تاريخ أمتنا - حيث يتلمس الشباب فيهم القدوة، ويأخذ من حياتهم المثل والعبرة على المثابرة وتحمل تبعات كلمة الحق، فإن قول الحق والتمسك به له تبعات جسيمة تحتاج إلى نوع معين من أصحاب العزائم القوية، وطبيعة خاصة لا يتمتع بها إلا القليل من

العلماء، خاصة أن طلاب الحق فى كل عصر قليلون، والمتمسكون به والمدافعون عنه قلة.

كما يتميز هذا الكتاب بأنه تسجيل تاريخى لحياة ابن تيمية ومواقفه من القضايا الكبرى التى حاوره فيها المخالفون، والتى كانت سببًا فى إثارة الحكام أو تأليب العوام عليه؛ ليدخل الحبس بسبب غضب السلطان ضده حينًا، أو شكوى الصوفية أحيانًا. والذى يتابع هذا الكتاب من أوله إلى آخره يستطيع أن يقف على تاريخ حياة الرجل، وتاريخ مواقفه، وتاريخ دخوله الحبس مرات عديدة، وتاريخ سفره إلى مصر وعودته منها إلى دمشق، فأنت تجد فى الكتاب ـ على سبيل المثال ـ أنه:

١ - دخل القاهرة فى يوم الاثنين الحادى عشر من جمادى الأولى سنة ٧٠٠ هـ.

٢ - فى يوم الاثنين الخامس من رمضان سنة ٧٠٥هـ كتب السلطان بإحضار الشيخ إلى مصر ومعه نجم الدين بن صيصرى.

٣ - وفى العاشر من شوال سنة ٧٠٧ هـ عقد الصوفية بمصر مجلسًا لشيخ الإسلام، وسمعوا منه كلامه عن الصوفية والتصوف، وشكوه إلى السلطان وأمر بحبسه.

٤ - وفى يوم عيد الفطر سنة ٧٠٩ هـ أمر السلطان بإحضار الشيخ من الحبس بالإسكندرية إلى القاهرة.

٥ - وفى الرابع عشر من شهر رجب سنة ٧١١هـ تعرض له بعض الصوفية بالأذى، حيث حاولوا الدخول إلى مسكنه بالقاهرة والنَّيْل منه؛ لولا تدخل أنصاره الذين حضروا من جامع الحسينية فانتصروا له.

٦ - وفى يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر رجب سنة ٧٢٠ هـ شكاه كريم الدين الإبلى وابن عطاء إلى السلطان بسبب فتواه فى الطلاق، وظل بالحبس ثمانية عشر يومًا وخمسة أشهر.

٧ - وفى يوم الاثنين السادس من شهر شعبان سنة ٧٢٦ هـ اجتمع به العلماء وناظروه فى مسألة الزيارة وشدِّ الرِّحال وزيارة القبور عمومًا، ثم تم حبسه بسبب رأيه فى هذه المسائل.

ويتميز هذا الكتاب بأمر آخر أكثر أهمية فى توضيح التطور الفكرى لحياة ابن تيمية، فنجد ابن عبدالهادى قد تنبه إلى تسجيل تاريخ كثير من مؤلفات الشيخ، وهذه نقطة على جانب كبير من الأهمية فى تتبع حياة الرجل الفكرية وتطور آرائه؛ فعلى سبيل المثال : يشير المؤلف إلى تاريخ تأليف العقيدة الحموية سنة ٦٩٨ هـ، ومناظرته فى العقيدة الواسطية سنة ٧٠٥ هـ، وللأحمدية سنة ٧٠٥ هـ، وغير ذلك مما نبه إليه المؤلف، وهذا ينير الطريق أمام الباحثين لترتيب مؤلفات ابن تيمية بشكل تاريخى؛ يتبين فيه أيها أسبق فى التأليف وهل رجع عن بعض آرائه فى مؤلفاته اللاحقة أم لا؟.

ويتميز هذا الكتاب - من جهة ثالثة - حيث أشار المؤلف إلى بعض ما انفرد به ابن تيمية من الآراء الفقهية التى خالف فيها كثيرًا من الأئمة الكبار مثل فتواه فى:

١ - جواز قصر الصلاة فى كل ما يسمى سفرًا - طويلاً كان أو قصيرًا.

٢ - القول بأن البِكْر لا تستبرأ وإن كانت كبيرة.

٣ - السجود للتلاوة لا يشترط فيه الوضوء؛ كما يشترط فى الصلاة.

٤ - القول بأن من أكل فى شهر رمضان معتقدًا أنه فى ليل ثم ظهر له أنه نهار لا قضاء عليه.

٥ - القول بأن المتمتع يكفيه سعى واحد بين الصفا والمروة؛ كالقارن والمفرد فى الحج.

٦ - القول باستبراء المختلعة بحيضة واحدة.

٧ - جواز الوضوء بكل ما يسمى ماءً.

٨ - القول بأن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة.

٩ - القول بأن الطلاق المحرَّم لا يقع.

١٠ - القول بجواز التيمم لمن خاف فوات صلاة العيد أو الجمعة باستعمال الماء.

١١ - القول بالتكفير لمن حلف بالطلاق (بأن يدفع كفارة يمين).

وليس من هدفنا فى هذه المقدمة أن نعرض لموضوع الكتاب بالبسط والتفصيل لكن الذى أود أن أنبه إليه هنا أن مؤلف الكتاب قد أشار خلاله إلى كثير من المحن والنوازل التى حلت بابن تيمية بسبب آرائه ومواقفه، والتى كانت مثار الخلاف بينه وبين خصومه؛ ينتصر فيها للحق من أهل الأهواء والبدع، وكذلك الذين يتزلفون إلى السلطة بالتقول عليه، والدس على آرائه، وتشويه أقواله لدى السلطان؛ مما كان سببًا فى كثير مما نزل بالشيخ من المحن.

كما حرص المؤلف أن يضع بين يدى القارئ النصوص القاطعة من مؤلفات شيخ الإسلام، والتى توضح رأيه بجلاء لا لبس فيه فى هذه المسائل الكبار، فكان يذكر

الموقف التاريخى لشيخ الإسلام ثم يأتى بالنص القاطع لتوضيح رأيه، وسوف أشير بإيجاز إلى نماذج من هذه المواقف لأهميتها فى تجلية موقف ابن تيمية من هذه القضايا.

المسألة الأولى : ماكتبه فى العقيدة الحموية التى أملاها فى الإجابة على سؤال أهل حماة سنة ٦٩٨هـ فى جلسة بين الظهر والعصر، والتى جرى بسببها محن وابتلاءات للشيخ، ومجمل هذه الرسالة يدور حول رأى ابن تيمية فى قضية الصفات الإلهية، وأن الأولى والأوجب أن نأخذ فيها بما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله دون تحريف ولا تمثيل ولاتعطيل ولاتكييف؛ يقول ابن تيمية : «قولنا فيها ما قاله الله ورسوله والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى.. وهذا هو الواجب على جميع الخلق ... فإن الله بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق.. وشهد له بأنه بعثه داعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا وأمره أن يقول: ﴿ **هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي** ﴾[1]؛ فمن المحال فى العقل والدين أن يكون السراج المنير الذى أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى الله ورسوله، وأخبر أنه أكمل لهم دينهم وأتم عليهم نعمته، فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول لم يحكموا هذا الباب اعتقادًا وقولا؟!

ومن المحال أيضًا أن يكون الرسول بَيَّن لأمته كل شئ حتى الخراءة (طريقة الاستنجاء) وقال لأمته تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا

(١) سورة يوسف، آية ١٠٨.

هالك.. محال مع هذا كله أن يترك الرسول أمر هذه الأمة دون بيان لما يجب اعتقاده فى أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، حتى يأتى أنباط الفرس من المتكلمين والفلاسفة، فيعلمون الناس ما يعتقدونه فى ربهم، وكيف يتوهم مَنْ فى قلبه أدنى مسكة من الإيمان أن الرسول ترك أمته دون بيان لهذا الأمر الأهم فى الاعتقاد، حتى نترك ما قاله الله ورسوله فى هذا الأمر، ونأخذ بأقوال المتكلمين والفلاسفة. ثم كيف يتصور مسلم أن الحق فى هذه المسائل - قولاً واعتقادًا - ليس فى قول الله ولا فى قول رسوله وإنما هو فى قول الفلاسفة والمتكلمين».

ثم يوضح المؤلف شارحًا بنصوص شيخه سبب هذه الفتنة، وأنها ترجع فى أصلها التاريخى إلى ما نقله الفلاسفة المشاءون عن اليونان من آراء لأرسطو فى الإلهيات، وحسن ظنهم بهذه الآراء، وظنوها حقًا لاريب فيه، ولما لم يجدوا لها سندًا فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله، دخلوا فى باب التحريف تارة والتعطيل أخرى ليوفقوا بين ما جاءهم عن اليونان وما هو فى كتاب الله وسنة رسوله، فردوا لأجل ذلك كثيرًا من الأحاديث، وعطّلوا كثيرًا من الآيات، وحرفوها عن مواضعها وصاروا فى معظم أحوالهم «مخالفين للكتاب، مختلفين فى الكتاب، متفقين على مخالفة الكتاب»، واعتقدوا نفى الصفات الإلهية فى نفس الأمر، وكان لابد للنصوص القرآنية من معنى يثبتونه، فبقوا مترددين بين تأويل اللفظ أو تحريفه عن مواضعه ليعطلوا بذلك الصفة عن موصوفها. ثم يقول الشيخ : «هذا كتاب الله بين أيدينا وهذه سنة رسوله الصحيحة - إما نص وإما ظاهر - فى أن الله موصوف بصفاته العليا على مراد الله منها، دون تمثيل لها بخلقه، ودون تحريف لها عن مواضعها، ودون تعطيل لها عن موصوفها، فأين هذا من أقوال الفلاسفة والمتكلمين من أنه عالم بذاته، أو عالم بعلم وعلمه عين ذاته، أو أن

صفاته ليست عينه وليست غيره، بل أين هذا من أودية الضلال والتهلكة التى أوقعوا المسلمين فيها، وفرقوا بها صفوف الأمة يلعن بعضهم بعضًا، ويكفر بعضهم بعضًا».

ويتضح لمن يقرأ هذه الرسالة الحموية أن منطق ابن تيمية أقوى حجة، وأنصع بيانًا، وأكثر موافقة للكتاب والسنة، فلقد ناقش فى هذا الكتاب كثيرًا من الألفاظ المبهمة التى يستخدمها المتكلمون والفلاسفة فى حوارهم بعضهم بعضًا، مثل لفظ: الجسم، الجهة، التركيب، الحيز، الجوهر والعرض، وبَيَّن لهم ما فى هذه الألفاظ من حق وباطل، فلا ينبغى أن يجعلها المتكلمون أصولاً لعقيدتهم فى النفى والإثبات إلا بعد أن يبينوا للناس ما فيها من حق فيقبلوه، وما فيها من باطل فيرفضوه، وحتى يبينوا ما المقصود منها نفيًا وإثباتًا، ولكن لم يقنع خصومه إلا بالنيل منه والتقول عليه ما لم يقل به؛ يقول الذهبى: ولما صنف الشيخ المسألة الحموية سنة ثمان وتسعين وستمائة تحزبوا له... وآل بهم الأمر إلى أن طافوا به على قصبة من جهة القاضى الحنفى، ونودى عليه بأن لا يستفتى، ولما كان سنة ٧٠٥ هـ طلبه الوالى إلى مصر، وجمع له الفقهاء والقضاة ليسألوه عن معتقده، واتهمه ابن عدلان بالتجسيم، وأنه يقول إن الله يتكلم بصوت وحروف، وإنه فوق العرش بذاته... وقال : أنا أطلب عقوبته، فقال ابن مخلوف ـ وكان هو القاضى ـ : ما تقول يا فقيه ـ مشيرًا إلى ابن تيمية ـ فأخذ ابن تيمية يحمد الله ويثنى عليه، فقال له ابن مخلوف: استرح ما أحضرناك لتخطب، فقال ابن تيمية : مَنْ القاضى فىَّ ؟ فأشاروا إلى ابن مخلوف، فقال ابن تيمية : أنت خصمى فكيف تحكم فىَّ؟ ولم يسمع لقول ابن تيمية : وأودع الحبس، وكان خصمه هو المُدَّعِى وهو الحَكَم فى نفس الوقت.

المسألة الثانية : رسالته القيمة التى ألَّفها بعنوان «تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل بالباطل»؛ تكلم فيها عن قواعد كلية نافعة يتبين بها الجدل بالحق من الجدل بالباطل، كما يتبين قاصد الحق والراغب فيه من المعاند للحق الراغب عنه، فإن الله تعالى قد علم ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف والافتراق، وتباين العقول والأخلاق، حيث خلقوا من طبائع ذات تنافر، وابتلوا بتشعب الأفكار والخواطر، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، وأمرهم بالرد عند التنازع فى الدين إلى الله ورسوله، وعذرهم فيما يتنازعون فيه من دقائق العلوم لخفاء مدركها وخفة مسلكها.. وحضهم على المناظرة والمشاورة... كما أمرهم بالمجادلة بالحسنى، والمقاتلة لمن عدل عن سبيل الهدى، فكان السلف يتناظرون ويتجادلون لبيان الصواب وتجليته، وزيف الباطل وتنحيته، حتى كان قَلَّ مجلس يجتمعون عليه إلا ظهر الصواب، ورجع راجعون إليه لاستدلال المستدل بالصحيح من الدلائل، وعلم المنازع أن الرجوع إلى الحق أولى من التمادى فى الباطل، وهكذا كان شأن السلف الصالح؛ كان جدالهم بالحسنى، ومناظرتهم لبيان الحق بقصد الرجوع إليه والاجتماع عليه؛ لكن قد تغيرت الأحوال وتبدلت المقاصد، فخلف من بعدهم خلف من أبناء فارس والروم صاروا مولعين بنوع من جدل المموهين، اهـ.تحدثه طائفة من المشرقيين ألحقوه بأصول الفقه فى الدين، راوغوا فيه مراوغة الثعالب، وحادوا فيه عن المسلك اللاحب،.. ألَّفوا الأدلة تأليفاً غير مستقيم، وعَدَلوا عن التركيب الناتج إلى العقيم، واستعمال الألفاظ المشتركة والمجازية فى المقدمات، ووضعوا الظنيات موضع القطعيات، والاستدلال بالأدلة العامة حيث ليست لها دلالة على وجه يستلزم الجمع بين النقيضين مع الإحالة والإطالة... وقد نفق ذلك على الأغنام الطماطم، وراج رواج البهرج على الغِرِّ العادم، واغتر به بعض الأغمار الأعاجم؛ حتى ظنوا أنه بمنزلة الملزوم من اللازم، ولم يعلموا أنه والعلم المقرِّب من

الله متعاندان متنافيان، وأنه والجهل المركب متصاحبان متآخيان. وبعد أن يبين ابن تيمية أحوال أهل الجدل فى عصره وما آل إليه أمر كل فريق منهم، أخذ يقارن بين ما آل إليه أمر المتكلمين من الانتصار للمذهب والتعصب له، وما كان عليه سلف الأمة من الانتصار للحق والرجوع إليه، ثم يضع مجموعة من القواعد العامة التى ينبغى أن تكون أصلاً من أصول الحوار والمناظرة فى عصرنا وفى كل عصر.

ومن الجدير بالملاحظة أن ابن تيمية يغوص وراء المعانى الدقيقة التى يحتاج إليها طالب الحق فى مناظرته مع أهل الباطل، ليجد لها سندًا فى كتاب الله أو فى سنة الرسول القولية والفعلية على سواء، أو فى مواقف بعض الصحابة - رضوان الله تعالى عليهم - وقد طبع أخيرًا هذا الكتاب بتحقيق علمى ببيروت.

المسألة الثالثة : مناظرته مع ابن المُرَحِّل فى معانى الحمد والشكر والفرق بينهما ومعنى النفاق والفرق بينه وبين عبارات أخرى تجرى على ألسنة المتحدثين بقصد التورية أو الكناية أو المجاز أو التقية، وأن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، وأن الحمد لا يكون إلا باللسان، والمنقول عن السلف فى هذه المسائل، والفرق بين الألفاظ المشتركة والمتواطئة، والفرق بين المعانى المفردة والمعانى المضافة، وهى من المناظرات التى احتوت معانى دقيقة فى دلالات الألفاظ ومعانيها، يحتاج إليها طالب أصول الفقه وطالب اللغة على سواء.

المسألة الرابعة : تتعلق برسالته التى بعث بها إلى مريديه فى غزو التتار، يحثهم فيها على التمسك بكتاب الله وسنة رسوله، وأن يتنبهوا وينبهوا المسلمين إلى أن سنة الله جارية لا تتخلف، وينبغى ألا يغفل عنها المسلمون، وأن السنن الكونية محايدة لا تعرف المحاباة أو المجاملة، فإذا توفرت أسبابها وقعت لا

محـالة. ثم عقـد مـقـارنة ثرية بكل المعانى التى تتعلق بالنصـر وأسبـابه والهـزيمة ومقدماتها، حيث قارن بين حال المسلمين فى غزوة أحد والأحزاب وحُنَين، وحال المسلمين فى مواجهة التتار فى عصره، وكيف أظهرت طبيعة المعركة بين الحق والباطل فى الموقفين معادن الرجال، وكيف ظهر النفاق بين صفوف المسلمين وكيف أثر ذلك فى نتائج المعركة فى الحالتين. وعندما طهَّر المسلمون صفوفهم من المنافقين وأعدوا عدتهم للقاء العدو؛ تغيرت نتائج المعركة، وأيد الله جنوده بالنصر بعد أن أحسنوا الأخذ بأسبابه؛ يقول ابن تيمية : فإن الفتنة التى ابتلى بها المسلمون مع هذا العدو المفسد الخارج عن شريعة الإسلام، قد جرى فيها شبيه لما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله ﷺ فى المغازى التى أنزل الله فيها كتابه، وابتلى بها نبيه والمؤمنين، وأن الله قصَّ علينا قصص مَنْ قبلنا لتكون لنا عبرة، فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها؛ لأن سنة الله فى ذلك مطردة، وعاداته مستمرة؛ فينبغى للمسلمين أن يعتبروا بسنن الله وأيامه فى عباده؛ ذلك أن خطر التتار كان قد استشرى فى العباد وطبق الخافقين، وظهر بين صفوف المسلمين من يخذلهم ويفت فى عضدهم، بدعوى أن التتار قوم أهل حرب، ولا قِبَل للمسلمين بملاقاتهم وشاع ذلك بين الناس، فيقول الشيخ ـ مصورًا لحال الناس : «... لقد استطار فى جميع ديار الإسلام شررها، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه، وكشَّر فيها الكفر عن أنيابه وضرسه، وكاد فيها عمود الكتاب أن يجتث ويخترم، وحبل الإيمان أن يقطع ويصطلم، وعقر دار المؤمنين أن يحل بها البوار، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار، وظن المنافقون والذين فى قلوبهم مرض أن ماوعدهم الله ورسوله إلا غرورًا، وأن المؤمنين لن ينقلب واحد منهم إلى أهله أبدًا، وظنوا بالله الظنونا، ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيرانًا، وأنزلت الرجـــل الصاحى منزلة السكران، وتركت الرجل اللبيب ليس بالنائم ولا

اليقظان، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان.. وميَّز الله فيها بين أهل البصائر والإيقان من الذين فى قلوبهم مرض أو نفاق وضعف إيمان..».

وانتقل الشيخ من تصوير حال المسلمين فى عصره إلى مقارنة ذلك بموقف المسلمين يوم الأحزاب، وقرأ ما نزل بشأنها من القرآن الكريم وكيف صور القرآن نفسية المنافقين والذين فى قلوبهم مرض، حين دام الحصار للمسلمين عام الخندق بضعًا وعشرين ليلة، وجاءهم العدو من أماكن مختلفة: ﴿ **إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا** ﴾[1] وأخذ كل امرئ يدلى بدلوه، وموقف المسلمين أمام التتار يشبه إلى حد كبير ما جرى للمسلمين يوم الأحزاب، حيث زاغت الأبصار، وعمَّ البلاء، وظن المسلمون بالله الظنون، فهذا يظن أنه لا يقف أمام التتار أحد، وهذا يظن أن التتار يأخذون أرض الشام فى الصباح الباكر، ومن أحسن الظن بالمسلمين قال : إن التتار يأخذون الشام هذا العام كما ملكوها عام هولاكو سنة سبع وخمسين ثم قد يخرج العسكر من مصر فينقذونها من التتار كما أنقذوها من هولاكو. ثم يخرج الشيخ من هذه المقارنة الرائعة بين الموقفين بمجموعة من القضايا الاجتماعية التى تصلح أن تكون دستورًا للمسلمين فى لقاء العدو فى عصرنا هذا خاصة مع الصهيونية المعاصرة.

وأول هذه القضايا: أن ظهور النفاق فى القلب يوجب الريب فى الأنباء الصادقة التى توجب الكفر، وهذا ما صدقته الأحداث فى الموقفين يوم الأحزاب ويوم التتار؛ ففى يوم الأحزاب قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ**

---

(١) سورة الأحزاب : ١٠ - ١٢.

لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴾[1].

وهذا حدث نظيره فى يوم التتار، فلما قدم التتار قال بعضهم : ما بقيت لدولة الإسلام قائمة فينبغى الدخول فى دولة التتار، وقال آخرون : ما بقيت دولة الشام تسكن وتركها مهاجرًا إلى مصر أو إلى اليمن أو الحجاز، وقال بعضهم : بل المصلحة فى الاستسلام، وصار المسلمون يفرون من الثغور إلى المعاقل والحصون؛ طلبًا للنجاة وهربًا من لقاء العدو.

وأخذ هؤلاء وأولئك يتهمون من ينادى بضرورة الجهاد وملاقاة العدو بأنه مجنون.. لاعقل له.. تطلبون الهلكة كما قال تعالى - فى وصف حال المنافقين : ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾[2]، والله تعالى صرف الأحزاب يوم الخندق بأن أرسل عليهم ريحًا وجنودًا لم تروها، وفرق بين قلوبهم ولم ينالوا خيرًا. وكذلك فعل مع المسلمين يوم التتار حيث بدأ رحيلهم عن الشام يوم الاثنين حادى عشر جمادى الأولى حين دخلت مصر عقيب العسكر، واجتمعت بالسلطان وأمراء المسلمين، وألقى الله الرعب فى قلوب الأعداء، وثبَّت الله قلوب المسلمين، وأخذوا بأسباب النصر فاهتموا بأمر الجهاد، وأحسنوا العدة للقاء العدو، وخلصت النية وصدقت الهمَّة، فكان النصر من الله جزاء وفاقًا. ويبين شيخ الإسلام أن النصر لابد معه من الصبر والأخذ بالأسباب، وامتلاء القلوب بحسن التوكل على الله، وهذا يكون فى طلب الجهاد ومباشرته أوكد من

(١) سورة الأحزاب : ١٣.
(٢) سورة الأحزاب : ١٩.

غيره، فالجهاد سنام العمل ومباشرة الجهاد ينتظم فيها المسلم سنام جميع الأحوال الشرعية، ففيه سنام المحبة، وفيه سنام التوكل، وفيه سنام الصبر، وفيه سنام الإنابة؛ لأن المجاهد أحوج الناس إلى التحلى بالصبر والتوكل والإنابة، وهذا كله لا يتأتى للمجاهد إلا إذا كان يجاهد فى سبيل من يحب، وإرضاء من يحب، وتنفيذًا لأمر من يحب، فحب المؤمن لله هو أساس كل هذه الصفات، والصبر واليقين بالنصر من صفات المجاهد، وهما معًا أصل للتوكل على الله، وهما معًا يوجبان الإمامة فى الدين كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[1]، ومن هنا كان الجهاد موجبًا للهداية كما قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾[2]، وفى الجهاد حقيقة الزهد فى الحياة الدنيا، وفى الجهاد حقيقة الإخلاص، وأعظم مراتب الإخلاص أن يسلم المجاهد نفسه لله. ولما صدق المؤمنون ربهم صدقهم الله وعده بتحقيق النصر لهم على عدوهم.

ومما هو جدير بالتسجيل هنا موقف الشيخ فى حروب التتار، خاصة فى واقعة «شَقْحَب» وموقعة «مرج الصفر» حيث ظهر من شجاعته وقوة إيمانه، وثقته بنصر الله؛ ما أبهر العقول وحيَّر الأمراء، فلقد صفَّ الصفوف ونادى بالإفطار فى شهر رمضان حيث كانت الواقعة فى أول شهر رمضان سنة ٧٠٢ هـ وأخذ يحث المسلمين على الثبات وعدم الفرار، والتف حوله الأمراء والولاة وجموع المسلمين، وأصبحت كلمته فى ضرورة الجهاد شعاراً، ولم يبق من ملوك الشام تركى ولاعربى إلا واجتمع بالشيخ فى تلك المدة، واعتقد خيره وصلاحه ونصحه لله

(١) سورة السجدة : آية ٢٤.
(٢) سورة العنكبوت : آية ٦٩.

ولرسوله وللمؤمنين، ونزل على رأيه فى ضرورة الجهاد أمراء مصر وولاتها، وقدم جيش صحبه السلطان الناصر محمد قلاوون واجتمع بهم شيخ الإسلام بمكان «مرج الصفر»؛ يقول ابن عبد الهادى : «واتفق له من اجتماعهم مالم يتفق لأحد قبله من أبناء جنسه، حيث اجتمعوا بجملتهم فى مكان واحد، فى يوم واحد، على أمر جامع لهم وله، وظل بينهم يحثهم ويدفعهم إلى الجهاد دفعًا، ويعدهم بإحدى الحسنيين إما النصر مع الصبر وإما الشهادة، إلى أن صدق الله وعده، ونصر جنده، وهزم التتار، ودخل جيش الإسلام دمشق وفى مقدمة صفوفه شيخ الإسلام، شاكيًا سلاحه، عالية كلمته، قائمة حجته».

وهذا الموقف وما أحاط به من ظروف وملابسات يبين هنا كيف كانت حياة الرجل، وكيف اقترن علمه بعمله ليكون نموذجًا للعلماء من بعده.

المسألة الخامسة : مناظرته فى العقيدة الواسطية، وكانت فى يوم الاثنين الثامن من رجب سنة ٧٠٥هـ حيث طلبه القضاة والفقهاء ليناظروه فى عقيدته بحضرة السلطان الأفرم، فأحضر الشيخ رسالة كتبها لأهل واسط تسمى بالعقيدة الواسطية، بَيَّن لهم فيها رأى أهل السنة وسلف الأمة فى مسائل الاعتقاد، وقرئت هذه الرسالة فى مجلس السلطان فى ثلاثة أيام، وكان على رأس المناظرين له صفى الدين الهندى، وابن الزملكانى، وصدر الدين ابن الوكيل «ابن المرحل»، وحاولوا أن يحرفوا كلام الشيخ عن مواضعه، وأخذ ابن الوكيل يشنع عليه بما لم يقله، ويقول : إن الشيخ رجع عن عقيدته. وقد سجل ابن تيمية بخطه ما جرى له فى هذه المناظرات ـ خلال الأيام الثلاثة ـ فى رسالته التى عنوانها : «مناظرة فى العقيدة الواسطية». ولما سألوه عن عقيدته قال لهم : أما الاعتقاد فلا يؤخذ عنى ولا عمن هو أكبر منى بل يؤخذ عن الله ورسوله، وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان فى القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت فى الأحاديث الصحيحة.

ولما سألوه عن الكتب التى يكتبها يدعو بها الناس إلى عقيدته قال لهم : أنا لم أكتب إلى أحد كتابًا ابتداء أدعوه فيه إلى شئ من ذلك، ولكننى كتبت أجوبة أجبت بها من يسألنى من أهل الديار المصرية وغيرهم.

ثم أخذ الشيخ يوضح للسلطان أن خصومه دسوا عليه كلامًا لم يقل به، وكذبوا عليه آراء لا يعلم بها، وأن أقواله وآراءه موجودة فى كتبه وأحضر لهم العقيدة الواسطية.. وقال لهم وللسلطان : «كان قد بلغنى أنه زور علىَّ كتاب إلى الأمير الجاشنكير - أستاذ دار السلطان - يتضمن ذكر عقيدة محرفة ولم أعلم بحقيقته، لكن علمت أنه مكذوب علىَّ وأنا أعلم أن أقوامًا يكذبون علىَّ كما كذبوا علىَّ غير مرة». يقول الشيخ : «ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح... وقد أمهلت من خالفنى فى شئ منها ثلاث سنين، فإن جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة الأولى.. يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك، وأمرت أن تعاد قراءة العقيدة أمام الحاضرين، فلم يكن فيها ما يخالف كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ».

النسـخ المخطوطـة

(١) وصـف نسخـة «ك»

هذه النسخة مصورة من مركز المخطوطات والتراث والوثائق بجمعية إحياء التراث الإسلامى بدولة الكويت، عدد لوحاتها (٨٣) لوحة، واللوحة عبارة عن صفحتين (أ، ب)، وقد رقمت صفحات المخطوط بأرقام فارسية تبدأ من صفحة (أ) برقم (١) وتنتهى - أيضاً - عند صفحة (أ) برقم (١٦٥)، ومقياس كل صفحة فى اللوحة ٢١ × ٢٩,٥سم، وتشغل الكتابة فى كل صفحة ١٣,٥×٢٢سم من الصفحة، ومسطرتها ما بين ٢٥، ٢٦ سطراً، وعدد كلمات السطر الواحد ما بين ١٨:٢٠ كلمة، وقد كتبت بخط نسخ جميل واضح؛ إلا بعض الكلمات، كما يوجد بالنسخة فراغات فى بعض صفحاتها بمقدار كلمة وأحيانًا كلمتين أو أكثر.

وقد بدأ المخطوط بالبسملة فى وسط السطر ومعها «حسبى الله ونعم الوكيل»، ثم التصريح باسم المؤلف ثم ذكر مقدمته.. على النحو التالى:

«قال الشيخ الإمام الحافظ المحقق أبو عبدالله محمد بن عبد الهادى المقدسى - رحمه الله ورضى عنه وأثابه الجنة بفضله ورحمته وإيانا وسائر المسلمين : الحمد لله، نحمده، ونسعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا... أما بعد فهذه نبذة يسيرة مختصرة فى ذكر حال سيدنا وشيخنا شيخ الإسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية - رحمه الله ورضى عنه وأثابه الجنة برحمته - وذكر بعض مناقبه وبعض مصنفاته..».

وفى اللوحة قبل الأخيرة من هذا المخطوط توجد قصيدة شعر فى مدح الرسول ﷺ لابن الوردى لم يثبتها الشيخ محمد حامد الفقى فى (ط)، وفى نهاية

هذه القصيدة كتب الناسخ مايلى: «وقع الفراغ التام من نسخ الكتاب المستطاب من أوله إلى صفحة (١١٥) بيد أبى عبدالله محمد بن حسن - سلمه ربه - ومن صفحة (١١٦) إلى آخره بيد أبى إسماعيل يوسف حسين بن محمد حسن الصابر الحنيف السنى المحمدى رواح يوم الاثنين ١٢ شوال سنة ١٣١٢ الهجرية على صاحبها أتم الصلاة وأزهى التحية»، ثم قال شعراً:

ستبقى خطوطى فى الدفاتر برهة ❖ وأنملتى تحت التراب رميم

وانتهى المخطوط بذكر مقتل مروان الحمار الجعدى آخر خلفاء بنى أمية على يد العباسيين وقيام الدولة العباسية، وقال المؤلف فى آخر المخطوط :

«... وخرج عليه بنو العباس وعليهم عبدالله بن على عم السفاح فسار لحربهم، فالتقى الجمعان بقرب الموصل، ففر مروان ورجع إلى الشام، فتبعه عبدالله ففر مروان إلى مصر، فتبعه صالح أخو عبدالله فالتقيا بقرية بوصيرى فقتل مروان بها فى ذى الحجة من السنة المذكورة».

وهى كما ترى - لا علاقة لها بترجمة المؤلف لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولعل هذا ما جعل الشيخ محمد حامد الفقى لا يثبتها فى طبعته الأولى للكتاب.

ويوجد فى هوامش بعض الصفحات تصويبات وإضافات يسيرة بخط الناسخ نفسه؛ وكان يشير بجانبها بعبارة «كذا بالأصل»، ثم يذكر اسمه (أبو إسماعيل يوسف حسين...)، وسنشير إليها فى موضعها - إن شاء الله تعالى - أثناء التحقيق.

وقد أخذ الناسخ بنظام «التعقيبة» فى جميع الصفحات؛ وهى الكلمة التالية لآخر كلمة فى الصفحة (أ) والتى تعتبر الكلمة الأولى للصفحة (ب)، وهو نظام جيد يدل على دقة الناسخ واهتمامه، وحرصه على تنبيه القارئ ببداية الصفحة التالية.

وقد جاءت صفحة البيانات الخاصة بهذه المخطوطة «ك» على النحو التالى:

- اسم الكتاب: العقود الدرية فى ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية.

- اسم المؤلف: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالهادى بن قدامة المقدسى ت ٧٤٤هـ.

- رقمه: العام - ٥/٢.

- الفن: تراجم.

- الأجزاء: ١.

- عدد الأوراق: ١٦٤ صفحة - مقاسه ٣٣×٢١سم، وترك لها هامش بعرض ٤سم، ٢٧ - ٢٨ سطر.

- مصدر الكتاب: مكتبة حامد الفقى.

- تاريخ الخط: الاثنين ١٢ شوال ١٣١٢هـ.

- الملاحظات: كتب بخط التعليق الجيد، وعلى هوامشها ذكر لمطالب الكتاب، وهى نسخة مصححة وحالتها جيدة، وكتب الشيخ حامد الفقى بخطه تملكه لهذه النسخة، وأرخه فى غرة ذى الحجة سنة ١٣٤٩هـ.

- فى آخره: «وقع الفراغ التام من نسخ الكتاب المستطاب من أوله إلى صفحة ١١٥ بيد أبى عبدالله محمد بن حسن - سلمه الله - ومن صفحة ١١٦ إلى آخره بيد أبى إسماعيل يوسف حسين بن محمد حسن الصابر الحنيف السنى المحمدى».

وقد فضلنا أن نرمز لهذه النسخة بالرمز «ك» إشارة إلى مصدرها وهو مركز المخطوطات بالكويت.

(٢) وصف نسخة «ص»

هى نسخة مصورة فى معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية ميكروفيلم رقم ٩١٣ تاريخ ٢٣ ق، عن نسخة موجودة بمكتبة الشيخ خليل خالدى بالقدس الشريف، وهى بخط نسخ عادى، تم نسخها فى القرن التاسع؛ أى بعد وفاة المؤلف الذى توفى سنة (٧٤٤هـ) بوقت غير بعيد.

وعدد لوحات المخطوط (١٩٩) لوحة، ومسطرتها (١٣) سطراً، وعدد كلمات السطر الواحد ما بين ٦ : ٩ كلمات، واللوحة عبارة عن صفحتين (أ،ب)، مقياس كل صفحة ١٥×١٩,٥سم، وتشغل الكتابه فى كل صفحة ١٣سم من الصفحة.

وقد كتب أعلى صفحة البيانات ـ على شكل مثلث مقلوب ـ عنوان الكتاب على النحو التالى: «كتاب الانتصار فى ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية ـ تغمده الله برحمته ـ من تصنيف العلامة الأوحد الفهامة سيدى الشيخ عبدالرحمن المقدسى ـ عفا الله عنه ـ آمين».

وعلى يسار هذا العنوان يوجد نص تملك بلفظ: «فى نوبة الفقير عبدالله الحنبلى ـ عفا عنه».

وهذه النسخة ناقصة الآخر وتنتهى بقوله : «وفى ثانى يوم ـ بعد صلاة الجمعة ـ جمع القضاة وأكابر الدولة بالقلعة لمحفل الشيخ، وأراد الشيخ أن يتكلم فلم يمكن من البحث والكلام..».

وقد بدأ المخطوط بالبسملة ثم بمقدمة للمؤلف بدايتها: «الحمد لله نحمده ونستعينه ... أما بعد، فهذه نبذة يسيرة مختصرة فى ذكر حال سيدنا وشيخنا شيخ الإسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية ـ رضي الله عنه ـ وأدخله الجنة برحمته ـ وذكر بعض مصنفاته».

ويوجد على هوامش بعض الصفحات بعض التصويبات وإضافات يسيرة بخط الناسخ نفسه سنشير إليها فى حينها - إن شاء الله تعالى.

وقد خلت النسخة من أية عناوين للفصول أو عناوين جانبية؛ لكنها التزمت بنظام «التعقيبة».

وقد جاءت صفحة البيانات الخاصة بنسخة «ص» على النحو التالى:

١ - مكتبة الشيخ خليل الخالدى.

٢ - رقم المخطوط فيها بالقدس - رقم الفيلم ٤٢ من ٤٢٩.

٣ - اسم الكتاب: الانتصار فى ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية.

٤ - اسم المؤلف: عبد الرحمن المقدسى.

٥ - تاريخ النسخ: القرن التاسع الهجرى - خط نسخ حسن.

٦ - عدد الأوراق : ٢٥٠ تقريبًا.

٧ - ١٣ سطراً، المقاس ١٣ × ١١.

٨ - الملاحظات : المخطوط ناقص الآخر؛ ينتهى بقوله: «وفى ثانى يوم بعد صلاة الجمعة جمع القضاة وأكابر الدولة بالقلعة لمحفل الشيخ، وأراد الشيخ أن يتكلم فلم يمكن من البحث والكلام».

ولقد تبين لنا من المقارنة بين نسختى «ص» و «ك» أن نسخة «ص» هى الأقدم من حيث تاريخ نسخها؛ لأنها نُسخت فى القرن التاسع الهجرى، أما نسخة «ك»

فقد تم نسخها فى القرن الرابع عشر الهجرى، وهى منقولة عن أصل آخر لم نعثر على أى إشارة إليه فى هذه المخطوطة إلا بعض كلمات مثل: «كذا بالأصل»؛ مما يدل على أنها منسوخة عن أصل آخر.

وبعد الفراغ من المقابلة بين النسختين تبين لنا من ملاحظة الفروق بينهما ما يلى:

١ - أن نسخة «ك» تتميز بالاستشهادات وكثرة النصوص التى أخذها ابن عبد الهادى من مؤلفات ابن تيمية؛ مثل إجابته على سؤال معين، أو فتوى معينة، أو بيان لمسألة عقائدية، وهذا ما نجده فى النصوص التى أوردها ابن عبد الهادى من العقيدة الحموية، وفتاوى الطلاق، والعقيدة الواسطية، ومسألة الزيارة؛ فهذه النصوص لا يوجد معظمها فى نسخة «ص»، ولكن يوجد فى موضعها المسألة الخاصة التى وردت هذه النصوص بشأنها كدليل على صحة رأى ابن تيمية فيها.

٢ - أن نسخة «ص» أكثر دقة فى الكثير من المواضع، واستطعنا بواسطتها تصويب كثير من الأخطاء الموجودة فى نسخة «ك» وقد أشرنا إلى ذلك فى مواضعه من الهوامش فى صفحات الكتاب.

٣ - أن نسخة «ص» ـ وهى الأقدم ـ كما سبق ـ اعتبرها المؤلف مسودة أولى للكتاب، ثم عاد إليها بالتنقيح بعد وفاة شيخه وهذبها، بالإضافة لكثير من النصوص أو الحذف من نسخة «ك»؛ ومثال ذلك: أن المؤلف قد أورد فى نسخة «ص» معظم نص الرسالة الحموية، وفى نسخة «ك» أورد جزءاً يسيراً من هذه الرسالة، ثم عبر عن بقية الرسالة بقوله: «ثم ذكر الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ

جملاً نافعة، وأصولاً جامعة فى إثبات الصفات والرد على الجهمية، وذكر من النقول عن سلف الأمة وأئمتها فى إثبات العلو وغيره ما يضيق هذا الموضع عن ذكره»[1]، والجزء الذى عبر عنه المؤلف بقوله: « .. ما يضيق هذا الموضع عن ذكره» يقابله فى نسخة «ص» من «لوحة ٨أ - ٦٠ب» وهى عبارة عن معظم العقيدة الحموية التى ذكرها كاملة فى «ص» وعبر عنها فى «ك» بالعبارة السابقة.

وقد فضلنا الأخذ بما فى نسخة «ك» فى هذا الموضع؛ لأن الرسالة الحموية قد طبعت مرات عديدة، وفى إثباتها مخالفة لما استقر عليه رأى المؤلف أخيراً فى نسخة «ك».

وتكرر ذلك فى مواضع أخرى؛ حيث نجد أن النص الذى أورده المؤلف فى «ص» لوحة (٥ - ٧) عبر عنه فى «ك» بقوله: « .. ثم أطال الشيخ - رحمه الله - الكلام... الخ»[2]، وفضلنا الأخذ بنسخة «ك» فى هذا الموضع - أيضاً - لطول هذه النصوص من جانب، ولأن فى إثباتها مخالفة لما استقر عليه رأى المؤلف أخيراً - من جانب آخر - كما سبق.

٤ - أن نسخة «ص» تخلو تماماً من قصائد الشعر التى قيلت فى رثاء ابن تيمية؛ مما يدل بوضوح على أن هذه النسخة فرغ المؤلف من معظمها قبل وفاة ابن تيمية؛ يعنى فى أثناء حياته، ثم أضاف إليها فى «ك» الرثاء الذى قاله تلامذة ابن تيمية بعد وفاته؛ مما يدل على أن نسخة «ك» وضعها المؤلف بعد وفاة شيخه.

---

(١) راجع: ص ١٠٣ من ط .

(٢) راجع : ص ١٠٢ من ط .

٥ - تتميز نسخة «ص» بأنها النسخة التى وجدنا عليها عنوان الكتاب صراحة باسم «الانتصار فى ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيميَّة - تغمده الله برحمته»، واخترنا أن نرمز لهذه النسخة بالرمز «ص» إشارة إلى عنوان الكتاب «الانتصار».

٦ - حدث خطأ فى تدوين بيانات نسخة «ص»؛ حيث كتب الناسخ على صفحة العنوان أنها تأليف « .. سيدى عبدالرحمن المقدسى» سهواً أو توهماً؛ وهو خطأ واضح؛ فليتنبه إلى ذلك الخطأ.

الرمـــوز المستعملـــة

١ - «ص» يرمز بها لنسخة القدس «الانتصار».

٢ - «ك» يرمز بها لنسخة الكويت.

٣ - «ط» يرمز بها لطبعة الشيخ حامد الفقى.

٤ - [ ] ما بين الحاصرتين زيادات ليست بالنص.

منهـج التحقيـق

راعينا فى تحقيق الكتاب الخطوات التالية :

١ - المقابلة بين النسختين «ك» و «ص».

٢ - اعتبرنا قراءة نسخة «ص» هى الأصح فى كثير من المواقف لدقتها كما هو مبين فى مواضعه من الهوامش.

٣ - التزمنا بتخريج الأحاديث الواردة من الكتب الستة قدر الاستطاعة.

٤ - عزو الآيات القرآنية وضبطها بالشكل.

٥ - ترجمة الأعلام التى لها أثر فى النص أو فى الموقف المعين.

٦ - تقسيم النص إلى فقرات؛ مع وضع عناوين رئيسية وجانبية توضيحًا للنص، ووضعها بين حاصرتين إشارة إلى أنها ليست بالنص الأصلى.

٧ - ضبط الكلمات التى كانت فى حاجة إلى ذلك.

٨ - وقد رأينا إكمالاً للفائدة إضافة بعض الملاحق إلى ذلك فى الكتاب؛ مثل: ترجمة ابن كثير فى «البداية والنهاية» لابن تيمية، وكذلك ترجمة ابن رجب الحنبلى فى «الذيل على طبقات الحنابلة» لشيخ الإسلام؛ ليكتمل أمام القارئ صورة كاملة لحياة شيخ الإسلام.

صور المخطوطات

١ - اللوحة الأولى والأخيرة من نسخة (ص) .

٢ - اللوحة الأولى والأخيرة من نسخة (ك).

بسم الله الرحمن الرحيم حسبي الله ونعم الوكيل

قال الشيخ الامام الحافظ المحقق ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الهادي المقدسي رحمه الله ورضي عنه واثابه الجنة
بفضله ورحمته وايانا وسائر المسلمين الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا
ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك
له واشهد ان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا **اما بعد** فهذه نبذة يسيرة
مختصرة في ذكر حال سيدنا وشيخنا شيخ الاسلام تقي الدين ابي العباس احمد بن تيميه رحمه الله ورضي عنه واثابه
الجنة برحمته وذكر بعض مناقبه وبعض مصنفاته ٥ هو الشيخ الامام الرباني امام الائمة ومفتي الامة وبحر العلوم سيد
الحفاظ وفارس المعاني والالفاظ فريد العصر وفريع الدهر شيخ الاسلام بركة الانام وعلامة الزمان وترجمان
القران علم الزهاد واوحد العباد قامع المبتدعين وآخر المجتهدين تقي الدين ابو العباس احمد بن الشيخ الامام
العلامة شهاب الدين ابي المحاسن عبد الحليم بن الشيخ الامام العلامة شيخ الاسلام مجد الدين ابي البركات عبد السلام
بن ابي محمد عبد الله بن ابي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني نزيل دمشق وصاحب التصانيف
[illegible] بن الخضر حج على درب تيماء فرأى هناك طفلة فلما رجع وجد امرأته قد ولدت
له بنتا فقال يا تيمية يا تيمية فلقب بذلك قال ابن النجار وذكر لنا ان جده محمدا كانت امه تسمى تيمية وكانت واعظة
فنسب اليها وعرف بها ولد شيخنا ابو العباس بحران يوم الاثنين عاشر وقيل ثاني عشر ربيع الاول سنة ٦٦١هـ
احدى وستين وستمائة وسافر والداه به وباخوته الى الشام عند جور التتار فساروا بالليل ومعهم الكتب
على عجلة لعدم الدواب فكاد العدو يلحقهم ووقفت العجلة فابتهلوا الى الله واستغاثوا به فنجوا وسلموا
وقدموا دمشق في اثناء سنة سبع وستين وستمائة فسمعوا من الشيخ زين الدين احمد بن عبد الدائم بن نعمة المقدسي
جزء ابن عرفة وغير ذلك ثم سمع شيخنا الكثير من ابن ابي اليسر والكمال ابن عبد والمجد بن عساكر واصحاب الخشوعي ومن
الجمال يحيى بن الصيرفي واحمد بن ابي الخير والقسم الاربلي والشيخ فخر الدين بن البخاري والكمال عبد الرحيم
وابي القسم بن علان واحمد بن شيبان وخلق كثير وشيوخه الذين سمع منهم اكثر من مائتي شيخ وسمع مسند
الامام احمد بن حنبل مرات وسمع الكتب الستة الكبار والاجزاء ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير وعني بالحديث
وقرأ ونسخ وتعلم الخط والحساب في المكتب وحفظ القران واقبل على الفقه وقرا العربية على ابن عبد القوي
ثم فهمها واخذ يتامل كتاب سيبويه حتى فهم في النحو واقبل على التفسير اقبالا كليا حتى حاز فيه قصب السبق
واحكم اصول الفقه وغير ذلك هذا كله وهو بعد ابن بضع عشرة سنة فانبهر اهل دمشق من فرط ذكائه وسيلان
ذهنه وقوة حافظته وسرعة ادراكه واتفق ان بعض مشايخ العلماء بحلب قدم الى دمشق وقال سمعت في البلاد

بصبي يقال له احمد بن تيمية

- اللوحة الأولى من نسخة (ك).

لا ترتجي غيره في رفع نازلة … يبقى الهدى عنك الا احسانا منصرما … ولا تكن بسواه عنه مشتغلا
لكي تنال النعيم والفوز والكرما … ولن تحباله ساع لطاعته … فالسعي في غير هذا يورث الندما

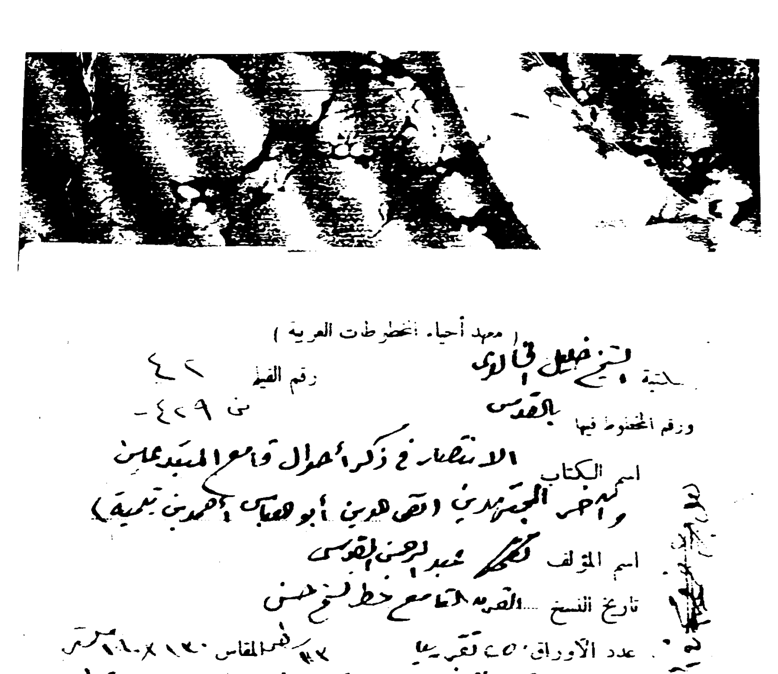
تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

للشيخ زين الدين ابي حفص عمر بن الوردي رحمه الله تعالى في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم

قلب كواه البين حتى انضجا … مازال في بحر الغرام ملججا … ومدامع سحت واشبهت على
خد بحمرة لونها قد ضرجا … لم لا تضرج ادمعي خدي وقد … ذكرت طلابها بالمدينة تحججا
لي بالحجاز وساكنيه يا رب … ارض حكت حلل الحرير مدبجا … سقت الحجاز سحائب يحيى بها
ميت النبات لكي تميس ترججا … يا قاعة الوعساء ما هذا الشذا … احويت مسكا ام حويت بنفسجا
ام نسمة هبت بان ضويلع … هزت معاطفه فماح تارججا … ظمأي الى غدرانه ومياهه
ظمأ يزيد القلب فيه تاججا … ما للنواق رواقصا بل عاينت … فوق الابيرق تحت اذيال الدجى
يا سعد ان عاينت بهجة طيبة … فالبشر يكونك تاجيا فيمن نجا … وانزل فقبل تربها متورعا
متضجعا متعبدا متفرجا … واكحل جفونك في ثراها وابتهج … بسنا نبي ما اعز وابهجا
اعلى الورى قدرا واعظمهم تقى … واتمهم جاها واكملهم حجا … واجدهم سيفا واكرمهم ندى
واعز منزلة واوضح منهجا … كم للنبي محمد من معجزة … اوهى قوى من عانده واز عجا
عجبي لنطق غزالة للمصطفى … جعل الاله لها بذلك مخرجا … لو لم يشق البحر معجزة له
لانشق منه غيره وتخرجا … لم لا تحن اليه يا قلبي وقد … غلب الحنين الجذع فيه وهيجا
سبحان من اعطاه تسبيح الحصا … في كفه المروي اذا عطش فجا … اوليس بيت العنكبوت آية
في الغار لما الهمت ان تنسجا … كم رد عينا كم برى ذا عاهة … بدعائه كم شدة قد فرجا
كم قال من عيب فكان مقاله … مثل الصباح اذا بدا متبلجا … وله من المعراج آيات سمت
لما دعاه الله في ليل سجا … من رام يحصي معجزات محمد … فيعد موج البحر حين تموجا
من انزل القرآن في اوصافه … انا قاصر عن مدحه متلجلجا … هل بعد يس وطه مدحة
في الهاشمي وآله سفن النجا … يا من لواء الحمد في يده ومن … تاج الكرامة في القيمة توجا
صلى عليك الله يا خير الورى … ما فاح نور من ضريحك في الدجا … تمت والحمد لله وحده

وقع الفراغ التام من نسخ الكتاب المستطاب من اوله الى صفحة ١١٥ بيد ابي عبد الله محمد بن حسن سلمه ربه ومن صفحة ١١٦ الى آخره بيد ابي اسماعيل يوسف حسين بن محمد حسن الضا الحنيف السني المحمدي رواح يوم الاثنين ١٢ شوال سنة ١٣١٢

- اللوحة الأخيرة من نسخة (ك).



(معهد أحياء المخطوطات العربية)

مكتبة الشيخ خليل الخالدي بالقدس — رقم الفيلم ٤٢

ورقم المخطوط فيها ن ٤٢٩ -

اسم الكتاب الانتصار في ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين (تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية)

اسم المؤلف محمد عبد الرحمن القدسي

تاريخ النسخ القرن التاسع خط نسخ حسن

عدد الأوراق ٥٠ تقريباً — المقاس ١٢٠ × ٢٠٠ مم — مسطرته ٢٢

الملاحظات ناقص الآخر ينتهي بقوله وفي ثاني يوم بعد صلاة الجمعة جمع القضاة وأكابر الدولة بالقلعة لمحفل الشيخ وأراد الشيخ أنه يتكلم فلم يمكن من البحث والكلام ...



كتاب الانتصار في ذكر
احوال قامع المبتدعين
واخر المجتهدين تقي الدين
ابو العباس احمد ابن
تيمية تغمده الله برحمته
تصنيف العلامة الاوحد الفهامة
سيدنا الشيخ عبد الرحمن المقدسي
عفا الله عنه
امين

- لوحة العنوان من نسخة (ص).

بسم الله الرحمن الرحيم حسبي الله

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره

ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا

من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد

أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً

عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

كثيرا أما بعد فهذه نبذة يسيرة مختصرة في

ذكر حال سيدنا وشيخنا شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد

ابن تيمية رضي الله عنه وأدخله الجنة برحمته وذكر بعض

مناقبه وبعض مصنفاته هو الشيخ الإمام الرباني إمام

الأئمة ومفتي الأمة وبحر العلوم سيد الحفاظ وفارس

المعاني والألفاظ فريد العصر وقريع الدهر شيخ

الإسلام بركة الأنام علامة الزمان ترجمان القرآن

- اللوحة الأولى من نسخة (ص).

ه شام من حران عرفه وقال الشيخ علم الدين

البرزالي في معجم شيوخه احمد بن عبد الحليم بن عبد

السلام بن عبد الله بن ابي القسم بن محمد بن تيميه

الحراني الشيخ تقي الدين ابو العباس الامام المجمع

على فضله ونبله ودينه قرا القران وبرع فيه

والعربيه والاصول ومهر في علمي التفسير والحديث

وكان اماما لا يلحق غباره في كل شي وبلغ رتبة

الاجتهاد واجتمعت فيه شروط المجتهدين وكان

اذا ذكر التفسير ابهت الناس من كثره محفوظه

وحسن ايراده واعطايه كل قول ما يستحقه من

الترجيح والتضعيف والابطال وخوضه في كل علم

كان الحاضرون يقضون منه العجب هذا مع انقطاعه

الى الزهد والعباده والاشتغال بالله تعالى

قلت هذا صحيح عنهما وعن غيرهما وهذا حق وليست هذه من آيات الصفات

ومن عدها من آيات الصفات فقد غلط كما فعل طائفة فإن سياق الكلام

يدل على المراد حيث قال ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله والمشرق والمغرب

الجهات والوجه هو الجهة يقال أي وجه تريده أي أي جهة وأنا أريد هذا الوجه أي هذه الجهة

كما قال تعالى ولكل وجهة هو موليها ولهذا قال فأينما تولوا فثم وجه الله أي تستقبلوا

وتتوجهوا هذا آخر ما علقه الشيخ مما تعلق بالمناظرة بحضرة نائب السلطنة والقضاة

والفقهاء بالقصر وفي يوم الاثنين خامس عشر رمضان من سنة خمس وسبعمائة وصل

[illegible] السلطان بالكشف عما وقع للشيخ تقي الدين في ولاية سيف الدين جاغان وفي ولاية

القاضي إمام الدين وبإحضاره وإحضار القاضي نجم الدين بن صصرى إلى الديار المصرية

وطلب نائب السلطان الشيخ وجماعة من الفقهاء وسألهم عن صورة الواقعة وقرئ عليهم

المرسوم فأجاب كل منهم بما كان عنده من صورة القضية وكتبه عنهم صاحب الديوان

محيي الدين بن فضل الله وفي يوم الاثنين ثاني عشر رمضان توجه الشيخ تقي الدين

والقاضي نجم الدين بن صصرى إلى مصر على البريد وخرج مع الشيخ خلق كثير وبكوا

وخافوا عليه من أعدائه وأشار [illegible] نائب السلطنة [illegible] بترك التوجه

إلى مصر وأنه يكاتب في ذلك فامتنع الشيخ [illegible] وذكر أن في توجهه

إلى مصر مصالح كثيرة [illegible] بعض أصحاب الشيخ [illegible] ولما توجه الشيخ في اليوم الذي

توجه فيه من دمشق [illegible] كان يوما مشهودا غريب المثال كثرة ازدحام الناس

لوداعه ورؤيته حتى انتشروا من باب داره إلى قرب الجسورة فيما بين دمشق والكسوة

التي [illegible] وهم ما بين باك وحزين ومتفرج ومتنزه ومزاحم [illegible]

[illegible] يوم الخميس الثاني والعشرين من

رمضان ووصل الشيخ والقاضي إلى القاهرة [illegible] ثاني يوم بعد صلاة الجمعة جمع القضاة و[illegible]

الدولة بالقلعة [illegible] وأراد الشيخ أن يتكلم فلم يمكن من البحث [illegible]

- اللوحة الأخيرة من نسخة (ص).

كتــاب

الانتصار في ذكر أحوال قامع المبتدعين
وآخر المجتهدين تقي الدين أبي العباس
أحمد بن تيميَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

حسبى الله ونِعْم الوكيل[1]

/ [٢] قال الشيخ الإمام الحافظ المحقق، أبو عبدالله: محمد بن أحمد بن عبد الهادى [١/أ] المقدسى ـ رحمه الله ورضى عنه، وأثابه الجنة بفضله ورحمته وإيانا وسائر المسلمين[٢]:

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضِلَّ له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فهذه نبذة يسيرة مختصرة فى ذكر حال سيدنا وشيخنا: شيخ الإسلام، تقى الدين، أبى العباس أحمد بن تيميَّة ـ رحمه الله[٣] ورضى عنه وأثابه الجنة[٤] برحمته ـ وذِكْر بعض مناقبه وبعض مصنفاته.

هو الشيخ الإمام الربَّانى، إمام الأئمة، ومفتى الأمَّة، وبحر العلوم، سيد الحفَّاظ، وفارس المعانى والألفاظ، فريد العصر، وقريع الدَّهْر، شيخ الإسلام، بركة الأنام، وعلامة الزمان، وترجمان القرآن[٥]، عَلَم الزُّهَّاد، وأوحد العبَّاد، قامع المبتدعين، وآخر المجتهدين، تقى الدين أبو العباس: أحمد بن الشيخ الإمام العلاَّمة شهاب الدين، أبى المحاسن، ابن الشيخ الإمام العلامة، شيخ الإسلام، مجد الدين، أبى البركات، عبدالسلام بن أبى محمد عبدالله بن أبى القاسم الخضر بن محمد ابن الخضر بن على بن عبدالله ابن تيمية الحرَّانى، نزيل دِمَشق، وصاحب التصانيف التى لم يسبق إلى مثلها.

---

(١) ونعم الوكيل: ليست فى (ص).
(٢ ـ ٢) ساقط من (ص).
(٣) رحمه الله: ليست فى (ص).
(٤) فى (ص): وأدخله الجنة.
(٥) من أول قوله: «علم الزهاد...» إلى قوله: «زين الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن نعمة المقدسى» ساقط من (ص)؛ وكتب البرزالى بخطه أن الشيخ ابن تيمية قد سمع أحاديث منتقاة من جزء الحسن بن عرفة وهى: وقرأ هذه الأحاديث الثمانية شيخنا.. ابن تيمية؛ انظر: الرد الوافر: ص ١٢٠.

قيل: إن جَدَّه محمد بن الخضر[1] حجّ على دَرْب تَيماء[2]، فرأى هناك طفلة فلما رجع وجد امرأته قد ولدت له بنتًا فقال: ياتيمية، ياتيمية، فلقب بذلك.

قال ابن النجار : ذكر لنا أن جده محمداً كانت أمه تُسمّى تيمية، وكانت واعظة، فنسب إليها وعرف بها.

ولد شيخنا أبو العباس بحَرَّان، يوم الاثنين عاشر - وقيل ثانى عشر - [شهر][3] ربيع الأول سنة ٦٦١هـ إحدى وستين وستمائة، وسافر والده به وبإخوته إلى الشام عند جَور التتار، فساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة، لعدم الدواب، فكاد العدو يلحقهم ووقفت العجلة، فابتهلوا إلى الله واستغاثوا به فنجوا وسلموا.

وقدموا دمشق فى أثناء سنة سبع وستين وستمائة، فسمعوا من الشيخ زين الدين أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسى[4] جزء ابن عرفة [كله][5] ثم سمع شيخنا الكثير من ابن أبى اليُسْر[6] والكمال ابن عبد[7]، والمجد ابن عساكر[8]

---

(١) هو محمد بن الخضر بن محمد، أبو عبدالله الحرانى الحنبلى، كان خطيباً وواعظاً بحران، اشتغل بالتفسير، لانعرف تاريخ مولده، وتوفى - رحمه الله - سنة (٦٢٢هـ)؛ انظر عنه: الوافى بالوفيات: ٣٧٣/٣، الأعلام: ٣٤٦/٦ - ٣٤٧.

(٢) تيماء: بلدة فى الشام تقع بين الشام ووادى القرى على طريق حجاج الشام ودمشق؛ انظر عنها: معجم البلدان: ٩٠٧/١، مراصد الاطلاع : ٢٨٦/١، الشهادة الزكية فى ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعى بن يوسف الحنبلى - تحقيق نجم عبد الرحمن خلف: هامش (٢).

(٣) مثبت من (ط).

(٤) هو أحمد بن عبد الدايم بن نعمة المقدسى، أبو العباس زين الدين، نساخ من شيوخ الحنابلة، عالم بالحديث، ولد بنابلس سنة (٥٧٥هـ)، وانتقل من نابلس إلى دمشق حيث كانت وفاته، كان حسن الخط سريعاً فيه، لازم الكتابة أكثر من خمسين سنة، فكان يكتب فى اليوم الواحد تسعة كراريس، كفّ بصره فى آخر عمره وقبل وفاته بعام، توفى - رحمه الله - سنة (٦٦٨هـ)؛ انظر عنه: فوات الوفيات: ٤٦/١، الأعلام: ١٤٥/١.

(٥) مثبت من (ط). (٦) لم أجد له ترجمة. (٧) لم أجد له ترجمة.

(٨) هو محمد بن إسماعيل بن عثمان بن مظفر بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الدمشقى، سمع من الخشوعى والقاسم بن عساكر ومن آخرين، توفى - رحمه الله - سنة (٦٦٩هـ)؛ انظر عنه: شذرات الذهب: ٣٣١/٥.

وأصحاب الخشوعى،[1] ومن الجمال يحيى بن الصيرفى[2]، وأحمد بن أبى الخير[3]، والقاسم الأرْبَلى[4]، والشيخ فخر الدين ابن البُخارى[5]، والكمال عبدالرحيم[6]، وأبى القاسم ابن علان[7]، وأحمد بن شيبان[8]، وخلق كثير.

(١) هو أبو طاهر بركات بن إبراهيم بن طاهر الدمشقى، ولد سنة (٥١٠هـ)، وأكثر عن هبة الله بن الكفانى وغيره، وأجاز له الحريرى وأبو صادق المدينى وغيرهما من العراقيين والمصريين والأصبهانيين، وعمّر وبعد صيته ورُحل إليه، وكان صدوقاً، وكان له أصحاب يروون عنه الحديث هو والقاسم بن عساكر، ومن تلامذته المجد بن عساكر وولداه إبراهيم المتوفى سنة (٦٤٠هـ) وعبد العزيز المتوفى سنة (٦٣٧هـ)، توفى - رحمه الله - سنة (٥٩٨هـ)، وذكر أبو شامة الشافعى أنه توفى فى سنة (٥٩٧هـ)؛ انظر عنه: شذرات الذهب: ٣٣٥/٤، تراجم رجال القرنين السادس والسابع لأبى شامة الشافعى: ص ٢٨، ٢٩ - ط دار الجيل - بيروت - تحقيق السيد عزت العطار.

(٢) هو يحيى بن أبى منصور بن أبى الفتح بن رافع الحرانى، أبو زكريا، جمال الدين الحبيشى، المعروف بابن الصيرفى، فقيه حنبلى ومحدث، ولد بحران سنة (٥٨٣هـ)، وسافر إلى الموصل وبغداد سنة (٦٠٧هـ)، ثم استقر بدمشق، من مؤلفاته: «عقوبات الجرائم» و «نوادر المذهب» و «انتهاز الفرص فيمن أفتى بالرخص»، توفى - رحمه الله - بدمشق سنة (٦٧٨هـ)؛ انظر عنه: ذيل طبقات الحنابلة: ٢٩٥/٢ - ٢٩٧، شذرات الذهب : ٣٧٣/٥، الأعلام ١٧٣/٨، ١٧٤.

(٣) هو أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن أبى الخير الصالحى الحداد، روى عن أبى القاسم بن صصرى وابن الزبيدى، وأجاز له الشيخ الموفق، توفى - رحمه الله - سنة (٦٩٩هـ)؛ انظر عنه: شذرات الذهب: ٤٤٤/٣.

(٤) هو أبو محمد القاسم بن أبى بكر بن القاسم بن غنيمة، رحل مع أبيه وله بضع عشرة سنة، فذكر - وهو صدوق - أنه سمع جميع صحيح مسلم من المؤيد الطوسى ورواه بدمشق فسمعه منه الكبار، توفى - رحمه الله - سنة (٦٨٠هـ) وله خمس وثمانون سنة؛ انظر عنه: شذرات الذهب: ٣٦٧/٥.

(٥) هو الفخر ابن البخارى، أبو الحسن، على بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدى المقدسى الحنبلى، ولد سنة (٥٩٥هـ)، وسمع من حنبل وابن طبرزد الكندى وغيرهم، وأجاز له أبو المكارم اللبان وابن الجوزى، وطال عمره ورحل الطلبة إليه من البلاد، وألحق الأسباط بالأجداد فى علو الإسناد حتى حدّث نحواً من ستين سنة، وتفقه على موفق الدين ابن قدامة المقدسى وقرأ عليه المقنع، قال ابن تيمية: ينشرح صدرى إذا أدخلت ابن البخارى بينى وبين النبى ﷺ فى حديث، روى عنه الرشيد العطار وابن دقيق العيد والحارثى والشيخ تقى الدين ابن تيمية، توفى - رحمه الله - سنة (٦٩٠هـ)؛ انظر عنه: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب: ٣٢٥/٢ - ٣٢٩، شذرات الذهب: ١٤٤/٥ - ٤١٦.

(٦) لم أجد له ترجمة.

(٧) هو القاضى الجليل شمس الدين أبو الغنايم المسلم بن محمد بن مسلم بن مكى بن خلف القيسى الدمشقى، ولد سنة (٥٩٤هـ)، وسمع الكثير من حنبل وابن طبرزد وابن مندويه وغيرهم، وأجاز له الخشوعى وغيره، وكان من أشراف الناس، توفى - رحمه الله - سنة (٦٨٠هـ)؛ انظر عنه: شذرات الذهب ٣٦٩/٣.

(٨) هو بدر الدين أبو العباس أحمد بن شيبان بن تغلب بن حيدرة الشيبانى الصالحى العطار ثم الخياط، راوى مسند الإمام أحمد، أكثر عن حنبل وابن طبرزد وغيرهما، وأجاز له أبو جعفر الصيدلانى وغيره، وكان متواضعاً حسن الخلق، توفى - رحمه الله - سنة (٦٨٥هـ) وله تسع وثمانون سنة؛ انظر عنه: شذرات الذهب: ٣٩٠/٥.

وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتى شيخ.

وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات، وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء[١]، ومن مسموعاته معجم الطبرانى الكبير.

وعنى بالحديث وقرأ ونسخ، وتعلم الخط والحساب فى المكتب، وحفظ القرآن، وأقبل على الفقه، وقرأ العربية على ابن عبد القوى[٢]، ثم فهمها وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم فى النحو، وأقبل على التفسير إقبالاً كليًا؛ حتى حاز فيه قصب السبق، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك.

هذا كله وهو بَعْدُ ابن بضع عشرة سنة، فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوة حافظته، وسرعة إدراكه.

[١/ب] واتفق أن بعض مشايخ العلماء بحلب قدم إلى دمشق وقال سمعت فى البلاد/ بصبى يقال له أحمد بن تيميَّة، وأنه سريع الحفظ[٣]، وقد جئت قاصداً لعلى أراه، فقال له خياط: هذه طريق كتَّابه وهو إلى الآن ما جاء فاقعد عندنا، الساعةَ يجئ يعبر علينا ذاهبًا إلى الكتاب، فجلس الشيخ الحلبى قليلاً، فمر صبيان، فقال الخياط للحلبى: هذاك الصبى الذى معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيميَّة، فناداه الشيخ، فجاء إليه، فتناول الشيخ اللوح، فنظر فيه ثم قال: ياولدى امسح هذا حتى أُملى عليك شيئًا تكتبه، ففعل، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر، أو

---

(١) الأجزاء ـ هكذا بالأصل ـ عطفاً على الكتب الستة الكبار، ولعل المؤلف يقصد بها أجزاء ابن عرفة لتكرار ذلك كثيراً فى الأصل.

(٢) هو محمد بن عبد القوى بن بدران بن عبدالله المقدسى المرداوى، شمس الدين أبو عبدالله، ولد سنة (٦٠٣هـ) بمردا، وسمع الحديث من خطيب مردا وإبراهيم بن خليل وغيرهما، وتفقه على الشيخ شمس الدين ابن أبى عمرو وغيره، برع فى اللغة العربية، واشتغل ودرس وأفتى، وقد قرأ عليه الشيخ تقى الدين ابن تيميَّة كتباً فى اللغة العربية، ومن مؤلفاته: القصيدة الدالية الطويلة، وكتاب مجمع البحرين، وكتاب الفروق، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٦٩٩هـ)؛ انظر عنه: الذيل على طبقات الحنابلة: ٤/ ٢٨١ـ ٢٨٢.

(٣) فى (ك) : الفهم، ثم شطبها الناسخ وكتب الحفظ.

ثلاثة عشر حديثًا وقال له: اقرأ هذا، فلم يزد على أن تأمله مرة بعد كتابته إيَّاه، ثم دفعه إليه وقال: أسمعه علىَّ، فقرأ عليه عرضًا كأحسن ما أنت سامع.

فقال له: ياولدى امسح هذا، ففعل، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها، ثم قال: اقرأ هذا، فنظر فيه، كما فعل أول مرة، فقام الشيخ، وهو يقول، إن عاش هذا الصبى ليكونن له شأن عظيم، فإن هذا لمُ ير مثله - أو كما قال.

[ثناء الذهبى على ابن تيميَّة]

وقال الحافظ أبو عبدالله الذهبى[1] : «نشأ - يعنى تقى الدين رحمه الله - فى تصوُّن تام، وعفاف وتألُّه وتعبد، واقتصاد فى الملبس والمأكل، وكان يحضر المدارس والمحافل فى صغره، ويناظر ويُفْحم الكبار، ويأتى بما يتحيّر منه أعيان البلد فى العلم، فأفتى وله تسع عشرة سنة - بل أقل - وشرع فى الجمع والتأليف من ذلك الوقت، وأكبَّ على الاشتغال، ومات والده - وكان من كبار الحنابلة وأئمتهم - فدرّس بعده بوظائفه، وله إحدى وعشرون سنة، واشتهر أمره، وبَعُد صيته فى العالم، وأخذ فى تفسير الكتاب العزيز فى الجُمَع على كرسى من حفظه، فكان يرد المجلس ولا يتعلثم، وكذا كان الدرس بتؤدة وصوت جَهُورى فصيح[2]».

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عثمان الدمشقى الذهبى، شمس الدين أبو عبدالله، ولد سنة (٦٧٣هـ) بدمشق، تركمانى الأصل، حافظ مؤرخ كبير، رحل إلى القاهرة، وطاف البلدان، كتب وأرخ كتباً كثيرة تعد مصدراً أساسياً للتاريخ الإسلامى، من أهم مصنفاته التى قاربت المائة: دول الإسلام، المشتبه فى الأسماء والأنساب، الكنى والألقاب، تاريخ الإسلام الكبير، سير أعلام النبلاء، تذكرة الحفاظ، العبر، ميزان الاعتدال، ومن آخر ما نشر من مؤلفاته: معرفة القراء الكبار. كف بصره سنة (٧٤١هـ) فتوقف عن التأليف، توفى - رحمه الله - سنة (٧٤٨ هـ)؛ انظر عنه: فوات الوفيات: ١٨٣/٢، ذيل التذكرة: ص ٣٤، طبقات السبكى: ٢١٦/٥، شذرات الذهب: ١٥٣/٦، النجوم الزاهرة: ١٨٢/١٠، الأعلام: ٣٢٦/٥.

(٢) راجع ما كتبه الذهبى عن ابن تيمية فى: الشهادة الزكية فى ثناء الأئمة على ابن تيمية لمرعى الحنبلى: ص ٣٩ - ٤٢.

وقال بعض قدماء أصحاب شيخنا ـ وقد ذكر نبذة من سيرته : أما مبدأ أمره ونشأته، فقد نشأ من حين نشأ فى حجور العلماء، راشفًا كؤوس الفهم، راتعًا فى رياض التفقه ودوحات الكتب الجامعة لكل فن من الفنون، لا يلوى إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالى الأمور ـ خصوصًا علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها ـ ولم يزل على ذلك خلفًا صالحًا سلفيًا متألهًا عن الدنيا، صَيِّناً تقياً، براً بأمه، ورعًا عفيفاً، عابداً ناسكًا، صواماً قوامًا، ذاكرًا لله تعالى فى كل أمر وعلى كل حال، رجَّاعًا إلى الله تعالى فى سائر الأحوال والقضايا، وقَّافًا عند حدود الله تعالى وأوامره ونواهيه، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر بالمعروف، لاتكاد نفسه تشبع من العلم، فلا تروى من المطالعة، ولا تملُّ من الاشتغال، ولا تَكلُّ من البحث، وقلَّ أن يدخل فى علم من العلوم من باب من أبوابه إلا ويُفتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك مستدركات فى ذلك العلم على حذَّاق أهله، مقصوده الكتاب والسنة.

ولقد سمعته فى مباءئ أمره يقول: إنه ليقف خاطرى فى المسألة أو الشئ[1] أو الحالة التى تشكل علىّ فأستغفر الله تعالى ألف مرة أو أكثر أو أقل، حتى ينشرح الصدر وينحلّ إشكال ما أشكل، قال: وأكون ـ إذ ذاك ـ فى السوق أو المسجد أو الدرب أو المدرسة؛ لا يمنعنى ذلك من الذكر والاستغفار إلى أن أنال مطلوبى.

قال هذا الصاحب: ولقد كنت فى تلك المدة وأول النشأة إذا اجتمعت به فى ختمة[2] أو مجلس ذكر خاص مع أحد المشايخ المذكورين، وتذاكروا وتكلم ـ مع حداثة سنه ـ أجد لكلامه صَوْلة على القلوب وتأثيرًا / فى النفوس، وهيبة مقبولة، [٢/أ]

(١) فى (ط): والشئ؛ والمثبت من (ك).
(٢) فى (ط) : فى ختم.

ونفعًا يظهر أثره، وتتفعل له النفوس التى سمعته أيامًا كثيرة بعقبه، حتى كان مقالُه بلسان حاله، وحاله ظاهر فى مقاله، شهدت ذلك منه غير مرة.

قلت: ثم لم يبرح شيخنا ـ رحمه الله ـ فى ازدياد من العلوم، وملازمة الاشتغال والإشغال، وبث العلم ونشره، والاجتهاد فى سُبل الخير، حتى انتهت إليه الإمامة فى العلم والعمل، والزهد والورع، والشجاعة والكرم، والتواضع والحلم والإنابة[1]، والجلالة والمهابة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وسائر أنواع الجهاد، مع الصدق والعفة والصيانة، وحسن القصد والإخلاص، والابتهال إلى الله وكثرة الخوف منه، وكثرة المراقبة له، وشدة التمسك بالأثر، والدعاء إلى الله، وحسن الأخلاق، ونفع الخَلْق والإحسان إليهم، والصبر على من آذاه، والصفح عنه والدعاء له، وسائر أنواع الخير.

وكان ـ رحمه الله ـ سيفاً مسلولاً على المخالفين، وشجىً فى حلوق أهل الأهواء المبتدعين، وإمامًا قائمًا ببيان الحق ونصرة الدين، وكان بحرًا لا تُكدِّره الدِّلاء، وحَبْرًا يقتدى به الأخيار الألباء، طَنَّت بذكره الأمصار، وضَنَّت بمثله الأعصار.

قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج[1] : ما رأيت مثله، ولارأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحدًا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله، ولا أتبع لهما منه.

---

(١) كذا فى الأصل، وفى الهامش كتب الناسخ: لعله الأناة.

(٢) هو جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعى المزِّى ثم الكلبى ثم الشافعى، حافظ محدث، ولد بحلب سنة (٦٥٤هـ)، نشأ بالمزة، برع فى علوم اللغة ومعرفة الرجال، من أهم مؤلفاته: تهذيب الكمال، الأطراف، تولى مشيخة دار الحديث الأشرفية، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٧٧٢هـ)؛ انظر عنه: تذكرة الحفاظ: ١٤٩٨/٤، الدرر الكامنة: ٢٣٣/٥، شذرات الذهب: ١٣٦/٦، النجوم الزاهرة: ٧٦/١٠، طبقات الحفاظ: ص ٥١٧.

[ثناء ابن الزِّمْلِكَانى على ابن تيميَّة]

وقال العلامة كمال الدين ابن الزملكانى[١]: كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائى والسامع أنه لايعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحدًا لايعرفه مثله. وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جلسوا معه استفادوا فى مذاهبهم منه ما لم يكونوا عرفوه قبل ذلك، ولايعرف أنه ناظر أحدًا فانقطع معه، ولاتكلم فى علم من العلوم؛ سواء كان من علوم الشرع أو غيرها[٢] إلا فاق فيه أهله والمنسوبين إليه. وكانت له اليد الطولى فى حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب والتقسيم والتبيين.

ووقعت مسألة فرعية فى قسمة جرى فيها اختلاف بين المفتين فى العصر، فكتب فيها مجلدة كبيرة، وكذلك وقعت مسألة فى حد من الحدود، فكتب فيها مجلدة كبيرة، ولم يخرج فى كل واحدة عن المسألة، ولاطول بتخليط الكلام والدخول فى شئ والخروج من شئ، وأتى فى كل واحدة بما لم يكن يجرى فى الأوهام والخواطر، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.

وقرأت بخط الشيخ كمال الدين ـ أيضاً ـ على كتاب بيان الدليل على إبطال التحليل لشيخنا ـ وقد ذكر ترجمته ـ فقال[٣]: من مصنفات سيدنا وشيخنا

---

(١) هو محمد بن على بن عبد الواحد الأنصارى، كمال الدين، المعروف بابن الزملكانى، فقيه انتهت إليه رئاسة المذهب الشافعى فى عصره، ولد بدمشق سنة (٦٦٧هـ)، تصدر للتدريس والإفتاء، ثم تولى قضاء حلب، له رسالة فى الرد على ابن تيمية فى مسألتى الطلاق والزيارة، توفى ـ رحمه الله ـ ببلبيس من أعمال القاهرة سنة (٧٢٧هـ) ودفن بالقاهرة؛ انظر عنه: البداية والنهاية: ١٣١/١٤ ـ ١٣٢، فوات الوفيات: ٧/٤ ـ ١١، الأعلام: ٢٨٤/٦.

(٢) فى (ط): سواء أكان من علوم الشرع أم غيرها.

(٣) أورد هذا النص الشيخ مرعى بن يوسف الكرمى الحنبلى فى كتابه «الشهادة الزكية فى ثناء الأئمة على ابن تيمية» ـ تحقيق الأستاذ نجم عبد الرحمن خلف ـ ط دار الفرقان ـ بيروت: ص ٣٧، وسوف نقابل النص على ما ذكره المؤلف.

وقدوتنا الشيخ السيد[1] الإمام العالم العلامة، الأوحد البارع، الحافظ الزاهد الورع، القدوة الكامل العارف، تقى الدين: شيخ الإسلام ومفتى الأنام[2]، سيد العلماء، قدوة الأئمة الفضلاء، ناصر السنة، قامع البدعة، حجة الله على العباد، رادٌّ أهل الزيغ والعناد، أوحد العلماء العاملين، آخر المجتهدين أبى العباس؛ أحمد ابن عبدالحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أبى القاسم بن محمد بن تيميَّة الحرانى ـ حفظ الله على المسلمين طول حياته، وأعاد عليهم من بركاته، إنه على كل شئ قدير.

وقرأت أيضًا بخطه[3] على كتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» :

تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة الأوحد الحافظ المجتهد الزاهد العابد القدوة إمام الأئمة، قدوة الأمة، علاَّمة العلماء، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين، أوحد علماء الدين، بركة الإسلام، حجة الأعلام، برهان المتكلمين، قامع المبتدعين، محيى السنة، ومن عظمت به لله علينا المنَّة، وقامت به على أعدائه الحجة واستبانت ببركته وهديه المحجة؛ تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميَّة الحرانى ـ أعلى الله مناره، وشيَّد به من الدين أركانه. [ثم قال][4] :

ماذا يقول الواصفون له * وصفاته جلَّت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة * هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة * أنوارها أرْبت على الفجر

(١) السيد: ليست فى نسخة مرعى الحنبلى.
(٢) مفتى الأنام: ليست فى نسخة مرعى الحنبلى.
(٣) الضمير يعود على كمال الدين الزملكانى، والنص التالى نقله مرعى الحنبلى فى كتابه المشار إليه سابقاً: ص ٣٧ ـ ٣٨، وسوف نقابله على النص المذكور.
(٤) ما بين المعقوفتين أثبتناها من نسخة مرعى الحنبلى وليست فى بقية النسخ.

[٢/ب] / وقرأت على آخر هذا الكتاب طبقة بخط الذهبى، يقول فيها:

سمع جميع هذا الكتاب على مؤلفه شيخنا الإمام العالم العلامة الأوحد شيخ الإسلام، مفتى الفرق، قدوة الأمة، أعجوبة الزمان، بحر العلوم، حبر القرآن، تقى الدين، سيد العلماء[1]؛ أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن تيميَّة الحرانى رضي الله عنه.

[ثناء ابن سيد الناس على ابن تيميَّة]

وقال الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح بن سيد الناس اليَعْمُرى[2] المصرى[3] - بعد أن ذكر ترجمة شيخنا الحافظ جمال الدين أبى الحجاج المِزِّى : وهو الذى حدانى على رؤية الشيخ الإمام شيخ الإسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن الحليم بن عبد السلام بن تيميَّة، فألفيته ممن أدرك من العلوم حظًا، وكاد يستوعب السُّنن والآثار حفظًا، إن تكلم فى التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر

(١) فى ك: سيد العلماء ثم شطب الناسخ كلمة «العلماء» وكتب «العباد»، والصواب ما أثبتناه.

(٢) هو الحافظ محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس اليعمرى، أبو الفتح أو فتح الدين، اشتغل بالأدب، ولد بالقاهرة سنة (٦٧١هـ) وأصله من أشبيلية، من مؤلفاته عيون الأثر فى فنون المغازى والشمائل والسير، بشرى اللبيب فى ذكرى الحبيب، توفى - رحمه الله - سنة (٧٣٤هـ)؛ انظر عنه: فوات الوفيات: ١٦٩/٢، ذيل تذكرة الحفاظ: ص ١٦٠، الوافى بالوفيات: ٢٨٩/١، البداية والنهاية: ١٦٩/١٤، الدرر الكامنة: ٢٠٨/٤، النجوم الزاهرة: ٣٠٣/٩، طبقات الشافعية: ٢٩/٦، الأعلام: ٢٣٤/٧.

(٣) فى (ك): نفى، نقل الشيخ مرعى الحنبلى هذا النص كاملاً فى كتابه السابق ذكره وسوف نقابل بين النصين.

بالنِّحَل والمِلل لم تر[١] أوسع من نحلته فى ذلك، ولا أرفع من درايته. برز فى كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه. كان يتكلم فى التفسير فيحضر مجلسه الجَمُّ الغفير، ويردون من بحر علمه العذب النمير، ويرتعون من ربيع فضله فى روضة وغدير، إلى أن دبّ إليه من أهل بلده داء الحسد، وأكب[٢] أهل النظر منهم على ما ينتقد عليه فى حنبليته من[٣] أمور المعتقد، فحفظوا عنه فى ذلك كلامًا، أوسعوه بسببه ملامًا، وفوّقوا لتبديعه سهامًا، وزعموا أنه خالف طريقهم، وفرَّق فريقهم، فنازعهم ونازعوه، وقاطع بعضهم وقاطعوه ..

ثم نازع طائفة أخرى ينتسبون من الفقر إلى طريقة، ويزعمون أنهم على أدق باطن منها وأجلى حقيقة، فكشف تلك الطرائق، وذكر لها ـ على مازعم ـ بوائق، فآضت[٤] إلى الطائفة الأولى من منازعيه، واستعانت بذوى الضغن[٥] عليه من مقاطعيه، فوصلوا بالأمراء أمره، وأعمل كل منهم فى كفره فكره، فكتبوا محاضر، وألَّبوا الرُّويبضة[٦] للسعى بها بين الأكابر، وسعوا فى نقله إلى حضرة المملكة[٧] بالديار المصرية، فنقل وأودع السجن ساعة حضوره، واعتقل، وعقدوا لإراقة دمه مجالس، وحشدوا لذلك قوما من عمّار الزوايا وسكان المدارس؛ من مجُامل[٨] فى

---

(١) هكذا فى الأصل، وفى (ط) وفى نسخة مرعى : لم يُر.

(٢) هكذا فى الأصل، وفى (ط) وألَب.

(٣) فى نسخة مرعى: وأكب أهل النظر منهم على ما ينتقد عليه من أمور المعتقد.

(٤) فآضت: بمعنى صارت ورجعت، ومنه: آض يئيض إذا سار وعاد، وآض إلى أهله: رجع إليهم؛ انظر: لسان العرب (آض).

(٥) فى الأصل: الظعن، والمثبت من نسخة (ط).

(٦) الرويبضة: ليست فى نسخة مرعى، ومعنى الرويبضة: تصغير رابضة وهو الذى يرعى الغنم، وقيل: هو العاجز عن معالجة الأمور؛ انظر: لسان العرب (ربض).

(٧) فى نسخه مرعى: إلى المملكة.

(٨) فى (ك): محايل بالحاء المهملة.

المنازعة، مخاتل بالمخادعة، ومن مجاهر بالتكفير مبارز بالمقاطعة، يسومونه ريب المنون، ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾(١)، (٢ وليس المجاهر بكفره بأسوأ حالاً من المخاتل، وقد دَّبت إليه عقارب مكره٢)، فرد الله كيد كلٍ فى نحره، ونجاه(٣) على يد من اصطفاه، والله غالب على أمره. ثم لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة، ولم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة، إلى أن فُوِّض أمره لبعض القضاة فتقلد(٤) ما تقلد من اعتقاله، ولم يزل بمحبسه ذلك إلى حين ذهابه إلى رحمة الله تعالى(٥) وانتقاله، وإلى الله ترجع الأمور، وهو المطلع على خائنة الأعين وما تخفى الصدور. وكان يومه مشهودًا، ضاقت(٦) بجنازته الطريق، وانتابها المسلمون من كل فج عميق، يتبركون بمشهده يوم الأشهاد، ويتمسكون بسريره(٧) حتى كسروا تلك الأعواد(٨)؛ وذلك فى ليلة العشرين من ذى القعدة سنة ٧٢٨ هـ ثمان وعشرين وسبعمائة بقلعة دمشق المحروسة. وكان مولده بحرَّان فى عاشر شهر ربيع الأول من سنة ٦٦١ إحدى وستين وستمائة ـ رحمه الله وإيانا.

ثم قال : قرأت على الشيخ الإمام حامل راية العلوم، ومدرك غاية الفهوم، تقى الدين أبى العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبد السلام بن تيميَّة ـ رحمه الله ـ بالقاهرة ـ قدم علينا ـ قلت له: أخبركم الشيخ الإمام زين الدين أبو العباس أحمد ابن عبدالدايم بن نعمة المقدسى، ثم ذكر(٩) حديثًا من جزء ابن عرفة.

(١) القصص: (٦٩). (٢ - ٢) ليست فى نسخة مرعى.
(٣) فى (ط): فنجاه.
(٤) كذا بالأصل، وفى (ط): فقلَّد.
(٥) تعالى: ليست فى نسخة مرعى.
(٦) فى نسخة مرعى : وضاقت.
(٧) فى (ك)، (ط): بشرجعه، والمثبت من نسخة مرعى. والشرجع: على وزن فعلل كجعفر، وهو النعش الذى يحمل عليه الميت.
(٨) هنا انتهى النص فى نسخة مرعى الحنبلى.
(٩) هنا ينتهى السقط من نسخة (ص) الذى بدأ من ص ٢ هامش (١).

[ثناء البِرْزَالى على ابن تيميَّة]

وقال الشيخ علم الدين البرزالى[1] / فى معجم شيوخه[2]: [٣/أ]

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أبى القاسم بن محمد بن تيميَّة الحرانى، الشيخ تقى الدين أبو العباس الإمام، المجمع على فضله ونبله ودينه. قرأ الفقه[3] وبرع فيه والعربية والأصول، ومهر فى علمى التفسير والحديث، وكان إمامًا لا يلحق غباره فى كل شىء، وبلغ رتبة الاجتهاد، واجتمعت فيه شروط المجتهدين، وكان إذا ذكر التفسير بُهت الناس من كثرة محفوظه وحسن إيراده، وإعطائه كل قول ما يستحقه من الترجيح والتضعيف والإبطال، وخوضه فى كل علم كان الحاضرون يقضون منه العجب، هذا مع انقطاعه إلى الزهد والعبادة والاشتغال بالله تعالى، والتجرد من أسباب الدنيا، ودعاء الخلق إلى الله تعالى.

وكان يجلس فى صبيحة كل جمعة على الناس يفسر القرآن العظيم فانتفع بمجلسه، وبركة دعائه، وطهارة أنفاسه، وصدق نيته، وصفاء ظاهره وباطنه، وموافقة قوله لعمله، وأناب إلى الله خلق كثير. وجرى على طريقة[4] واحدة من اختيار الفقر والتقلل من الدنيا - رحمه الله تعالى، ورد ما يفتح به عليه[5].

وقال فى موضع آخر: كان قد نظم شيئًا يسيرًا فى صغره، وكتبت عنه إذ ذاك، ثم إنه ترك ذلك وأعرض عنه.

---

(١) هو الإمام المحدث القاسم بن محمد بن يوسف، الحافظ علم الدين البرزالى الإشبيلى ثم الدمشقى، ولد سنة (٦٦٥هـ) بدمشق، أصله من إشبيلية، وهو صاحب كتاب الأعلام العلية فى مناقب شيخ الإسلام ابن تيميَّة، توفى - رحمه الله - وهو فى طريقه إلى الحج سنة (٧٣٨هـ) - وقيل سنة (٧٣٩هـ)؛ انظر عنه: فوات الوفيات: ١٣٢/٢، تذكرة الحفاظ: ٢٨٣/٤، البداية والنهاية: ١٨٥/٤، النجوم الزاهرة: ٣١٩/٩، الدرر الكامنة: ٢٣٨/٣، الأعلام: ١٨٢/٥.

(٢) النص الآتى: نقله مرعى الحنبلى فى كتابه السابق، وسوف نقابل النص فى النسختين.

(٣) فى (ص) وفى نسخة مرعى الحنبلى: القرآن.

(٤) فى (ك): طريق.

(٥) هنا ينتهى النص الذى نقله مرعى الحنبلى.

وسئل عن مسألة القدر بنظم، فأجاب فيها بنظم، وقد قرئ عليه وسمع منه.

وحل لغز الرشيد الفارقى[1] بأبيات تشتمل على نحو مائة بيت على وزن اللغز، وذلك فى حياة والده ـ رحمه الله تعالى ـ وله نحو العشرين من العمر، وكان حله له[2] فى أسرع وقت.

قلت: هذا اللغز الذى أشار إليه الشيخ علم الدين نظمه الشيخ الإمام العلامة رشيد الدين أبو حفص عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقى فى اسم أَلْغَزَهُ، بوصف أبرزه، فى لفظ أوجزه، لفهم أعجزه[3]:

ما اسم ثلاثى الحروف فثلثه * مثل له، والثلث ضعف جميعه

والثلث الآخر جوهر حلت به الـ * أعراض جمعاً، فاعجبوا لبديعه

وهو المثلث، جذره مثل له * وإذا يُربّع بان فى تربيعه

جزء من الفلك العلىِّ، وإنما * باقيه خوف، أو أمان مروعه

حىٌّ جماد ساكن متحرك * إن كنت ذا نظر إلى تنويعه

وتراه مع خمسيه علة كونه * معلوله سرا بغير مذيعه

وبغير خمسيه جميع النحو مو * جود ومحمول على موضوعه

وبحاله فعل مضى مستقبلا * حمدت صناعته لحمد صنيعه

قيد لمطلقه، خصوص عمومه * زيد لمفرده على مجموعه

---

(١) هو العالم الأديب عمر بن إسماعيل بن مسعود الفارقى، رشيد الدين الملقب بأبى حفص، ولد سنة (٥٩٨هـ)، مصرى الأصل، كان عارفاً بالتفسير والأصول، من مؤلفاته: المقدمة الكبرى، والمقدمة الصغرى، وقد نظم لغزاً من ثلاثة أحرف، صاغه شعراً، ورد عليه الشيخ ابن تيمية بالإجابة عليه شعراً كذلك، توفى ـ رحمه الله ـ مخنوقاً فى بيته بالظاهرية بالقاهرة سنة (٦٨٧هـ)؛ انظر عنه: فوات الوفيات: ١٠٣/٢، الأعلام: ٤٢/٥.

(٢) له: ليست فى (ك) و (ط)، وأثبتناها من (ص).

(٣) من هنا سقط من نسخة (ص) إلى قوله: «عبد السلام ابن تيمية حلاً لمعضله».

شىء مقيم فى الرحيل وممكن * كالمستحيل، بطيئه كسريعه

وأهم ما فى الشرع والدين اسمه * ومضافه بأصوله وفروعه

ودقيق معناه الجليل مناسب * علم الخليل وليس من تقطيعه

وإذا عروضى تطلب حله * ألفاه فى المفروق أو مجموعه

وإذا ترصعه بدر فريده * عقدا يزين الدر فى ترصيعه

للمنطقى وللحكيم نتاجه * وعلاجه بذهابه ورجوعه

وله شعار أشعرى واعتقا * د حنبلى، فاعجبوا لوقوعه

وتمامه فى قول شاعر كندة * ما حافظ للعهد مثل مضيعه

يرويك فى ظمأ ندّى بوروده * ويريك فى ظلم هدىً بطلوعه

ولقد حللت اللغز إجمالا وفى * تفصيله تفصيل روض ربيعه

فاستجل بكرًا من ولىّ بالحلى * تُهدى لكفء الفضل بين ربوعه

فأجاب العبد الفقير إلى ربه أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيميَّة، حلاً لمعضله، وفصلاً لمجمله، وفتحًا لمقفله، وشرحًا لمشكله :

يا عالما قد فاق أهل زمانه * بفنونه وبيانه وبديعه

وغدا لأعلام العلوم منارهم * يهدى الهداة إلى منير ربوعه

وأجاد نظما عقد جيد عقيلة * من در بحر العلم فى ترصيعه

وجلا المعارف فى عوارف لفظه[1] * أخذاً لعَرْف العلم من ينبوعه

---

(١) فى (ص) : فضله.

وأبان عـمـا قـد حـوى من كل فنـ * ـن قـد أحـاط بأصله وفـروعـه

[٣/ب] ببـيـانه السـحـر الحـلال ولفظه * العذب / الزلال ولطف[1] حسن صنيعه

بغـــزير علم وافـــتنان واسع * ألغـزت علمـا فى فنون وسـيـعـه

حلَّيــتــه بدقــيق وصف صُنتــه * بجليل لفظ ناء عن مــوضـوعـه

ووصـفـتـه بحلى العلوم وأهلهـا * ونعـتـه بضـروبه وضـروعـه[2]

وجـمـعت فى أوصـافـه الأضـدا * د، حتى استيأس الطلاب من تتبيعه

والعـــبــد لما أن تأمل نظمكم * بنظامــه أُلقى له فى روعـــه:

أن الذى ألغــــــزتم عِلْمٌ ولـ * ـا يجـعل المظنون من مقطوعـه

لكنه أمـــسى يحليـــه بمـا * حليـتـه[3] ويغـوص فى توقيـعـه

حــتى تجلَّى الحق من ظلمــائه * فى ليلة من قـبل وقت هجـوعـه

فـــإذا الذى قــد عنّ أول مــرة * حق تبلّج فـــجـــره بطلوعــه

ورأيت فـيــه الوصف إمــا باديًا * أو خـافيـاً معناه فى مسـموعـه

لدقــيق مـــغـــزاه ولطف إشــارة * [فيه][4] وبُعد حلاه عن موضوعه

فغدوت أكشف عنه كشفا موجزا * بإشـارة تهـدى لشطر بَقـيـعـه

فـاسـمع لحل حـلاه فى تفـصيله * واشـهـد بقلب مـقـبل بهطوعـه

«العلم» لفظ ذو ثلاثة أحـــرف * وهجـاء كل مثل مـا مجـمـوعـه

فـإذاً يكون مـركبـا من تسـعـة * جـذرا لهـا، فـانظر إلى تربيـعـه

(١) فى (ك): ولفظ.
(٢) فى (ص): وصروعه.
(٣) فى (ص) : صليتم.
(٤) فيه: ليست فى (ك)، وبدونها يختل الوزن.

ومـربعـا سـاواه جـذر حـسـابه * ومـثلثـا بحـدوده وضلوعـه

ويكون أثلاثا، فـثلث مـثله * هو: لامـه، إن خـضت فى توزيعـه

والميم فى الجـمل الكبيـر حـسـابه * هـو أربعـون بقـول أهل ربيـعـه

والميم[1] فى الجمل الصغير حسابه * عشرون، هذا الثلث ضعف جميعه

والـثـلـث عـين، عـين كـل ذاتـه * هو جوهر، والوصف فى موضوعه

إذ كـانت الأعـيـان قـائمـة بهـا الـ * أعراض جمعا، فافطنوا لجموعه

حكم يخص العين حـرفـا واحـدا * من بين جنس الحـرف فى تنويعـه

هو تسـعـة فى أصله والعـالم العلـ * ويُّ منـه تسـعـة برقـيـعـه

العـرش والكرسى والسـبع السـمـ * وات الطبـاق، فالاسم جـزء رفيـعه

من عـالم الملكوت، أعنى الغيب، إذ * عنه كنَّى لعلو شـأن ضليـعـه

لـم يـبـق إلا جنـة أو جـاحـم * فـيـه المخـافـة، أو أمـان مـروعـه

بالعلم يحـيى الله قلبـاً مـيـتـاً * يسـرى كنور ضـاء حين سطوعـه

فـلأنه يحـيى، اسـمُـه: حيٌّ إذ الأ * حـيـاء فـرع حـيـاة رب صنيـعـه

ولأنه يسـرى، اسـمـه: مـتـحـرك * لوحـا تنقله بذهن قـريعـه

ذا الوصف عـقليّ، وفى حسِّيِّـه * هو جـامـد، هو سـاكن بربوعـه

إذ كـان نوع العلم مـعنى جنسـه * عـرض يقـوم بمستـوى مـوضـوعه

والحى والمتـحـرك الوصـفـان يخـ * تصـان شـخصـا جوهرا ببقيـعه

إذ كـان فى المحسـوس ليس بقـائم * عَـرَض بـآخـر مـثله وتبـيـعـه

---

(١) فى (ص) : والعلم، وفى (ك): والعلم؛ وأشار الناسخ إلى الهامش وكتب: والميم.

أمـا إذا مـا جـرد المعـقـول فـالـ * ـوصـفـان فى المعنى له بربيـعـه

ثلثـاه حـرفـا العين والميم هـمـا * فى اللفظ من عـدم وفى تنويعـه

لو إذ جـمـعت حـسـابه فى أكـثـر[1] * وأضـفـت خـمـسيـه إلى مـجـموعـه

فـمـر بعـا يضـحى، ويضـحى جذره * مع أربع عـشـراً لذى تربيـعـه

فـالجـذر علتـه ومـعلول له * من حـيـث مـا هو علة لوقـوعـه

فـالجـذر مـعلول لجـذر كـائن * مـعلوله، فـافـهم مـدار رجـيـعـه

فلكونه مـعلول مـعلول له * قـد صـار مـعلولا له برجـوعـه

ويقـول: إن العلم منه النحـو، هـ * ـذا إن ترد حـمـلاً على موضـوعـه

فـإذا يكون الضم علة كـون هـ * ـذا الجـمع علة نفسـه وجـمـيـعـه

وبغـيـر خـمـسـيـه يعـود لأصله * علمـا، وعلم النحـو بعض فـروعـه

وإذا اعـتـبـرت حـروفـه ألفـيـتـه * فعـلا مضى لغة وفى موضـوعـه:

حكم على المسـتـقـبـلات وغـيـرها * لعـمـومـه مـتـعلقـاً وذيوعـه

إذ من خـصـائصـه تعلقـه بكـ * ـل مـحـقق مع سـبـقـه لوقـوعـه

أكـرم به أمـراً عظيـمـا نفـعـه * حـمـدت صناعته بحمد صنيعـه

والفـعل فـيـه مـصـدر وزمـانه * وضـعـا وملزوم لرب صنيـعـه

فلذاك كـان مـقـيـداً ومـخـصـصـاً * لعـمـوم جنس العلم فى تنويعـه

هو: مـفـردا نوع حـوى أشـخـاصـه * فـإذا تركب خص فى تجـمـيـعـه

فـيـصح حـينـئـذ مـقـالـة قـائل: * قـد زاد مـفـرده على مـجـمـوعـه

---

(١) كذا بالأصل فى: (ك)، (ص)، وفى هامش (ك) أشار الناسخ : لعله أكبر.

هو ثابت فى كل حـــال ممكن * ذو عـزة صـعب على مُـسطيـعـه

حتى ينال فيحمد القوم السُّرى * وإذاً يقـال بطيـئـه كـسـريعـه

فـالبطء والإسـراع ليس بنفـسـه * بل فى الطريق وفى اقتناص منيعه

والعلم بالـرحـــمن أول واجب[1] * وأهم فـرض الله فى مـشـروعـه

وأخـــو الديانة طالب لمزيده * أبداً، ولما ينهـــه بقطوعـــه

والمرء فـاقـتـه إليـه أشـد من * فـقـر الغـذاء لعلم حكم صنيعـه

فى كل وقت، والطعـــام فـــإنما * يحتـاجـه فى وقت شـدة جـوعـه

وهو السـبيل إلى المحاسن كلها * والصـالحـات، فـسـوأةً لمضـيـعـه

وإليـــــه يسند كل فن نافع * بل فـــارع بأصـــوله وفـــروعـــه

لجـــلالة المعلوم واللطف الذى * للعلم كـان مناسـبـاً لبـديعـه

فـالعلم ميـزان الحـقـائق والعـرو * ض، كذاك[2] ميـزان لدى تقطيعـه

والاسم بالتحـريك[3] من مفروقه * والفعل بالتسكين من مـجـمـوعـه

هو واسط عـقـد الفـضـائل كلهـا * وبه يزان الحلى فى ترصـيـعـه

وعـلاجـه بالجـد فى تحـصـيله * بمقـدمـات نتـاجـه وينوعـه

ولكل قـــوم منه حظ وافـــر * وحقائق التحقيق فى مشروعه

بشـعـائر لمشـاعـر وقـواعـد * لعقائد المعقول فى مسموعه[4]

وجـمـيـعـه مـتـفـرق فى قـوله: * ما حافظٌ للعهد مثل مضيعه

---

(١) فى (ك): أول صاحب. (٢) فى (ك): وكذاك.

(٣) كذا بالأصل فى (ك)، (ص)، وفى (ك) أشار الناسخ: صوابه بالتسكين.

(٤) فى (ص): مع مسموعه.

فلعـــينه ولـلامـــه ولميـــمـــه * من ذا الكلام الحظ فى تبـضـيـعـه

يـروى بمـاء حـــيـــاته فى ورده * ظمـآن تحـقـيق إلى ينبـوعـه

ويرى بنور هُداه فى تبـــيـــينه * حـيـران تدقـيق طلوع سطيـعـه

كـطـلـوعـــــه لمـا أبـان بـنـوره * قـصـد السـبيل لحل عـقـد بديعـه

جلى المجلى بعـــد بُعـــد بدوه * مع فتح[1] مقفله وقرب شسوعه[2]

وأبان مـجـمله، وفـصَّل عـقـده * ولروضـة الأنف ارتعى برتوعـه

وحلى جمال البكر فى حلى الحلى * فـافـتـضـهـا كفء ثوب بربوعـه

فـخذ الجـواب مـخلصـاً فيـه اللبا * ب ملخصًا[3] فى نظمـه لسـميـعـه

مع أن نظم الشـعـر غـيـر مُحـصلِ * لكمـال مـغـزاه وشـرح جـمـيـعـه

من خـاطـر مـسـتـعـجل مـسـتـوفـز * لم يمعن التـفـكيـر فى مـرجـوعـه

لم يجـعل التـحليل من مـقصـوده[4] * كـلا، ولا الفـضـلات من مـصنوعـه

إذ كـان مـخلوقـا لأكـبـر غـاية * دار القـرار جـمـيله وقطيـعـه

وعليـــه من أمـــر الإله ونهـيـــه * مـا يلفت المعقـول عن تضـيـيعـه

لكنه لابد للمــصـــدود من * نفث يريح فــؤاده بنخـــوعـــه

مع أنه مُـزْجَى البـضـاعـة نظمـه * غِـرٌّ بحكم اللفظ فى تسـجيـعـه[5]

عـبـد ذليل عـاجـز مـتـضـعف * فى حـال مـبـداه وحـال رجـوعـه

---

(١) فى (ك): قرب مقفله.
(٢) فى (ك): مسوعه.
(٣) فى (ص): مخلصًا.
(٤) فى (ك): مصنوعه.
(٥) فى (ص): تشجيعه.

لكنه لما اسـتـعـان بـربـه * ثم اسـتكان له بذُلٍّ خـضـوعـه

فـأعـانه يُسّـر الجـواب فـإن يكن * حـقـا برفق الوصف فى توقـيـعـه

فـالحـمـد والفـضل العظيم لربنا * شكراً على مـحمود حسن صنيعه

إذ مـا بنا من نعـمـة فـبـمَنِّه * والخـيـر منه جـمـيـعـه بهـموعـه

أو إن يكن خطأ فـمنى، حـيث أن * لم أسـتطع مـتـاولا لرفـيـعـه

فـالنقص للإنسـان وصف لازم * إن كـان يعـرف نفـسـه بنخـوعـه

والحـمـد لله الرحـيم بخَلْقـه الـ * ـبر الودود بعـبـده ومطيـعـه

وميـسـر الخطب العسيـر بلطفه * من بَعـد منعـتـه وبُعـد منيـعـه

ثم الصـلاة علـى النبـى وآلـه * والمصطفين من الأنام جـمـيـعـه

وعليـهم التـسليم منا دائمـا * ما اهتز وجه الأرض بعد خشوعه

فلما وقف الشيخ رشيد الدين[1] على هذا الجواب، كتب إلى منشئه الشيخ تقىِّ الدين ابن تيميَّة ـ رضى الله عنه[2]:

أحـسن فى حل المسـمى ومـا * سـمى، ولكن جـاء بالمثَل

وجـاوز الجـوزاء بالنطق، والشِّـ * ـعْـرَى: بشـعـرٍ رائقٍ جـزل

جلَّت مـعـانيـه، فـشكراً له * مُـصَـحَّف، والحلُّ كـالحل

أحـمـد وزن الفـعل فيـه، وفى التُّـ * ـقى وزن القـول والفـعل

(١) فى (ك): الشيخ رشيد.

(٢) رضى الله عنه: سقطت من (ص).

كـأنما أحـرفُـه مـثلت[1] تمـ * ـلى عليـه، وهو يسـتـملى
وحُقَّ بالفخر فتى جَدُّه المجـ * ـد، وقـد بُورك فى النَّسْلِ
فسهَّل الله لمن فى اسمه الـ * ـعدل مكافآت على الفضل

فنظر والد الشيخ تقى الدين ابن تيميَّة بعد ذلك فى اللغز، وحلّه فى لفظة أخرى، ونظم فى ذلك قصيدة، فكتب إليه الشيخ رشيد / الدين جوابًا لها: [٤/أ]

ما مثل[2] لغزى، ولم يسم به * مَنْ لم يماثل فى الفضل والأدب
بخاطر حاضر يُضىء ولا * يُنكر ضوء لواحد الشُّهُب
شيخ شيوخ الإسلام قاطبةً * مفتى الفريقين حُجَّة العرب
شنف سمعى بالدُّرِّ من كَلِم * يُرْوَى فُتروى[3] بالدر من سُحُب
حلا كحل فنشوتى نشأت من * ضرب مثل أحلى من الضرب[4]
وكان لغزى من فضَّة فعلا * شعرًا وشعرًا[5]؛ وصار من ذهب
فالفخر للمجد بالشهاب وللشـ * ـهاب بالمجد ذروة النسب
درته[6] والعيان[7] يحسبها * ذُرِّية للشروق فى السحب[8]
وإن تعفت رسوم بلدته * وهى خيار البلاد والترب
فبلدة الأفق حَلَّها عوضاً * عنها بفضل يسمو على الرتب[9]
وإنَّ قلبى أضحى له وطناً * وفيه أنسٌ لكل مغترب
هذا ثنائى مع الخمول، وإن * نبه خطى أرْبَى على الأرب
وعش طويلاً مكملاً أدباً * بسيط فضل ناء ومقترب

(١) فى (ص) مثلث.
(٢) فى (ص): سائل.
(٣) فى (ك): تروى فترى.
(٤) هذا البيت كاملا ساقط من (ك).
(٥) فى (ك): فعلاً شعرًا.
(٦) فى (ك) ذروة.
(٧) فى (ك): والعنان.
(٨) فى (ص): الحسب.
(٩) فى (ك): القرب.

[ثناء الذهبى على ابن تيميةً]

وقال الشيخ علم الدين: رأيتُ فى إجازة[1] لابن الشهرزورى الموصلى خَطَّ الشيخ تقَّى الدين ابنَ تيمية، وقد كتب تحته الشيخ شمسُ الدين الذَّهبىُّ :

هذا خطُّ شيخنا الإمام، شيخ الإسلام، فرد الزمان، بحر العلوم، تقى الدين. مولده عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة. وقرأ القرآن[2] والفقه، وناظر واستدل، وهو دون البلوغ. وبرع فى العلم والتفسير، وأفتى ودرَّس وله نحو العشرين سنة[3]، وصنف التصانيف، وصار من أكابر[4] العلماء فى حياة شيوخه، وله[5] المصنفات الكبار التى سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه فى هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر[6]، وفسر كتاب الله تعالى مدة سنين من صدره فى[7] أيام الجمع، وكان يتوقد ذكاء. وسماعاته[8] من الحديث كثيرة، وشيوخه أكثر من مائتى شيخ ومعرفته بالتفسير إليها المنتهى. وحفظه للحديث ورجاله، وصحته وسقمه، فما يلحق فيه. وأما نقله للفقه ومذاهب الصحابه والتابعين ـ فضلاً عن المذاهب الأربعة [9]ـ فليس له فيه نظير[10]. وأما معرفته بالملل والنحل والأصول والكلام فلم أعلم له فيه نظيرًا، ويدرى جملة صالحة من اللغة، وعربيته[11] قوية جداً، ومعرفته بالتاريخ والسير فعجب عجيب. وأما شجاعته وجهاده وإقدامه فأمر يتجاوز الوصف ويفوق النعت. وهو أحد الأجواد الأسخياء الذين يضرب بهم المثل، وفيه زهد وقناعة باليسير فى المأكل والملبس[12].

---

(١) فى (ص): فى أخباره.

(٢) فى (ص): مكانها كلمة مطموسة تقرأ كأنها: والفعلاء، وهذا النص قد نقله الشيخ مرعى الحنبلى فى كتابه وسوف نقابل بين النصين.

(٣) سنة : ليست فى (ص) ولا فى نسخة مرعى الحنبلى.

(٤) فى (ك): كبار.

(٥) فى (ك): من المصنفات .

(٦) وأكثر: ليست فى (ص).

(٧) فى: ليست فى (ك) ، (ص).

(٨) فى (ص): وسماعاً من الحديث.

(٩) فى (ص): مذاهب الأربعة.

(١٠) فى (ك) فليس فيه.

(١١) فى (ك) وعربية.

(١٢) فى نسخة مرعى: والمشرب.

وقال الذهبى فى موضع آخر- وقد ذكر الشيخ رحمه الله : كان آية فى الذكاء وسرعة الإدراك، رأسًا فى معرفة الكتاب والسنة والاختلاف، بحراً فى النقليات، هو فى زمانه فريد عصره علماً وزهداً وشجاعة وسخاء، وأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، وكثرة تصانيف. وقرأ وحصل، وبرع فى الحديث والفقه، وتأهَّل للتدريس والفتوى، وهو ابن سبع عشرة سنة[1]. وتقدم فى علم التفسير والأصول، وجميع علوم الإسلام: أصولها وفروعها، ودقها وجلها، سوى علم القراءات. فإن ذكر التفسير فهو حامل لوائه[2]، وإن عُدَّ الفقهاء فهو مجتهدهم المطلق، وإن حضر الحفاظ نطق وخرسوا، وسرد وأبلسوا، واستغنى وأفلسوا، وإن سُمِّى المتكلمون فهو فردهم، وإليه مرجعهم، وإن لاح ابن سينا[3] يقدم الفلاسفة فَلَّهم وتيَّسهم[4]، وهتك أستارهم وكشف عوارهم. وله يد طولى فى معرفة العربية والصرف واللغة. وهو أعظم من أن يصفه[5] كلمى، أو ينبه على شأوه قلمى؛ فإن سيرته وعلومه ومعارفه، ومحنه وتنقلاته، تحتمل أن توضع[6] فى مجلدتين. وهو بَشر من البشر، له ذنوب، فالله تعالى يغفر له ويسكنه أعلى جنته، فإنه كان ربانى الأمة، وفريد

---

(١) فى نسخة مرعى: ابن سبع عشرة. (٢) فى (ص) : رايته.

(٣) هو أبو على الحسين بن عبدالله بن سينا، الشيخ الرئيس، ولد سنة (٣٧٠هـ)، أصله من بلخ، ولد فى إحدى قرى بخارى، نشأ وتعلم بها، وألف فى الطب والمنطق والفلسفة والطبيعيات، تقلد الوزارة فى همذان، له آراؤه التى عرف بها فى مجال الفلسفة والطب، وكتابه «القانون» فى الطب ترجم إلى لغات أوروبية كثيرة، وظل مرجعًا للمشتغلين بالطب فى أوروبا قروناً طويلة، من أهم مؤلفاته فى الفلسفة الإشارات والتنبيهات والشفاء، قيل: بلغت مؤلفاته مائة كتاب ورسالة، توفى سنة (٤٢٨هـ)؛ انظر عنه: تاريخ حكماء الإسلام للقفطى: ص ٢٧٣، وفيات الأعيان: ١/١٥٢، وانظر عن آرائه: إغاثة اللهفان لابن القيم: ٢/٢٦٦، مخطوطات ابن سينا لأمين مرسى قنديل - ط دار الكتب المصرية ١٩٥٠م، الأعلام: ٢/٢٤٠.

(٤) فى (ص): فلسهم، وفى (ك): فلسفهم، والمثبت من نسخة الشيخ مرعى الحنبلى.

(٥) فى (ص) ونسخة مرعى: تصفه.

(٦) فى (ص) ونسخة مرعى: توضع، وفى (ك): ترضع.

الزمان، وحامل لواء الشريعة، وصاحب معضلات المسلمين، وكان رأسًا[1] فى الذكاء رأسًا فى العلم، يبالغ فى أمر[2] قيامه فى الحق والجهاد والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، مبالغة ما رأيتها، ولا شاهدتها من أحد، ولا لحظتها من فقيه.

وقال فى مكان آخر ـ ذكر فيه ترجمة طويلة للشيخ قبل وفاة الشيخ بدهر طويل :

قلت: وله خبرة تامة بالرجال وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالى والنازل، وبالصحيح والسقيم، مع حفظه / لمتونه الذى انفرد [٤/ب] به[3]، فلا يبلغ أحد فى العصر رتبته، ولايقاربه، وهو عجب فى استحضار واستخراج الحجج منه[4]، وإليه المنتهى فى عزوه إلى الكتب الستة والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال : «كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث»؛ ولكن الإحاطة لله، غير أنه يغترف من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقى[5].

وأما التفسير فمسلم إليه، وله فى استحضار الآيات من القرآن ـ وقت إقامة الدليل بها على المسألة ـ قوة عجيبة، وإذا رآه المقرىء تحيرّ فيه، ولفرط إمامته[6] فى التفسير وعظمة اطلاعه يبين خطأ كثيراً من أقوال المفسرين، ويوهّى أقوالاً عديدة، وينصر قولاً واحداً موافقاً لما دل عليه القرآن والحديث.

ويكتب فى اليوم والليلة[7] من التفسير، أو من الفقه، أو من الأصولين[8] أو من

---

(١) فى نسخة مرعى رأسا فى العلم، وكان ليست فى (ص).
(٢) فى (ك)، (ص): إطراء، وفى (ك) كتبت كلمة خطة ثم شطبها الناسخ.
(٣) الذى انفرد به: ليست فى نسخة مرعى.
(٤) فى (ك)، (ص): فى استحضاره واستخراج الحجج منه.
(٥) هنا انتهى نص الذهبى من نسخة مرعى.
(٦) فى (ص): أمانته.
(٧) فى (ك): والليل.
(٨) فى (ص): الأصلين.

الرد على الفلاسفة والأوائل[١] نحواً من أربعة كراريس أو أزيد، وما أُبْعِد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة.

وله فى غير المسألة مصنف مفرد فى مجلد. ثم ذكر بعض تصانيفه؛ وقال: ومنها كتاب فى الموافقة بين المعقول والمنقول فى مجلدين.

قلت: هذا الكتاب ـ وهو كتاب «درء تعارض العقل والنقل» ـ فى أربع مجلدات كبار[٢]، وبعض النسخ به فى أكثر من أربع مجلدات، وهو كتاب حافل عظيم المقدار، ردَّ الشيخ فيه على الفلاسفة والمتكلمين.

وله كتاب فى نحو مجلد أجاب فيه عما أورده كمال الدين بن الشريشى[٣] على هذا الكتاب.

[مؤلفات الشيخ]

وللشيخ ـ رحمه الله ـ من المصنفات والفتاوى والقواعد[٤] والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد مالا ينضبط. ولا أعلم أحدًا من متقدمى الأمة ولا متأخريها جمع مثل ما جمع، ولا صنف نحو ما صنف، ولا قريبًا من ذلك، مع أن

---

(١) فى (ص): الفلاسفة الأوائل.

(٢) طبع هذا الكتاب مستقلاً مرتين، طبع فى المرة الأولى بعنوان «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول» بتصحيح وعناية الشيخ محمد حامد الفقى، وطبع محققاً تحقيقاً علمياً بعد ذلك بتحقيق الأستاذ المرحوم الدكتور محمد رشاد سالم، وكان لى شرف معاونته فى تحقيق هذا الكتاب القيم، وتولت جامعة الإمام محمد بن سعود الإنفاق على طباعته، وكان قد طبع قبل ذلك على هامش كتاب منها ج السنة النبوية طبع بولاق.

(٣) هو كمال الدين أحمد بن الشيخ جمال الدين محمد بن أحمد ابن الشريشى البكرى الشافعى وكيل بيت المال، ورشح شيخًا لدار الحديث ورباط الناصرى، ولد سنة (٦٥٣هـ)، أفتى ودرس وناظر وناب فى القضاء عن ابن جماعة، درس بالشامية وبالناصرية عشرين سنة، توفى ـ رحمه الله ـ وهو متوجه إلى الحج سنة (٧١٨هـ)؛ انظر عنه: البداية والنهاية: ٩١/١٤، شذرات الذهب: ٤٧/٦.

(٤) القواعد: ليست فى (ك) بالمتن وأشار إليها الناسخ بالهامش.

أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه، وكثير منها[1] صنفه فى الحبس، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب.

وها أنا أذكر بعض مصنفاته، ليقف عليها من أحب معرفتها.

فمن ذلك: ما جمعه فى تفسير القرآن العظيم، وما جمعه من أقوال مفسرى السلف الذين يذكرون الأسانيد فى[2] كتبهم؛ وذلك[3] فى أكثر من ثلاثين مجلداً، وقد بيّض أصحابه بعض ذلك، وكثيرًا منه لم يكتبوه بعد[4].

وكان ـ رحمه الله ـ يقول: «ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير، ثم أسأل الله الفهم، وأقول: يامُعَلِّم آدم وإبراهيم[5] علِّمنى، وكنت أذهب إلى المساجد المهجورة ونحوها[6] وأمرِّغ وَجهى فى التراب، وأسأل الله تعالى، وأقول: يا معلِّم إبراهيم فَهِّمنى، ويذكر قصة معاذ بن جبل وقوله لمالك بن يُخامِر لما بكى عند موته، وقال: إنى لا أبكى على دنيا كنت أصيبها[7] منك، ولكن أبكى على العلم والإيمان اللذين كنت أتعلمهما منك. فقال: إن العلم والإيمان مكانَهما، من ابتغاهما وجدهما، فاطلب العلم عند أربعة وسمَّاهم[8]،

---

(١) فى (ص) : وكثير.

(٢) فى (ص): من.

(٣) ليست فى : (ص).

(٤) فى (ص): بعد ذلك، ولم نعثر على هذا التفسير، وقد وفقنا الله تعالى إلى جمع تفسيره من كتبه المخطوط منها والمطبوع، وتمت طباعته بتحقيقنا بعنوان «دقائق التفسير» الذى يقع فى ستة أجزاء، وطبع مرتين بالقاهرة والسعودية، وقد طبعت مؤلفات الشيخ كلها تقريبًا وجمعت فى مجموعات كثيرة تشمل رسائله ومسائله، وأخيرًا جمعت كل هذه الرسائل فى «مجموع فتاوى ابن تيمية» ـ طبع بالسعودية فى ٣٧ جزءًا.

(٥) فى (ص): يا معلم إبراهيم.

(٦) فى (ص): وغيرها.

(٧) فى (ص) : أصيبها.

(٨) وسماهم: ليست فى (ك).

فــإن أعـيــاك العلـم عنــد هــؤلاء فليس هو فى الأرض، فــاطلبــه من مــعلّم إبراهيـم».

قال الشيخ أبو عبدالله بن رشيق[1] ـ وكان من أخص أصحاب شيخنا وأكثرهم كتابة لكلامه وحرصًا على جمعه : كتب الشيخ ـ رحمه الله ـ نُقُول السلف مجردة عن الاستدلال على جميع القرآن، وكتب فى أوله قطعة كبيرة بالاستدلال، ورأيت له سوراً وآيات يفسرها، ويقول فى بعضها: كتبته للتذكر، ونحو ذلك.

ثم لما حبس فى آخر عمره كتبت له أن يكتب على جميع القرآن تفسيرًا مرتبًا[2] على السور، فكتب يقول: إن القرآن فيه ما هو بَيِّن بنفسه، وفيه ما قد بَيَّنه المفسرون فى غير كتاب، ولكن بعض الآيات أشكل تفسيرها على جماعة من العلماء، فربما يطالع الإنسان عليها[3] عدة كتب ولا يتبين له تفسيرها، وربما كتب المصنف الواحد فى آية تفسيراً، ويفسر نظيرها بغيره[4]، فقصدت تفسير تلك الآيات بالدليل، لأنه أهم من غيره، وإذا تبين معنى آية تبين معانى نظائرها.

وقال: قد فتح الله علىّ فى هذا الحصن[5] فى هذه المرة من معانى القرآن ومن أصول العلم بأشياء مات[6] كثير / من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتى فى غير معانى القرآن أو نحو هذا. وأرسل إلينا شيئًا يسيراً مما كتبه من [٥/أ]

(١) هو عبدالله بن رشيق، أصله من المغرب، أقام بدمشق، وكان كاتباً وجامعاً لمصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية، كثير الملازمة له، عارفاً بخطه؛ حتى إن ابن كثير قد ذكر عنه أنه أبصر بخط الشيخ ابن تيمية منه، وكان إذا عزب شىء منه أو استغلق على شيخ الإسلام استخرجه له ابن رشيق، وكان سريع الكتابة، عابدًا، كثير التلاوة للقرآن، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٧٤٩هـ)؛ انظر عنه: البداية والنهاية: ٢٢٩/١٤، الأعلام: ٨٦/٤.

(٢) فى مكان الجملة بياض فى نسخة (ك)، وفى (ص): مرتباً فقط بدون تفسير.

(٣) عليها: ليست فى (ص).

(٤) فى (ك): ويفسر غيرها بنظيره، وهو ليس مقصود الشيخ.

(٥) فى هذا الحصن: ليس فى (ط).

(٦) فى (ط): كان.

هذا الحبس[1]، وبقى شىء كثير فى مسألة الحكم عند الحكام؛ لما أخرجوا كتبه من عنده، وتوفى وهى عندهم إلى هذا الوقت نحو أربع عشرة رزمة. ثم ذكر الشيخ أبو عبدالله ماراه ووقف عليه من تفسير الشيخ.

قلت: ومن مصنفاته :

[2] «تفسير سورة الصمد وجواب سؤال عن كلام الله تعالى، هل يتفاضل؟». ومن مصنفاته[2]: كتاب «بيان تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية» فى ست مجلدات، وبعض النسخ منه فى أكثر من ذلك، وهو كتاب جليل المقدار، معدوم النظير، كشف الشيخ فيه أسرار الجهمية وهتك أستارهم، ولو رحل طالب[3] العلم لأجل تحصيله إلى الصين ما ضاعت رحلته[4]. ومنها كتاب «منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية»[5] فى ثلاث مجلدات، وبعض النسخ فى أربع مجلدات؛ رد فيه على ابن المطهر الرافضى، وبَيَّن جهل الرافضة وضلالتهم[6]، وكذبهم وافتراءهم. ومنها كتاب «جواب الاعتراضات المصرية على الفتيا الحموية» فى أربع مجلدات، وبعض النسخ به فى أقل[7]؛ وهو كتاب عزيز الفوائد سهل التناول. ومنها كتاب الرد على النصارى سمَّاه «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» فى مجلدين، وبعض النسخ به[8] فى ثلاث مجلدات، وبعضها فى أكثر، وكذلك كثير من كتبه الكبار تختلف النسخ بها.

---

(١) فى (ك): فى هذا الحبس.
(٢-٢) سقط من (ص)، وقد طبع كتاب «تفسير سورة الإخلاص» عدة طبعات.
(٣) فى (ك): رحل رجل طالب العالم.
(٤) طبع هذا الكتاب بتحقيق علمى بجامعة الإمام محمد بن سعود.
(٥) فى (ك): الشيع القدرية، وفى ص: الشيع والقدرية، وقد طبع الكتاب بتحقيق المرحوم الدكتور محمد رشاد سالم بتحقيق علمى على نفقة جامعة الإمام محمد بن سعود.
(٦) فى (ص): وضلالهم، وفى (ك) : وضلالتهم، ثم كتب بالهامش: ويبين ضلالتهم.
(٧) فى (ص): فى أقل، وفى (ط): منه فى أقل، وقد طبعت الرسالة الحموية عدة طبعات.
(٨) فى (ط): منه، وقد طبع الكتاب أكثر من مرة.

وهذا الكتاب من أجلِّ الكتب وأكثرها فوائد، ويشتمل على تثبيت النبوات وتقريرها بالبراهين النَيِّرة الواضحة، وعلى تفسير آيٍ كثيرٍ من القرآن، وعلى غير ذلك من المهمَّات.

ومنها كتاب «الإيمان» فى مجلد، وهو كتاب عظيم لم يسبق إلى مثله[1]. ومنها كتاب «الاستقامة» فى مجلدين، وهو من أجلِّ الكتب وأكثرها نفعًا[2]. ومنها كتاب «تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل» فى مجلد، وهو من أحسن الكتب وأكثرها فوائد؛ قال فى خطبته:

«الحمد لله العليم القدير الخالق، اللطيف الخبير الرازق، السميع البصير الحليم[3] الصادق، العلى الكبير الفاتق الراتق[4]، الذى يسن المناهج والشرائع ويبين الطرائق، وينصب الأعلام الطوالع لكشف الحقائق، وينزل الآيات والدلائل لبيان الجوامع والفوارق، ويقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، أحمده ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى وشكراً له على نعمه البواسق[5]. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب المغارب والمشارق، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الخوارق، الموضح لسبيل الحق فى الجلائل والدقائق، صلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة وتسليمًا باقيين ما بقيت الخلائق.

أما بعد : فإن الله سبحانه علم ما عليه بنو آدم من كثرة الاختلاف

---

(١) طبع عدة مرات.

(٢) طبع بتحقيق علمى للمرحوم الدكتور محمد رشاد سالم فى مجلدين على نفقة جامعة الإمام محمد بن سعود.

(٣) فى (ص): الحكيم.

(٤) فى (ك): الفائق الرائق بالهمزة وهو خطأ واضح، والصواب ما جاء فى نسخة (ص): االفاتق الراتق بالتاء المثناة من قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ سورة الأنبياء : آية ٣٠.

(٥) فى (ك): السواسق، والمثبت من (ص)، وفى (ط) كتبها الشيخ حامد الفقى السوامق وهى ليست فى النسختين المخطوطتين وذلك اجتهاد منه.

والافتراق[1]، وتباين العقول والأخلاق، حيث خلقوا من طبائع ذات تنافر، وابتلوا بتشعب الأفكار والخواطر، فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، ومبينين للإنسان ما يضله ويهديه، وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمرهم بالاعتصام به حذرًا من التفرق فى الدين، وحضَّهم عند التنازع على الرد إليه وإلى رسوله المبين، وعذرهم بعد ذلك فيما يتنازعون فيه من دقائق الفروع العملية[2]؛ لخفاء مدركها وخفة مسلكها، وعدم إفضائها إلى بلية، وحضَّهم على المناظرة والمشاورة لاستخراج الصواب فى الدنيا والآخرة، حيث يقول لمن رضى دينهم: ﴿ **وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** ﴾[3]؛ كما أمرهم بالمجادلة والمقاتلة، لمن عدل عن السبيل العادلة، حيث يقول ـ آمرًا وناهيًا لنبيه والمؤمنين ـ لبيان ما يرضاه منه ومنهم : ﴿ **وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾[4]، ﴿ **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** ﴾[5]؛ فكان أئمة الإسلام ممتثلين لأمر الملك[6] العلام، يجادلون أهل الأهواء المضلة، حتى يردوهم[7] إلى سواء الملة، كمجادلة ابن عباس[8] ـ رضى الله عنهما ـ للخوارج المارقين؛ حتى رجع كثير منهم إلى ما خرج عنه من الدين. وكمناظرة كثير من السلف الأولين / لصنوف المبتدعة[9] الماضين، [٥/ب]

---

(١) فى (ص): الافتراق.
(٢) فى (ك): العلمية.
(٣) سورة الشورى: (٣٨).
(٤) النحل: (١٢٥).
(٥) العنكبوت: (٤٦).
(٦) فى (ك): المليك.
(٧) فى (ك): يردونهم.
(٨) مناظرة ابن عباس للخوارج أوردها ابن القيم كاملة فى: إعلام الموقعين عن رب العالمين: ١/١٨٥ ـ المطبعة المنيرية بالقاهرة بدون تاريخ، وفيها ألزم ابن عباس الخوارج الحجة، وبين خطأهم فى موقفهم من الإمام على، وترتب على ذلك أن عاد كثير من الخوارج إلى الصواب ورجعوا عما كانوا عليه.
(٩) فى (ط): المبتدعين.

ومن فى قلبه ريب يخالف اليقين؛ حتى هدى الله من شاء من البشر، وعلن[1] الحق وظهر، ودرس ما أحدثه المبتدعون واندثر.

وكانوا يتناظرون فى الأحكام، ومسائل الحلال والحرام بالأدلة المرضية، والحجج القوية، حتى كان قلَّ مجلس يجتمعون عليه إلا ظهر الصواب، ورجع راجعون إليه؛ لاستدلال المستدل بالصحيح من الدلائل، وعلِم المنازع أن الرجوع إلى الحق خير من التمادى فى الباطل، كمجادلة الصدِّيق لمن نازعه فى قتال مانعى الزكاة؛ حتى رجعوا إليه[2]، ومناظرتهم فى جمع المصحف[3]؛ حتى اجتمعوا عليه.

---

(١) فى (ط) : وأعلن.

(٢) وكان على رأس هؤلاء المناقشين للصديق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ فقد قال لأبى بكر: كيف تقاتلهم والرسول ﷺ قد قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإن هم قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: والله لا أفرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فوافقه عمر ونزل على رأيه فى محاربة أهل الردة. والقصة رواها البخارى وغيره؛ انظر: البخارى ١١٥/٩ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب الاقتداء برسول الله ﷺ).

(٣) لقد جُمع القرآن الكريم مرتين؛ وكان جمعه فى المرة الأولى فى عهد أبى بكر رضي الله عنه حين اشتد القتال فى واقعة اليمامة فى حروب الردة وقتل عدد كبير من قراء القرآن الكريم، فأشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الخليفة الأول أبى بكر أن يقوم بجمع القرآن من صدور الرجال حتى لا يذهب القرآن بقتل حفظته، فقال أبو بكر لعمر : كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ، فقال له عمر: هذا والله خير. يقول أبو بكر: فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى كذلك، ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر، وقال لزيد بن ثابت: إنك رجل شاب لانتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه. يقول زيد: فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أكرمنى به من جمع القرآن... ولم يزل يراجعنى أبو بكر حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر فتتبعت القرآن أجمعه من العُسب واللخاف وصدور الرجال، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع أحد غيره... ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾... الآية [سورة التوبة : ١٢٨]. فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر.

أما الجمع الثانى فكان فى خلافة عثمان رضي الله عنه وكان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية وأذربيجان، فأفزع حذيفة اختلافهم فى القراءة فقال لعثمان يا أمير المؤمنين : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا الصحف حتى ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر عثمان زيد بن ثابت ومجموعة من الصحابة أن ينسخوها فى المصاحف وقال لهم: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فى شىء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا. ثم رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوه وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق؛ انظر البخارى: ٢٢٥/٦ ـ ٢٢٦ ـ ط الشعب (باب جمع القرآن).

ومناظرتهم[1] فى حدِّ الشارب، وجاحد التحريم، حتى هدوا إلى الصراط المستقيم. وهذا وأمثاله يَجِلُّ عن العَدِّ والإحصاء، فإنه أكثر من نجوم السماء.

ثم صار المتأخرون بعد ذلك قد يتناظرون[2] فى أنواع التأويل والقياس، بما يؤثر فى ظن بعض الناس، وإن كان عند[3] التحقيق يؤول إلى الإفلاس، لكنهم لم يكونوا يقبلون من المناظرة[4] إلا ما يفيد ولو ظنًا ضعيفًا للناظر.

واصطلحوا على شريعة من الجدل للتعاون على إظهار صواب القول والعمل، ضبطوا بها قوانين الاستدلال لتَسْلَم عن الانتشار والانحلال، فطرائقهم - وإن كانت بالنسبة إلى طرائق الأولين غير وافية بمقصود الدين؛ لكنها غير خارجة عنها بالكلية، ولا مشتملة على ما لا يؤثر فى القضية، وربما كسوها من جودة العبارة، وتقريب الإشارة، وحسن الصياغة، وصنوف البلاغة مايحليها عند الناظرين، ويُنَفِّقها عند المتناظرين، مع ما اشتملت عليه من الأدلة السمعية، والمعانى الشرعية[5]، والتحاكم فيها إلى حاكم الشرع الذى لايعزل، وشاهد العقل المزكَّى المعدَّل.

وبالجملة، لا تكاد[6] تشتمل على باطل محض، ومكر صِرْف، بل لابد فيها من محيل للحق، ومشتمل على عرف.

---

(١) فى (ك): وتناظرهم.
(٢) فى (ك): المناظرة.
(٣) فى (ص): أدلة.
(٤) فى (ص): الصناعة.
(٥) فى (ص): المرضية.
(٦) فى (ص): لا يكاد.

ثم إن بعض طلبة العلوم، من أبناء فارس والروم، صاروا مولعين بنوع من جدل المموهين، استحدثه طائفة من المشرقيين، وألحقوه بأصول الفقه فى الدين، راوغوا فيه مراوغة الثعالب، وحادوا فيه عن المسلك اللاحب[1]. وزخرفوه بعبارات موجودة فى كلام العلماء، قد نطقوا بها، غير أنهم وضعوها فى غير مواضعها المستحقة لها، وألَّفوا الأدلة تأليفاً غير مستقيم،وعدلوا عن التركيب الناتج إلى العقيم؛ غير أنهم بإطالة العبارة، وإبعاد الإشارة، واستعمال الألفاظ المشتركة والمجازية فى المقدمات، ووضع الظنيات موضع القطعيات، والاستدلال بالأدلة العامة؛ حيث ليست لها دلالة على وجه يستلزم الجمع بين النقيضين؛ مع الإحالة والإطالة، وذلك من فعل غالط أو مغالط[2] للمجادلة - وقد نهى النبى ﷺ عن أغلوطات المسائل[3] - نفق ذلك على الأغتام الطَّماطم[4]، وراج رواج البهرج على الغَر العادم، واغتر به بعض الأغمار الأعاجم؛ حتى ظنوا أنه من العلم بمنزلة الملزوم من اللازم، ولم يعلموا أنه والعلم المقرِّب[5] متعاندان متنافيان، كما أنه والجهل المركب متصاحبان متآخيان. فلما استبان لبعضهم أنه كلام ليس له حاصل، لا يقوم بإحقاق حق، ولا إبطال باطل، أخذ يطلب كشف مشكله وفتح مقفله، ثم إبانة علله وإيضاح زَلله، وتحقيق خطئه وخطله؛ حتى يتبين أن سالكه يسلك فى الجدل مسلك اللدد، وينأى عن مسلك الهدى والرشد، ويتعلق من

---

(١) كتب الناسخ بهامش الأصل: اللاحب الطريق البين الواضح. انظر: لسان العرب مادة «لحب».

(٢) فى (ك): ومغالط.

(٣) المراد بها المسائل التى يثيرها المتناظرون للمغالطة والتمويه على الغير، فقد روى أبو داود عن الصنابحى عن معاوية رضي الله عنه أن النبى ﷺ نهى عن الغلوطات. قال فى «النهاية فى غريب الحديث والأثر»: «وفى رواية الأغلوطات». انظر: عون المعبود: ١٣٥٩/٢.

(٤) الأغتام الطماطم: فى (ك) بخط مخالف ما يلى: رجل طمطم (بالكسرة) وطمطمائى (بالضم) وطمطمى : من فى لسانه عجمة، والغُتمة (بالضم): العجمة، ورجل أغتم: لا يفصح. انظر: القاموس المحيط؛ مادة: «غتم».

(٥) فى (ط): المقرب من الله، وهى زيادة من ط، وليست بأصل النسخ.

الأصول بأذيال لاتوصل إلى حقيقة، ويأخذ من الجدل الصحيح رسوما يموِّه بها على أهل الطريقة؛ ومع ذلك فلابد أن يدخل فى كلامهم قواعد صحيحة، ونكت من أصول الفقه مليحة؛ لكن[1] إنما أخذوا / ألفاظها ومبانيها، دون حقائقها [٦/أ] ومعانيها، بمنزلة ما فى الدرهم الزائف من العين، ولولا ذلك لما نفق على من له عين؛ فلذلك آخذ فى تمييز حقه من باطله، وحاليه من عاطله، بكلام مختصر مرتجل، كتبه كاتبه على عجل. والله الموفق لما يحبه ويرضاه، ولا حول ولا قوة إلا بالله». انتهت خطبة هذا الكتاب[2].

- ومن مصنفاته أيضًا[3]: كتاب «بيان الدليل على بطلان التحليل».
- وكتاب «الصارم المسلول على شاتم الرسول».
- وكتاب «اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم».
- وكتاب «تحرير الكلام فى حادثة الأقسام». وسماه بعضهم: كتاب «التحرير فى مسألة حفير».
- وكتاب «رفع الملام عن الأئمة الأعلام».
- وكتاب «السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية».
- وكتاب «تفضيل صالح الناس على سائر الأجناس».
- وكتاب «التحفة العراقية فى الأعمال القلبية».
- وكتاب «المسائل[4] الإسكندرية فى الرد على الملاحدة والاتحادية»، وتعرف

---

(١) فى (ط): لكنهم.
(٢) وقد طبع هذا الكتاب بالكويت أخيرًا.
(٣) أيضًا: ليست فى (ك).
(٤) فى (ص) : مسائل.

بالسبعينية، لاشتمالها على الرد على ابن سبعين وأضرابه.

- وكتاب «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان».
- وكتاب «فضائل القرآن».
- وكتاب «أقسام القرآن»[1].
- وكتاب «أمثال القرآن».

وهذه المصنفات بعضها مجلد كبير وبعضها مجلد صغير.

- وله كتاب فى الرد على المنطق، مجلد كبير.
- وله مصنفان آخران فى الرد على المنطق نحو مجلد[2].
- وله كتاب فى محنته بمصر، مجلدان، رد فيه على القائلين بالكلام النفسى من نحو ثمانين وجهاً.

وله فى مسألة القرآن مؤلفات كثيرة وقواعد وأجوبة وغير ذلك، إذا اجتمعت بلغت مجلدات كثيرة؛ منها ما بُيض ومنها ما لم يبيض. فمن مؤلفاته فى ذلك[3] :

الكيلانية. والبغدادية. والقادرية. والأزهرية. والبعلبكية. والمصرية.

وله فى الرد على الفلاسفة مجلدات وقواعد، أملاها مفردة غير ما تضمنته كتبه، منها: إبطال قولهم بإثبات الجواهر العقلية.

---

(١) هناك تقديم وتأخير فى ذكر هذه الكتب الثلاثة السابقة بين نسختى (ص)، (ك).

(٢) للشيخ ابن تيمية مؤلفات فى الرد على المناطقة؛ الأول بعنوان «الرد على المنطقيين» حقق الجزء الأول منه د. محمد عبد الستار نصار، ولم يحقق الجزء الثانى؛ لكنه طبع مستقلاً بدون تحقيق، والمؤلف الثانى بعنوان «نقض المنطق» وهو تلخيص للكتاب الأول وقد طبع عدة طبعات.

(٣) فى (ص): من ذلك.

ومنها: إبطال قولهم بقدم العالم، وإبطال ما احتجوا به.

ومنها: إبطال قولهم فى أن الواحد لايصدر عنه إلا واحد.

- وله كتاب فى الوسيلة. مجلد.
- وكتاب «الرد على البكرى فى الاستغاثة». مجلد.
- وكتاب «شرح أول كتاب لقونوى[1] فى أصول الدين». مجلد لطيف.
- وكتاب «شرح عقيدة الأصبهانى». يسمى الأصبهانية[2].
- وكتاب شرح فيه بضع عشرة مسألة من كتاب الأربعين للفخر الرازى، أكثر من مجلدين.
- وكتاب يعرف بالصفدية؛ فى الرد على الفلاسفة فى قولهم: إن معجزات الأنبياء عليهم السلام قُوًى نفسانية. وفى إبطال قولهم بقدم العالم.
- وله كتاب «شرح أول المحصل». مجلد.
- وكتاب «الرد على أهل كسروان الرافضة». مجلدان.

يسمى الهلاكونية[3]. وهو جواب سؤال ورد على لسان هولاكو، ملك التتار. مجلد.

وله فى الرد على من قال: إن الأدلة[4] اللفظية لاتفيد اليقين عدة مصنفات.

وله فى الرد على منكرى المعاد قواعد كثيرة.

---

(١) فى (ك): الغزنوى.
(٢) فى (ص): عقيدة الأصبهانية.
(٣) فى (ك): الهلاونية؛ وهى نسبة إلى هولاكو الذى ورد السؤال على لسانه.
(٤) فى (ص): الأدلة (من غير إن)، والمراد به فخر الدين الرازى الذى صرح بذلك فى مقدمة الكثير من مؤلفاته، منها على سبيل المثال: المحصّل، ومعالم أصول الدين.

● وله تعليقة على كتاب «المحرر فى الفقه» لجده الشيخ مجد الدين فى عدة مجلدات. وله كتاب شرح فيه قطعة من كتاب «العمدة فى الفقه» للشيخ موفق الدين. فى مجلدات.

● وله قواعد كثيرة فى فروع الفقه، لم تبيض بعد، ولو بيضت كانت مجلدات عدة.

وقد جمع بعض أصحابه قطعة كبيرة من فتاويه الفروعية، وبَوَّبها على أبواب الفقه فى مجلدات كثيرة، تعرف بالفتاوى المصرية؛ سمَّاها بعضهم «الدرر المضيية من فتاوى ابن تيمية»[1].

وله مؤلفات فى صفة حج النبى ﷺ والجمع بين النصوص فى ذلك. والكلام فى متعة الحج، والعمرة المكية، وطواف الحائض، وما يتعلق بذلك[2]. أكثر من مجلدين.

وله مصنفات فى زيارة القبور، وهل تباح للنساء؟ والفرق بين الزيارة الشرعية والزيارة البدعية، وفى المشاهد: متى حدثت؟ وفى النذر لها، وفى المشهد / [٦/ب] المنسوب للحسين رضي الله عنه، وفى قبر على رضي الله عنه، وغير ذلك. عدة مجلدات.

وله فى مسألة شَدِّ الرِّحال ولوازمها ـ التى حبس ومات فى السجن[3] بسببها ـ شىء كثير. بيض منه مجلدات عديدة[4].

---

(١) طبعت هذه الفتاوى فى مصر فى خمس مجلدات بعنوان «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية بتصحيح وعناية الشيخ حسنين مخلوف مفتى الديار المصرية سابقًا.
(٢) فى (ك): وما يتعلق بذلك وطواف الحائض.
(٣) فى (ص): الحبس.
(٤) طبعت هذه الرسائل ضمن مجموعة الرسائل الكبرى.

وله فى مسائل الطلاق والخلع[1] وما يتعلق بذلك من الأحكام شىء كثير. ومصنفات عديدة. بَيَّض الأصحاب من ذلك كثيراً، وكثير منه لم يبيضوه[2]. ومجموع ذلك نحو العشرين مجلداً.

● وله قواعد كثيرة فى سائر أنواع العلوم، منها: قاعدة فى الصفات والقدر، تسمى «تحقيق الإثبات للأسماء والصفات».

وحقيقة الجمع بين القدر والشرع. وهى المعروفة بالتدمرية.

● وقاعدة فى أن مخالفة الرسول ﷺ لا تكون إلا عن ظن واتباع هوى.

● وقاعدة فى أن التوحيد والإيمان يشتمل على مصالح الدنيا والآخرة.

● وقاعدة فى إثبات كرامات الأولياء.

● وقاعدة فى أن خوارق العادات لاتدل على الولاية.

● وقاعدة فى الصبر والشكر.

● وقاعدة كبيرة فى الرضا.

● وقاعدة فى الشكر والرضا.

● وقاعدة فى أن كل آية يحتج بها مبتدع ففيها[3] دليل على فساد قوله.

● وقاعدة فى أن كل دليل عقلى يحتج به مبتدع ففيه دليل على بطلان قوله.

● وقاعدة فى الخلوات وما يلقيه الشيطان لأهلها من الشبه، والفرق بين الخلوة الشرعية والبدعية.

● وقاعدة فى الفقراء والصوفية، أيهم أفضل؟

---

(١) فى (ك): فى الطلاق ومسائل الخلع.
(٢) فى (ك): لم يبيض.
(٣) فى (ص): منها.

- وقاعدة فى الفقير الصابر والغنى الشاكر، أيهما أفضل؟.
- وقاعدة فى أهل الصُّفَّة ومراتبهم وأحوالهم.
- وقاعدة كبيرة فى محبة الله للعبد ومحبة العبد لله.
- وقاعدة فى الإخلاص والتوكل[1].
- وقاعدة فى الإخلاص وتقديره بالعقل.
- وقاعدة فى الشيوخ الأحمدية وما يظهرونه من الإشارات.
- وله قواعد وأجوبة فى تحريم السماع أكثر[2] من مجلدين.
- وقاعدة فى شرح أسماء الله الحسنى.
- وقاعدة فى الاستغفار وشرحه وأسراره.
- وقاعدة فى أن الشريعة والحقيقة متلازمان.
- وقاعدة فى الخُلَّة والمحبة، أيهما أفضل؟.
- وقاعدة فى العلم المحكم.
- وقواعد وأجوبة فى خلافة أبى بكر الصديق رضي الله عنه.
- وقاعدة فى وجوب نصيحة أولى الأمر والدعاء لهم.
- وقاعدة فى أحوال يونس القُنيبى[3] والشيخ أحمد بن الرفاعى[4].

---

(١) والتوكل: ليست فى (ص). (٢) فى (ك): أكبر.

(٣) يونس العتبى، فى (ك): القنيبى، وهو: يونس بن يوسف بن مساعد الشيبانى المخارقى القُنيبى شيخ الطائفة «اليونسية» المنسوبة إليه، كان زاهداً بعيد الشهرة، من قرية «القنيبة» من نواحى ماردين، مولده ووفاته فيها. ونقل ابن قاضى شهبة قول الذهبى فى ترجمته : هذا شيخ الطائفة اليونسية أولى الدعارة والشطارة والشطح، وقلة العقل، أبعد الله شرهم». توفى ـ رحمه الله ـ وقد ناهز التسعين؛ انظر عنه : وفيات الأعيان ٤٢٠/٢، مرآة الجنان : ٤٦/٤، شذرات الذهب : ٨٧/٥، الأعلام للزركلى : ٢٦٣/٨.

(٤) هو أحمد بن الرفاعى الزاهد القدوة، أبو العباس، ابن علي بن أحمد، كان أبوه قد نزل البطائح بالعراق بقرية أم عبيدة، فتزوج بأخت الشيخ منصور الزاهد، فولد له الشيخ أحمد فى سنة (٥٠٠هـ)، وتفقه قليلاً على مذهب الشافعى، وكان إليه المنتهى فى التواضع والانكسار وسلامة الباطن، ولكن أصحابه فيهم الجيد والردئ، وقد كثر الانحراف فيهم، وابتدعوا أحوالاً شيطانية من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات، وهذه كلها أمور أحدثت بعد وفاة الشيخ أحمد الرفاعى؛ ولايقرها صلحاء طريقته من الشيوخ الأفاضل، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٥٧٨هـ)؛ انظر عنه: العبر للذهبى: ٧٥/٣، شذرات الذهب: ٢٥٩/٤، الكامل فى التاريخ: ١٦٠/٩، البداية والنهاية: ٣١٢/١٢، مرآة الجنان: ٤٠٩/٣، النجوم الزاهرة: ٩٢/٦.

● وقاعدة وأجوبة فى عصمة الأنبياء - عليهم السلام.

● وقاعدة فى الاستطاعة: هل هى مع الفعل أو قبله؟

● وقاعدة فى العدم واستطاعته.

● وقاعدة فى وجوب العدل على كل أحد، لكل أحد، فى كل حال.

● وقاعدة فى فضل السلف على الخلف فى العلم.

● وقاعدة فى حق الله وحق رسوله وحقوق عباده، وما وقع فى ذلك من التفريط.

● وقاعدة فى أن مبدأ العلم الإلهى عند النبى ﷺ هو الوحى، وعند أتباعه هو الإيمان.

● وقاعدة فى أن الحمد والذم والثواب والعقاب بالجهاد والحدود تتعلق[1] بأفعال العباد لا بأنسابهم.

● وقاعدة فى أن كل حمد وذم للمقالات والأفعال لابد أن يكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

● وقاعدة فيما لكل أمة من الخصائص، وخصائص هذه الأمة.

● وقاعدة فى الكليات.

● وقاعد فى الفناء والاصطلام.

● وقاعدة فى العلم والحلم.

● وقاعدة فى الاقتصاص من المظالم[3] بالدعاء، وغيره، وهل هو أفضل أم العفو؟

---

(١) فى (ط) : والجد وأنها إنما تتعلق.

(٢) فى (ط): الظالم، وفى (ك)، (ص): المظالم كما هو مثبت.

(٣) فى (ص) النفوس.

- وله قاعدتان فى قرب الرب من عابديه وداعيه.
- وقاعدة فى تزكية النفس[١].
- وقاعدة على كلام ابن العريف[٢] فى التصوف.
- وقاعدة فى الصراط المستقيم فى الزهد والورع.
- وقاعدة فى الإيمان والتوحيد، وبيان ضلال من ضل فى هذا الأصل.
- [٧/أ] وقاعدة فى أمراض / القلوب وشفائها.
- وقاعدة فى السياحة ومعناها فى هذه الأمة.
- وقاعدة فى خُلَّة إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وأنه الإمام المطلق.
- وقواعد عدة[٣] فى الشهادتين.
- وقواعد كثيرة فيمن امتحن فى الله وصبر[٤].
- وقاعدة فى الصبر الجميل[٥]، والصفح الجميل، والهَجْر الجميل.
- وقاعدة فيما يتعلق بالوسيلة بالنبى ﷺ والقيام بحقوقه الواجبة على أمته فى كل زمان ومكان، وبيان خصائصه التى امتاز بها على جميع العالمين، وبيان فضل أمته على جميع الأمم.

---

(١) فى (ض) : النفوس.
(٢) هو أحمد بن محمد بن موسى الصنهاجى الأندلسى المرى، أبو العباس، ولد سنة (٤٨١هـ)، كان فاضلا مشهوراً بالصلاح، من أهم مؤلفاته: «كتاب محاسن المجالس» على طريقة الصوفية، توفى ـ رحمه الله ـ بمراكش سنة (٥٢٦هـ)؛ انظر عنه: وفيات الأعيان: ١/٥٤، شذرات الذهب: ٢/١٨٣، الأعلام: ١/٢١٥.
(٣) عدة: ليست فى (ص).
(٤) فى (ص): امتحن لله وصبر فيه.
(٣) الجميل: ليست فى (ك)، وفى (ص) تقديم وتأخير.

- وقاعدة تتعلق بالصبر المحمود والمذموم.
- وقاعدة تتعلق برحمة الله تعالى فى إرسال محمد ﷺ وأن إرساله أَجَلُّ النِّعَم.
- وقاعدة فى الشكر لله، وأنه يتعلق بالأفعال الاختيارية.
- وقاعدة فى المقربين، هل يسألهم منكر ونكير؟
- وقاعدة فى الفتوة الاصطلاحية، وأنه ليس لها أصل فى الأحكام الشرعية.
- وقاعدة فى الكلام على المرشدة التى ألفها ابن التومرت[١].

وله أجوبة تتعلق بها أيضاً[٢].

- وقاعدة فى كلام الجنيد[٣] لما سئل عن التوحيد، فقال: هو إفراد الحدث عن القدِم.

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن تومرت المصمودى البربرى، الملقب بالمهدى أو بمهدى الموحدين، مؤسس دولة الموحدين التى قامت على أنقاض دولة المرابطين فى الأندلس، اختلف فى سنة مولده، من كتبه: كتاب «أعز ما يطلب»، وقد نشره جولد تسهير فى الجزائر ١٩٠٣م، وكتاب «كنز العلوم» وهو مخطوط، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٥٢٤هـ) وعمره يتراوح بين ٥١ ـ ٥٥ عاماً، انظر عن حياة ابن تومرت ومذهبه: بحث الأستاذ عبدالله كنون: ص ٩٩ ـ ١١٥؛ ضمن كتاب «نصوص فلسفية مهداة إلى الدكتور ابراهيم مدكور» ـ القاهرة ١٩٧٦م؛ وانظر أيضاً: وفيات الأعيان: ١٣٧/٤ ـ ١٤٦، الكامل لابن الأثير: ٢٠١/١٠ ـ ٢٠٥، الأعلام: ١٠٤/٧ ـ ١٠٥، منهاج السنة النبوية لابن تيمية ـ تحقيق د. محمد رشاد سالم: هامش ١٨٩/٦.

(٢) أيضًا: ليست فى (ص).

(٣) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد، أبو القاسم الخزاز أو القواريرى، ويقال له: الزجاج، لأنه كان يعمل فى صناعة القوارير، وقيل: كان يعمل الخز، ولد ونشأ ببغداد، كان من كبار الصوفية الملتزمين بالكتاب والسنة، وقيل: هو أول من تكلم فى علم التوحيد ببغداد، وعده العلماء إمام الدنيا فى زمانه، وشيخ مذهب التصوف؛ لذلك لقب بسيد الطائفة، وكثيراً ما يستشهد العلماء بأقواله فى ضرورة الالتزام بالكتاب والسنة وعدم الخروج عن منهج النبوة، من مؤلفاته: دواء الأرواح، رسائل كتبها إلى بعض أصحابه؛ منها ما هو فى التوحيد والألوهية والفناء وغير ذلك، توفى ـ رحمه الله ـ ببغداد سنة (٢٩٧هـ) وقيل (٢٩٨هـ)؛ انظر عنه : حيلة الأولياء: ٢٥٥/١٠، تاريخ بغداد: ٢٤١/٧، طبقات الصوفية للسلمى: ص ١٥٥ ـ ١٦٣، طبقات الحنابلة: ٨٩/١، صفة الصفوة: ٢٣٥/٢، المنتظم لابن الجوزى: ١٠٥/١ ـ ١٠٦، وفيات الأعيان: ١١٧/١، الطبقات الكبرى للشعرانى: ٧٢/١ ـ ٧٤، الأعلام: ١٣٧/٢.

- وقاعدة فى التسبيح والتحميد والتهليل.
- وقاعدة فى أن الله تعالى إنما خَلَق الخلق لعبادته.
- وقاعدة فى الكلام.
- وقاعدة فى الكلام على قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾[1]، تسمى العبودية: وهى جليلة القدر.
- وقاعدة فيما أحدثه الفقراء المجردون.
- وقاعدة فى القدرية، وأنهم ثلاثة أقسام: مجوسية، ومشركية، وإبليسية.
- وقاعدة فى بيان طريقة القرآن فى الدعوة والهداية النبوية، وما بينهما وبين الطريقة الكلامية والطريقة الصوفية.
- وقاعدة فى وصية لقمان لابنه.
- وقاعدة فى تسبيح المخلوقات من الجمادات وغيرها: هل هو بلسان الحال، أم لا؟
- وقاعدة تعرف بالصعيدية[2] تتعلق بالثوية.
- وقاعدة فى لباس الخرقة: هل له أصل شرعى؟ وفى الأقطاب ونحوهم.
- وقاعدة فى القضايا الوهمية.
- وقاعدة فيما يتناهى وما لا يتناهى.
- وقاعدة فى الخلطة والعزلة.

---

(١) سورة البقرة : آية ٢١.

(٢) تعرف بالصعيدية : ليست فى (ص).

● وقاعدة فى مشايخ العلم، ومشايخ الفقراء: أيهم أفضل؟

● وقاعدة فى تعذيب المريد بذنب غيره.

● وقاعدة فى قوله ﷺ: «ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة»[1].

● وقاعدة فى أن جماع الحسنات : العدل، وجماع السيئات : الظلم، ومراتب الذنوب فى الدنيا.

● وقاعدة فى أن الحسنات تعلل بعلتين: جلب المنفعة، ودفع المضرة، والسيئات بالعكس.

● وقاعدة فى فضائل عشر ذى الحجة.

● وقاعدة فى رسالة النبى ﷺ إلى الجن والإنس.

● وقاعدة فى أن جميع البدع ترجع إلى شعبة من شعب الكفر.

● وقواعد فى الكلام على السنة والبدعة، وأن كل بدعة ضلالة.

● وقاعدة فى الإجماع وأنه ثلاثة أقسام.

● وقاعدة كبيرة فى أصول الفقه؛ غالبها نقل أقوال الفقهاء.

● وقاعدة فيما يظن من تعارض النص والإجماع.

● وقواعد فقهية[1] فى مسائل من النذور، والأيمان، ونكاح الشغار، وما يستقر به المهر، ونحو ذلك مجلد.

● وقاعدة فى المغالبات، وما يحل من الرهن، وهل يفتقر إلى محلل؟ مجلد.

---

(١) سيأتى تخريج هذا الحديث - إن شاء الله.
(٢) فى (ص) : وقاعدة.

• وقواعد فى المائعات والمياه[1] وأحكامها، وفى الميتة إذا وقعت فى المائعات، والكلام على حديث القلتين، وما يتعلق بذلك، شىء كثير.

[٧/ب] • وقواعد فى الوقف وشروط الواقفين، وما يعتبر منها، وفى إبداله بأجود منه/ وفى بيعه عند تعذر الانتفاع، ونحو ذلك، أكثر من مجلد.

• وقاعدة كبيرة فى تفضيل مذهب الإمام أحمد، وذكر محاسنه، نحو مجلد.

• وقاعدة فى تفضيل مذهب[2] أهل المدينة، تسمى المالكية.

• وقواعد فى الاجتهاد والتقليد، وفى الأسماء التى علق الشارع بها الأحكام، مجلد.

• وقواعد فى المجتهد فى الشريعة: هل يأثم إذا أخطأ الحق؟ وهل المصيب واحد؟ ونحو ذلك ـ أكثر من مجلد.

• وقواعد فى الاستحسان[3].

• وقواعد[4] فى شمول النصوص للأحكام.

• وقاعدة فى تقرير القياس[5] فى مسائل عدة، والرد على من يقول: هى على خلاف القياس.

---

(١) والمياه : ليست فى (ص).
(٢) ليست فى (ص)؛ وقد طبعت رسالة فى صحة مذهب أهل المدينة.
(٣) فى (ك): قاعدة فى الإحسان.
(٤) فى (ك): قاعدة.
(٥) فى (ص): وقاعدة فى مسائل.

● وقاعدة فى شرح رسالة ابن عبدوس[١]. وهى متضمنة لكلام الإمام أحمد فى أصول الدين.

● وقاعدة فى لعب الشطرنج وأنه حرام.

● وقواعد كثيرة فى السفر الذى يجوز فيه القصر والفطر، هل له حَدٌّ؟ وفى الجمع بين الصلاتين، وفى ذوات الأسباب هل تصلى فى وقت النهى؟ وفى مواقيت الصلاة، وفى أن أول ما يحاسب به العبد الصلاة، وفى تارك الصلاة، وتفصيل القول فيه، وفى أن الصلاة أول الأعمال، وفى تارك الطمأنينة، وذلك شىء كثير جداً.

● وقواعد فى الكنائس وأحكامها، وما يجوز هدمه منها وإبقاؤه، وما يجب هدمه[٢]، وأجوبة تتعلق بذلك. نحو مجلدين[٣].

● وقواعد فى رجوع المغرور على من غرَّه، وفى استقرار الضمان، وفى بيع الغرر، والشرط[٤] فى البيع. والنكاح، وغير ذلك. نحو مجلد.

● وقاعدة فى فضائل الأئمة الأربعة، وما امتاز به كل إمام من الفضيلة.

● وقاعدة فى مقدار الكَفَّارة فى اليمين.

● وقاعدة فى لفظ الحقيقة والمجاز، وفى العام إذا خُصَّ؛ هل يكون حقيقة أو

---

(١) هو على بن عمر بن أحمد بن عمار، أبو الحسن ابن عبدوس، ولد سنة (٥١٠هـ)، كان من أهل حران بالجزيرة الفراتية، وكان من فقهاء الحنابلة، وبرع فى التفسير، قال عنه فخر الدين ابن تيمية: كان نسيج وحده فى علم التذكير والاطلاع على فنون التفسير، من مؤلفاته: المذهب فى المذاهب، مجالس وعظية، وله تفسير القرآن، توفى - رحمه الله - سنة (٥٥٩هـ) بحران؛ انظر عنه: الذيل على طبقات الحنابلة: ٣/٢٠٣ - ٢٠٥، الأعلام: ٤/٣١٥.

(٢) فى (ك): هوَّه.

(٣) نحو مجلدين: ليست فى (ص) ولا (ك)؛ وأضافها الناسخ بهامش الأصل.

(٤) فى (ص) : والشروط.

مجازاً؟ والبحث مع السيف الآمدى[1] فى ذلك، وقواعد كثيرة[2] فى أن جنس فعل المأمور به أفضل من جنس ترك المنهى عنه.

- وقاعدة فى طهارة بول ما يؤكل لحمه، ذكر فيها نحو ثلاثين حجة على ذلك.
- وقاعدة فى تطهير العبادات النفسَ من الفواحش والمنكرات.
- وقاعد وأجوبة فى تحريم نكاح الزانية.
- وقاعدة فى معاهدة الكفار المطلقة والمقيدة.
- وقاعدة فى مفطرات الصائم.
- وقاعدة فى فيما شرعه الله تعالى بوصف العموم والإطلاق، هل يكون مشروعًا بوصف الخصوص والتقييد؟
- وقاعدة[2] فى أن العامى هل يجب عليه تقليد[3] مذهب معين أم لا؟
- وقاعدة فى تعليق العقود والفسوخ بالشرط.
- وقاعدة فى الجهاد والترغيب فيه.

---

(١) الآمدى هو على بن أبى على بن محمد بن سالم التغلبى، أبو الحسن سيف الدين الآمدى، أو السيف، نسبة إلى آمد، الحنبلى ثم الشافعى، ولد فى ديار بكر من آمد سنة (٥٥١هـ) ـ كما حدد ذلك الزركلى، نزل بغداد وتعلم بها وارتحل إلى الشام وأقام بحماة، ثم انتقل إلى القاهرة فدرس بها، تعصب عليه بعض الفقهاء ونسبوه إلى فساد العقيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة فخرج مستخفياً إلى حماة ومنها إلى دمشق، كان من كبار المتكلمين على أصول الأشعرى، ومن علماء أصول الفقه البارزين، من أهم مؤلفاته: أبكار الأفكار، غاية المرام فى علم الكلام، المبين عن اصطلاحات الفلاسفة والمتكلمين، الإحكام فى أصول الأحكام، كشف التمويهات، لباب الألباب، دقائق الحقائق، وغير ذلك توفى ـ رحمه الله ـ بدمشق سنة (٦٣١هـ) وقيل (٦٣٢هـ)؛ انظر: عنه وفيات الأعيان: ٢/٤٥٥، شذرات الذهب، ٦/١٤٤، الأعلام: ٤/ ٣٣٢، وانظر تفصيل ترجمته فى «الآمدى وآراؤه الكلامية» للدكتور حسن الشافعى ـ ط دار السلام ١٩٩٨م.

(٢) فى (ك) وقاعدة كبيرة.

(٣) تقليد : ليست فى (ص).

- وقاعدة فى ذم الوسواس.
- وقاعدة فى الأنبذة والمسكرات.
- وقاعدة فى الحسبة.
- وقاعدة فى المسألة السريجية.
- وقاعدة فى حل الدور، ومسائل الجبر والمقابلة.
- وقاعدة فى أن كل عمل صالح[1] أصله اتباع النبى ﷺ.
- وقاعدة فى الأطعمة وما يحل منها وما يحرم، وتحرير الكلام على الطيبات والخبائث.
- وقاعدة فى اشتراط التسمية على الذبائح والصيد.
- وقاعدة فى دم الشهداء ومداد العلماء، تتضمن[2] أى الطائفتين أفضل.
- وقاعدة فى الانغماس فى العدو، وهل يباح ؟
- وقاعدة فى ضمان البساتين[3]، هل يجوز أم لا؟
- وله قواعد فى النهى، هل يقتضى فساد المنهى عنه؟
- وقاعدة فى زكاة مال الصبى.
- وقواعد[4] فى الإيمان المقرون بالإحسان، وفى الإحسان المقرون بإسلام الوجه[5].
- وقاعدة فى اقتران الإيمان بالاحتساب[6].

---

(١) عمل : ليست فى (ص).
(٢) تتضمن: ليست فى (ص)، وفى (ك): يتضمن.
(٣) البساتين : ليست فى (ص).
(٤) فى (ط): وقاعدة.
(٥) فى (ك): بالإسلام الوجه.
(٦) أشار الناسخ بالهامش: لعله الإحسان.

● وقواعد وأجوبة فى النجوم، هل لها تأثير عند الاقتران والمقابلة؟ وفى الكسوف، وهل[1] يقبل قول المنجمين فيه؟ وفى رؤية الهلال ونحو ذلك، نحو مجلد.

● وقاعدة فى الأقراء، هل هى الحيض، أو الأطهار؟ واختار أنها الحيض.

● وقاعدة فى الشكر[2] وأسبابه وأحكامه.

● وقاعدة فى الاستفتاحات فى الصلاة.

[٨/أ] ● وقاعدة تتضمن ذكر ملابس النبى / ﷺ وسلاحه ودوابِّه. وهى القرمانية.

● وقاعدة تتعلق بمسائل من التيمم، والجمع بين الصلاتين. تسمى «تيسير العبادات لأرباب الضرورات».

● وقاعدة فى النُّصَيرية[3] وحكمهم.

● وقاعدة فى تحريم الشبَّابة[3].

● وقاعدة فى العقود اللازمة والجائزة.

● وله قاعدة جليلة فى وجوب الاعتصام بالرسالة، وأن كل خير فى العالم فأصله متابعة الرسل، وكلَّ شر فمن مخالفتهم: إما جهلاً، أو عمداً.

---

(١) فى (ك): هل، وفى (ص): هل يقبل قولَ المنجمين فى رؤية الهلال... إلخ.

(٢) فى (ص): الشكر.

(٣) هى فرقة من غلاة الشيعة تنسب إلى محمد بن نصير النمرى، كان يَدَّعى أنه نبى بعثه أبو الحسن العسكرى، وكان يقول بالتناسخ والغلو فى أبى الحسن العسكرى ويقول فيه بالربوبية، ويقول بالإباحة للمحارم، وكان من طائفة النصيرية من يطلق اسم الإلهية على الأئمة من آل البيت ويخترعون لهم أحاديث وأقوالاً، وادعوا أن علياً رضي الله عنه كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض؛ انظر : الملل والنحل للشهرستانى وهامش (٢) لمحقق الملل والنحل: ١/١٨٨، ١٨٩، وانظر ـ أيضاً: هامش (٢) لكتاب منهاج السنة النبوية لابن تيمية ـ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم: ١/١٠.

(٣) الشبابة: هى آلة من آلات المعازف.

- وقاعدة فى تحزيب القرآن، وما يتعلق بذلك، وما ورد فيه من الآثار.
- وقاعدة فى الكلام على الممكن.
- وقاعدة فى ذبائح أهل الكتاب.
- وقاعدة فى تعليل الأفعال.
- وقاعدة فى الكلام على العدَد.

وله رسائل تشتمل على علوم كثيرة، منها:

رسالة كتبها إلى الشيخ شمس الدين الدباهى[1]، تسمى المدنية.

ورسالة كتبها إلى الشيخ نصر المنبجى[2]، تسمى المصرية.

ورسالة كتبها إلى أهل بغداد.

ورسالة كتبها إلى أهل البصرة.

ورسالة كتبها إلى القاضى شمس الدين السروجى[3]، قاضى الحنفية بمصر.

---

(١) هو شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبى نصر الدباهى البغدادى الحنبلى الزاهد، ولد سنة (٦٣٦هـ) أو (٦٣٧هـ) ببغداد، وصحب الشيخ يحيى الصرصرى والشيخ عبدالله كتيلة، وجاور بمكة عشر سنين، ودخل الروم والجزيرة ومصر والشام ثم استوطن دمشق، كان زاهداً عارفاً مجتهداً فى العبادة، سمع منه البرزالى والذهبى، وقد ابتلى بضيق نفس ثم توفى ـ رحمه الله ـ بدمشق سنة (٧١١هـ)؛ انظر: شذرات الذهب: ٦/٢٧.

(٢) هو أبو الفتح نصر بن سليمان المنبجى المقرئ، الإمام القدوة العابد، حدث عن إبراهيم بن خليل وغيره، وتعلم قراءات القرآن على الكمال الضرير، وتفقه واشتهر فى وزارة الأعيان، وكان الجاشنكير الذى تسلطن يتغالى فى حبه، وله سيرة حسنة، توفى ـ رحمه الله ـ بمصر سنة (٧١٩هـ)؛ انظر : شذرات الذهب: ٦/٥٢.

(٣) هو الحافظ أبو حامد محمد بن أيبك السروجى، كان علاَّمة ثقة متقناً، وممن عده من الحفاظ ابن ناصر الدين؛ وقال فى بديعته:

محمد بن أيبك السروجى ❖ دار ذرى مواطن العروج

توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٧٤٤هـ)؛ انظر: شذرات الذهب: ٦/١٤١.

ورسائل إلى غيره من القضاة والعلماء.

ورسالة كتبها إلى بيت الشيخ عدى بن مسافر(١)، تسمى العدوية.

ورسالة كتبها إلى بيت الشيخ جاكير(٢). وأرسل إليهم أجوبة فى مجلد غير الرسالة.

ورسالة كتبها إلى ملك قبرص فى مصالح المسلمين، تتضمن علومًا نافعة.

وله رسائل إلى البحرين. وإلى ملوك العرب.

وإلى ثغور الشام: إلى طرابلس وغيرها بمصالح تتعلق(٣ [بالمسلمين، وأجوبة عن مسائل كتبت إليه وفى]٣) الأمر(٤) بالمعروف والنهى عن المنكر(٥).

ورسالة لأهل تدمر.

ورسالة إلى طبرستان وجيلان.

ورسائل للملوك: ملك مصر، وملك حماة وغيرها(٦).

---

(١) هو عدى بن مسافر بن إسماعيل الهكارى، شرف الدين أبو الفضائل، من شيوخ الصوفية وتنسب إليه الطائفة العدوية، كان صالحاً ناسكاً، ولد فى بلدة من أعمال بعلبك سنة (٤٦٧هـ)، وجاور بالمدينة أربع سنوات، وانقطع للعبادة، وانتشرت طريقته فى أهل السواد الجبال، وغالى أتباعه «العدوية» فيه حتى اتخذوا قبره قبلة لهم، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٥٥٧هـ)؛ انظر: شذرات الذهب: ١٧٩/٤، وفيات الأعيان: ٣١٦/١، الأعلام: ٢٢١/٤.

(٢) الشيخ جاكير: فى (ص): جاكريه، وهو محمد بن دشم الكردى الحنبلى، أحد شيوخ العراق، وكان من شيوخ الصوفية البارزين الذين لهم أتباع وأصحاب، وتظهر لهم أحوال وكرامات، سكن صحراء من صحارى العراق وتفرغ للعبادة والذكر، ولم يتزوج، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٥٩٠هـ) فى مسكنه الذى اتخذه فى الصحراء؛ فبنى بجوار ضريحه قرية؛ انظر: شذرات الذهب: ٣٠٥/٣.

[٣ - ٣] ما بين الحاصرتين ليس فى (ك)، (ط).

(٤) الأمر بالمعروف: ليس فى (ك)، وفى (ص): أمر بمعروف.

(٥) فى (ك): منكر.

(٦) فى (ص): تقديم وتأخير بين: ورسائل إلى الملوك.. والتى قبلها.

ورسائل إلى الأمراء الكبار.

ورسائل كثيرة كتبها إلى الصلحاء من إخوانه: من مصر إلى دِمَشق، ومن دمشق إلى غيرها.

ومن السجن شيء كثير يحتوى على مجلدات عدة.

وله من الكلام على مسائل العلوّ والاستواء والصفات الخبرية، وما يتعلق بذلك من الرد على الجَهْمية والقَدَرية والجَبْرية وغيرهم من أهل الأهواء والبدع ما يشتمل[1] على مجلدات كثيرة.

وله من الكلام على فروع الفقه والأجوبة المتعلقة بذلك شيء كثير، يشق إحصاؤه، ويعسر ضبطه.

ومن مؤلفاته: الكلام على دعوة ذى النون، فى مجلد لطيف.

وكتاب فيه الكلام على إرادة الرب وقدرته، وتحرير القول فى ذلك على كلام الرازى فى المطالب العالية.

ومسألة فى العلو، أجاب فيها عن شبه المخالفين. وهى مفيدة. وأخرى[2] فى الصفات؛ تسمى المراكشية، وتشتمل على نقول كثيرة.

وقاعدة تتضمن صفات الكمال، وما الضابط فيها مما يستحقه الرب تعالى، تسمى الأكملية، والإحاطة الكبرى والإحاطة الصغرى.

وعقيدة الفرقة الناجية وتعرف بالواسطية، والجواب عما أورد عليها عند المناظرة بقصر الإمارة بدمشق.

---

(١) فى (ص): تشتمل.

(٢) فى (ص): وآخر.

والكلام على حديث عِمران بن حُصين الذى فيه : «جئنا نسألك عن أول هذا الأمر». وهو مؤلف مفيد.

والكلام على حديث عبد الله بن خليفة عن عُمر، وهل هو ثابت أم لا؟ وأى ألفاظه هو المحفوظ؟

وكتاب فى نزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا، والجواب عن اختلاف وقته باختلاف البلدان والمطالع.

وجواب فى اللقاء وما ورد فى القرآن وغيره.

وجواب فى الاستواء والنزول هل هو حقيقة أم لا؟ تسمى الأرْبَلِيَّة[1].

وجواب فى الاستواء وإبطال قول من تأوله بالاستيلاء من نحو عشرين وجهًا.

ومسألة فى المباينة بين الله وبين خلقه.

وله أجوبة أخر فى مباينة الله لخلقه، وفيمن يقول: إنه سبحانه على عرشه بذاته، وأقوال السلف فى ذلك.

[٨/ب] وله مسائل / كثيرة فى الأفعال الاختيارية المسماة عند بعض المتكلمين بحلول الحوادث.

منها كلام مفرد على كلام الرازى فى الأربعين.

وله مسائل وأجوبة فى مسألة القدر، والرد على القدرية وعلى الجبرية، أكثر من مجلد.

---

(١) نسبة إلى أربل.

وله مسألة فى محل[1] الشعر والعلوم وغيرها، هل هو واحد أو متعدد؟

وله درس السكرية بالبسملة، جزء.

ودرس الحنبلية فى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً﴾[2]. جزء حسن.

ومسألة فيمن يدعى أن للقرآن باطنًا، [وأن لذلك الباطن باطنًا][3] إلى سبعة أبطن.

ومسألة فى عقل الإنسان وروحه.

والحلبية فى الصفات، وهل[4] هى زائدة على الذات أم لا؟

والرد على ابن سينا فى رسالته الأضحوية، نحو مجلد.

وجواب فى العزم على المعصية، هل يعاقب عليه العبد؟

وجواب على حزب الشاذلى وما يشبهه، مجلد لطيف.

وجواب فى الكفار من التتر وغيرهم، وهل لهم خفراء بقلوبهم لهم تأثير؟

وله شرح كلام الشيخ عبد القادر فى غير موضع، نحو مجلد[5].

● وقاعدة فى قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[6]، وقول النبى ﷺ: «**لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله**»[7].

---

(١) محل: ليس فى (ص).
(٢) التوبة: ١٢٢.
(٣) ما بين الحاصرتين ليس فى (ك) ولا فى (ط).
(٤) فى (ص): هل.
(٥) طبع هذا الكتاب فى مجموعته الثانية من جامع الرسائل من ٧٣ - ١٨٩. تحقيق المرحوم الدكتور محمد رشاد سالم - ط جامعة الإمام محمد بن سعود.
(٦) النحل: ٣٢.
(٧) ورد هذا الحديث فى: البخارى: ٨٠/٢٤، ٨٤ (كتاب الرقاق. باب القصد والمداومة على العمل) ط فتح البارى؛ مسلم: ٢١٦٩/٤ - ٢١٧١ (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. باب لم يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى)؛ الإمام أحمد فى مسنده: ٢/ ٢٦٤؛ ابن ماجه: ١٤٠٥/٢ (كتاب الزهد. باب التوقى على العمل).

وله جواب فى يزيد بن معاوية، وهل يجوز سبُّه أم لا؟

وله قاعدة فى فضل معاوية.

وجواب فى الخضر، هل مات أو هو حى؟ واختار أنه مات.

وله جواب فى أن[1] الذبيح من ولد إبراهيم - عليه السلام - هو إسماعيل، واحتج لذلك بأدلة كثيرة.

وله[2] جواب فى زيارة القدس يوم عرفة للتعريف به.

وله أجوبة كثيرة فى هذا المعنى.

وجواب فى احتجاج الجهمية والنصارى بالكلمة.

وجواب فيمن عزم على فعل محرم ثم مات[3].

وجواب فى الذوق والوَجْد الذى يذكره الصوفية.

وجواب فى قوله ﷺ : «**من قال أنا خير من يونس بن متَّى فقد كذب**»[4].

وجواب فى التشاغل بكلام الله وأسمائه وذكره، أى ذلك أفضل؟

وجواب فى غَضِّ البصر وحفظ الفرج.

وجواب فى المعيَّة وأحكامها.

وله فى مسائل الروح، وهل تعذب فى القبر مع الجسد؟ وهل تفارق البدن بالموت؟ وهل تتصور بصورة وتعقل بعد الموت؟ ونحو ذلك، مجلد.

---

(١) أن: ليست فى (ص). (٢) له: ليست فى (ك). (٣) فى (ك): ثم تاب.

(٤) ورد هذا الحديث فى: البخارى: ٢٠٤/١٣ (كتاب الأنبياء. باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ط فتح البارى؛ مسلم: ١٨٤٦/٤ (كتاب الفضائل. باب فى ذكر يونس - عليه السلام)؛ أبى داود: ٢١٧/٤ (كتاب السنة. باب فى التخيير بين الأنبياء).

وله جواب: هل كان النبى ﷺ قبل الرسالة نبيًا؟ وهل يسمى من صحبه إذ ذاك صحابيًا؟

وجواب: هل كان النبى ﷺ قبل الوحى متعبدًا بشرع من قبله من الأنبياء؟

وله جواب فى كفر فرعون، والرد على من لم يكفره.

وجواب فى ذى الفقار هل كان سيفًا لعلى رضي الله عنه؟

وله قواعد وأجوبة فى الإيمان، هل يزيد وينقص؟ وما يتبع ذلك، نحو مجلد.

وله جواب فى عقيدة الأشعرية، وعقيدة الماتُريدى وغيره من الحنفية، تسمى الماتريدية.

وله عقيدة تسمى الحوفية.

وله أجوبة فى العرش والعالم، هل هو كُرىٌّ الشكل أم لا؟

وفى قصد القلوب العلوّ؛ ما سببه؟

وله فى الكلام على توحيد الفلاسفة على نظم ابن سينا، مجلد لطيف.

وله جواب محيى الدين الأصبهانى[1]، فى عدة كراريس.

---

(١) وهو السؤال الذى توجه به أهل مصر سنة (٧١٢هـ) إلى ابن تيمية أن يشرح لهم العقيدة التى ألفها الشيخ شمس الدين محمد بن الأصفهانى؛ الذى قيل عنه: إنه إمام متكلم مشهور لم يدخل إلى الديار المصرية من رءوس علماء الكلام مثله، فأجاب ابن تيمية عن هذا السؤال بكتاب كبير يسمى شرح العقيدة الأصفهانية؛ وهو كتاب نفيس فى بابه طبع بمصر بتقديم الشيخ حسنين مخلوف مفتى مصر؛ بدار الكتب الحديثة بدون تاريخ.
والأصفهانى هو: محمد بن محمود بن محمد بن عياد السلمانى، أبو عبدالله شمس الدين، ولد بأصفهان سنة (٦١٦هـ)، وتعلم بها، وكان والده نائب السلطنة، ولما استولى العدو على أصفهان رحل إلى بغداد ثم إلى الشام ثم توجه إلى مصر، وولى قضاء قوص والكرك، ثم استقر فى القاهرة وكان من كبار فقهاء الشافعية بها، من مؤلفاته: شرح المحصول للرازى، وتشييد القواعد فى شرح تجريد العقائد، والقواعد فى أصول الفقه والدين والمنطق والجدل، وغاية المطلب فى المنطق، وهو صاحب متن العقيدة الأصفهانية التى شرحها شيخ الإسلام ابن تيمية، توفى ـ رحمه الله ـ بالقاهرة سنة (٦٨٨هـ)؛ انظر عنه: البداية والنهاية: ٣١٥/١٣، طبقات الشافعية: ٤١/٥، فوات الوفيات: ٢/ ٢٦٠، الأعلام: ٨٧/٧.

وله جواب فى الفَرْق بين ما يُتأول من النصوص وما لا يتأول.

ومسألة فى قوله : «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»(1)؛ هل هو كلامه ﷺ؟

وقاعدة فى الرد على أهل الاتحاد.

وله مؤلف فى الردِّ على ابن عربى.

وجواب على حال الحلاج ورفع ما وقع فيه من اللجاج.

وله مسائل وقواعد فى الاستغاثة، غير ما تقدم ذكره.

[٩/أ] وجواب فى الرضا على كلام أبى سليمان الدَّارانى(2) /.

وجواب فى رؤية النساء ربهم فى الجنة، سأله عنه الشيخ إبراهيم الرقى ـ رحمه الله(3).

وجواب فى العباس وبلال ـ رضى الله عنهما: أيهما أفضل؟

وجواب فى الكتاب الذى همَّ به النبى ﷺ فى مرضه.

---

(1) عزاه شيخ الإسلام ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان من حديث ابن عباس بلفظ: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم» قال : وسنده ضعيف جدًا. والحديث له شاهد عند البخارى فى صحيحه عن على موقوفًا: «حدثوا الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله».
انظر : كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى: ١/ ١٩٦ ـ حديث رقم ٥٩٢ ـ ط دار الكتب العلمية بيروت.

(2) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عطية المذحجى، أبو سليمان، زاهد مشهور، من أهل داريا بدمشق، رحل إلى بغداد وأقام بها مدة ثم عاد إلى الشام، كان من كبار الصوفية، له أخبار فى الزهد وكلام نفيس فى مقامات الإيمان، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٢١٥هـ)؛ انظر: طبقات الصوفية: ص ٧٥ ـ ٨٢، وفيات الأعيان: ٢٧٦/١، حلية الأولياء: ٢٥٤/٩، تاريخ بغداد: ٢٤٨/١٠، الأعلام: ٢٩٤/٣.

(3) هو إبراهيم بن أحمد بن محمد، ابن المعالى الرقى، برهان الدين أبو إسحاق، واعظ من علماء الحنابلة، ولد بالرقة (بلدة على الفرات) سنة (٦٤٧هـ)، حفظ القرآن وتقدم فى علم الطب، سمع منه البرزالى والذهبى وغيرهما، واستقر فى دمشق حتى توفى بها ـ رحمه الله ـ سنة (٧٠٣هـ)؛ انظر: شذرات الذهب: ٧/٦ ـ ٨، الذيل على طبقات الحنابلة: ٣٢٩/٢، الدرر الكامنة: ١٤/١، الأعلام: ٢٩/١.

وجواب فيمن يقول: إن بعض المشايخ أحيا ميتًا.

وله أجوبه فى مسائل[1] وردت من أصبهان.

وجواب عن مسائل وردت من الأندلس.

وجواب عن سؤال ورد من الرحبة.

وجواب عن سؤال ورد من ماردين.

وجواب عن سؤال ورد من زرع[2].

وأجوبة كثيرة عن مسائل وردت من الصلّت.

وجواب فى أرض الموات إذا أحياها الرجل، ثم عادت مواتًا؛ هل تملك بالإحياء مرة أخرى؟

وله وصايا عدة يُسأل عنها فى كتب[3]؛ منها: وصية لابن المهاجرى فى كراريس[4]،

ووصية كتبها للتّجيبى.

وله إجازات؛ منها: إجازة لأهل سَبْتة ذكر[5] فيها مسموعاته.

وإجازة كتبها لبعض أهل توريز[6].

وإجازة لأهل غرناطة.

وإجازة لأهل أصبهان.

---

(١) مسائل: ليست فى (ص).

(٢) كذا فى (ك) و (ص)؛ وفى (ط): أزرع.

(٣) فى (ك): وكتب، والمثبت من (ص).

(٤) فى (ص): وله فى كراريس.

(٥) فى (ص): وذكر.

(٦) توريز: لعلها توزين، ويقال أيضًا: تيزين: بلدة بمدينة حلب بالشام؛ انظر: معجم البلدان: ٢/٥٨.

وله قواعد وأجوبة فى الفقه كثيرة جدًا؛ منها :

● قاعدة فى الجمعة؛ هل يشترط لها الاستيطان؟

● وقاعدة فى المسح على الخفين، وهل يجوز على المقطوع؟

● وقاعدة فى حَلْق الرأس، هل يجوز فى غير النسك لغير عذر؟

● وقواعد فى الاستجمار، وفى الأرض، هل تطهر بالشمس والريح؟

● وقواعد فى نواقض الوضوء، وفى المحرمات فى النكاح.

● وقاعدة فى الجد، هل يجبر البِكر على النكاح؟ وفى الاستئذان من الأب، هل يجب؟

وجواب فى المظالم المشتركة وأحكامها.

وجواب فى[1] أهل البدع، هل يصلى خلفهم؟

ومسائل وأجوبتها فى قتال التتار الذين قدموا مع قازان وغيره، وفى قتال أهل التينات[2] من النصارى، ونصارى ملطية، وقتال الأحلاف والمحاربين، نحو مجلد.

● وقاعدة فى قوله ﷺ : «**استحللتم فروجهن بكلمة الله**»[3].

● وقاعدة فى العِيْنَة والتورُّق، ونحوهما من البياعات[4].

---

(١) فى (ك) : عن.

(٢) كذا فى (ص)، وفى (ك) غير معجمة، وقرئت فى (ط) : البيعات، والمقصود بالتينات. مدينة ساحلية على البحر المتوسط بلبنان، تجهز منها المراكب بالخشب إلى الديار المصرية، واسمها كأنه جمع «تينة» من الفواكه؛ انظر: معجم البلدان: ٢/٦٨.

(٣) ورد هذا الحديث فى: مسلم: ٢/٨٨٧ (كتاب الحج. باب حجة النبى ﷺ)؛ الإمام أحمد فى مسنده: ٥/٧٣؛ أبى داود: ٢/١٨٥ (كتاب المناسك (الحج). باب صفة حجة النبى ﷺ)؛ ابن ماجه: ٢/١٠٢٥ (كتاب المناسك . باب حجة رسول الله ﷺ).

(٤) فى (ص): البتاعات.

● وقاعدة فى القراءة خلف الإمام.

● وقاعدة فى قوله ﷺ : «**من بَكَّر**[1] **وابتكر، وغسَّل واغتسل**».

وأجوبة فى الصلوات المبتدعة؛ كصلاة الرغائب، ونصف شعبان ونحو ذلك.

وأجوبة فى النهى عن أعياد النصارى، وعما يفعل من البدع يوم عاشوراء، نحو مجلد.

وله مسألة فى أن الجد يسقط الإخوة؟

● وقاعدة فى توريث ذوى الأرحام.

ومسألة فى بيع المسْلَم فيه قبل قبضه، هل يجوز؟

وله أجوبة فى رؤية هلال ذى الحجة إذا رآه بعض الناس، ماحكمهم فى الأضحية؟ وفى قوله ﷺ : «**صومكم يوم تصومون**»،[2] وفيما إذا غُمَّ هلال رمضان ليلة الثلاثين، هل يجب الصوم أم لا؟

وجواب فى الإجارة، هل المعقود[3] عليه تهيؤ العين وصلاحيتها لنفع المستأجر؟ وهل ما يحدث فى العين على ملكه؟ وهل هى على وفق القياس؟

● وله قاعدة فى أن ما كان داعيًا إلى الفرقة والاختلاف يجب النهى عنه.

---

(١) من : ليست فى (ك)، والحديث ورد فى: الترمذى: ٢/٣ (أبواب الجمعة. باب فى فضل الغسل يوم الجمعة) وقال الترمذى: حديث حسن؛ أبى داود: ٩٥/١ (كتاب الطهارة. باب فى الغسل يوم الجمعة)؛ النسائى: ٩٥/٣ (كتاب الجمعة. فضل غسل الجمعة)؛ ابن ماجه: ٣٤٦/١ (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها. باب ما جاء فى الغسل يوم الجمعة).

(٢) ورد هذا الحديث فى: الترمذى: ١٠٢/٢ (أبواب الصوم. باب ما جاء أن الفطر يوم تفطرون والأضحى يوم تضحون) وقال الترمذى: «هذا الحديث غريب حسن، وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقال: إنما معنى هذا: الصوم والفطر مع الجماعة وعِظَم الناس».

(٣) فى (ص): العقود.

وجواب فى التسمية على الوضوء.

● وقاعدة فى سباق الخيل ورمى النشاب.

● وقاعدة وأجوبة فى النية فى الصلاة، وغير ذلك من العبادات.

وأجوبة فى صلاة بعض أصحاب المذاهب خلف بعض، وأنه جائز.

وجواب فيمن تَفَقَه على مذهب ثم يجد حديثاً صحيحاً بخلاف مذهبه.

وجواب فيمن يقول[1]: أنا مذهبى غير موافق للأربعة.

وجواب فيمن يقول: من لا شيخ له فشيخه الشيطان.

وجواب فى المخلوقة من ماء الزانى، هل له أن يتزوج بها؟

وجواب فى صلاة الركعتين جالسًا بعد الوتر.

وجواب فى القنوت فى الصبح والوتر.

[٩/ب] وجواب عن المرازقة[2] وما يفعلونه من/ أعمال؛ والرد عليهم فيما أخطأوا فيه.

● وقاعدة فى الحمام والاغتسال.

---

(١) فى (ص): من.

(٢) المرازقة : هم أتباع الشيخ عثمان بن مرزوق، ينتسب إلى مذهب أحمد، وهو من أصحاب الشيخ عبد الوهاب بن أبى الفرج الشيرازى، ومعظم المرازقة ينتسبون إلى مذهب الشافعى، ويحكى عنهم ابن تيمية أنهم يقولون أقوالاً لا أصل لها عند الشافعى ولا عند أحمد بل ولا عند سائر الأئمة؛ ومن أهم الآراء التى رد عليهم فيها شيخ الإسلام قولهم: «لا نقول بالقطع» فى أى شىء؛ فنقول نشهد أن محمداً رسول الله ولا نقطع، ونقول إن السماء فوقنا ولا نقطع، ويحتجون فى ذلك بأثر مكذوب على الإمام على بن أبى طالب أنه قال : «لاتقل قطعًا»، وأصل شبهتهم تعود إلى أن السلف كانوا يستثنون فى الإيمان فيقول أحدهم: أنا مؤمن ـ إن شاء الله، وإذا قيل لأحدهم لماذا لا تقطع؟ قال إن الله قادر على أن يغير هذه النفس، فيظن أنه إذا قال قطعًا أنه بذلك نفى قدرة الله تعالى على تغيير ما قطع به وهذا جهل؛ انظر رد ابن تيمية عليهم فى : مجموع الفتاوى ٧/ ٦٨٠ ـ ٦٨٦.

● وقاعدة فى الصلاة بين الأذانين يوم الجمعة.

وجواب فى قوله : «خير القبور[1] الدوارس».

وجواب فى نصرانية ماتت وفى بطنها ولد مسلم.

وجواب فى امرأة مسلمة ماتت، وفى بطنها إذ ذاك ولدٌ حَىٌّ متحرك.

وجواب مبسوط فى السجَّادة التى تفرش[2 فى المسجد قبل الجمعة، قبل مجىء المصلى.

وجواب[2 فى ساعة الجمعة، هل هى[3] مقدَّرة بالدَّرج؟

وله أجوبة فى الوقف فى مُنقطع الوسَط وغيره.

وله مسألة تسمى الواسطية[4].

وله إبطال الكيمياء.

ومسألة الشفاعة، ومسألة الشهادة بالاستفاضة.

ومسألة فى الإجازة على كتاب «المصابيح» للبغوى[5].

وأخرى على كتاب «المصابيح» - أيضًا.

---

(١) خير القبور؛ كذا فى جميع النسخ، وفى (ط) : خير القرون، وهو خطأ واضح.

(٢-٢) فى هامش (ص).

(٣) هى : ليست فى (ك). (٤) فى (ك): الواسطة.

(٥) هو الحسين بن مسعود بن محمد الفراء، أو ابن الفراء أبو محمد، ويلقب بمحيى السنة البغوى، فقيه محدث مفسر، نسبته إلى «بَغَا» من قرى خراسان، ولد سنة (٤٣٦هـ)، له مصنفات كثيرة منها: «شرح السنة»، و «التهذيب» فى فقه الشافعية، و«لباب التأويل فى معالم التنزيل» فى التفسير، و«مصابيح السنة» وغير ذلك، توفى - رحمه الله - بمرو سنة (٥١٠هـ)، وذكر المنذرى أن وفاته كانت سنة (٥١٦هـ)؛ انظر : تهذيب ابن عساكر: ٣٤٥/٤، وفيات الأعيان: ١٤٥/١، الأعلام: ٢٥٩/٢.

وله فى الأحاديث وشرحها شىء كثير جداً، منها ما بُيِّض، ومنها ما لم يبيض، ولو بيض لبلغ مجلدات عديدة.

وكتب كثيرًا من مسند الإمام أحمد وغيره على أبواب الفقه.

وله مختصر فى الكَلِم الطيِّب؛ جمع فيه الأذكار المستعملة طرَفى النهار، وغير ذلك.

وشرح حديث أبى ذَر، الذى أوله: «**ياعبادى إنى حَرَّمتُ الظلْمَ على نفسى**»[1].

وحديث «**الأعمال بالنيَّات**»[2].

وحديث «**بدأ الإسلام غريبًا**»[3].

وحديث «**لا يرثُ المسلم الكافر**»[4].

وحديث الدعاء الذى علمه النبى ﷺ لأبى بكر الصديق: «**اللهمَّ إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيرا**»[5].

---

(١) ورد هذا الحديث فى: مسلم: ١٩٩٤/٤ (كتاب البر والصلة والأداب. باب تحريم الظلم)، والإمام أحمد فى مسنده: ١٦٠/٥ (حديث أبى ذر الغفارى).

(٢) ورد هذا الحديث فى: البخارى: ٩/١ (كتاب بدء الوحى. باب إنما الأعمال بالنيات)؛ مسلم: ١٥١٥/٣ (كتاب الإمارة. باب بيان قوله ﷺ إنما الأعمال بالنية)، أبى داود: ٢٦٢/٢ (كتاب الطلاق. باب فيما عنى به الطلاق والنيات).

(٣) ورد هذا الحديث فى: مسلم ١٣٠/١ (كتاب الإيمان. باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً)، الإمام أحمد فى مسنده: ٢٩٦/٥، ابن ماجه: ١٣١٩/٢ـ ١٣٢٠ (كتاب الفتن. باب بدأ الإسلام غريباً).

(٤) ورد الحديث فى: مسند الإمام أحمد من حديث أسامة بن زيد ـ رضى الله عنهما: ٢٠١/٥، ٢٠٢، ٢٠٩.

(٥) ورد فى: البخارى: ١٥٤/٢٣ (كتاب الدعوات. باب الدعاء فى الصلاة)؛ مسلم: ٢٠٧٨/٤ (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب استحباب خفض الصوت بالذكر)؛ الترمذى: ٢٠١/٥ (أبواب الدعوات) وقال: هذا حديث حسن صحيح، ماجه: ٢/ [illegible] الدعاء . باب دعاء رسول الله ﷺ).

وحديث جبريل فى الإيمان والإسلام[١]، غير كتاب الإيمان المتقدم، فى مجلد لطيف.

وحديث «**لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن**»[٢]، شرحه مرات عديدة.

وحديث «**أنزل القرآن على سبعة أحرف**»[٣]، شرحه غير مرة.

وحديث النزول[٤] ، شرحه مرات.

وحديث الأولياء الذى رواه البخارى منفرداً به : «**من عادى لى وَلِيًا فقد بارزنى بالمحاربة**»[٥]، شرحه مرات، تارة يُسأل عن مجموعه، وتارة يُسأل عن التردد المذكور فيه.

وحديث حَكيم بن حزام «**أسلمْتَ على ما أسلفتَ من خير**»[٦].

وحديث ابن مسعود فى دَرء الهمّ[٧].

---

(١) ورد الحديث فى: البخارى: ١٩٢/١، ١٩٤ (كتاب الإيمان . باب سؤال جبريل النبى ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان)؛ مسلم: ٣٦/١ (كتاب الإيمان. باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان)؛ الترمذى: ١١٩/٤ (أبواب الإيمان. باب ما جاء فى وصف جبريل للنبى ﷺ الإيمان والإسلام)، وأبى داود: ٢٢٣/٤ (كتاب السنة. باب فى القدر).

(٢) ورد الحديث فى: مسلم: ٧٧/١ (كتاب الإيمان. باب نقصان الإيمان بالمعاصى ونفيه عمن تلبس بالمعصية)، وابن ماجه: ١٢٩٩/٢ (كتاب الفتن. باب النهى عن النهبة).

(٣) ورد فى: البخارى: ٢٧/١٩ (كتاب فضائل القرآن. باب أنزل القرآن على سبعة أحرف)؛ مسلم: ٥٦٠/١ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها. باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف)، الترمذى: ٢٦٣/٤، ٢٦٤ (أبواب القرآن. باب ما جاء أن القرآن أنزل على سبعة أحرف)، أبى داود: ٧٥/٢ (كتاب الصلاة. باب أنزل القرآن على سبعة أحرف).

(٤) ورد الحديث فى: البخارى: ٢٩/٣ (كتاب التهجد: باب الدعاء والصلاة من آخر الليل)؛ مسلم: ٥٢١/١ ـ ٥٢٣ (كتاب صلاة المسافرين ومقرها. باب الترغيب فى الدعاء والذكر فى آخر الليل والإجابة فيه)، أبى داود: ٤٧/٢ (كتاب الصلاة. باب أى الليل أفضل)، وانظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة: ص ١٣٣ ـ ط الأزهر ١٩٦٨م.

(٥) ورد الحديث فى: البخارى: ١٣٦/٢٤ (كتاب الرقاق. باب التواضع) ـ بشرح فتح البارى.

(٦) ورد الحديث فى : البخارى: ٢٠٥/٢٢ (كتاب الأدب. باب من وصل رحمه فى الشرك ثم أسلم)؛ مسلم: ١١٣/١ (كتاب الإيمان. باب بيان حكم عمل الكافر إذا أسلم بعده)، الإمام أحمد فى مسنده: ٤٠٢/٣.

(٧) ورد الحديث فى: مسند الإمام أحمد: ٣٩١/١ (مسند عبدالله بن مسعود رضي الله عنه).

وحديث معاذ وقول النبى ﷺ : «**لاتدعن دبر كل صلاة**»(١).

وحديث بَر يرة وقول النبى ﷺ لعائشة(٢) : «**اشترطى لهم الولاء**»(٣).

وحديث «**فَحَج آدمُ موسى**»، شرحه مرات(٤).

وحديث «**لايُضرب أحد**(٥) **فوق عشرة أسواط إلا فى حَدّ من حدود الله**»(٦).

[وحديث «**من جُعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين**»](٧).

وحديث «**اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم**»(٨).

---

(١) ورد الحديث فى: النسائى: ٥٣/٣ (كتاب السهو. باب الدعاء بعد الذكر) ؛ مسند الإمام أحمد: ٢٤٥/٥، ٢٤٧ (حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه).

(٢) لعائشة: ليست فى (ص).

(٣) ورد الحديث فى: البخارى: ٢٣٩/٩ (كتاب البيوع. باب إذا اشترط فى البيع شروطاً لا تحل)؛ مسلم: ١١٤٢/٢، ١١٤٣ (كتاب العتق. باب إنما الولاء لمن أعتق)، أبى داود: ٤/ ٢١ (كتاب العتق. باب فى بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة)، النسائى: ٢٤/٦ (كتاب الطلاق. باب خيار الأمة تعتق وزوجها مملوك)، الترمذى (مختصراً): ٢٩٦/٣ (أبواب الولاء والهبة. باب ما جاء أن الولاء لمن أعتق).

(٤) ورد الحدث فى: البخارى: ٥٠٥/١١ (كتاب القدر. باب تحاج آدم عند الله)؛ مسلم: ٢٠٤٢/٤، ٢٠٤٣ (كتاب القدر. باب حجاج آدم وموسى ـ عليهما السلام)، أبى داود: ٢٢٦/٤ (كتاب السنة. باب فى القدر)، الإمام أحمد فى مسنده: ٢٤٨/٢.

(٥) أحد : ليست فى (ك).

(٦) ورد الحديث فى: البخارى: ٣٢٨/٢٥ ـ ٣٣١ (كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة. باب التعزير والأدب)؛ مسلم: ١٣٣٢/٣، ١٣٣٣ (كتاب الحدود . باب قدر أسواط التعزير)، الإمام أحمد فى مسنده: ٤٥/٤، ابن ماجه: ٨٦٧/٢ (كتاب الحدود. باب التعزير).

(٧) ما بين الحاصرتين ليس فى (ك)، والحديث ورد فى : الترمذى: ٣٩٣/٢ (أبواب الأحكام. باب ما جاء عن رسول الله ﷺ فى القاضى) وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقد روى ـ أيضًا ـ من غير هذا الوجه عن أبى هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبى ﷺ؛ أبى داود: ٢٩٨/٣ (كتاب الأقضية. باب فى طلب القضاء)؛ الإمام أحمد: ٢٣٠/٢؛ ابن ماجه: ٧٧٤/٢ (كتاب الأحكام. باب ذكر القضاة).

(٨) ورد الحديث فى: مسلم: ٣٠٥/١ (كتاب الصلاة . باب الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد)، والترمذى: ٣٠١/١ (أبواب التطوع. باب ما جاء فى صفة الصلاة على النبى ﷺ) وقال: حديث حسن صحيح.

وشرح أحاديث كثيرة غير ما ذكر.

وشرح ماروى عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال «نِعْم العبد صُهَيْبٌ لو لم يَخفَ الله لم يَعْصَه»[1]، وتكلم على «لو».

وشرح قول على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لا يرجونَّ عبد إلا رَبَّه، ولا يخافنَّ إلا ذنبه».

وله أجوبه كثيرة فى أحاديث يسأل عنها من صحيح يشرحه، وضعيف يُبيِّن ضعفه، وباطل ينُبِّه على بطلانه.

وله من الأجوبة والقواعد شىء كثير، غير ماتقدم ذكره، يشق ضبطه وإحصاؤه، ويعسر حصره واستقصاؤه.

وسأجتهد - إن شاء الله تعالى[2] - فى ضبط مايمكننى من أسماء[3] مؤلفاته فى موضع آخر غير هذا.

وأُبَيِّن ماصنَّفه منها[4] بمصر، وماألَّفه منها بدمشق، وماجمعه وهو فى السجن، وأرتبه ترتيباً حسناً غير هذا الترتيب، بعون الله تعالى وقوته ومشيئته.

---

(١) قال السيوطى فى شرح نظم التلخيص : كثر سؤال الناس عن هذا الحديث، نسبه بعضهم إلى النبى ﷺ ونسبه ابن مالك فى شرح الكافية وغيره إلى عمر.
قال الشيخ بهاء الدين السبكى : لم أر هذا الكلام فى شىء من كتب الحديث لا مرفوعًا ولا موقوفًا لا عن عمر ولا عن غيره مع شدة التفحص عنه. انتهى؛ انظر : المقاصد الحسنة للسخاوى: ص ٤٤٩ حديث رقم ١٢٥٩، كشف الخفاء للعجلونى: ٢/٣٢٣ حديث رقم ٢٨٣١.

(٢) تعالى، ليست فى (ص).

(٣) فى (ك): ضبط.

(٤) منها: ليست فى (ص).

قال الشيخ أبو عبد الله[1]: لو أراد الشيخ تقى الدين - رحمه الله - أو غيره حصرها - يعنى مؤلفات الشيخ - لما قدروا[2]؛ لأنه مازال يكتب، وقد مَنَّ الله عليه بسرعة الكتابة، ويكتب من حفظه من غير نقل.

وأخبرنى غير واحد أنه كتب مجلداً لطيفاً فى يوم، (٣وكتب غير مرة أربعين ورقة فى جلسة وأكثر، وأحصيت ماكتبه٣) وبيضه فى يوم فكان ثمان كراريس فى مسألة من أشكل / المسائل، وكان يكتب على السؤال الواحد مجلداً. [١٠/أ]

وأما جواب يكتب فيه خمسين ورقة، وستين، وأربعين، وعشرين، فكثير، ويكتب الجواب فإن حضر من يُبَيِّضه، وإلا أخذ السائل خَطَّه وذهب.

ويكتب قواعد كثيرة فى فنون من العلم: فى الأصول، والفروع، والتفسير، وغير ذلك، فإن وجد من ينقله من خطه، وإلا لم يشتهر، ولم يعرف، وربما أخذه بعض أصحابه، فلا يُقدَر على نقله، ولا يَرُدّه إليه فيذهب.

كان[4] كثيراً مايقول: قد كتبت فى كذا، وفى كذا.

ويُسألُ عن الشىء فيقول: قد كتبت فى هذا، فلا يدرى أين هو، فيلتفت إلى

(١) هو الشيخ ابن رشيق - تلميذ ابن تيمية، وقد سبقت ترجمته فى ص ٩٠.
(٢) فى (ص): لما قدر.
(٣ - ٣) بهامش (ص).
(٤) فى (ط): وكان، وهى ليست فى ك.

أصحابه، ويقول: ردُّوا خَطِّى وأظهروه ليُنقل، فمِن حرصهم عليه لايردونه، ومن عجزهم لاينقلونه[1]، فيذهب ولا يعرف اسمه [2] ولا أين هو[2].

فلهذه الأسباب وغيرها تعذَّر إحصاء ماكتبه وماصنفه.

وماكفى هذا؛ إلا أنه لما حُبس تَفَرَّق [3] أتباعه، وتفرقت كتبه، وخَوَّفُوا أصحابه من أن يظهروا كتبه، ذهب كل أحد بما عنده وأخفاه، ولم يظهروا كتبه، فبقى هذا يهرب بما عنده، وهذا يبيعه، أو يَهبُهُ[4]؛ وهذا يخفيه ويودعه، حتى إن منهم من تُسرق كتبه أو تُجْحد، فلا يستطيع أن يطلبها، ولا يقدر على تخليصها؛ فبدون هذا تتمزق الكتب والتصانيف؛ ولولا أن الله تعالى لطف وأعان ومنَّ وأنعم، وخرق[5] العادة فى حفظ أعيان كتبه وتصانيفه، لما أمكن أحد[6] أن يجمعها.

ولقد رأيت من خرق العادة فى حفظ كتبه وجمعها، وإصلاح مافسد منها، وردٍّ ماذهب منها، ما لو ذكرته لكان عجبًا، يعلم به كل مُنصفٍ أن لله عناية به وبكلامه، لأنه يَذُبُّ عن سنة نبيه ﷺ تَحْرِيفَ الغالِين، وانْتحال المُبْطلين، وتأويل الجاهلين.

قلت: ومن مؤلفاته أيضا:

- قاعدة فى تقرير النبوات بالعقل والنقل.
- وقاعدة فى تبديل السيئات حسنات.

---

(١) فى (ك): نقله.
(٢ - ٢) ليست فى (ك)، (ط). والمثبت من (ص).
(٣) فى (ص): وتفرق.
(٤) أو يَهَبهُ: ليست فى (ص).
(٥) فى (ك): وجرت.
(٦) فى (ط): لأحد.

- وقاعدة فى إبطال[1] المجردات.

- وقاعدة فى المتشابهات.

- وقاعدة فى إثبات الرؤية، والرد على نُفاتها.

- وقاعدة فى وجوب تقديم محبة الله تعالى ورسوله على النفس والمال والأهل.

- وقاعدة فى لفظ «الجسم» واختلاف الناس واصطلاحاتهم فى هذا الاسم.

- وقاعدة فى تحريم الحشيشة، وبيان حكم آكلها، وَماذا يجب عليه؟

- وقاعدة فى الرد على من قال بفناء الجنة والنار.

وله الحموية الكبرى، والحموية الصغرى.

(١) فى إبطال: ليست فى (ص).

[العقيدة الحموية]

فأما الحموية الكبرى فأملاها بين[1] الظهر والعصر، وهى جواب عن سؤال ورد من حُماة، سنة ثمان وتسعين وستمائة، وجرى بسبب تأليفها أمور ومحن، وتكلم الشيخ فيها على آيات الصفات والأحاديث الواردة فى ذلك، وقال[2] فى مقدمتها، وهى عظيمة جدًا:

«قولنا فيها: ماقاله الله ورسوله والسابقون الأولون، من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وماقاله أئمة الهدى من[3] بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهذا هو الواجب على جميع الخلق فى هذا الباب وفى غيره.

فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالهُدى ودين الحق، ليُخْرِجَ الناسَ من الظلمات إلى النور بإذْن / ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه [١٠/ب] داعياً إليه بإذنه وسراجًا منيراً، وأمره أن يقولَ: ﴿**هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[4].

ومن المحال فى العقل والدين: أن يكون السراج المنير، الذى أخرج الله[5] به الناس من الظلمات إلى النور، وأنزل معه الكتاب بالحقِّ ليَحْكم بين الناس فيما اختلفوا فيه؛ وأمر الناسَ أن يَرُدُّوا ماتنازعوا فيه من أمر دينهم إلى مابُعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله، وإلى سبيله بإذْنه على بصيرة، وقد أخبر الله بأنه[6] أكمل له ولأمته دينهم، وأتمَّ عليهم نعمته.

---

(١) فى (ص): مابين، والرسالة التى يشير إليها المؤلف هى العقيدة الحموية، وقد طبعت عدة طبعات مستقلة، كما طبعت ضمن مجموع الفتاوى الكبرى بالرياض.

(٢) كتب بهامش (ك) عبارة: قف كلام الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى آخره.

(٣) من: ليست فى (ص).

(٤) يوسف: (١٠٨).

(٥) لفظ الجلالة: ليس فى (ص)، وكتب بين السطرين فى (ك).

(٦) فى (ك): أنه.

[الرسول بَيَّن أصول الدين] :

محال مع هذا وغيره، أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله، والعلم به مُلتبسًا مُشْتَبِهاً، ولم يُمَيِّز مايجب لله من الأسماء الحسنى، والصفات العُلَى، وما يجوز عليه، وما يمتنع عليه؛ فإن معرفة هذا أصلُ الدين، وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب، وحصَّلته النفوس، وأدركته العقول.

فكيف يكون ذلك الكتاب، وذلك الرسول، وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يُحْكِمُوا هذا الباب اعتقاداً وقولا؟!

ومن المحال ـ أيضًا ـ أن يكون النبى ﷺ قد علَّمَ أمته كل شىء، حتى الخراءة[1].

وقال: «تركتكم على المحَجَّة البيضاء، ليلُهَا كنهارها لايزيغ عنها بعدى إلا هالك»[2].

وقال فيما صح عنه ـ أيضًا: «مابعث الله من نبى إلا كان حقًا عليه أن يَدُلَّ أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم»[3].

وقال أبو ذرّ: «لقد تُوُفِّى رسول الله ﷺ وماطائر يُقَلِّب جَناحيه فى السماء؛ إلا ذكرنا منه علمًا»[4].

---

(١) ورد الحديث فى: مسلم: ١/٢٢٣ (كتاب الطهارة. باب الاستطابة)، الترمذى: ١/١٣ (كتاب الطهارة. باب الاستنجاء بالحجارة)، أبى داود: ١/٣ (كتاب الطهارة. باب كراهية استقبال القبلة عند قضاء الحاجة)، النسائى: ١/٣٨ (كتاب الطهارة. باب النهى عن الاكتفاء فى الاستطابة بأقل من ثلاثة أحجار)، ابن ماجه: ١/١١٥ (كتاب الطهارة. باب الاستنجاء بالحجارة والنهى عن الروث والرمة).

(٢) ورد الحديث فى: مسند الإمام أحمد: ٤/١٢٦ حديث رقم ١٦٦٩٢ ـ ط دار إحياء التراث العربى بيروت، وابن ماجة: ١/١٦ حديث رقم ٢٣ (المقدمة ـ باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين).

(٣) ورد الحديث فى: مسلم: ٣/١٤٧٣ (كتاب الإمارة. باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول)؛ ابن ماجه: ٢/١٣٠٦ (كتاب الفتن. باب مايكون من الفتن)، النسائى: ٧/١٥٣ (كتاب البيعة. باب البيعة فيما يستطيع الإنسان).

(٤) ورد الحديث فى: مسند الإمام أحمد بألفاظ مختلفة: حديث رقم ٢١٢٥٨، وحديث رقم ٢١٣٣ ـ ط دار الحديث؛ قال عنه الشيخ أحمد شاكر: «إسناده ضعيف لجهالة الراوى عن أبى ذر؛ ولكنه محمول على أنه صحيح لأن الثقة إذا حدّث عن كثيرين فهو متصل»، وأخرجه الطيالسى: ٦٥ رقم ٤٧٩، والطبرانى فى الكبير: ٢/١٥٥ رقم ١٦٤٧، والبزار: ١/٥٨٨ رقم ١٤٧، وابن حبان: ١/٦٧ رقم ٦٥.

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه: «قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا فذكر بَدْء الخلق، حتى دخل أهلُ الجنة منازلهم، وأهلُ النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه» ـ رواه البخارى[1].

محال مع هذا، ومع تعليمهم كل شىء لهم فيه منفعة فى الدين، وإن دَقَّ؛ أن يترك تعليمهم مايقولونه بألسنتهم، ويعتقدونه بقلوبهم فى ربهم ومعبودهم رب العالمين، الذى معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب، بل هذا خلاصة الدعوة النبوية، وزبدة الرسالة الإلهية. فكيف يتوَّهم من فى قلبه أدنى مسْكة من إيمان وحكمة، أن لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من الرسول على غاية التمام؟!

ثم إذا كان قد وقع ذلك منه، فمن المحال أن يكون خَيْرُ أمته، وأفضل قرونها قصَّروا فى هذا الباب، زائدين فيه، أو ناقصين عنه[2].

ثم من المحال ـ أيضًا ـ أن تكون القرون الفاضلة؛ القرن الذى بُعث فيهم رسول الله ﷺ، ثم الذين يلونهم[3]، ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين[4] به، وغير قائلين فى هذا الباب بالحق المبين؛ لأن ضدَّ ذلك؛ إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق، وقول خلاف الصدق؛ وكلاهما ممتنع.

أما الأول، فلأن مَنْ فى قلبه أدنى حياة وطلب للعلم، ونَهْمة فى العبادة يكون البحثُ عن هذا الباب، والسؤال عنه، ومعرفة الحق فيه، أكبرَ مقاصده، وأعظم

---

(١) ورد الحديث فى: البخارى: ٦/٢٨٦ (كتاب بدء الخلق. باب ماجاء فى قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾).

(٢) عنه: ليست فى (ص).

(٣) ثم الذين يلونهم: ليست فى (ص).

(٤) كتب بهامش ك: لعله العاملين.

مطالبه، وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوقَ منها إلى معرفة هذا الأمر، وهذا أمر معلوم بالفطرة الوجدية[1].

[١١/أ] فكيف يتصور ـ مع قيام / هذا المقتضى، الذى هو من أقوى المقتضيات ـ أن يتخلَّف عنه مقتضاه لأولئك السادة فى مجموع عصرهم؟ هذا لا يكاد يقع فى أبْلَد الخلق، وأشدهم إعراضاً عن الله، وأعظمهم إكبابًا على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله، فكيف يقع فى أولئك؟

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه؛ فهذا لايعتقده مسلم ولاعاقل عرف حال القوم.

ثم الكلام فى هذا الباب عنهم، أكثر من أن يمكن أن يُسَطَّرَ فى هذه[2] الفتيا أو أضعافها، يَعرِف ذلك من طلبه وتتبعه.

ولا يجوز ـ أيضًا ـ أن يكون الخالفون أعلَم من السالفين، كما قد يقوله بعض الأغبياء، ممن لم يُقدر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها؛ من أنَّ طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم.

فإن هؤلاء المبتدعة الذين يُفضّلون[3] طريقة الخلف من المتفلسفة، ومن حذا حذوهم[3] على طريقة السلف، إنما أُتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هى مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث، من غير فقه لذلك، بمنزلة الأمِّيِّين الذين قال الله فيهم: ﴿ **وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ** ﴾[4]، وأن طريقة الخلَف هى استخراج معانى النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات، وغرائب اللغات.

(١) كتب بهامش ك: لعله الوجدانية.
(٢) فى (ك): فى هذا.
(٣-٣) ليس فى (ص)، وكتبه الناسخ فى هامش ك.
(٤) البقرة: (٧٨).

فهذا الظن الفاسد، أوجب تلك المقالة التى مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر.

وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلوا فى تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف فى الكذب عليهم؛ وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف.

وسبب ذلك: اعتقادهم أنه ليس [لله][1] فى نفس الأمر صفة دلّت عليها هذه النصوص، بالشبهات الفاسدة، التى شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين.

فلمَّا اعتقدوا انتفاء الصفات فى نفس الأمر؟ وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ، وتفويض المعنى، وهى التى يسمونها «طريقة السلف»، وبين صرف اللفظ إلى [معانٍ أخرى][2] بنوع تَكَلُّف، وهى التى يسمونها «طريقة الخلف»، فصار هذا الباطل مركبًا من فساد العقل، والكفر بالسمع.

فإن النفى إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية، ظنوها بَيِّنات، وهى شُبهات، والسمع حَرَّفوا فيه الكَلِم عن مواضعه.

فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكاذبتين الكفريتين؛ كانت النتيجة[3] استجهال السابقين الأولين واستبلاههم، واعتقاد أنهم كانوا قوماً[4] أُمِّيين، بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا فى حقائق العلم بالله، ولم يتفَطَّنوا لدقيق العلم الإلهى، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق فى هذا كله.

---

(١) لفظ الجلالة ليس فى الأصل المخطوط وأضيف لحاجة المعنى إليه من (ط).
(٢) ما بين المعقوفتين ليس فى الأصل المخطوط، والمثبت من (ط).
(٣) فى هامش (ص) كتب الناسخ: نتيجته.
(٤) فى (ط): كانوا أميين.

[أئمة المتكلمين رجعوا إلى منهج السلف] :

وهذا القول إذا تدبره الإنسان، وجده فى غاية الجهالة، بل فى غاية الضلالة. كيف يكون هؤلاء المتأخرون، لاسيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر فى الدين اضطرابهم، وغَلُظ عن معرفة الله حجابهم، وأخبر الواقف على نهايات[1] إقدامهم بما انتهى [إليه[2]] من مرامهم، حيث يقول :

لعمرى، لقد طُفتُ المعاهد كلها * وسَيَّرت طَرْفى بين تلك المعالم

فلم أرَ إلا واضعًا كفَّ حائر * على ذقن، أو قارعاً سِنَّ نادم[3]

وأقروا على أنفسهم بما قالوه، متمثلين به أو منشئين له، فيما[4] صنّفوه من كتبهم، كقول بعض رؤسائهم:

[١١/ب] نهاية / إقدام العقول عِقال * وأكثر سَعْى العالمين ضلال

وأرواحنا فى وَحْشة من جسومنا * وحاصل دُنيانا أذًى ووبال

ولم نستفد من[5] بحثنا طول عمرنا * سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا[6]

---

(١) فى (ك): نهاية.

(٢) إليه: ليست فى (ك).

(٣) ذكر ذلك الشهرستانى فى نهاية الإقدام فى علم الكلام: ص٣، وراجع: ص ٢٠٠، ٢٠١ من نفس الكتاب بتحقيق الفريد جيوم ـ سنة ١٩٣٤م.

(٤) فى (ص): فما.

(٥) فى (ص): فى.

(٦) كثيرٌ مايذكر شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الأبيات وغيرها لأئمة المتكلمين؛ دليلاً على ندمهم الكبير بسبب إعراضهم عن منهج السلف فى الإلهيات، وقد ذكر ابن القيم فى كتابه «اجتماع الجيوش الإسلامية»: ص ١٢١؛ أن الرازى قد ذكر هذه الأبيات فى كتابه أقسام اللذات، وذكر الزركانى فى رسالته عن الرازى ـ بكلية دار العلوم ـ أن هذا الكتاب مخطوط بالهند؛ راجع فى ذلك: «درء تعارض العقل والنقل» لابن تيمية: ٣/١، وكتابنا قضية الألوهية بين الدين والفلسفة: ص ٨٩ – ٩٠.

لقد تأملت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفى عليلاً، ولا تُروى غليلاً، ورأيت أقرب الطرق: طريقة القرآن. اقرأ فى الإثبات: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[1]، ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[2]، واقرأ فى النفى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[3]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[4]؛ قال: ومن جَرَّب مثل تجربتى عرف مثل معرفتى.

ويقول الآخر منهم : لقد خُضت البحر الخِضَمَّ، وتركت أهل الإسلام وعلومهم، وخُضت فى[5] الذى نَهونى عنه. والآن إن لم يتداركنى ربى برحمته فالويل لفلان، وهاأنا أموت على عقيدة أمى[6].

ويقول الآخر منهم: أكثر الناس شكاً عند الموت؛ أصحاب الكلام[7].

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حُقِّق الأمر عليهم[8]، لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله، وخالص المعرفة به خبر، ولم يقعوا من ذلك على عينٍ ولا أثر.

كيف يكون هؤلاء المحجوبون المنقوصون المسبوقون المفضولون الحيارى المتَهَوِّكُون أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم فى باب ذاته وآياته، من السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل، وأعلام الهدَى، ومصابيح الدُّجَى، الذين بهم قام الكتاب، وبه قاموا،

---

(١) فاطر: (١٠).
(٢) طه: (٥).
(٣) الشورى: (١١).
(٤) طه: (١١٠).
(٥) فى: ليست فى (ص).
(٦) راجع العقيدة النظامية للجوينى: ص ٢٠-٢١؛ رواية أبى بكر بن العربى - تحقيق محمد زاهد الكوثرى.
(٧) صاحب هذا القول حجة الإسلام الغزالى؛ راجع موقفه من علم الكلام وأهله فى كتابه «المنقذ من الضلال»، وكتابه «إلجام العوام عن علم الكلام».
(٨) فى (ص): حقق عليهم الأمر.

الذين وهبهم الله من العلم والحكمة، مابَرزوا به على سائر أتباع الأنبياء، فضلاً عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف، وبواطن الحقائق بما لو جُمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيى مَنْ يطلب المقابلة.

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص فى العلم والحكمة، لاسيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته، من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟!

أم كيف يكون أفراخ الفلاسفة، وأتباع الهند واليونان،(١ وورثة المجوس والمشركين١)، وضُلَّال اليهود والنصارى، والصابئين وأشكالهم وأشباههم، أعلمَ بالله من ورثة الأنبياء، وأهل القرآن والإيمان؟!

وإنما قدّمت هذه المقدمة؛ لأن من استقرَّت عنده هذه المقدمة علم طريق الهدى، أين هو فى هذا الباب وغيره، وعلم أن الضلال والتهوُّك إنما استولى على كثير من المتأخرين بنبذهم كتاب الله وراء ظهورهم، وإعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ من البيِّنات والهدى، وتَرْكهم البحث عن طريق السابقين والتابعين، والتِماسهم علم معرفة الله ممن لم يعرف الله بإقراره على نفسه، وبشهادة[٢] الأمة على ذلك، وبدلالات كثيرة.

[الكتاب والسنة على الإثبات المفصَّل] :

وليس غرضى واحداً معيناً، وإنما أصف نوع هؤلاء ونوع هؤلاء[٣]. وإذا كان كذلك؛ فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسول الله ﷺ، من أولها إلى

(١-١) فى (ك): ورثة المجوس والمشركين، وفى ص: وورثة المجوس المشركين.
(٢) فى (ص): وشهادة.
(٣) ونوع هؤلاء: ليست فى (ص).

آخرها، ثم عامَّة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة[١]؛ مملوء بما هو إما نَصٌّ، وإما ظاهر فى أن الله سبحانه وتعالى[٢] هو العليُّ الأعلى، وهو فوق كل شىء، وهو عال على كلّ شىء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء؛ مثل قوله: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾[٣]، ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾[٤]، ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ / فَإِذَا هِيَ تَمُورُ (١٦) أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾[٥]، ﴿ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[٦]، ﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾[٧]، ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾[٨]، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾[٩]، ﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾[١٠]ـ [١١]فى ستة مواضع[١١]، ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾[١٢]، [١٣]﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ (٣٦) أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾[١٣]، ﴿ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[١٤]، ﴿ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ ﴾[١٥]؛ إلى أمثال ذلك مما لايكاد يُحصَى إلا بكلفة.

[١٢/أ]

وفى الأحاديث الصحاح والحسان مالا [يكاد][١٦] يحصى إلا بكلفة، مثل قصة

---

(١) فى (ص): الأمة.
(٢) فى (ص): فى أن الله هو العلى الأعلى.
(٣) فاطر: (١٠).
(٤) آل عمران: (٥٥).
(٥) الملك: (١٦ - ١٧).
(٦) النساء: (١٥٨).
(٧) المعارج: (٤).
(٨) السجدة: (٥).
(٩) النحل: (٥٠).
(١٠) الفرقان: (٥٩).
(١١-١١) ليست فى (ص).
(١٢) طه: (٥).
(١٣-١٣) ليست فى (ص)، والآيتان فى سورة غافر: رقم (٣٦، ٣٧).
(١٤) فصلت: (٤٢).
(١٥) الأنعام: (١١٤).
(١٦) فى (ك): مالا يحصى.

معراج الرسول ﷺ[1] إلى ربه، ونزول الملائكة من عند الله وصعودها إليه، وقوله فى الملائكة: «الذين يتعاقبون فيكم بالليل والنهار فيعرج الذين باتوا فيكم إلى ربهم، فيسألهم وهو أعلم بهم»[2].

وفى الصحيح من حديث الخوارج: «ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء؟ يأتينى خبر السماء صباحًا ومساء»[3].

وفى حديث الرُّقْيَة الذى رواه أبو داود وغيره «ربَّنا الذى فى السماء، تقدَّس اسمُك، أمْرُك فى السماء والأرض، كما رَحْمَتُكَ فى السماء، اجعل رحمتك فى الأرض، اغفر لنا حُوبَنا وخَطايانا، أنت ربُّ الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع[4]»، فَيَبْرَأ[5]، قال ﷺ: «إذا اشتكى أحد منكم، أو اشتكى أخ له فليقل: ربنا الذى فى السماء»[6] و ذكره.

وفى حديث الأوعال: «والعرش فوق ذلك، والله فوق عرشه، وهو يعلم ما أنتم عليه» ـ رواه أحمد وأبو داود وغيرهما[7].

---

(١) ﷺ: ليست فى (ك).

(٢) ورد هذا الحديث فى: البخارى: ٢/٣٣ (كتاب مواقيت الصلاة. باب فضل صلاة العصر)، ومسلم: ٤٣٩/١ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب فضل صلاتى الصبح والعصر..)، والنسائى: ١/ ٢٤٠ (كتاب الصلاة. باب فضل صلاة الجماعة)، والإمام أحمد فى مسنده: ٢٥٧/٢ (مسند أبى هريرة ـ رضى الله عنه).

(٣) ورد حديث الخوارج فى: البخارى: ١١٧/١٣ (كتاب الأنبياء. باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾)؛ ومسلم: ٧/١٦٢-١٦٣ (كتاب الزكاة. باب ذكر الخوارج وصفاتهم)، ولكن اللفظ المذكور رواه الإمام أحمد فى مسنده: ٤/٣ (مسند أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه).

(٤) ورد الحديث فى: أبى داود: ١٢/٤ حديث رقم ٣٨٩٢ ـ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت (كتاب الطب. باب كيف الرقى)، ومسند الإمام أحمد: ٢١/٦ (حديث فضالة بن عبيد الأنصارى).

(٥) فيبرأ: ليست فى (ك).

(٦) ورد هذا الحديث فى: أبى داود: ٢٣١/٤ (كتاب السنة. باب فى الجهمية) بلفظ قريب.

(٧) ورد هذا الحديث فى: الترمذى: ٩٧/٥ (تفسير سورة الحاقة) وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب؛ وأبى داود: ٢٣١/٤ (كتاب السنة. باب فى الجهمية)، وابن ماجه: ٦٩/١ (المقدمة. باب فيما أنكرت الجهمية)، والإمام أحمد فى مسنده: ٢٠٦/١ من حديث العباس بن عبد المطلب ـ رضى الله عنه. ومعنى الأوعال: الأشراف، والمقصود هنا: الملائكة المقربون.

وقوله فى الحديث الصحيح للجارية: «أين الله؟ قالت: فى السماء، قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله: قال: اعتقها فإنها مؤمنة»[1].

وقوله فى الحديث الصحيح: «إن الله لما خلق الخلق، كتب فى كتاب فهو موضوع عنده فوق العرش: إنّ رحمتى سبقت غضبى»[2].

وقوله فى حديث قبض الروح: «حتى يعرج بها إلى السماء التى فيها الله عز وجل»[3].

وقول عبد الله بن رواحة الذى أنشده للنبى ﷺ وأقره عليه:

شهدت بأن وعد الله حق * وأن النار مثوى الكافرين

وأن العرش فوق الماء طاف * وفوق العرش ربُّ العالمين[4]

وقول أمية بن أبى الصلّت، الذى أنشد للنبى ﷺ هو وغيره من شعره، فاستحسنه وقال «آمن شعره وكفر قلبه»:

مَجِّدوا الله، فهو للمجد أهل * رُبّنا فى السماء أمسى كبيرا

بالبناء الأعلى الذى سبق النـ * ـاس، وسَوَّى فوق السماء سريرا

---

(١) ورد الحديث فى: مسلم: ٣٨٢/١ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب تحريم الكلام فى الصلاة ونسخ ما كان من إباحة)، وأبى داود: ٢٤٥/١ (كتاب الصلاة باب تشميت العاطس فى الصلاة)، مسند الإمام أحمد: ٤٤٧/٥ (حديث معاوية بن الحكم ـ رضى الله عنه).

(٢) ورد الحديث فى: البخارى: ٢٨٧/٦ (كتاب بدء الخلق. باب ماجاء فى قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾)، ومسلم: ٢١٠٧/٤ (كتاب التوبة. باب فى سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه)، وابن ماجه: ١٤٣٥/٢ (كتاب الزهد. باب مايرجى من رحمة الله يوم القيامة).

(٣) فى (ص): به، والحديث ورد فى: ابن ماجه: ١٤٢٣/٢ حديث رقم ٤٢٦٢ (كتاب الزهد. باب ذكر الموت والاستعداد له)، والإمام أحمد فى مسنده: ٢٠٢/٧ حديث رقم ٢٤٥٦٦.

(٤) انظر: ديوان عبد الله بن رواحة - رضى الله عنه - دراسة فى سيرته وشعره للدكتور وليد القصاب: ص ١٦٥ - ط دار الضياء بالأردن سنة ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨م، والأبيات من بحر الوافر من مجموع ثلاثة أبيات.

شَـرْجَعًا ماينالـه بصــر الـ * ـعـين ترى دونـه المـلائك صــورا[1]

وقوله فى الحديث الذى فى السنن: «إن الله حَيِىٌّ كريم يستحيى من عبده إذا رفع يديه إليه، أن يردهما صِفْراً»[2].

وقوله فى الحديث: «يمد يديه إلى السماء: ياربِّ، ياربِّ»[3].

إلى أمثال ذلك مما لايحصيه إلا الله، مما هو من أبلغ المتواترات[4] اللفظية والمعنوية، التى تورث علماً يقينياً من أبلغ العلوم الضرورية: أن الرسول المبلِّغ عن الله ألقى إلى أمته المدعُوِّين: أن الله سبحانه على العرش، وأنه فوق السماء، كما فطر الله[5] على ذلك جميع الأمم، عربَهم وعجمهم، فى الجاهلية والإسلام، إلا من اجتالته الشياطين عن فطرته.

[١/ب] ثم عن السلف فى ذلك من الأقوال / ما لو جمع لبلغ مئين وألوفًا.

ثم ليس فى كتاب الله، ولا فى سنة رسول الله ﷺ، ولا عن أحد من سلف الأمة، لا من[6] الصحابة، ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا

---

(١) فى (ص): أنشده، والأبيات من بحر الخفيف؛ وهى فى تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة: ص ١٨٣، ومعنى الشرجع: السرير الطويل الذى لا حروف لنواحيه؛ أى الممتد فلا يحده حد؛ انظر: لسان العرب (شرجع)، وصور: جمع أصور وهو المائل العنق لثقل حمله؛ انظر: لسان العرب (صور)، وورد الحديث بألفاظ قريبة فى: مسلم: ١٧٦٧/٤ (كتاب الشعر) من حديث عمرو بن الشريد عن أبيه بلفظ: «فلقد كاد يسلم فى شعره»، والإمام أحمد: ٣٨٨/٤، ٣٨٩ ـ ط دار الفكر العربى، وابن ماجه: ١٢٣٦/٢ (كتاب الأدب. باب الشعر).

(٢) ورد الحديث فى: أبى داود: ٧٨/٢ حديث رقم ١٤٨٨ (كتاب الصلاة. باب الدعاء)، وابن ماجه: ١٢٧١/٢ حديث رقم ٣٨٦٥ (كتاب الدعاء. باب رفع اليدين فى الدعاء).

(٣) ورد الحديث فى: مسلم: ٧٠٣/٢ (كتاب الزكاة. باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها)، والإمام أحمد: ٣٢٨/٢؛ والترمذى: ٢٨٨/٤ (أبواب تفسير القرآن) ؛ وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٤) فى (ك): التواترات.

(٥) لفظ الجلالة: ليس فى (ص).

(٦) فى (ص): ولا من.

زمن الأهواء والاختلاف؛ حرف واحد[1] يخالف ذلك، لانصاً ولا ظاهراً، ولم يقل أحد منهم قط: إن الله ليس فى السماء، ولا أنه ليس على العرش، ولاأنه بذاته فى كل مكان، ولا أن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولاأنه لا داخل العالم ولاخارجه، ولا متصل ولا منفصل، ولا أنه لاتجوز إليه الإشارة الحسية[2]، الأصابع، ونحوها.

بل قد ثبت فى الصحيح عن جابر بن عبد الله «أن النبى ﷺ لما خطب خطبته العظيمة يوم عرفات، فى أعظم مجمع حضره رسول الله ﷺ جعل يقول: ألا هل بَلَّغت؟ فيقولون: نعم. فيرفع إصبعه إلى السماء وينكُتُها إليهم، ويقول: اللهم اشهد» غير مرة[3]. وأمثال ذلك كثير.

فإن كان الحق[4] مايقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة بالكتاب[5] والسنة من هذه العبارات ونحوها، دون ما يفهم من الكتاب والسنة، إما نصًا وإما ظاهرًا، فكيف يجوز على الله تعالى، ثم على رسوله ﷺ، ثم على خير الأمة؛ أنهم يتكلمون دائمًا بما هو إما نص أو ظاهر فى خلاف الحق؟! ثم الحق الذى يجب اعتقاده لايبوحون به قط، ولا يدلون عليه، لانصًا ولا ظاهرًا، حتى تجىء أنباط الفرس والروم، وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة، يُبينون للأمة العقيدة الصحيحة، التى يجب على كل مكلف، أو كل فاضل أن يعتقدها؟!

---

(١) فى (ك): حرفاً واحداً.

(٢) كتب الناسخ بهامش (ك): الأصابع ونحوها.

(٣) ورد الحديث فى البخارى: ١/٣٠٣، ٣٠٤ (كتاب العلم. باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب)؛ مسلم: ٣/١٣٠٥، ١٣٠٦ (كتاب القسامة. باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال)؛ ابن ماجه: ٢/١٢٩٧ (كتاب الفتن. باب حرمة دم المؤمن وماله).

(٤) الحق: ليس فى (ص).

(٥) فى (ص): فى الكتاب.

لئن كان الحق مايقوله هؤلاء المتكلمون المتكلفون، وهو الاعتقاد الواجب، وهم مع ذلك أحيلوا فى معرفته على مجرد عقولهم، وأن يدفعوا بمقتضى قياس عقولهم مادل عليه الكتاب والسنة نصًا أو ظاهرًا؛ لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سُنة أهدى لهم وأنفع - على هذا التقدير؛ بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضًا فى أصل الدين.

فإن حقيقة الأمر - على مايقوله هؤلاء: أنكم يامعشر العباد لاتطلبون معرفة الله ومايستحقهُ من الصفات، نفيًا وإثباتًا، لا من الكتاب، ولا من السنة، ولا من طريق سلف الأمة؛ ولكن انظروا أنتم، فما وجدتموه مستحقًا له من الصفات، فصفوه به، سواء كان موجوداً فى الكتاب والسنة أو لم يكن، ومالم تجدوه مستحقاً له فى عقولكم فلا تصفوه به.

ثم هم ههنا فريقان: أكثرهم يقولون: ما لم تثبته عقولكم فانفوه، ومنهم من يقول: بل توقّفوا فيه، وما نفاه قياس عقولكم الذى أنتم فيه مختلفون ومضطربون - اختلافًا أكثر من جميع اختلاف على وجه الأرض - فانفوه، وإليه عند التنازع فارجعوا، فإنه الحق الذى تعبدتكم به، وما كان مذكوراً فى الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم هذا، أو يثبت ما لم تدركه عقولكم على طريقة أكثرهم، فاعلموا أنى امتحنتكم بتنزيله، لا لتأخذوا الهدى منه، لكن لتجتهدوا فى تخريجه على شواذ اللغة، ووَحْشِىِّ الألفاظ، وغرائب الكلام، أو أن تسكتوا عنه مفوضين علمه إلى الله، مع نفى دلالته على شىء من الصفات.

هذه حقيقة الأمر على رأى هؤلاء المتكلمين، وهذا الكلام قد رأيته صرح بمعناه طائفة منهم، وهو لازم لجماعتهم لزومًا لامحيد عنه.

ومضمونه: أن كتاب الله لا يُهتدىَ به فى معرفة الله، وأن الرسول معزول عن

التعليم والإخبار بصفات من أرسله، وأن الناس عند التنازع لا يردون ما تنازعوا فيه إلى الله والرسول، بل إلى مثل ما كانوا عليه في الجاهلية، وإلى مثل ما يتحاكم إليه / من لا يؤمن بالأنبياء، كالبراهمة والفلاسفة، وهم المشركون [١٣/أ] والمجوس وبعض الصابئين، وإن كان هذا الردُّ لا يزيد الأمر إلا شدة ولا يرتفع الخلاف به، إذ لكل فريق طواغيت يريدون أن يتحاكموا إليهم، وقد أمروا أن يكفروا بهم.

وما أشبه حال هؤلاء المتكلفين بقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً (٦٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً (٦١) فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾[١].

فإن هؤلاء إذا دُعوا إلى ماأنزل الله من الكتاب وإلى الرسول - والدعاء إليه بعد وفاته هو الدعاء إلى سنته - أعرضوا عن ذلك وهم يقولون: إنا قصدنا الإحسان علماً وعملاً، بهذه الطريق التي سلكناها، والتوفيق بين الدلائل العقلية والنقلية.

ثم عامة هذه الشبهات التي يسمونها دلائل إنما تقلدوا أكثرها عن طاغوت من طواغيت المشركين والصابئين، أو بعض ورثتهم الذين أمروا أن يكفروا بهم

(١) النساء: (٦٠ - ٦٢).

مثل فلان وفلان، أو عمن قال كقولهم فى تشابه قلوبهم : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1]، ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾[2].

ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هُدًى للناس ولا بياناً، ولا شفاء لما فى الصدور، ولا نوراً، ولا مَرَدًّا عند التنازع؛ لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقول هؤلاء المتكلفون أنه الحق الذى يجب اعتقاده؛ لم يدل عليه الكتاب، ولا السنة، لا نصًّا[3] ولا ظاهراً، وإنما غاية المتحذلق[4] منهم أن يستنتج هذا من قوله تعالى: ﴿ لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[5]، ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾[6].

وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دلَّ الخلقَ على أن الله ليس فوق العرش ولا فوق السموات، ونحو ذلك بقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ لقد أبعد النُّجعة، وهو إما مُلغزٌ، وإما مُدَلِّسٌ لم يخاطبهم بلسان عربى مبين.

ولازم هذه المقالة: أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم فى أصل دينهم، لأن مَردَّهم قبل الرسالة وبعدها واحد، وإنما الرسالة زادتهم عمًى وضلالاً.

(١) النساء: (٦٥).
(٢) البقرة: (٢١٣).
(٣) فى (ص): ولا نصًّا.
(٤) فى (ص): المتحذق.
(٥) الإخلاص: (١).
(٦) مريم: (٦٥).

يا سبحان الله!! كيف لم يقل الرسول يومًا من الدهر، ولا أحد من سلف الأمة: هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه، لكن اعتقدوا الذى تقتضيه مقاييسكم، أو اعتقدوا[1] كذا وكذا، فإنه الحق، وماخالفه ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره، وانظروا فيها؛ فما وافق قياس عقولكم فاعتقدوه، وما لا؛ فتوقفوا فيه أو انفوه؟[2].

ثم الرسول ﷺ قد أخبر بأن أمته ستفترق ثلاثاً وسبعين فرقة[3]، فقد علم ما سيكون، ثم قال: «إنى تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا؛ كتاب الله»[4]. وروى عنه أنه قال فى صفة الفرقة الناجية: «هى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى».

---

(١) فى (ط): واعتقدوا.

(٢) فى (ك): وانفوه.

(٣) ورد حديث الفرَق بأسانيد متعددة، فرواه أبو داود فى السنن: ٤/٥ (كتاب السنة)؛ الترمذى: ١٠٨/١٠ (أبواب الإيمان. باب ماجاء فى افتراق هذه الأمة..) وقال الترمذى عن رواية أبى هريرة: حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح.
كما روى الحديث عن أنس - رضى الله عنه - وزاد فى آخره: «إنى أعلم أهداها: الجماعة»، والحاكم فى المستدرك وصحح رواية ابن النجار التى فى آخرها: «كلها فى الجنة إلا واحدة»، وفى رواية معاوية ابن أبى سفيان - رضى الله عنه: «... وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين؛ ثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنة وهى الجماعة»، ورواه عبد الله بن عمرو بن العاص - رضى الله عنهما - وجاء فى آخرها: «كلهم فى النار إلا ملة واحدة، قالوا: ومن هى يارسول الله؟ قال: ما أنا عليه أنا وأصحابى» وقال عنها الترمذى: هذا حديث مفسر غريب لانعرف مثل هذا إلا من هذا الوجه.
وقد قال ابن حزم - رحمه الله - قولاً جامعاً يحدد موقفه من حديث الفرق عموماً حيث صرح فى كتابه «الفصل»؛ قائلاً: «حديث القدرية؛ المرجئة مجوس هذه الأمة؛ وحديث تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة كلها فى النار حاشا واحدة فى الجنة؛ هذان الحديثان لايصحان أصلاً من طريق الإسناد، وما كان هكذا فليس بحجة عند من يقول بخبر الواحد؛ فكيف من لايقول؟!».
راجع: «الفصل» لابن حزم: ٣٩٢/٣.

(٤) ورد الحديث فى: مسلم: ١٨٧٣/٤، ١٨٧٤ (كتاب فضائل الصحابة. باب من فضائل على بن أبى طالب - رضى الله عنه)؛ وأبى داود: ١٨٥/٢ (كتاب المناسك (الحج). باب صفة حجة النبى - ﷺ)، والإمام أحمد فى مسنده: ١٤/٣ (مسند أبى سعيد الخدرى)، والموطأ: ٧٠٤/٢ (كتاب القدر. باب النهى عن القول بالقدر)، وابن ماجه: ١٠٢٥/٢ (كتاب المناسك. باب حجة رسول الله - ﷺ).

فهلا قال: من تمسك بالقرآن، أو بدلالة القرآن، أو بمفهوم القرآن، أو بظاهر القرآن فى باب الاعتقاد فهو ضال، وإنما الهدى فى رجوعكم إلى مقاييس عقولكم، وما يحدثه المتكلمون منكم بعد القرون الثلاثة؟!

[١٣/ب] وإن كان قد نبغ(١) أصل هذه المقالة فى أواخر / عصر التابعين.

[أصل مقالة التعطيل] :

ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات ـ إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين، وضُلاَّل الصابئين.

فأولُ من حُفظ عنه أنه قال هذه المقالة فى الإسلام: هو الجَعْدُ بن دِرْهَم(٢)، فأخذها عنه الَجْهْمُ بن صَفْوان(٣)، وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه.

وقد قيل: إن الجعد أخذ مقالته عن أبَان بن سَمعان، وأخذها أبان من طالوت ابن أخت لَبيد بن الأعْصَم(٤)، اليهودى الساحر، الذى سحر النبى ﷺ.

ثم أطال الشيخ ـ رحمه الله ـ الكلام إلى أن قال:

---

(١) فى (ك): وإن كان نبغ.

(٢) هو الجعد بن درهم، أحد موالى بنى أمية، سكن جزيرة الفرات بالعراق، قال عنه الذهبى: ضال مبتدع زعم أن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلاً، أخذ عنه مروان بن محمد العلم، وقتل يوم النحر لاتهامه بالزندقة على يد خالد القسرى عامل الخليفة الأموى هشام بن عبد الملك وذلك سنة (١١٨ هـ)؛ انظر: ميزان الاعتدال: ١/٣٩٩، الأعلام: ٢/١٢٠.

(٣) هو الجهم بن صفوان السمرقندى، أبو محرز من موالى بنى راسب؛ الذى نسب إليه فرقة الجهمية فى قولهم بالجبر؛ قال عنه الذهبى: ضال مبتدع هلك فى زمن التابعين، ينسب إليه القول بخلق القرآن، قتله نصر بن سيار سنة (١٢٨ هـ)؛ انظر: ميزان الاعتدال: ١/٤٢٦، الكامل لابن الأثير: ٥/٣٤٣ حوادث سنة ١٢٨ هـ، الأعلام: ٢/١٤١.

(٤) لاتذكر المراجع معلومات عن شخصية لبيد بن الأعصم ولاعن طالوت، وجاء فى فتح البارى لابن حجر مايلى: «هو لبيد بن الأعصم اليهودى، من يهود بنى زريق بالمدينة المنورة، أسلم ظاهراً؛ ولكنه كان من المنافقين، جاء رؤساء اليهود فأعطوه ثلاثة دنانير ليسحر النبى ﷺ فأخذها وفعل فعله المشئوم». انظر فتح البارى: ٢٠/١٥٧.

«والفتوى لا تحتمل البسط فى هذا الباب، وإنما أشير إلى مبادئ الأمور. والعاقل يسير فينظر، وكلام السلف فى هذا الباب موجود فى كتب كثيرة، لا يمكن أن نذكر هنا إلا قليلاً منه».

إلى أن قال:

«وإذا كان أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل والتأويل ـ مأخوذ عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمن، بل نفس عاقل، أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم والضالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين؟!».

قال: «ثم القول الشامل فى جميع هذا الباب: أن يوصف الله بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، أو بما وصفه به السابقون الأولون لا يتجاوز القرآن والحديث».

(1) قال الإمام أحمد ـ رضى الله عنه: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسول الله ﷺ لايتجاوز القرآن والحديث» (1).

ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل.

(2) ثم ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ جملاً نافعة، وأصولاً جامعة، فى إثبات الصفات والرد على الجهمية، وذكر من النقول عن سلف الأمة وأئمتها فى إثبات العلو وغيره ما يضيق هذا الموضع عن ذكره (2).

ثم قال فى آخر كلامه:

(1-1) ليس فى (ص)، وهو مثبت بهامش (ك).

(2-2) مابين القوسين تلخيص لما ذكره ابن تيمية فى الحموية الكبرى الذى انفردت به نسخة (ص) وهو مايقرب من عشرين لوحة، وآثرنا الأخذ بما فى نسخة (ك) لأنها تعبر عن رأى المؤلف الذى استقر عليه أخيرًا ـ كما سبق أن أشرنا فى المقدمة.

[جماع الأمر فى الصفات] :

«وجماع الأمر: أن الأقسام الممكنة فى آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة، قسمان يقولون تُجْرَى على ظواهرها.

وقسمان يقولون: هى على خلاف ظاهرها.

وقسمان يسكتون.

أما الأولون فقسمان:

أحدهما: من يجريها على ظاهرها، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين؛ فهؤلاء هم **المشبهة**، ومذهبهم باطل أنكره السلف، وإليهم توجه الرد بالحق.

والثانى: من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى؛ كما يجرى اسم «العليم» و«القدير» و«الرب» و«الإله» و«الموجود» و«الذات» ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله تعالى. فإن ظواهر هذه الصفات فى حق المخلوقين إما جوهر مُحدَث، وإما عرض قائم به فالعلم والكلام والقدرة[1]، والمشيئة، والرحمة، والرضا والغضب[2] ونحو ذلك فى حق العبد أعراض. والوجه، واليد، والعين فى حقه أجسام. فإذا كان الله موصوفًا عند عامة أهل الإثبات بأن له علمًا وقدرة وكلامًا ومشيئة، وإن لم تكن أعراضًا يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين، وهذا هو المذهب الذى حكاه الخطابى[3] وغيره عن السلف. وعليه يدل كلام جمهورهم، وكلام الباقين لا يخالفه، وهو أمر واضح.

---

(١) فى (ص) : والقدرة والكلام.

(٢) الغضب : ليست فى (ط).

(٣) هو حَمْد بن إبراهيم بن الخطاب البستى، ولد سنة (٣١٩هـ) فى «بست» ببلاد كابل، قيل هو من نسل زيد بن الخطاب أخى عمر بن الخطاب، عالم فقيه محدث، له مصنفات عديدة فى شرح البخارى، ومعالم السنن؛ شرح سنن أبى داود، وإصلاح خطأ المحدثين، وغريب الحديث، وغير ذلك من المؤلفات، ومن أهم ماكتبه: «الغنية عن الكلام وأهله»، وكتاب «العزلة»، توفى ـ رحمه الله ـ فى بست سنة (٣٨٨ هـ)؛ انظر: وفيات الأعيان: ٢١٤/٢ تاريخ الإسلام للذهبى أحداث سنة ٣٨٨ هـ ص: ١٦٥، البداية والنهاية: ٣٢٤/١١، الأعلام: ٢٧٣/٢.

فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة، من غير أن تكون من جنس المخلوقات[١]، فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين[٢].

فمن قال: لا أعقل علمًا ويداً إلا من جنس العلم واليد المعهودين، قيل له: فكيف تعقل ذاتًا من غير جنس ذوات المخلوقين؟ ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته، وتلائم حقيقته. فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثله شىء إلا ما يناسب المخلوق؛ فقد ضل فى عقله ودينه.

وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمى: كيف استوى؟ أو كيف[٣] ينزل إلى سماء الدنيا؟ وكيف يداه؟ ونحو ذلك.

فقل له: كيف هو فى نفسه؟

فإذا قال: لا يعلم ما هو إلا هو، و كُنهُ البارى غير معلوم للبشر.

فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم / للعلم بكيفية الموصوف، فكيف يمكن [١٤/أ] أن تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته؟ وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة، على الوجه الذى ينبغى لك.

بل هذه المخلوقات فى الجنة قد ثبت عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: «ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء»[٤]، وقد أخبر الله تعالى أنه:

---

(١) المخلوقات: ليست فى (ص)، (ط).

(٢) فى (ط): من جنس صفات المخلوقين فصفاته. وهو خطأ واضح، وفى (ص): من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقين، وسقط منها عبارة: فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون.

(٣) فى (ص)، (ط): وكيف.

(٤) ذكره الطبرى عن ابن عباس وغيره من التابعين فى تفسير قوله تعالى: ﴿ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ﴾ (سورة البقرة:٢٥)؛ انظر تفسير الطبرى: ١٣٥/١ ـ ط دار الريان للتراث.

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾[1]، وقال النبى ﷺ: «يقول الله تعالى: أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر[2]».

فإذا كان نعيم الجنة ـ وهو خلق من خلق الله ـ كذلك، فما الظن بالخالق سبحانه وتعالى؟!

وهذه الروح التى فى بنى آدم، قد علم العاقل اضطراب الناس فيها، وإمساك النصوص عن بيان كيفيتها. أفلا يعتبر العاقل بها عن الكلام فى كيفية الله تعالى؟ مع أنا نقطع بأن الروح[3] فى البدن، وأنها تخرج منه، وتعرج إلى السماء، وأنها تُسَلُّ منه وقت النزع، كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة، لانُغَالى فى تجريدها غلوَّ المتفلسفة ومن وافقهم، حيث نفوا عنها الصعود والنزول والاتصال بالبدن والانفصال عنه، وتخبطوا فيها، حيث رأوها من غير جنس البدن وصفاته. فعدم مماثلتها للبدن لا ينفى أن تكون هذه الصفات ثابتة لها[4] بحسبها، إلا أن يفسروا كلامهم بما يوافق النصوص، فيكونوا قد أخطأوا فى اللفظ، وأنَّى لهم بذلك؟!

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها، أعنى الذين يقولون: ليس لها فى الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط، وأن الله لا[5] صفة له ثبوتية بل صفاته إما سلب وإما إضافة[6]، وإما مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات: وهى السبعة، أو

---

(١) السجدة: (١٧).

(٢) ورد الحديث فى: البخاري: ١٧/١٣٠-١٣٢ (تفسير سورة السجدة. باب فلا تعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين)؛ مسلم: ٢١٧٤/٤ (كتابة الجنة وصفة نعيمها وأهلها)؛ الترمذى: ٢٦/٥ (كتاب تفسير القرآن. سورة السجدة)؛ ابن ماجه: ١٤٤٧/٢ (كتاب الزهد. باب صفة الجنة).

(٣) فى (ك): إن الروح.

(٤) لها: ليست فى (ص).

(٥) لا: ليست فى (ص).

(٦) فى (ص): وإضافة.

الثمانية، أو الخمسة عشر، أو يثبتون الأحوال دون الصفات، على ماقد عرف من مذاهب المتكلمين - فهولاء قسمان.

قسم يتأولونها ويعينون المراد، مثل قولهم: استوى، بمعنى: استولى، أو بمعنى علو المكانة والقدر،(١ أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى١) انتهاء الخلق إليه. إلى غير ذلك من معانى المتكلفين.

و قسم يقولون: الله أعلم بما أراد بها، لكنا(٢) نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمناه.

وأما القسمان الواقفان، فقسم يقولون: يجوز أن يكون المراد(٣ ظاهرها اللائق بالله، ويجوز أن لا يكون المراد٣) صفة لله، ونحو ذلك، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.

وقسم يمسكون عن هذا كله، ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات.

فهذه الأقسام الستة لايمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها.

والصواب فى كثير من آيات الصفات وأحاديثها: القطع بالطريقة الثانية كالآيات والأحاديث الدالة على أنه سبحانه فوق عرشه، ويُعلم طريق الصواب فى هذا وأمثاله بدلالة الكتاب والسنة، والإجماع على ذلك دلالة لا تحتمل(٤) النقيض، وفى بعضها(٥) قد يغلب على الظن ذلك، مع احتمال(٦) النقيض. وتردد المؤمن فى

(١-١) مابين القوسين كتب بهامش (ك)، وفى (ط): علو المكانة والقدرة.

(٢) فى (ط):لكن.

(٣-٣) مابين القوسين ليس فى (ص).

(٤) فى (ص): لاتشتمل.

(٥) فى (ص): فى بعضها.

(٦) فى (ص): اشتمال.

ذلك هو بحسب مايؤتاه من العلم والإيمان؛ ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُورٍ** ﴾(1).

ومن اشتبه عليه ذلك أو غيره، فليدع بما رواه مسلم فى صحيحه عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : «كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل يصلى يقول: اللهم ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختُلِفَ فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم(2)»، وفى رواية لأبى داود: «أنه كان يُكَبِّر فى صلاته، ثم يقول ذلك».

فإذا افتقر العبد إلى الله تعالى ودعاه، وأَدْمَن النظر فى كلام الله تعالى وكلام رسول الله ﷺ، وكلام الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين؛ انفتح له طريق الهدى.

ثم إن كان قد خَبر نهايات أقدام المتفلسفة والمتكلمين فى هذا الباب، وعرف غالب ما يزعمونه برهاناً، وهو شبهة، ورأى أن غالب ما يعتمدونه يَؤول إلى دعوى لا حقيقة لها، أو شبهة(3) / مركبة من قياس فاسد، أو قضية كلية لا تصح إلا جزئية، أو دعوى إجماع لا حقيقة له، والتمثيل(4) فى المذهب، والدليل بالألفاظ المشتركة. [١٤/ب]

ثم إن ذلك ركب بألفاظ كثيرة طويلة غريبة عمن لم يعرف اصطلاحهم أوهَمَت الغِرَّ مايوهمه السَّراب(5) للعطشان؛ ازداد إيمانًا وعلمًا بما جاء به الكتاب والسنة؛

---

(1) النور : (٤٠).

(2) ورد الحديث فى: مسلم: ٥٣٤/١ (كتاب صلاة المسافرين. باب الدعاء فى صلاة الليل وقيامه)؛ النسائى: ٢١٢/٣، ٢١٣ (باب بأى تستفتح صلاة الليل)؛ أبى داود: ٢٠٤/١ (كتاب الصلاة. باب مايستفتح به الصلاة من الدعاء).

(3) فى (ص): أو شبه.

(4) فى (ص): والتمسك.

(5) فى (ص): الشراب.

فإن الضد يُظْهر حسنَه الضدُّ، وكل من كان بالباطل أعلم كان للحق أشد تعظيمًا، وبقدره أعرف.

فأما المتوسط من المتكلمين فيخاف عليه ما لا يخاف على من لم يدخل فيه وعلى من قد أنهاه نهايته، فإن من لم يدخل فيه هو فى عافية، ومن أنهاه فقد عرف الغاية، فما بقى يُخاف عليه[1] من شىء آخر، فإذا ظهر له الحق وهو عطشان إليه قبله، وأما المتوسط فمتوهم بما يلقاه من المقالات المأخوذة، تقليداً لمعظَّمه وتهويلاً.

وقد قال الناس: أكثر ما يفسد الدنيا نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوى، هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان.

ومن علم أن المتكلمين من المتفلسفة[2] وغيرهم فى الغالب فى قولٍ مختلف، يُؤْفَكُ عنه من أُفِكَ[3]. يعلم الذكى منهم العاقل أنه ليس هو فيما يقوله على بصيرة، وأن حجته ليست ببينة، وإنما هى كما قيل فيها:

حجج تَهافتُ كالزجاج تَخالُها ❖ حقًا وكلٌّ كاسر مكسور

ويعلم البصير العالم أنهم من وجه مستحقون ما قاله الشافعى ـ رضى الله عنه ـ حيث قال: «حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنِّعال، ويُطافَ بهم فى القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام»[4].

---

(١) عليه: ليست فى (ص).
(٢) فى (ص): المتفلسفين.
(٣) فى (ص): متأفك.
(٤) ذكر هذا النص عن الإمام الشافعى - رحمه الله: الهروى فى كتابه «ذم الكلام وأهله»: ص ٢٠٦ ط دار الكتب الحديثة، كما ذكره ابن الجوزى فى «تلبيس إبليس»: ص ٨١ ـ ط مكتبة القرآن الكريم، والسيوطى فى «صون المنطق والكلام»: ١/٦٥ ـ ط مجمع البحوث الإسلامية.

ومن وجه آخر إذا نظرت إليهم بعين القدر[1] ـ والحيرةُ مستولية عليهم، والشيطان مستحوذ عليهم ـ رحمتهم ورفقت[2] عليهم، أوتوا ذكاء وما أوتوا زكاء، وأعطوا فهومًا، وما أعطوا علومًا، وأعطوا سمعاً وأبصاراً وأفئدة؛ ﴿ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلا أَبْصَارُهُمْ وَلا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾[3].

ومن كان عالمًا بهذه الأمور تبين له بذلك حذق السلف، وعلمهم، وخبرتهم، حيث حذروا عن الكلام، ونهوا عنه، وذموا أهله، وعابوهم، وعلم أن من ابتغى الهدى فى[4] غير الكتاب والسنة لم يزدد إلا بعداً، فنسأل الله العظيم أن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين؛ آمين.

هذا آخر الحموية الكبرى، وهى فى[5] ست كراريس بقطع نصف البلدى.

ألّفها الشيخ ـ رحمه الله ـ قبل سنة سبعمائة، وعمره إذ ذاك دون الأربعين سنة.

ثم انفتح له بعد ذلك من الرد على الفلاسفة والجهمية وسائر أهل الأهواء والبدع ما لا يوصف ولا يعبر عنه، وجرى له من المناظرات العجيبة والمباحثات الدقيقة، فى كتبه وغير كتبه، مع أقرانه وغيرهم، فى سائر أنواع العلوم ما تضيق العبارة عنه.

وقد ذكرنا عن ابن الزملكانى[6] ـ فيما تقدم ـ أنه قال: لايُعرف أنه[7] نَاظر أحداً فانقطع معه.

وقد رأيت بخط بعض أصحابه ماصورته:

---

(١) بعين القدر : ليست فى (ص).
(٢) فى (ك): ورفعت بالعين.
(٣) الأحقاف: (٢٦).
(٤) فى (ك): من.
(٥) فى : ليست فى (ك).
(٦) سبقت ترجمته.
(٧) أنه: كتبت بهامش (ك).

تلخيص مبحث

[فى الحمد والشكر]

جرى بين شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية رحمه الله وبين ابن المُرَحِّل[١]

كان الكلام فى الحمد والشكر، وأن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح، والحمد لا يكون إلا باللسان.

فقال ابن المرحل: قد نقل بعض المصنفين - وسماه - أن مذهب أهل السنة والجماعة، أن الشكر لايكون إلا بالاعتقاد.

ومذهب الخوارج: أنه يكون بالاعتقاد، والقول، والعمل، وبنوا على هذا: أن من ترك الأعمال يكون كافرًا؛ لأن الكفر نقيض الشكر، فإذا لم يكن شاكرًا كان كافرًا.

قال الشيخ تقى الدين: هذا المذهب المحكى عن أهل السنة خطأ، والنقل عن أهل السنة خطأ؛ فإن مذهب أهل السنة: أن الشكر يكون بالاعتقاد، وانقول، والعمل؛ قال الله تعالى: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾[٢]، وقام النبى ﷺ حتى

---

(١) كتبت بهامش (ك)، وقد جرى بين ابن المرحل وابن تيمية مناظرات فى معنى الحمد والشكر وفى مسائل أخرى تتعلق بالإرادة والمحبة والأحوال الصوفية ومن أهمها كتابه العظيم إلى الشيخ نصر المنبجى سنة ٧٠٤ هـ نشره محمد رشيد رضا ضمن مجموع الرسائل والمسائل ١/١٦٢-١٨٣.
أما مناظرته هذه عن الحمد والشكر فقد طبعت ضمن مجموع الفتاوى بالسعودية ١١/١٢٥-١٥٥. كما طبع المرحوم محمد رشاد سالم رسالة أخرى فى معنى الحمد والشكر ضمن جامع الرسائل ١/١٠١- (١١٨). وابن المرحل هو: محمد بن عمر بن مكى، أبو عبد الله، المعروف بصدر الدين ابن الوكيل، ولد بدمياط سنة (٦٦٥هـ)، ثم ارتحل مع أبيه إلى دمشق، وأقام فى حلب، ثم عاد إلى القاهرة، وتولى مشيخة دار الحديث بدمشق سبع سنين؛ قال عنه ابن حجر: «كان لايقوم لمناظرة ابن تيمية أحد سواه»، كان من علماء الفقه الشافعى، وصنف «الأشباه والنظائر»، توفى - رحمه الله - سنة (٧١٦هـ)؛ انظر عنه: فوات الوفيات: ٢/٢٥٣، البداية والنهاية: ١٤/٨٠، الدرر الكامنة: ٤/١١٥، الأعلام: ٦/٣١٤.

(٢) سبأ: (١٣).

[١٥/أ] تورَّمت قدماه، فقيل له / : «أتفعل هذا، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟»[١].

قال ابن المرحِّل: أنا لا أتكلم فى الدليل، وأسلِّم ضعفَ هذا القول، لكن أنا أنقل أنه مذهب أهل السنة.

قال الشيخ تقى الدين: نسبة هذا إلى أهل السنة خطأ، فإن القول إذا ثبت ضعفه، كيف ينسب إلى أهل الحق؟

ثم قد صرح من شاء الله من العلماء المعروفين بالسنة، أن الشكر يكون بالاعتقاد، والقول[٢]، والعمل، وقد دلّ على ذلك الكتاب والسنة.

قلت: وباب سجود الشكر فى الفقه[٣] أشهر من أن يذكر، وقد قال النبى ﷺ عن سجدة سورة «ص»: «سجدها داود توبة، ونحن نسجدها شكراً[٤]»، ثم مَنْ الذى قال من أئمة السنة: إن الشكر لا يكون إلا بالاعتقاد؟

قال ابن المرحِّل: ـ هذا قد نقل، والنقل لا يُمنع، لكن يُستشكل، ويقال: هذا مذهب مشكل.

قال الشيخ تقى الدين ابن تيمية: النقل نوعان: أحدهما: أن ينقل ما سمع أو رأى.

والثانى: ما ينقل باجتهاد واستنباط.

---

(١) ورد هذا الحديث فى: البخارى: ٦٠/٢ (كتاب التهجد. باب قيام النبى ﷺ حتى تورمت قدماه)، ١٦٩/٦ (كتاب التفسير. تفسير سورة الفتح)؛ مسلم: ٢١٧١/٤ (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم. باب إكثار الأعمال والاجتهاد فى العبادة)، النسائى: ٢١٧/٣ (كتاب قيام الليل وتطوع النهار. باب الاختلاف على عائشة فى إحياء الليل)، ابن ماجه: ٤٥٦/١ (كتاب إقامة الصلاة والسنة. باب ماجاء فى طول القيام فى الصلوات).

(٢) والقول: ليس فى (ص).

(٣) فى الفقه: ليس فى (ص).

(٤) ورد هذا الحديث فى: النسائى: ١٥٩/٢ (كتاب الافتتاح. باب سجود القرآن والسجود فى «ص»).

وقول القائل: مذهب فلان كذا، أو مذهب أهل السنة كذا، قد يكون نسبه إليه لاعتقاده أن هذا مقتضى أصوله، وإن لم يكن فلان قال ذلك، ومثل هذا يدخله الخطأ كثيراً[1]. ألا ترى أن كثيراً من المصنفين يقول[2]: مذهب الشافعى أو غيره كذا، ويكون منصوصه بخلافه؟ وعذرهم فى ذلك: أنهم رأوا أن أصوله تقتضى ذلك القول، فنسبوه إلى مذهبه من جهة الاستنباط، لا من جهة النص.

وكذلك هذا، لما كان أهل السنة لايكفرون بالمعاصى، والخوارج يكفرون بالمعاصى، ثم رأى المصنف أن[3] الكفر ضد الشكر، اعتقد أنا إذا جعلنا الأعمال شكراً لزم انتفاء الشكر بانتفائها، ومتى انتفى الشكر خَلَفه الكفر، ولهذا قال: إنهم بنوا على ذلك التكفير بالذنوب، فلهذا عَزى إلى أهل السنة إخراج الأعمال عن الشكر.

قلت: كما أن كثيراً من المتكلمين أخرج الأعمال عن الإيمان لهذه العلة.

قال: وهذا خطأ، لأن التكفير نوعان: أحدهما: كفر النعمة، والثانى: الكفر بالله، والكفر الذى هو ضد الشكر؛ إنما هو كفر النعمة لا الكفر بالله، فإذا زال الشكر خلفه كفر النعمة، لا الكفر بالله.

قلت: على أنه لو كان ضد الكفر بالله، فمن ترك الأعمال شاكرًا بقلبه ولسانه فقد أتى ببعض الشكر وأصله، والكفر إنما يثبت إذا عُدم الشكر بالكلية؛ كما قال أهل السنة: إن من ترك فروع الإيمان لايكون كافرًا، حتى يترك أصول

(١) كثيرًا: ليست فى (ص).
(٢) فى (ك): يقولون.
(٣) أن: ليست فى (ك).

الإيمان[١]، وهو الاعتقاد. ولا يلزم من زوال فروع الحقيقة - التى هى ذات شُعَب وأجزاء - زوال اسمها، كالإنسان، إذا قطعت يده، أو الشجرة، إذا قطعت[٢] بعض فروعها.

قال الصدر ابن المرحل: فإن أصحابك قد خالفوا الحسن البصرى فى تسمية الفاسق كافر النعمة، كما خالفوا الخوارج فى جعله كافرًا بالله[٣].

قال الشيخ تقى الدين: أصحابى لم يخالفوا الحسن فى هذا، فعَمَّن تنقل من أصحابى هذا؟ بل يجوز عندهم أن يسمى الفاسق كافر النعمة، حيث أطلقته الشريعة.

قال ابن المرحل: أنا[٤] ظننت أن أصحابك قد قالوا هذا، لكن أصحابى قد خالفوا الحسن فى هذا.

قال الشيخ تقى الدين: ولا أصحابك خالفوه، فإن أصحابك قد تأوّلوا أحاديث النبى ﷺ التى أطلق فيها الكفر على بعض الفسوق - مثل ترك

(١) فى (ط): أصل الإيمان.
(٢) فى ط: قطع.
(٣) بالله: ليست فى (ص)، والحسن البصرى هو سيد التابعين، الحسن بن أبى الحسن، ولد سنة (٨٠ هـ) تربى فى بيت النبوة حيث كانت أمه تعمل فى بيت رسول الله ﷺ، وله رأيه المعروف فى مرتكب الكبيرة وأنه مؤمن عاصٍ أو مؤمن فاسق، توفى رحمه الله. سنة (١١٠ هـ)، يعده الصوفيه إماماً فيهم، وكذلك المعتزلة يعتبرونهً من طبقاتهم، وهو إمام أهل البصرة فى زمانه، كان إذا حدَّث الناس بكى وأبكى حتى يبدو وكأنه عائد من قبره، كان كلامه يشبه كلام الأنبياء، ويضرب بحديثه المثل فى زهده وورعه؛ انظر: ميزان الاعتدال ٢٥٤/٤، حلية الأولياء ١٣١/٢، الطبقات الكبرى للشعرانى ١١٤/١، الأعلام للزركلى ٢٢٦/٢-٢٢٧.
(٤) فى (ك): إن أنا.

الصلاة[1]، وقتال المسلمين[2] : على أن المراد به كفر النعمة، فعلم أنهم يطلقون على المعاصى فى الجملة أنها كفر النعمة، فعلم أنهم موافقو الحسن، لا مخالفوه.

ثم عاد ابن المرحل، فقال: أنا أنقل هذا عن المصنف، والنقل ما يُمنع، لكن يُستشكل.

قال الشيخ تقى الدين: إذا دار الأمر بين أن ينسب إلى أهل السنة مذهب باطل[3]، أو يُنسب الناقلُ عنهم إلى تصرفه فى[4] النقل؛ كان نسبة الناقل إلى التصرف أولى من نسبة الباطل إلى طائفة أهل الحق، مع أنهم صرحوا فى غير موضع: أن الشكر يكون بالقول، والعمل، والاعتقاد /، وهذا أظهر من أن ينقل عن [١٥/ب] واحد بعينه.

ثم إنا نعلم بالاضطرار أنه ليس من أصول أهل الحق: إخراج الأعمال [من][5] أن تكون شكراً لله؛ بل قد نصَّ الفقهاء على أن الزكاة شكر نعمة المال، وشواهد هذا أكثر من أن تحتاج إلى نقل.

وتفسير الشكر بأنه يكون بالقول والعمل فى الكتب التى يُتكلَّم فيها على لفظ

---

(١) ذكر الترمذى فى: ١٢٥/٤ (كتاب الإيمان - باب ماجاء فى ترك الصلاة) قوله ﷺ: «بين الإسلام وبين الكفر ترك الصلاة» وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب، وانظر فى ذلك - أيضاً: النسائى: ٢٣١/١ (كتاب الصلاة. باب الحكم فى تارك الصلاة)، ابن ماجه: ٣٤٢/١ (كتاب إقامة الصلاة والسنة. باب ماجاء فيمن ترك الصلاة).

(٢) ورد فى ذلك أحاديث كثيرة؛ منها: قوله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»؛ رواه: البخارى: ١٨/٨ (كتاب الأدب. باب ماينهى من السباب والفسوق)، مسلم: ٨١/١ (كتاب الإيمان. باب بيان قول النبى ﷺ سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)، الترمذى: ١٣١/٤ (كتاب الإيمان. باب ماجاء من أن سباب المسلم فسوق) وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) فى (ص): من أن ينسب أهل السنة إلى مذهب باطل... الخ.

(٤) فى (ص): إلى.

(٥) أضيفت ليستقيم الكلام.

«الحمد» و «الشكر» مثل[1] كتب التفسير، واللغة، وشروح الحديث، يعرفه[2] آحاد الناس، والكتاب والسُّنة قد دلاَّ على ذلك.

فخرج ابن المرحل إلى شىء غير هذا، فقال: الحسن البصرى[3] يسمى الفاسق منافقًا، وأصحابك لايسمونه منافقًا.

قال الشيخ تقى الدين له: بل يسمَّى منافقًا النفاق الأصغر، لا النفاق الأكبر. والنفاق[4] يطلق على النفاق[4] الأكبر، الذى هو إضمار الكفر، وعلى النفاق الأصغر، الذى هو اختلاف السر والعلانية فى الواجبات.

قال له ابن المرحل: ومن أين قلت: إن الاسم يطلق على هذا وعلى هذا؟

قال الشيخ تقى الدين: هذا مشهور عند العلماء؛ وبذلك فسروا قول النبى ﷺ «آية المنافق ثلاث: إذا حَدّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِن خان»[5]، وقد ذكر ذلك الترمذى وغيره، وحكوه عن العلماء.

وقال غير واحد من السلف: «كفرٌ دون كفر، ونفاق دون نفاق، وشرك دون شرك».

وإذا كان النفاق جنسًا تحته نوعان، فالفاسق داخل فى أحد نوعيه.

قال ابن المرحّل: كيف تجعل النفاق اسم جنس، وقد جعلته لفظًا مشتركًا، [6]وإذا كان اسم جنس كان متواطئًا، والأسماء المتواطئة غير المشتركة، فكيف تجعله مشتركًا متواطئًا[6].

---

(١) مثل: ليست فى (ص).

(٢) فى (ص): تعرفه.

(٣) البصرى : ليست فى (ص).

(٤-٤) كتبت بهامش ك.

(٥) ورد الحديث فى: البخارى: ١٦/١ (كتاب الإيمان. باب علامة المنافق)؛ مسلم: ٧٨/٤ (كتاب الإيمان. باب بيان خصال المنافقين)، وفى رواية لمسلم: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»؛ الترمذى: ١٣٠/٤ (كتاب الإيمان. باب فى علامة المنافق) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٦-٦) سقط من (ص).

قال الشيخ تقى الدين: أنا لم أذكر أنه مشترك، وإنما قلت: يطلق على هذا وعلى هذا، والإطلاق أعمُّ.

ثم لو قلت: إنه مشترك لكان الكلام صحيحًا؛ فإن اللفظ الواحد قد يطلق على شيئين بطريق التواطؤ، وبطريق الاشتراك[1]، فأطلقت لفظ النفاق على إبطان الكفر، وإبطان المعصية، تارة بطريق الاشتراك، وتارة بطريق التواطؤ، كما أنّ لفظ الوجود يطلق على الواجب والممكن، عند قوم باعتبار الاشتراك، وعند قوم باعتبار التواطؤ؛ ولهذا سمى مشككًا.

قال ابن المرحل: كيف يكون هذا؟ وأخذ فى كلام لايحسن ذكره.

قال له[2] الشيخ تقى الدين: المعانى الدقيقة تحتاج إلى إصغاء واستماع وتدبر، وذلك أن الماهيتين إذا كان بينهما قدر مشترك وقدر مميِّز، واللفظ يطلق على كل منهما، فقد يطلق عليهما باعتبار ما به تمتاز كل ماهية عن الأخرى فيكون مشتركًا الاشتراك اللفظى، وقد يكون مطلقًا باعتبار القدر المشترك بين الماهيتين، فيكون لفظًا متواطئًا.

قلت: ثم إنه فى اللغة يكون موضوعًا للقدر المشترك، ثم يغلب عرف الاستعمال على استعماله[3] فى هذا تارة، وفى هذا تارة[3]، فيبقى دالاً بعرف الاستعمال على ما به الاشتراك والامتياز. وقد يكون[4] قرينة؛ مثل لام التعريف، أو الإضافة[5]، تكون هى الدالة على ما به الامتياز .

مثال ذلك: اسم الجنس إذا غلب فى العرف على بعض أنواعه، كلفظ الدابة،

(١) فى (ص): مشترك.
(٢) له: ليست فى (ص).
(٣-٣) فى (ص): (فى هذه) فى الموضعين.
(٤) فى (ك): يكون.
(٥) فى (ص): والإضافة.

إذا غلب على الفرس، قد نطلقه على الفرس باعتبار القدر المشترك بينها وبين سائر الدواب؛ فيكون متواطئًا. وقد نُطلقه باعتبار خصوصية الفرس، فيكون مشتركًا بين خصوص الفرس وعموم سائر الدواب، ويصير استعماله فى الفرس تارة بطريق التواطؤ، وتارة بطريق الاشتراك.

وهكذا اسم الجنس إذا غلب على بعض الأشخاص وصار علمًا بالغَلَبة، مثل ابن عُمر[1]، والنجم، فقد نطلقه عليه باعتبار القدر المشترك بينه وبين سائر النجوم وسائر بنى عمر[1]، فيكون إطلاقه عليه بطريق التواطؤ. وقد نطلقه[2] عليه باعتبار ما به يمتاز عن غيره من النجوم، ومن بنى عمر[3]، فيكون بطريق الاشتراك بين هذا المعنى الشخصى وبين المعنى النوعى. وهكذا كل اسم عام غلب على بعض أفراده، يصح[4] استعماله فى / ذلك الفرد بالوضع الأول العام، فيكون بطريق التواطؤ، وبالوضع[5] الثانى فيصير بطريق الاشتراك. [١٦/أ]

[معنى النفاق]

ولفظ «النفاق» من هذا الباب، فإنه فى الشرع إظهار الدين وإبطان خلافه. وهذا المعنى الشرعى أخص من مسمى النفاق فى اللغة؛ فإنه فى اللغة أعم من إظهار الدين.

ثم إبطان مايخالف الدين، إما أن يكون كفرًا أو فسقًا؛ فإن[6] أظهر أنه مؤمن وأبطن التكذيب، فهذا هو النفاق الأكبر الذى أوعد صاحبه بأنه فى الدرك

(١) فى (ك): ابن عمرو فى الموضعين.
(٢) فى (ص): يطلقه.
(٣) فى (ك): بنى عمرو.
(٤) فى (ص): ويصح.
(٥) فى (ك): بالوضع.
(٦) فى (ك): فإذا.

الأسفل من النار، وإن أظهر أنه صادق أو موفٍ، أو أمين، وأبطن الكذب والغدر والخيانة، ونحو ذلك؛ فهذا هو النفاق الأصغر الذى يكون صاحبه فاسقًا، فإطلاق النفاق عليهما فى الأصل بطريق التواطؤ.

وعلى هذا، فالنفاق اسم جنس تحته نوعان، ثم إنه قد يراد به النفاق فى أصل الدين؛ مثل قوله: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾[1]، و﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ**﴾[2]، والمنافق هنا[3]: الكافر.

وقد يراد به النفاق فى فروعه، مثل قوله ﷺ: «آية المنافق ثلاث»، وقوله: «أربع من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا»[4]، وقول ابن عمر فيمن يتحدث عند الأمراء بحديث، ثم يخرج فيقول بخلافه: «كنا نَعُدُّ هذا على عهد النبى ﷺ نفاقا»[5].

فإذا أردت به أحد النوعين، فإما أن يكون تخصيصه لقرينة لفظية، مثل لام العهد والإضافة؛ فهذا لا يخرجه عن أن يكون متواطئًا، كما إذا قال الرجل: جاء القاضى، وعنى به قاضى بلده، لكون اللام للعهد، كما قال سبحانه: ﴿**فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ**﴾[6]، إن اللام هى أوجبت قصر الرسول على موسى، لا نفس

---

(١) من النار ليست فى (ك)، والآية فى سورة النساء: (١٤٥).
(٢) المنافقون: (١).
(٣) فى (ص): هو.
(٤) ورد هذا الحديث فى: البخارى: ١٦٣/٣ (كتاب المظالم والغصب. باب إذا خاصم فجر)؛ مسلم: ٧٨/٤ (كتاب الإيمان. باب بيان خصال المنافقين)؛ أبى داود: ٢٢١/٤ (كتاب السنة. باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه) حديث رقم ٤٦٨٨؛ الترمذى: ١٣٠/٤ (كتاب الإيمان . باب فى علامة المنافق) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
(٥) ورد هذا الأثر فى مسند الإمام أحمد: حديث رقم ٥٩٦٤ عن أبى الشعثاء قال: «قيل لابن عمر: إنا ندخل على أمرائنا فنقول القول فإذا خرجنا قلنا غيره، فقال: كنا نعدُّ هذا على عهد رسول الله ﷺ من النفاق».
(٦) المزمل: (١٦).

لفظ «رسول». وإما أن يكون لغلبة الاستعمال عليه، فيصير مشتركًا بين اللفظ العام والمعنى الخاص؛ فكذلك قوله: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾، فإن تخصيص هذا اللفظ بالكافر إما أن يكون لدخول اللام التى تفيد العهد، والمنافق المعهود: هو الكافر. أو تكون لغلبة هذا الاسم فى الشرع على نفاق الكفر، وقوله ﷺ: «ثلاث من كنّ فيه كان منافقًا»[1]؛ يعنى به منافقًا بالمعنى العام، وهو إظهاره من الدين خلاف ما يبُطن.

فإطلاق لفظ «النفاق» على الكافر وعلى الفاسق، إن أطلقته باعتبار [2] المعنى العام؛ كان متواطئًا، وإن أطلقته على الكافر بما [2] يمتاز به عن الفاسق؛ كان إطلاقه عليه وعلى الفاسق باعتبار الاشتراك. وكذلك يجوز أن يراد به الكافر خاصة ويكون متواطئًا إذا كان الدال على الخصوصية غير لفظ «منافق»، بل لام التعريف.

وهذا البحث الشريف جار فى كل لفظ عام استعمل فى بعض أنواعه، إما لغلبة الاستعمال، أو لدلالة لفظية خصته بذلك النوع؛ مثل تعريف الإضافة، أو تعريف اللام. فإن كان لغلبة الاستعمال صحّ أن يقال: إن اللفظ مشترك، وإن كان لدلالة لفظية كان اللفظ باقيًا على مواطأته.

فلهذا صح أن يقال «النفاق» اسم جنس تحته نوعان؛ لكون اللفظ فى الأصل عامًا متواطئًا.

وصح أن يقال: هو مشترك بين النفاق[3] فى أصل الدين، وبين مطلق النفاق فى الدين، لكونه فى عرف الاستعمال الشرعى غلب على نفاق الكفر.

---

(١) ورد هذا الحديث بألفاظ قريبة فى: النسائى: ٨/١١٧ (كتاب الإيمان وشرائعه. علامة المنافق)، ومسند الإمام أحمد: ٢/٢٠٠ (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما)، ٢/٣٩٧ (مسند أبى هريرة رضي الله عنه).

(٢-٢) ما بين قوسين ليس فى (ك).

(٣) النفاق: ليست فى (ص).

[بحث ثان فى معنى الحمد والشكر]

إن الحمد والشكر بينهما عموم وخصوص؛ فالحمد أعم من جهة أسبابه التى يقع عليها، فإنه يكون على جميع الصفات، والشكر لا يكون إلا على الإحسان. والشكر أعم من جهة ما به نفع[1]، فإنه يكون بالاعتقاد، [2]والقول، والفعل، والحمد يكون بالفعل، أو بالقول، أو بالاعتقاد[2].

أورد الشيخ الإمام زين الدين ابن المنجَّى الحنبلى[3]: أن هذا الفرق إنما هو من جهة متعلق الحمد والشكر؛ لأن كونه يقع على كذا أو يقع[4] بكذا خارج عن ذاته، فلا يكون فرقًا فى الحقيقة، والحدود إنما يُتعرض فيها لصفات الذات، لا لما خرج عنها.

فقال شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية: المعانى على قسمين: مفردة، ومضافة.

فالمعانى المفردة: حدودها لاتوجد فيها متعلقاتها، وأما المعانى الإضافية فلابد أن يوجد فى حدودها تلك الإضافات؛ فإنها داخلة فى حقيقتها[5]، ولا يمكن تصورها / إلا بتصور تلك المتعلقات، فتكون المتعلقات جزءًا من حقيقتها، فتعين ذكرها فى الحدود. [١٦/ب]

---

(١) فى (ك) مابه يقع.

(٢-٢) ليس فى (ص).

(٣) هو ابن المنجى بن عثمان بن أسعد، أبو البركات : زين العابدين التنوخى الدمشقى الحنبلى، ولد سنة (٦٣١ هـ)، سمع من السخاوى وابن مسلمة والقرطبى، وقرأ الأصول على التفليس، وتبحر فى اللغة العربية وأخذ النحو عن ابن مالك، ودرس وأفتى وناظر، سمع منه ابن العطار والمزى والبرزالى، من مؤلفاته: «تفسير القرآن»، «الممتع فى الفقه الحنبلى»، توفى - رحمه الله - سنة (٦٩٥ هـ)؛ انظر: شذرات الذهب: ٤٣٣/٥، العارفين: ص ٤٧٢، البداية والنهاية: ٣٤٥/١٣، الأعلام: ٢٩١/٧. وسبق أن أشرنا إلى ماجرى بين الشيخ نصر المنبجى وابن تيمية؛ راجع ص ١٥٩ هامش ١.

(٤) فى (ك): ويقع.

(٥) فى (ك): بتعلقاتها.

والحمد والشكر معينان[1] بالمحمود عليه والمشكور عليه، فلا يتم ذكر حقيقتهما إلا بذكر متعلقهما، فيكون متعلقهما داخلاً فى حقيقتهما.

فاعترض الصدر ابن المرحل: بأنه ليس للمتعلِّق من المتعلَّق صفة ثبوتية، فلا يكون للحمد والشكر من متعلَّقهما صفة ثبوتية. فإن التعلق[2] صفة نسبية والنسب أمور عدمية. وإذا لم تكن صفة ثبوتية لم تكن داخلة فى الحقيقة؛ لأن العدم لايكون جزءًا من الوجود.

فقال الشيخ تقى الدين: قولك: ليس للمتعلق من المتعلق صفة ثبوتية، ليس على العموم، بل قد يكون للمتعلق من المتعلق صفة ثبوتية وقد لا يكون، وإنما الذى يقوله أكثر المتكلمين: ليس لمتعلق القول من القول صفة ثبوتية.

ثم الصفات المتعلقة نوعان: أحدهما: إضافة محضة؛ مثل الأبوة، والبنوة، والفوقية، والتحتية، ونحوها. فهذه الصفة هى التى يقال فيها: هى[3] مجرد نسبة وإضافة، والنسب أمور عدمية.

والثانى: صفة ثبوتية مضافة إلى غيرها، كالحب والبغض، والإرادة والكراهة، والقدرة، وغير ذلك من الصفات، فإن الحب صفة ثبوتية متعلقة بالمحبوب، فالحب معروض للإضافة، بمعنى أن الإضافة صفة عرضت له؛ لا أن نفس الحب هو الإضافة، ففرق بين ماهو إضافة وبين ماهو صفة مضافة، فالإضافة يقال فيها: إنها عدمية. قال: وأما الصفة المضافة فقد تكون ثبوتية؛ كالحب.

قال [ابن المرحل][4]: الحب أمر عدمى؛ لأن الحب نسبة، والنسب عدمية.

---

(١) فى هامش (ك): متعلقان.

(٢) فى (ك): المتعلق، وصححها الناسخ بالهامش فقال: التعلق.

(٣) هى: ليست فى ص.

(٤) ابن المرحل: ليس فى (ك).

قال الشيخ تقى الدين: كون الحب والبغض والإرادة والكراهة أمراً عدميًا باطل بالضرورة، وهو خلاف إجماع العقلاء.

ثم هو مذهب بعض المعتزلة فى إرادة الله، فإنه زعم أنها صفةٌ سلبية، بمعنى أنه غير مغلوب ولامستكره، وأطبق الناس على بطلان هذا القول، وأما إرادة المخلوق وحبُّه وبُغْضُهُ فلم نعلم أحداً من العقلاء قال: إنه أمر[1] عدمى.

فأصر ابن المرحل، على أن الحبّ - الذى هو مَيْل القلب إلى المحبوب - أمر عدمى، وقال: المحبة: أمر وجودى.

قال الشيخ تقى الدين: المحبة هى الحب، فإنه يقال: أحبه وحبه حبًا ومحبة ولافرق، وكلاهما مصدر.

قال ابن المرحل: وأنا أقول: إنهما إذا كانا مصدرين فهما أمر عدمى.

قال له الشيخ تقى الدين: الكلام إذا انتهى إلى المقدمات الضرورية فقد انتهى وتمَّ.

وكون الحب والبغض أمراً وجوديا معلوم بالاضطرار؛ فإن كل أحد يعلم أن الحى إن كان خاليًا عن الحب كان هذا الخلو صفة عدمية، فإذا صار محبًا، فقد تغير الموصوف وصار له صفة ثبوتية[2] زائدة على ما كان قبل أن يقوم به الحب، وهو يحس ذلك من نفسه ويجده[3]، كما يجد شهوته ونفرته ورضاه وغضبه ولذته وألمه.

ودليل ذلك: أنك تقول: أحب يحب محبة، ونقيض أحب: لم يحب، ولم يحب: صفة عدمية، ونقيض العدم الإثبات.

---

(١) أمر : ليس فى (ك).
(٢) ثبوتية: ليست فى ص.
(٣) فى ك: ومن يحس ذلك من نفسه ويجده... وعلى هذه القراءة ليس فى الجملة جواب للشرط.

قال ابن المرحل: هذا ينتقض بقولهم: امتنع يمتنع؛ فإن نقيض الامتناع: لا امتناع، والامتناع صفة عدمية.

قال الشيخ تقى الدين: الامتناع أمر اعتبارى عقلى، فإن الممتنع ليس[1] له وجود خارجى حتى تقوم به صفة، وإنما هو معلوم بالعقل، وباعتبار كونه معلومًا له ثبوت علمى، وسلب هذا الثبوت العلمى: عدم هذا الثبوت، فلم ينقض[2] هذا قولنا: نقيض العدم ثبوت.

وأما الحبُّ فإنه صفةٌ قائمةٌ بالمحبِّ؛ فإنك تشير إلى عينٍ خارجةٍ، وتقول: هذا الحىُّ صار مُحِبًا بعد أن لم يكن محبًا، فتخبر عن الوجود الخارجى بصفة[3]، فإذا كان نقيضها عدماً خارجيًا، كانت وجودًا خارجيًا.

وفى الجملة: فكونُ الحبِّ والبغض صفةً ثبوتيةً وجودية معلوم بالضرورة، فلا يُقبل فيه نزاع، ولا يُناظَر صاحبه إلا مناظرة السُّوفَسْطائيَّة.

قلت: وإذا كان الحب والبغض ونحوهما من الصفات المضافة المتعلقة بالغير: صفات وجودية، وظهر الفرق بين الصفات التى هى إضافة ونسبة؛ وبين الصفات التى هى مضافة منسوبة، فالحمد والشكر من القسم الثانى؛ فإن الحمد أمر وجودى متعلق بالمحمود عليه، وكذلك / الشكر أمر وجودى متعلق بالمشكور عليه، [١٧/أ] فلا يتم فهم حقيقتهما، إلا بفهم الصفة الثبوتية لهما التى هى متعلقة بالغير، وتلك الصفة داخلة فى حقيقتهما. فإذا كان متعلق أحدهما أكبر[4] من متعلق

(١) فى (ص): فإن الممتنع له.
(٢) فى (ص): ينتقص.
(٣) بصفة: ليست فى (ك).
(٤) فى (ص): أكثر.

الآخر، وذلك التعلق إنما هو[1] عارض لصفة ثبوتية لهما؛ وجب ذكر تلك الصفة الثبوتية فى ذكر حقيقتهما.

والدليل على هذا: أن من لم يفهم الإحسان امتنع أن يفهم الشكر فعلم أن تصور متعلق الشكر داخل فى تصور الشكر.

قلت: ولو قيل: إنه ليس هذا إلا أمراً عدميًا؛ فالحقيقةُ إن كانت مركبةً من وجود وعدم، وجب ذكرهما فى تعريف الحقيقة؛ كما أن من عرَّف الأب من حيث هو أبٌ؛ فإن تصوره موقوفٌ على تَصَوُّر الأبوة، التى هى نسبةٌ وإضافة، وإن كان الأب أمراً وجوديًا.

فالحمد والشكر متعلقان بالمحمود عليه والمشكور عليه؛ وإن لم يكن هذا التعلق[2] عارضاً لصفةٍ ثبوتية؛ فلا يُفْهم الحمد والشكر إلا بفَهْمِ هذا التعلق؛ كما لا يُفهم معنى الأبِ إلا بفهم معنى الأبوة، الذى هو التعلق، وكذلك الحمد والشكر أمران متعلقان بالمحمود عليه والمشكور عليه.

وهذا التعلق جزء من هذا المسمى، بدليل أن من لم يفهم الصفات الجميلة لم يفهم الحمد، ومن لم يفهم الإحسان لم يفهم الشكر.

فإذا كان فهمهما موقوفًا على فهم متعلَّقهما، فوقوفه على فهم التعلق أولى. فإن التعلق فرع على المتعلق، وتَبعٌ له. فإذا توقف فهمهما على فهم المتعلق الذى هو أبعد عنهما من التعلق، فتوقُّفه على فهم التعلق أولى؛ وإن كان التعلقُ أمراً عدميا. والله أعلم.

---

(١) فى (ك): إنما عارض.

(٢) فى (ك): المتعلق فى الموضعين.

استطـراد
العلاقة بين العام والخاص

قال له الشيخ تقىُّ الدين ابن تيمية: قوله: ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ ﴾[1] قد أتبع بقوله ﴿ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾، وعامة أنواع الربا يسمى بيعًا، والربا ـ وإن كان اسمًا مجملاً ـ فهو مجهول، واستثناء المجهول من المعلوم يوجب جهالة المستثنى، فيبقى المراد إحلال البيع الذى ليس بربا. فمالم يثبت أن الفرد المعين ليس بربا لم يصح إدخاله فى البيع الحلال، وهذا يمنع دعوى العموم. وإن كان الربا اسمًا عامًا فهو مستثنى من البيع أيضاً؛ فيبقى البيع لفظًا مخصوصاً، فلا يصح ادعاء العموم على الإطلاق فيه[2].

قال ابن المرحّل: هذا من باب التخصيص، وهنا عمومان تعارضا، وليس من باب الاستثناء؛ فإنَّ صيغ الاستثناء معلومة، وإذا كان هذا تخصيصًا لم يُمنع ادِّعاءُ العموم فيه.

قال الشيخ تقى الدين: هذا كلام متصل بعضه ببعض، وهو من باب التخصيص المتصل، وتُسَمِّيه الفقهاءُ استثناءً؛ كقوله: له هذه الدارُ ولى منها هذا البيتُ؛ فإنَّ هذا بمنزلة قوله: إلا هذا البيت. وكذلك لو قال: أكرمْ هؤلاء القومَ ولاتُكْرِمْ فلاناً ـ وهو منهم ـ كان بمنزلة قوله: إلا فلاناً. وإذا كان كذلك صار بمنزلة قوله: وأحل الله البيع إلا ما كان منه رباً.

فمن ادعى بعد هذا أنه عام فى كل مايسمى بيعًا فهو مخطئ.

قال ابن المرحَّل: أنا أُسَلِّم أنه إنما هو عام فى كل بيع لا يسمى ربا.

---
(١) البقرة: (٢٧٥).
(٢) فيه: ليست فى (ك).

قال له الشيخ تقى الدين: وهذا كان المقصود؛ ولكن بطل بهذا دعوى عمومه على الإطلاق، فإنَّ دَعْوى العموم على الإطلاق ينافى دعوى العموم فى بعض الأنواع دون بعض. وهذا كلامٌ بَيِّنٌ.

وادَّعَى مُدَّعٍ: أن فيه قولين: أحدهما: أنه عام مخصوص، والثانى: أنه عموم مراد.

فقال[1] الشيخ تقى الدين: فإن دعوى أنه عموم مراد باطل قطعًا، فإنَّا نعلمُ أن كثيرًا من أفراد البيع حرامٌ.

فاعترض ابن المرحل: بأن تلك الأفراد حُرِّمت بعد ما أُحِلَّت، فيكون نسخاً.

قال الشيخ تقى الدين: فيلزم من هذا أن لا تُحَرِّمَ شيئاً من البيوع بخبر واحدٍ ولابقياس، فإن نسخ القرآن لايجوز بذلك، وإنما يجوز تخصيصه به. وقد اتفق الفقهاءُ[2] على التحريم بهذه الطريقة.

قال ابن المرحل: رجعتُ عن هذا السؤال، لكن أقول هو عموم مراد فى كل مايُسَمَّى بيعاً فى الشرع، فإن البيع من الأسماء المنقولة إلى كل بيع صحيح شرعى.

قال الشيخ تقى الدين: البيع ليس من الأسماء المنقولة؛ فإن / مُسَمَّاه فى الشرع [١٧/د] والعُرْفِ هو المسمى اللغوى، لكن الشارع اشترط لحلِّه وصحته شروطًا، كما قد كان أهل الجاهلية لهم شروط أيضًا بحسب اصطلاحهم.

وهكذا سائر أسماء العقود، مثل الإجارة والرَّهن، والهِبة، والقَرْض، والنِّكاح؛ إذا أُرِيدَ به العقد وغير ذلك؛ هى باقية على مسمياتها. والنقل إنما يُحتاج إليه إذا

(١) فى (ص): قال.
(٢) فى (ص): العلماء.

أحدث الشارع معانىَ لم تكن العربُ تعرفها؛ مثل الصلاةِ، والزكاة، والتيمم؛ فحينئذ يحتاج إلى النقل، ومعانى هذه العقود مازالت معروفة.

قال ابن المرحل: أصحابى قد قالوا: إنها منقولة.

قال الشيخ تقى الدين: لو كان لفظ البيع فى الآية المراد به البيع الصحيح الشرعى لكان التقدير: أحلَّ الله البيع الصحيح الشرعى، أو أحل[1] الله البيع الذى هو عنده حلال، وهذا - مع أنه تكرير - فإنه يمنع الاستدلال بالآية، فإنَّا لا نعلم دخول بيع من البيوع فى الآية حتى نعلم أنه بيع صحيح شرعى، ومتى علمنا ذلك استغنينا عن الاستدلال بالآية.

قال ابن المرحّل: متى ثبتَ أنّ هذا الفرد يُسَمّى بيعاً فى اللغة، قلت: هو بيع فى الشرع؛ لأن الأصل عدم النقل؛ وإذا كان بيعاً فى الشرع دخل فى الآية.

قال الشيخ تقى الدين: هذا إنما يصح لو لم يثبت أن الاسم منقول، أما إذا ثبت أنه منقول؛ لم يصح إدخال فرد فيه؛ حتى يثبت أن الاسم المنقول واقع عليه؛ وإلا فيلزم من هذا أن كل ماسُمِّى فى اللغة صلاة، وزكاة، وتيممًا، وصومًا، وبيعًا، وإجارة، ورَهْنًا؛ أنه يجوز إدخاله فى المسمى الشرعى، بهذا الاعتبار. وعلى هذا التقدير: فلا يبقى فرق بين الأسماء المنقولة وغيرها، وإنما يقال: الأصل عدم النقل، إذا لم يثبت، بل متى ثبت النقل فالأصل عدم دخول هذا الفرد فى هذا الاسم المنقول، حتى يثبت أنه داخل فيه بعد النقل.

فلتتأمل هذه الأبحاث الثلاثة وكل مافيها.

قلت: فإنه من كلام الشيخ تقى الدين قرره بعد المناظرة.

---

(١) فى (ص): وأحل.

[ثناء آخر للذهبى على شيخ الإسلام ابن تيمية]

وقال[1] الحافظ أبو عبد الله الذهبى، فى أثناء كلامه فى ترجمة الشيخ ـ رحمه الله: ـ

وله باع طويل فى معرفة مذاهب الصحابة والتابعين، وقلّ أن يتكلم فى مسألة إلا ويذكر فيها مذاهب الأربعة. وقد خالف الأربعة فى مسائل معروفة، وصنَّف فيها، واحتج لها بالكتاب والسنة.

ولما كان مُعْتَقَلاً بالإسكندرية التمس منه صاحب «سبتة»[2] أن يجيز له مرويَّاته وينُصَّ[3] على أسماء جملة منها، فكتب فى عشر ورقات جملة من ذلك بأسانيدها من حفظه، بحيث يعجز أن يعمل بعضه أكبر مُحَدِّث.

وله الآن عدة سنين لايفتى بمذهب مُعَيَّن، بل بما قام عليه الدليل عنده.

ولقد نصر السنة المحضة، والطَّريقة السَّلفيَّة، واحتجَّ لها ببراهين، ومقدمات، وأمور لم يُسْبَق إليها.

وأطلق عبارات أحْجَم عنها الأولون والآخرون؛ وهابوا، وجسر هو عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام، قيامًا لامزيد عليه، وبَدَّعوه، وناظروه، وكادوا[4] له، وهو ثابتٌ لايُداهن ولايُحابى، بل يقول الحقَّ المرَّ الذى أدَّاه إليه اجتهاده، وحِدَّةُ ذِهنه، وَسَعَةُ دائرته فى السنَن والأقوال.

مع ماشتهر عنه[5] من الورع، وكمال الفكرة، وسُرعة الإدراك، والخوف من الله [العظيم][6]، والتعظيم لحرمات الله.

---

(١) فى (ص): قال.

(٢) هى بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب، مطلة على البحر الأبيض المتوسط، تقابل جزيرة الأندلس. انظر: معجم البلدان: ٣/١٨٢، ١٨٣.

(٣) فى (ص): وبيض. (٤) فى (ك): وكابروه. (٥) فى (ص): منه. (٦) ليست فى (ك).

فجرى بينه وبينهم حَمَلات حَرْبيَّة، ووقائع[1] شاميةً ومِصْريَّة، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة فيُنَجِّيه الله.

فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، قويُّ التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يُدْمِنُهَا بكيفية وجمعية[2].

وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء؛ ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائرُ العامة تحبه؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلاً ونهاراً بلسانه وقلمه.

وأما شجاعته فبها تُضْرَبُ الأمثال؛ وببعضها يتشبه أكابر الأبطال.

فلقد أقامه الله فى نَوْبَةِ غَازان، والتقى أعباء الأمر بنفسه؛ وقام وقعد وطلع وخرج؛ واجتمع بالملك مرتين، وبقَطْلُو شَاه وببُولاى، وكان قَبْجَق يتعجب من إقدامه وجرأته على المغُول.

وله حِدَّة قوية تعتريه فى البحث، حتى كأنه ليث حَرِب.

[١٨/أ] وهو أكبر من أن ينبه مثلى على نعوته، فلو حلفت بين الرُّكن والمقام / لحلفت أنِّى مارأيتُ بعينى مثله، ولا والله مارأى[3] هو مثل نفسه فى العلم.

قلت: مافعله الشيخ ـ رحمه الله ـ فى نوبة غازان من جميع أنواع الجهاد، وسائر أنواع الخير: من إنفاق الأموال، وإطعام الطعام، ودفن الموتى، وغير ذلك، معروف مشهور.

---

(١) فى (ص): ووقعات.
(٢) فى (ك): وحجية.
(٣) فى (ص): ولا والله رأى.

ثم بعد ذلك بعام، سنة سبعمائة، لما قدم التَّتار إلى أطراف البلاد، وبقى الخلق فى شِدَّةٍ عظيمة، وغَلَب على ظنهم أن عسكر مصر قد تخلُّوا عن الشام، ركب الشيخ، وسار على البريد إلى الجيش المصرى فى سبعة أيام، ودخل القاهرة فى اليوم الثامن، يوم الاثنين حادى عشر جمادى الأولى، وأطلاب المصريين داخلة. وقد دخل السلطان الملك الناصر، فاجتمع بأركان الدولة، واستَصْرَخَ بهم وحَضَّهم على الجهاد، وتلا عليهم الآيات والأحاديث، وأخبرهم بما أَعَدَّ الله للمجاهدين من الثواب؛ فاستفاقوا، وقويت هممهم، وأبدوا له العذر فى رجوعهم، مما قاسوا من المَطَرِ والبَرْد بيد عرش[1]، ونُودى بالغَزاة، وقوى العزم وعظَّمُوه وأكرموه وتردد الأعيان إلى زيارته.

واجتمع به فى هذه السنة الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد[2]؛ وسمع كلامه وذكر أنهم سألوه بعد انقضاء المجلس فقال: هو رجل حُفَظَة.

قيل له: فَهَلاَّ تكلمتَ معه؟ فقال: هذا رجل يحب الكلام، وأنا أحب السكوت.

ولقد أخبرنى الذهبى عن الشيخ ـ رحمه الله ـ أنه أخبره[3] أن ابن دقيق العيد قال له بعد سماع كلامه: ما كنت أظن أن الله بقى يخلق مثلك.

---

(١) فى (ك): بيد عرس، وفى (ط): منذ عشرين.

(٢) هو محمد بن على بن وهب بن مطيع، أبو الفتح تقى الدين القشيرى، المعروف بابن دقيق العيد، ولد سنة (٦٢٥هـ) بينبع على ساحل البحر الأحمر، ونشأ بقوص وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم القاهرة، كان من أكابر العلماء فى الفقه والأصول وفروع العلم المختلفة، ولى قضاء الديار المصرية سنة (٦٩٥ هـ)، من مؤلفاته: إحكام الأحكام والإلمام بأحاديث الأحكام، الإمام فى شرح الإلمام، الاقتراح فى بيان الاصطلاح، تحفة اللبيب فى شرح التقريب، اقتناص السوانح، شرح مقدمة المطرزى، توفى ـ رحمه الله ـ بالقاهرة سنة (٧٠٢ هـ)؛ انظر: فوات الوفيات: ٢/٢٤٤، الدرر الكامنة: ٤/٩١، مفتاح السعادة: ٢/٢١٩، الأعلام: ٦/٢٨٣.

(٣) فى (ك): أخبر.

[بعض نماذج من رسائل الشيخ إلى محبيه]

وفى اليوم السابع والعشرين من شهر جمادى المذكور، وصل الشيخ إلى دمشق على باب[1] البريد.

وكتب فى هذه الحادثة كتاباً، وصورته: هذا صورة كتاب كتبه شيخ الإسلام، علامة الزمان، تقى الدين، أبو العباس أحمد بن تيمية ـ رحمه الله ورضى عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من يصل إليه من المؤمنين والمسلمين ..

سلام الله عليكم ورحمة الله وبركاته، فإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شىء قدير، ونسأله أن يصلى على صفوته من خلقه[2]، وخيرته من بَرِيَّته، محمدٍ عبده ورسوله ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليمًا.

أما بعد: فقد صدق الله وعده، ونصر عبده، وأعزّ جُنده، وهزم الأحزاب وحده، ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[3]، والله تعالى يحقق لنا تمام[4] الكلام بقوله: ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾[5].

---

(١) باب: ليست فى (ص).
(٢) فى (ك): خليقته.
(٣) الأحزاب: (٢٥).
(٤) فى (ص): التمام.
(٥) الأحزاب: (٢٦ - ٢٧).

فإن هذه الفتنة التى ابْتُلِىَ بها المسلمون مع هذا[1] العدوِّ المفسد، الخارج عن شريعة الإسلام؛ قد جرى فيها[2] شبيه ماجرى للمسلمين مع عدوهم[3] على عهد رسول الله ﷺ فى المغازى التى أنزل الله فيها كتابه، وابتلى بها نَبيَّه وأصحابه[4] والمؤمنين مما[5] هو أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرًا إلى يوم القيامة، فإن نصوص الكتاب والسنة، اللذين هما دعوة محمد ﷺ؛ يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظى والمعنوىِّ، أو بالعموم المعنوى. وعهود الله فى كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الأمة، كما نالت أولها. وإنما قَصَّ الله علينا قصص مَنْ قبلنا من الأمم، لتكون عِبْرة لنا، فنُشَبِّه حالنا بحالهم، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها. فيكون للمؤمن من المتأخرين شَبَهٌ بما كان للمؤمن من المتقدمين[6]، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شَبَهٌ بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين، كما قال تعالى ـ لما قَصَّ قصة يوسف مُفَصَّلة، وأجمل ذكر قصص الأنبياء، ثم قال[7]: ﴿ **لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ** ﴾[8]؛ أى هذه القصص المذكورة فى الكتاب ليست بمنزلة ما يفترى من القصص المكذوبة، كنحو ما يذكر فى الحروب، وفى[9] السير المكذوبة.

وقال تعالى ـ لما ذكر قصة فرعون: ﴿ **فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ** ﴾[10].

وقال فى سيرة نبينا محمد ﷺ مع أعدائه ببَدْر وغيرها: ﴿ **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي**

(١) هذا : ليست فى (ص).
(٢) فيها : ليست فى (ص).
(٣) مع عدوهم: ليست فى (ص).
(٤) أصحابه ليست فى (ص)، وفى (ك) عليها بعض الكشط.
(٥) فى (ك): ماهو.
(٦) من المتقدمين: ليس فى (ص).
(٧) ثم قال: ليس فى (ص).
(٨) يوسف: (١١١).
(٩) فى (ص): فى.
(١٠) النازعات: (٢٥-٢٦).

﴿ فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[1].

[١٨/ب] وقال تعالى فى محاصرته / لبنى النَّضير: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴾[2].

فأمرنا أن نعتبر بأحوال المتقدمين[3] علينا من هذه الأمة، وممن قبلها من الأمم.

وذكر فى غير موضع: أن سنته فى ذلك سنةٌ مُطَّردة، وعادته مستمرة.

فقال تعالى: ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾[5].

وأخبر سبحانه أن دأب الكافرين من المستأخرين، كدأب الكافرين من المستقدمين.

فينبغى للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه فى عباده، ودأب الأمم وعاداتهم

(١) آل عمران: (١٣).
(٢) الحشر: (٢).
(٣) فى (ص): المستقدمين.
(٤) الأحزاب: (٦٠ - ٦٢).
(٥) الفتح: (٢٢-٢٣).

لاسيما فى مثل هذه الحادثة العظيمة التى طبَّق الخافقين خبرها، واستطار فى جميع ديار الإسلام[1] شررها، وأطلع فيها النفاق ناصيةَ رأسه، وكشَر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه، وكاد فيه عمود الكتاب أن يُجْتث ويُخْتَرمَ، وحبل الإيمان أن يقطع[2] ويُصْطَلَمَ، وعُقْرُ دار المؤمنين أن يَحُلَّ بها البوار، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفَجَرة التّتار، وظنَّ المنافقون والَّذين فى قلوبهم مرضٌ أنَّ ما وعدهم[3] الله ورسوله إلا غروراً، وأنْ لَنْ يَنْقَلبَ حزبُ الله ورسوله إلى أهليهم أبداً، وزُيِّنَ ذلك فى قلوبهم وظَنُّوا ظَنَّ السَّوْء وكانوا قوماً بوراً. ونزلت فتنةٌ تركت الحليمَ فيها حيرَان، وأنزلت الرجُلَ الصاحىَ منزلة السكران، وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوسواس ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان؛ حتى بقى للرجل بنفسه شغل عن أن يُغيث اللَّهْفان، وميَّز الله فيها أهل البصائر والإيقان؛ من الذين فى قلوبهم مرضٌ أو نفاق وضعف إيمان، ورفعَ بها أقواماً إلى الدرجات العالية، كما خفض بها أقواماً إلى المنازل الهاوية، وكفَّر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة؛ وحَدَثَ من أنواع البَلْوى ما جعلها قيامة مختصرة[4] من القيامة الكبرى.

فإن الناس تَفَرَّقوا فيها ما بين شَقىٍ وسعيد، كما يتفرقون كذلك فى اليوم الموعود، وفَرّ الرجل فيها من أخيه وأمِّه وأبيه؛ إذ كان لكل امرئ منهم شأن يغنيه، وكان من الناس مَنْ أقصى همته النجاةُ بنفسه، لايَلْوى على ماله ولا ولده ولاغرْسه[5]؛ كما أن منهم من فيه قوة على تخليص الأهل والمال، وآخر فيه زيادة

(١) فى (ص): المسلمين.
(٢) فى (ك): ينقطع.
(٣) فى (ص): ماوعد.
(٤) فى (ك): محتضرة.
(٥) فى (ك): عرسه (بالعين المهملة)، والمثبت من ص، والمقصود بالغرس: الزرع.

معونة لمن هو منه ببال، وآخر منزلته منزلة الشفيع المطاع؛ وهم درجات عند الله فى المنفعة والدفاع؛ ولم تنفع المنفعة الخالصة من الشكوى إلا الإيمان والعمل الصالح[1]، والبر والتقوى. وبُلِيَتْ فيها السرائر، وظهرت الخبايا التى كانت تكنها[2] الضمائر، وتَبَيَّن أن البَهْرَج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ماكان إليه فى المآل. وذَمَّ سادته وكبراءه من أطاعهم فأضَلُّوه السبيل؛ كما حمد ربه من صَدَق فى إيمانه فاتَّخذ مع الرسول سبيلاً، وبان صدق ماجاءت به الآثار النبوية، من الإخبار بما يكون، وواطأتها قلوب الذين هم فى هذه الأمة مُحَدَّثُون كما تواطأت عليه المبشراتُ التى أُرِيَهَا المؤمنون، وتبيَّن فيها الطائفة المنصورة الظاهرة على الدين؛ الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة.

حيث تحزَّب الناس ثلاثة أحزاب: حزب مجتهد فى نصر الدين، وآخر خاذل له، وآخر خارج عن شريعة الإسلام.

وانقسم الناس ما بين مأجور ومعذور، وآخر قد غَرَّه بالله الغرور. وكان هذا الامتحان تمييزًا من الله وتقسيمًا: ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[3].

ووجه الاعتبار فى هذه الحادثة العظيمة: أن الله سبحانه وتعالى[4] بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق / ليظهره على الدين كله، وشرع له الجهاد؛ إباحة له أولاً، ثم إيجاباً له[5] ثانيًا، لما هاجر إلى المدينة، وصار له فيها أنصار ينصرون [١٩/أ]

(١) فى (ص): الخالص.
(٢) فى (ك): تكتمها.
(٣) الأحزاب: (٢٤).
(٤) سبحانه وتعالى: ليست فى (ص).
(٥) له: ليست فى (ص).

الله ورسوله، فغزا بنفسه ﷺ مدة مُقامه بدار الهجرة، وهو نحو عَشْر سنين بضعاً وعشرين غَزوة؛ أولها بَدْرٌ وآخرها غزوة[1] تَبُوكَ، أنزل الله فى أول مغازيه سورة الأنفال؛ وفى آخرها سورةَ براءة؛ وجمع بينهما فى المصحف، لتشابه أول الأمر وآخره؛ كما قال أمير المؤمنين عثمان لما سئل عن القِرَان بين السورتين من غير فَصْل بالبَسْمَلة.

وكان القتال منها فى تسع غزوات.

فأول غزوات القتال: بَدْر، وآخرها حُنَيْن والطائف، وأنزل الله معه[2] فيها ملائكته كما أخبر به القرآن؛ ولهذا صار الناسُ يجمعون بينهما فى القول، وإن تباعد ما بين الغزوتين مكاناً وزمانًا.

فإن بدراً كانت فى شهر[3] رمضان، فى السنة الثانية من الهجرة، ما بين المدينة، ومكة، شاميَّ مكة، وغزوة حنين فى آخر شوال من السنة الثامنة، وحُنين وادٍ قريب من الطائف، شرقيَّ مكة.

ثم قسم النبى ﷺ غنائمها بالجعِرَّانة واعتمر عمرة الجعِرَّانة.

ثم حاصر الطائف فلم يقاتله أهْلُ الطائف زَحْفًا وصفوفًا وإنما قاتلوه من وراء جدار.

فآخر غزوة كان فيها القتال زَحْفًا واصطفافاً هى غزوة حنين.

وكانت غزوة بدرٍ أول غزوةٍ ظهر فيها المسلمون على صناديد الكفار، وقتلهم[4] الله وأسر رءوسهم؛ مع قِلَّة المسلمين وضعفهم؛ فإنهم كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر؛

---

(١) غزوة:ليست فى (ك).
(٢) معه: ليست فى (ك).
(٣) شهر: ليس فى (ك).
(٤) فى (ك): وقتل.

ليس معهم إلا فرسان، وكان يعتقب[1] الاثنان والثلاثة على البعير الواحد، وكان عدوهم بقدرهم أكثر من ثلاث مرات، فى قوة وعُدَّة وهَيْئَة وخيُلاء.

فلما كان من العام المقبل، غزا الكفارُ المدينة وفيها النبىُّ ﷺ وأصحابُه؛ فخرج إليهم النبى ﷺ وأصحابه فى نحو من ربع[2] الكفار؛ وتركوا عيالَهم بالمدينة لم ينقلوهم إلى موضع آخر، وكانت أولاً الكَرَّة للمسلمين عليهم، ثم صارت للكفار. فانهزم عامة عسكر المسلمين، إلا نفراً قليلاً حول النبى ﷺ[3] منهم من قُتل، ومنهم من جُرح، وحرصوا على قَتْل النبى ﷺ، حتى[3] كسروا رُباعيته، وشَجُّوا جبينه، وهشَّموا البَيْضة على رأسه، وأنزل الله فيها نحوًا من شَطْر سورة «آل عمران» من قوله: ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ﴾[4] - قال فيها: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[5]، وقال فيها: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِ حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾[6]، وقال فيها: ﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[7].

وكان الشيطان قد نفق فى الناس أن محمداً قد قُتل، فمنهم من تَزَلْزَلَ لذلك، فهرب، ومنهم من ثبتَ فقاتل، فقال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾[8].

---

(١) فى (ص): يتعقب.
(٢) فى (ص): فى ربع.
(٣-٣) مابين القوسين ليس فى (ص).
(٤) آل عمران: (١٢١).
(٥) آل عمران: (١٥٥).
(٦) آل عمران: (١٥٢).
(٧) آل عمران: (١٦٥).
(٨) آل عمران: (١٤٤).

وكان هذا مثل حال المسلمين لما انكسروا فى العام الماضى؛ وكانت هزيمة المسلمين فى العام الماضى بذنوبٍ ظاهرة، وخطايا واضحة؛ من فساد النيَّات، والفخر والخُيَلاء، والظلم، والفواحش، والإعراضِ عن حكم الكتاب والسُّنة، وعن المحافظة على فرائض الله، والبَغْى على كثير من المسلمين الذين بأرضِ الجزيرةِ والرُّوم[1].

وكان عدوهم فى أول الأمر راضيًا منهم بالموادعة والمسالَمة، شارعاً فى الدخول فى الإسلام، وكان مبتدئًا فى الإيمان والأمان، وكانوا هم قد أعرضوا عن كثير من أحكام الإيمان.

فكان من حكمة الله ورحمته بالمؤمنين أن ابتلاهم بما ابتلاهم[2] به، ليُمَحِّصَ الله الذين آمنوا / ويُنيبوا إلى ربهم، وليظهر من عَدُوِّهم ماظهر منه[3] من البَغْى والمكر، والنَّكْث، والخُروج عن شرائع الإسلام، فيقوم بهم ما يستوجبون به النصر، وبعدوهم مايستوجب به الانتقام. [١٩/ب]

فقد كان فى نفوس كثير من مُقاتلة المسلمين ورعيتهم من الشر الكبير ما لو يقترن به ظفَرٌ بعدوهم ـ الذى هو على الحال المذكورة ـ لأوجب لهم ذلك من فساد الدين والدنيا ما لا يوصف.

كما أن نصر الله المسلمين يوم بَدْرٍ كان رحمة[4] ونعمةً، وهزيمتهم يوم أُحُدٍ كان باطنها رحمة ونعمة[5] على المؤمنين.

---

(١) يقارن الشيخ بين هزيمة المسلمين أمام التتار وهزيمة المسلمين يوم أحد، وأن السبب فى الهزيمتين كان واحدًا؛ وهو الخروج عن أوامر الله ورسوله وأن المعاصى كانت سببًا فى هزيمة المسلمين أمام عدوهم فى كل عصر.

(٢) بما ابتلاهم: ليست فى (ص).

(٣) منه: ليست فى (ص).

(٤) فى (ص): من رحمة.

(٥) فى (ك): كان نعمة ورحمة.

فإن النبى ﷺ قال: «لايقضى الله للمؤمن قضاءً إلا كان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن؛ إن أصابته سَرَّاءُ فشكرَ الله كان خيراً له، وإن أصابته ضَرَّاءُ فصبر كان خيراً له»(١).

فلما كانت حادثة المسلمين عام أول شبيهةً بأحدٍ، وكان بعد أحد بأكثر من سنة ـ وقيل بسنتين ـ قد ابْتُلِىَ المسلمون بغزوة الخَنْدق.

كذلك فى هذا العام ابْتُلِىَ المؤمنون(٢) بعدوِّهم، كنحو ما ابْتُلِىَ المسلمون مع النبى ﷺ عام الخَنْدَقِ، وهى غزوة الأحزاب التى أنزل الله فيها سورة الأحزاب، وهى سورة تضمنت ذكر هذه الغزاة؛ التى نصر الله فيها عبده ﷺ، وأعزَّ فيها جُنْدَه المؤمنين، وهَزَمَ الأحزاب الذين تحزَّبوا عليه(٣) وَحده، بغير قتالٍ، بل بثبات المؤمنين بإزاء عدوهم.

ذكر فيها خصائص رسول الله ﷺ، وحقوقَه، وحُرْمَتَه(٤)، وحرمة أهل بيته؛ لما كان هو القَلْب الذى نصره الله فيها بغير قتال؛ كما كان ذلك فى غزوتنا هذه سواء، وظهر فيها سر تأييد الدين؛ كما ظهر فى غزوة الخندق. وانقسم الناس فيها كانقسامهم(٥) عام الخندق.

وذلك أن الله تعالى منذُ بعثَ محمداً ﷺ وأعزّه بالهِجرةِ والنُّصرة، صار الناسُ ثلاثةَ أقسام:

قسماً مؤمنين؛ وهم الذين آمنوا(٦ به ظاهراً وباطناً.

وقسماً كفَّارا؛ وهم الذين أظهروا الكفر به٦).

---

(١) ورد الحديث فى: مسلم: ٤/٢٢٩٥ (كتاب الزهد والرقائق. باب المؤمن أمره كله خير)؛ الإمام أحمد فى مسنده: ٤/٣٣٢، ٣٣٣، ٦/١٥، ١٦.

(٢) فى (ص): المسلمون.

(٣) فى (ص): تخربوا عليهم.

(٤) فى (ص): ورحمته.

(٥) فى ك: كاتفاقهم، وفى ص: صححها الناسخ بالهامش.

(٦-٦) به ليست فى (ص) فى الموضعين.

وقسمًا منافقين؛ وهم الذين آمنوا ظاهرا، لا باطنا.

ولهذا افتتح الله[1] سورة البقرة بأربع آيات فى صفة المؤمنين، وآيتين فى صفة الكافرين، وثلاث عشرة[2] آية فى صفة المنافقين.

وكل واحد من الإيمان والكفر والنفاق له دعائمُ وشعبٌ؛ كما دلت عليه دلائل الكتاب والسنة، وكما فسره أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضي الله عنه فى الحديث المأثور عنه فى الإيمان ودعائمة وشعبه.

[أنواع النفاق]

فمن النفاق ماهو أكبر يكون صاحبه فى الدَّرْك الأسفل من النار؛ كنفاق عبد الله بن أُبىّ وغيره بأن يُظهر تكذيبَ الرسول، أو جحود بعض ماجاء به، أو بُغْضَه، أو عدمَ اعتقاد وجوب اتِّباعه، أو المسَرَّة بانخفاض دينه، أوالمساءة بظهور دينه، ونحو ذلك، مما لا يكون صاحبه إلا عدواً لله ورسوله.

وهذا القدر كان موجوداً فى زمن رسول الله ﷺ ومازال بعده[3]؛ بل هو بعده أكثرُ منه على عهده؛ لكون[4] موجبات الإيمان على عَهده أقوى، فإذا كانت مع قَوَّتها؛ كان النفاقُ معها[5] موجوداً فوجوده فيما دون ذلك أولى.

وكما أنه ﷺ كان يعلم بعضَ المنافقين ولا يعلم بعضهم كما بَيَّنه قوله: ﴿ **وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ** ﴾[6]؛ كذلك خلفاؤه بعده، وورثَتُه؛ قد يعلمون بعضَ المنافقين ولايعلمون بعضهم.

---

(١) لفظ الجلالة: ليس فى (ك).
(٢) فى (ك): ثلاث عشر.
(٣) بعده: ليست فى (ص).
(٤) فى (ص): لكن.
(٥) معها: ليست فى (ك).
(٦) التوبة: ١٠١.

[٢٠/أ] وفى المنتسبين إلى / الإسلام من عامَّةِ الطوائفِ منافقون كثيرون، فى الخاصة والعامة، ويُسَمَّونَ الزنادقة.

وقد اختلف العلماء فى قبول توبتهم فى الظاهر، لكون ذلك لايُعلم، إذ هم دائمًا يُظهرون الإسلام.

وهؤلاء يكثرون فى المتفَلْسِفَةِ من المنجِّمين، ونحوهم، ثم فى الأطباء، ثم فى الكُتَّاب أقلُّ من ذلك.

ويوجدون فى المتَصَوِّفةِ والمتَفَقِّهةِ، وفى المقاتلة والأمراء، وفى العامَّة ـ أيضاً.

ولكن يوجدون كثيراً فى نِحَلِ أهلِ البدع، لاسيما الرَّافِضَةَ؛ ففيهم من الزنادقة والمنافقين ما ليس فى أحد من أهل النِّحَلِ؛ ولهذا كان الخُرَّمِيَّةُ[1]، والباطنية[2]

---

(١) الخُرَّمِيَّةُ أو الخرمدينية: هم أتباع بابك الخَرَّمَى من زعماء الباطنية، وهو من أتباع أبى مسلم الخراسانى، وقد ظهر فى أذربيجان وكثر أتباعه، واستحلوا المحرمات وأباحوا قتل الكثير من المسلمين، وحاربته جيوش المعتصم مدة طويلة إلى أن أسرته فصلب سنة (٢٢٣ هـ) بسر من رأى.
انظر: الفرق بين الفرق: ١/١٦١، ١٧١، الفهرست لابن النديم: ص ٣٤٢ - ٣٤٤، الملل والنحل: ١/٢١٦، منهاج السنة النبوية لابن تيمية بتحقيق الدكتور محمد رشاد سالم: هامش ١/٣١٦.

(٢) الباطنية : هم الذين جعلوا لكل ظاهر من الكتاب باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، ويذكر الشهرستانى أن الباطنية القديمة كانت تخلط كلامها ببعض كلام الفلاسفة، أما الباطنية على زمانه فقد جعلهم هم والإسماعيلية الغلاة فرقة واحدة، وذكر أنهم يسمون فى العراق بالباطنية والقرامطة والمزدكية، وفى خراسان بالتعليمية والملحدة، وأضاف الديلمى لهم الألقاب التالية: السبعية، والخرّمية، والبابكية، والمحمرة، والمباركية، والإباحية، والزنادقة، والخرمدينية، وذكر البغدادى أن الذين أسسوا دعوى الباطنية جماعة منهم ميمون بن ديصان المعروف بالقداح، ومحمد بن الحسين الملقب بدنوان.
انظر: الملل والنحل: ١/١٧٠ - ١٧٨، الفرق بين الفرق: ص ١٦٩ - ١٨٨، قواعد عقائد آل محمد: ص ٣٤ ط القاهرة سنة ١٩٥٠م، وانظر ـ أيضًا: منهاج السنة النبوية لابن تيمية ـ تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم: هامش (٢) ١/٥.

والقَـرَامطَة[١]، والإسـمـاعـيليـة[٢]، والنُّصَـيـرية، ونحـوهم، من المنافـقين الزنادقـة منتسبة إلى الرافضة.

وهؤلاء المنافقون فى هذه الأوقات لكثير منهم ميلٌ إلى دولة هؤلاء التتار لكونهم لايلزمونهم شريعة الإسلام؛ بل يتركونهم وما هم عليه.

وبعـضـهم إنما ينفـرون عن التـتـار لفـسـاد سـيـرتهم فى الدنيـا، واسـتـيـلائهم علـى الأمـوال، واجـتـرائهم على الدمـاء، والسبى، لا لأجل الدين؛ فـهـذا ضـرب النفاق الأكبر.

وأما النفاق الأصغر: فهو النفاق فى الأعمال ونحوها؛ مثل أن يكذبَ إذا حَدَّثَ، أو يُخْلِفَ إذا وعدَ[٣]، أو يخونَ إذا ائْتُمِنَ، أو يَفْجُـرَ إذا خـاصم؛ ففـى الصـحـيـحين عن النبى ﷺ قـال: «آيةُ المنافق ثلاث: إذا حَدَّثَ كذبَ، وإذا وعد أخْلَفَ وإذا ائْتُمن خان»، وفى رواية صحيحة «وإن صلى وصام[٤]، وزعم أنه مسلم».

---

(١) القرامطة: فرع من الباطنية ينتسبون إلى حمدان بن الأشعث القرمطى، لهم مذهب خاص فى تأويل القرآن أبطلوا فيه الشرائع، وكان حمدان يدعى النسب إلى بيت الإمام جعفر الصادق وينتسب إليه. انظر ماكتب عنه فى: الفرق بين الفرق للبغدادى: ص ٢٨١-٢٩٣، مقالات الإسلاميين للأشعرى: ٩٨/١، المنتظم لابن الجوزى: ٥/١١٠-١١٩.

(٢) الإسماعيلية: فرقة من الشيعة تقول بأحقية إسماعيل بن جعفر الصادق بالإمامة وانقسموا فيما بينهم إلى فرقتين؛ قالت الأولى منهما: إن إسماعيل بن جعفر الصادق لم يمت وإنما أظهر الموت تقية من أعدائه، وقالت الثانية منها: لقد مات إسماعيل، والإمام بعده هو محمد بن إسماعيل وهؤلاء يسمون بالمباركية، ثم انقسموا بعد ذلك إلى من وقف بالإمامة عند محمد بن إسماعيل وقال برجعته بعد غيبته، وإلى من ساق الإمامة إلى الأئمة المستورين من بعده.
انظر عنهم: مقالات الأشعرى: ٩٨/١ - ٩٩؛ الملل والنحل: ١٤٩/١، كتاب الدكتور محمد كامل حسين عن «الإسماعيلية»، وما كتبه عنهم ابن تيمية فى منهاج السنة النبوية بتحقيق المرحوم محمد رشاد سالم.

(٣) فى (ك): ويخلف إذا وعد.

(٤) فى (ص): وإن صام وصلى.

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال: «أربع مَن كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً[1]، ومن كانت فيه خَصلةٌ منهنَّ كانت فيه خَصلة من النفاق، حتى يَدَعَها: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلفَ، وإذا عاهد غَدر، وإذا خاصم فَجرَ».

ومن هذا الباب: الإعراضُ عن الجهاد؛ فإنه من خصال المنافقين، قال النبى ﷺ: «من مات ولم يَغْزُ، ولم يُحَدِّثْ نفسه بالغَزْوِ؛ مات على شُعبة من نفاق» رواه مسلم[2].

وقد أنزل الله سورة «بَراءة»، التى تسمى الفاضحة؛ لأنها فَضَحت المنافقين؛ أخرجاه فى الصحيحين عن ابن عباس قال: «هى الفاضحة، مازالت تنزلُ (ومنهم ومنهم) حتى ظنوا أن لايبقى أحد إلا ذُكِر فيها»[3].

وعن المقْداد بن الأسود قال: «هى سورة البُحوث؛ لأنها بحثت عن سرائر[4] المنافقين».

وعن قتادة: قال «هى المُثيرَةُ؛ لأنها أثارت مَخازى المنافقين».

وعن ابن عباس[5] قال: «هى المبَعْثرةُ»؛ والبَعْثرةُ والإثارة متقاربان.

وعن ابن عمر: «أنها المُقَشْقِشَةُ»؛ لأنها تبرئ من مرض النفاق يقال: تَقَشْقَش المريضُ إذا برأ.

---

(١) خالصاً: ليست فى ص.

(٢) ورد الحديث فى: مسلم: ١٥١٧/٣ (كتاب الإمارة. باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو)؛ أبى داود: ١٠/٣ (كتاب الجهاد. باب كراهية ترك الغزو)؛ النسائى: ٨/٦ (كتاب الجهاد. باب التشديد فى ترك الجهاد)؛ الإمام أحمد فى مسنده: ٣٧٤/٢.

(٣) عن ابن عباس قال: «هى الفاضحة؛ مازالت تنزل: ومنهم؛ ومنهم؛ حتى ظنوا أنه لايبقى أحد إلا ذكر فيها». انظر فى ذلك: البخارى: ٢٦٥/١٧ (كتاب التفسير. تفسير سورة الحشر)؛ مسلم: ٢٣٢٢/٤ (كتاب التفسير. باب فى سورة براءة والحشر).

(٤) فى (ص): عن سائر.

(٥) فى (ص): ابن إسحاق.

وقال الأصْمَعىُّ: وكان يقال لسورتى الإخلاص: المقَشْقِشَتَان؛ لأنهما يبرئان من النفاق[1].

وهذه السورة نزلت فى آخر مغازى النبى ﷺ: غزوة تَبُوكَ، عام تسع من الهجرة، وقد عَزَّ الإسلام وظهر، فكشفَ الله فيها أحوال المنافقين، ووصفهم فيها بالجُبْن، وترك الجهاد، ووصفهم بالبُخْلِ عن النَّفقةِ فى سبيل الله، والشُّحِّ على المال، وهذان داءان عظيمان: الجُبْنُ والبُخْل[2].

قال النبى ﷺ: «شَرُّ مافى المرء؛ شُحٌّ هالعٌ، وجُبْنٌ خالعٌ»؛ حديث صحيح[3]؛ ولهذا قد يكونان من الكبائر الموجبة للنار؛ كما دلَّ عليه قوله: ﴿ **وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ** ﴾[5].

وأما وصفهم بالجبن والفَزَع؛ فقال تعالى: ﴿ **وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ (٥٦) لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ** ﴾[6].

فأخبر سبحانه أنهم؛ وإن حلفوا أنهم من المؤمنين؛ فما هم منهم؛ ولكن يفزعون

---

(١) هما سورتا: «الكافرون» و «الإخلاص»، فالأولى براءة عملية من الكفر، والثانية توحيد خالص لله تعالى.
(٢) فى (ص): البخل والجبن.
(٣) ورد هذا الحديث فى: مسند الإمام أحمد: ٣٠٢/٢، ٣٢٠؛ أبى داود: ١٢/٣ (كتاب الجهاد ، باب فى الجرأة والجبن).
(٤) آل عمران: (١٨٠).
(٥) الأنفال: (١٦).
(٦) التوبة: (٥٦ - ٥٧).

[٢٠/ب] من العدو، فلو يَجِدُونَ مَلْجَأً / يلجأون إليه مثل[١] المعاقل والحصون التى يَفِرُّ إليها من يتركُ الجهاد، أو مَغارات ـ وهى جَمْع مَغارة، ومغارات[٢]؛ سُمِّيت بذلك لأن الداخل يغور فيها، أى يستتر كما يغور الماء.

أو مُدَّخلا ـ وهو الذى يُتَكَلَّفُ الدخول فيه[٣]، إما لضيق بابه، أو لغير ذلك؛ أى مكانًا يدخلون إليه، ولو كان الدخول بكُلْفة ومشَقَّة ـ لَوَلَّوا عن الجهاد إليه، وهم يَجمَحُون، أى يُسرعون إسراعاً لا يَرُدُّهم شىء، كالفَرس الجَمُوحِ الذى إذا حَملَ لايرده اللِّجام.

وهذا وصف منطبق على أقوام كثيرين فى حادثتنا، وفيما قبلها من الحوادث وبعدها.

وكذلك قال فى سورة محمد ﷺ: ﴿ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴾[٤]؛ أى فَبُعداً لهم؛ ﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[٥]، فحصر المؤمنين فيمن آمن وجاهد.

وقال تعالى: ﴿ لا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤) إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾[٦].

---

(١) فى (ك): من.
(٢) ومغارات: ليست فى (ص).
(٣) فى (ك): إليه.
(٤) محمد: (٢٠ - ٢١).
(٥) الحجرات: (١٥).
(٦) التوبة: (٤٤ - ٤٥).

فهذا إخبار من الله بأن المؤمن لايستأذن الرسول فى ترك الجهاد، وإنما يستأذنه الذى لايؤمن، فيكف بالتارك من غير استئذان؟!

ومن تدبّر القرآن وجد نظائر هذا مُتضافرةً على هذا المعنى.

وقال فى وصفهم بالشُحِّ: ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلا يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾[١].

فهذه حال من أنفق كارهًا؛ فكيف بمن ترك النفقة رأساً؟!

وقال: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾[٢].

وقال: ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[٣].

وقال فى السورة: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[٤].

فانتظمت هذه الآية حال[٥] من أخذ المال بغير حقه، أو منعه عن مستحقِّه من جميع الناس؛ فإن الأحبارَ هُمُ العلماءُ، والرُّهْبانَ هم العُبَّاد.

---

(١) التوبة : (٥٤).
(٢) التوبة : (٥٨).
(٣) التوبة : (٧٥ - ٧٦).
(٤) التوبة : (٣٤ - ٣٥).
(٥) فى (ص): على حال.

وقد أخبر أن كثيرًا منهم يأكلون أموالَ الناسِ بالباطل، ويَصُدُّونَ؛ أى يُعرضون ويَمنعون.

يُقال: صَدَّ عن الحق، صدوداً، وصدَّ غيرَه.

وهذا يَندَرجُ فيه مايُؤكل بالباطل : من وَقْفٍ، أو عطية على الدِّين؛ كالصلاة والنذور التى تُنذر لأهل الدِّين، ومن الأموال المشتركة؛ كأموال بيت المال، ونحو ذلك. فهذا فيمن يأكلُ المالَ بالباطلِ بشبهةِ دينٍ.

ثم قال: ﴿ **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾؛ فهذا يندرج فيه مَنْ كَنَزَ المالَ عن النَّفقة الواجبة فى سبيل الله، والجهادُ أحقُّ الأعمالِ باسم سبيل الله، سواء كان مَلِكاً، أو مُقَدَّماً، أو غنياً، أو غير ذلك.

وإذا دخل فى هذا الباب[1] ماكُنز من المال الموروث والمكسوب؛ فما كُنز من الأموال المشتركة التى يستحقها عمومُ الأمة ـ ومستحقُّها مصالحهم ـ أَوْلَى وأَحْرَى.

(١) الباب : ليست فى (ك).

فصــل

فإذا تبيَّن بعض معنى المؤمن والمنافق. فإذا قرأ الإنسانُ سورةَ الأحزاب، وعرف من المنقولات فى الحديث، والتفسير، والفقه / ، والمغازى كيف كانت صفةُ الواقعة [٢١/أ] التى نزل فيها[١] القرآن، ثم اعتبر هذه الحادثة بتلك؛ وجد مصداقَ ماذكرناه[٢]، وأن الناس انقسموا فى هذه الحادثة إلى الأقسام الثلاثة؛ كما انقسموا فى تلك، وتَبَيَّنَ له كثير من المتشابهات.

افتتح الله السورة بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[٣]، وذكر فى أثنائها قوله: ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا (٤٧) وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾[٤]، ثم قال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٢) وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[٥].

فأمره باتباع ما أوحى إليه من الكتاب والحكمة ـ التى هى سنته ـ وبأن يتوكل على الله.

فبالأولى تحقق قولهُ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾.

وبالثانية تحقق قوله : ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

ومثل ذلك قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[٦]، وقوله: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٧].

---

(١) فى (ك) : بها.
(٢) فى (ك) : ما ذكرنا.
(٣) أول سورة الأحزاب.
(٤) الأحزاب : (٤٧ – ٤٨).
(٥) الأحزاب : (٢ – ٣).
(٦) هود : (١٢٣).
(٧) هود : (٨٨).

[الجهاد يجمع بين التوكل والإنابة]

وهذا وإن كان مأمورًا به فى جميع الدين؛ فإن ذلك فى[1] الجهاد أوكدُ؛ لأنه يحتاجُ إلى أن يُجاهد الكفار والمنافقين، وذلك لايتمُّ إلا بتأييد قوىّ من الله، ولهذا كان الجهاد سَنام العمل وانتظم سَنامَ جميع الأحوال الشريفة.

ففيه سَنام المحبة، كما فى قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾[2].

وفيه سَنام التوكُّل وسَنامُ الصبر؛ فإن المجاهدَ أحوجُ الناس إلى الصبر والتوكل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[3]، ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[4].

---

(١) هى : ليست فى (ك).
(٢) المائدة : (٥٤).
(٣) النحل : (٤١ - ٤٢).
(٤) الأعراف : (١٢٨).

ولهذا كان الصبرُ واليقينُ ـ اللذين هما أصلُ التوكل ـ يُوجبان الإمامة فى الدين؛ كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(1).

ولهذا كان الجهاد موجباً للهداية التى هى مُحيطَةٌ بأبواب العلم؛ كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾(2).

(3 ولهذا قال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل وغيرهما: إذا اختلف الناس فى شىء فانظروا ما عليه أهل الثغر فإن الحق معهم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾3)؛ فجعل لمن جاهد فيه هدايته جميع سُبُله تعالى.

وفى الجهاد ـ أيضًا: حقيقة الزهد فى الحياة الدنيا، وفى الدار الدنيا.

وفيه ـ أيضًا: حقيقة الإخلاص، فإنّ الكلاَم فيمن جاهد فى سبيل الله، لافى سبيل(4 الرياسة، ولا فى سبيل المال، ولا فى سبيل4) الحَمِيَّة، وهذا لا يكون إلا لمن قاتل ليكون الدين كُلُّه لله، ولتكون كلمةُ الله هى العُلْيَا.

وأعظم مراتب الإخلاص؛ تسليمُ النفس والمال للمعبود؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾(5).

والجنة اسمٌ للدار التى حَوَتْ كلَّ نعيمٍ، أعلاه النظرُ إلى الله، إلى ما دون ذلك مما تَشْتَهِيه الأنْفُس وتَلَذُّ الأَعْيُنُ، مما قد نعرفه وقد لا نعرفه؛ كما قال الله تعالى

---

(1) السجدة: (24).

(2) العنكبوت: (68).

(3-3) ليس فى (ك).

(4-4) فى (ك): ولا سبيل فى الموضعين.

(5) التوبة: (111).

فيما رواه عنه رسوله ﷺ: «أعددتُ لعبادى الصَّالحين ما لا عَيْنٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ على قلب بَشَرٍ»، فقد تبين بعض أسباب افتتاح هذه السورة بهذا.

[أحوال المسلمين يوم الأحزاب]

ثم إنه تعالى قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) ﴾[١].

وكان مختصر هذه[٢] القصة:

أن المسلمين تَحزَّب عليهم عامَّةُ المشركين الذين حولهم، وجاءوا بجموعهم إلى المدينة ليَسْتأصلوا المؤمنين.

فاجتمعت قريش وحلفاؤها [٣]ومواليها من كنانة وأهل نجد والأحابيش، واجتمعت غطفان وحلفاؤها[٣] من بنى أسدٍ، وأشْجَع، وفَزَارَةَ، وغيرهم من قبائل نَجْد.

واجتمعت ـ أيضًا[٤] ـ اليهود من قُرَيْظَة، والنَّضير؛ فإن بنى النَّضير كان النبى ﷺ قد أجْلاَهُمْ قَبلَ ذلك؛ كما ذكره الله تعالى فى سورة الحَشْر، فجاءوا فى الأحزاب إلى قُرَيْظَةَ وهم معاهدون للنبى ﷺ، ومُجاورون له، قريبًا من المدينة. فلم يزالوا حتى نَقَضَت قُرَيْظَةُ الْعَهْدَ، ودخلوا فى الأحزاب، فاجتمعت هذه الأحزاب العظيمة، وهم بِقَدْرِ المسلمين مَرَّات متعددة، فرفع النبى ﷺ الذُّرِّيةَ من النساء

---

(١) الأحزاب: (٩).
(٢) هذه: ليست فى (ك).
(٣-٣) ليست فى (ك).
(٤) أيضاً: ليست فى (ص).

والصبيان / فى آطام المدينة - وهى مثل الجواسق[1] - ولم ينقلهم إلى مواضع [٢١/ب] أُخَرَ، وجعل ظهورهم[2] إلى سَلْعٍ - وهو الجبل القريب من المدينة، من ناحية الغرب والشام - وجعل بينه وبين العدو خَنْدَقاً، والعدو قد أحاط بهم من العاليَة والسَّافِلَة وكان عدواً شديدَ[3] العداوة، لو تمكَّن من المؤمنين[4] لكانت نِكايَتُه فيهم أعظم النكايات.

[مقارنة بين غزوة الأحزاب وغزوة التتار]

وفى هذه الحادثة تحزَّب هذا العدو من مُغُلٍ وغيرهم من أنواع التُّرْكِ، ومن فُرْس ومُسْتَعْرِبَة، ونحوهم من أجناس المرتدة، ومن نصارى، من الأرمن وغيرهم. ونزل هذا العدو بجانب ديار المسلمين، وهو بين الإقدام والإحْجَام، مع قِلَّةِ مَنْ بإزائهم من المسلمين. ومقصودُهم[5] الاستيلاء على الدار، واصْطِلاَم أهلها. كما نَزَل أولئك بضواحى[6] المدينة بإزاء المؤمنين[7].

ودام الحصار على المسلمين عامَ الخَنْدَقِ - على ما قيل - بِضْعاً وعشرين ليلة. وقيل: عشرين ليلة.

وهذا العدو عَبَر الفُرات سَابِعَ عشر ربيع الآخر[8]. كان أول انصرافه راجعاً عن حَلَب، لما رجع مُقَدَّمهم الكبير قازان بمن معه: يوم الاثنين حادى، أو ثانى عشر، جمادى الأولى، يوم دخل العسكر - عسكر المسلمين - إلى مصر المحروسة، واجتمع

---

(١) الجواسق: جمع جوسق وهو الحصن، معرّب أصله فارسى: الكُوشك، وقيل: الجوسق: القصر. انظر لسان العرب: (جوسق).

(٢) فى (ك) ظهرهم.

(٣) فى (ص): شديداً.

(٤) فى (ص): المدينة.

(٥) فى (ص): وقصدهم.

(٦) فى (ك): بنواحى.

(٧) بإزاء المؤمنين: ليس فى (ص).

(٨) فى (ص): ربيع الأول.

بهم الداعى، وخاطبهم فى هذه القضية؛ وكان الله سبحانه وتعالى لما ألقى فى قلوب المؤمنين مـا ألقى من الاهتمام والعَـزْم: ألقى فى قلوب عدوهم الرَّوْعَ والانصراف.

وكان عام الخندق[1] بَرْدٌ شديد، وريح شديدة مُنْكَرَة، بها صَرَف اللهُ الأحزاب عن المدينة، كما قال تعالى ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا** ﴾[2].

وهكذا هذا العام أكثر الله فيه الثَّلجَ والمطر والبَرْدَ، على خلاف أكثر العادات حتى كره أكثر الناس ذلك وكُنَّا نقول لهم: لا تكرهوا ذلك؛ فإن لله فيه حكمة ورحمة.

وكان ذلك من أعظم الأسباب التى صرفَ الله به العدو، فإنه كثر عليهم الثلج والمطر والبرد، حتى هلك من خَيْلهم ما شاء الله، وهلك أيضا منهم من شاء الله وظهر فيهم وفى بَقيَّة خَيْلهم من الضَّعف والعَجْز بسبب البرد والجوع ما رأوا أنهم لا طاقة لهم معه بقتال، حتى بلغنى عن بعض كبار المقدَّمين فى أرض الشام[3] أنه قال: لا بَيَّض الله وجوهنا، عدونا فى الثلج إلى شعره، ونحن قعود[4] لا نأخذهم؟

وحتى علموا أنهم كانوا صيداً للمسلمين، لو يصطادونهم، لكن لله فى تأخير[5] اصطيادهم حكمة عظيمة.

وقال الله فى شأن الأحزاب: ﴿ **إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (10) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا** ﴾[6].

---

(١) فى (ص): وعام الخندق.
(٢) الأحزاب: (٩).
(٣) فى (ص): الشمال.
(٤) فى (ص) نعود.
(٥) فى (ك): لكن فى تأخير الله.
(٦) الأحزاب: (١٠-١١).

وهكذا هذا العام جاء العدو من ناحيتى علو الشام، وهو[1] شمال الفرات وهو[1] قبليُّ الفُرات، فزاغت الأبصار زَيغاً عظيما، وبلغت القلوب الحناجر، لعظم البلاء، لا سيما لما استفاض الخبر بانصراف العسكر إلى مصر، وتقرُّب العدو وتوجُّهه إلى دمشق، وظن الناس بالله الظنونا.

هذا يظن أنه لا يقف قُدَّامهم أحد من جُنْد الشام، حتى يصطلموا أهل الشام

وهذا يظن أنهم لو وقفوا لكَسروهم شر[2] كَسْرَةً، وأحاطوا بهم إحاطةَ الهالَةِ بالقمر.

وهذا يظن أن أرض الشام ما بقيت تسكن، ولا بقيت تكون تحت مملكة الإسلام.

وهذا يظن أنهم يأخذونها، ثم يذهبون إلى مصر فيستولون عليها، فلا[2] يقف قدامهم أحد، فيحدث نفسه بالفرار إلى اليمن. ونحوها.

وهذا - إذا[3] أحسن ظنه - قال: إنهم يملكونها[4] العام، كما ملكوها عام هُولاكو، سنة سبع وخمسين، ثم قد يخرج العسكر من مصر فيستنقذها منهم، كما خرج ذلك العام، وهذا[5] ظن خيارهم.

وهذا يظن أن ما أخبره به أهل الآثار النبوية، وأهل التحديث والمبشرات أمانيُّ كاذبة، وخرافات لاغية.

وهذا قد استولى عليه الرعب والفزع، حتى يمر الظن بفؤاده مَرَّ السحاب، ليس له عقل يتفهم، ولا لسان يتكلم.

---

(١) هو: ليست فى (ص) فى الموضعين.
(٢) فى (ص): ولا.
(٣) إذا: ليست فى (ص)
(٤) فى (ص) : لا يملكونها.
(٥) فى (ص): وهكذا.

وهذا قد تعارضت عنده (الأمارات، وتقابلت عنده[1]) الإرادات، لا سيما وهو لا يفرق من المبَشِّرات بين الصادق والكاذب، ولا يميِّز فى التحديث بين المخطئ والصائب، ولا يعرف النصوص الأثرية معرفة العلماء، بل إما أن يكون جاهلاً بها، أو قد سمعها[2] سماع العبر، ثم قد لايتفطن لوجوه دلالتها الخفية، ولا يهتدى[3] لدفع ما يتخيل أنه معارض لها فى بادئ الرؤية.

[٢٢/أ] فلذلك استولت / الحيرة على من كان متسما بالاهتداء، وتراجمت به الآراء تراجم الصبيان بالحصباء. هنالك ابتلى المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا، ابتلاهم الله بهذا الابتلاء[4]، الذى يُكَفِّر به خطيئاتهم، ويرفع به درجاتهم، وزلزلوا بما حصل[5] لهم من الرَّجفات، ما استوجبوا به أعلى الدرجات.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً ﴾[6].

وهكذا قالوا فى هذه الفتنة فيما وعدهم أهل الوراثة النبوية، والخلافة الرسالية، وحزب الله المحدثون عنه، حتى حصل لهؤلاء التأسِّى برسول الله ﷺ. كما قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[7].

فأما المنافقون فقد مضى التنبيه عليهم.

وأما الذين فى قلوبهم مرض فقد تكرر ذكرهم فى هذه السورة، فذكروا هنا وفى قوله: ﴿ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ﴾[8] وفى قوله: ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾[9].

---

(١) ما بين القوسين ليس فى (ص). (٢) فى (ك): وقد سمعها. (٣) فى (ص): ولا يهدى.
(٤) فى (ص): لبلاء. (٥) فى (ك): يحصل. (٦) الأحزاب: (١٢).
(٧) الأحزاب: (٢١). (٨) الأحزاب: (٦٠). (٩) الأحزاب: (٣٢).

وذكر الله تعالى(١) مرض القلب فى مواضع، فقال تعالى: [(٢﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾٢)]. وقوله تعالى ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ ﴾(٣).

والمرض فى القلب كالمرض فى الجسد، فكما أن هذا هو ما أحاله(٤) عن الصحة والاعتدال، من غير موت، فكذلك قد يكون فى القلب مرض يحيله عن الصحة والاعتدال، من غير أن يموت القلب، سواء أفسد(٥) إحساس القلب وإدراكه، أو أفسد(٥) عمله وحركته.

وذلك(٦) - كما فسروه - : هو من ضعف الإيمان، إما بضعف(٧) علم القلب واعتقاده، وإما بضعف(٧) عمله وحركته، فيدخل فيه مَنْ ضَعُفَ تصديقُهُ ومَنْ غلب عليه الجُبْن والفزع. فإن أدواء القلب من الشهوة المحرَّمة والحسَد والجُبْنِ والبُخْلِ وغير ذلك، كلُّها أمراض، وكذلك الجهل والشكوك والشبهات التى فيه.

وعلى هذا قوله تعالى: ﴿ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ هو إرادة الفجور، وشهوة الزنا، كما فسروه به. ومنه قول النبى ﷺ: «وأىُّ داء أدْوَى من البُخْل؟(٨)»

وقد جعل الله تعالى كتابه شفاء لما فى الصدور.

وقال النبى ﷺ «إنما شِفاء العِىِّ السؤال(٩)».

(١) تعالى: ليس فى (ك).
(٢-٢) البقرة: (١٠)، وهذه الآية سقطت من نسخة (ك).
(٣) الأنفال: (٤٩).
(٤) فى (ك): إحالة.
(٥) فى (ص): فسد فى الموضعين
(٦) فى (ص): وذاك.
(٧) فى (ص): يضعف فى الموضعين.
(٨) ورد الحديث فى: البخارى بلفظ «أدوأ» بالهمزة ٢٢١/١٦ (كتاب المغازى. باب قصة عمان والبحرين)؛ والإمام أحمد فى مسنده: ٣٠٨/٣ (مسند جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما).
(٩) ورد الحديث فى أبى داود: ٩٣/١ (كتاب الطهارة. باب المجروح يتيمم)؛ وابن ماجه: ١٨٩/١ (كتاب الطهارة وسننها. باب فى المجروح تصيبه الجنابة فيخاف على نفسه إن اغتسل).

وكان يقول فى دعائه «اللهم إنى أعوذ بك من منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء»[1].

ولن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض فى قلبه.

كما ذكروا أن رجلا شكا إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الوُلاة، فقال: لو صَحَحْت لم تَخفْ أحداً؛ أى خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك.

ولهذا أوجب الله على عباده أن لا يخافوا حزب الشيطان، بل لا يخافون[2] غيره تعالى، فقال: ﴿ **إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾[3] أى يُخَوفكم أولياءه.

وقال لعموم بنى إسرائيل تنبيها لنا ﴿ **وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ** ﴾[4].

وقال ﴿ **فَلا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ** ﴾[5] وقال لنا[6] ﴿ **لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي** ﴾[7] وقال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ** ﴾[8] وقال ﴿ **إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ** ﴾[9] وقال ﴿ **الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ** ﴾[10] وقال: ﴿ **أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ** ﴾ إلى قوله ﴿ **وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ** ﴾[11].

---

(١) ورد الحديث فى: الترمذى: ٥/٢٣٣ (أبواب الدعوات. باب رقم «١٠») وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب.

(٢) فى (ص): لا تخافوا، وهو خطأ.

(٣) آل عمران: (١٧٥).

(٤) البقرة: (٤٠).

(٥) المائدة: (٤٤).

(٦) لنا: ليست فى (ط)

(٧) البقرة: (١٥٠)، وفى (ك): واخشون.

(٨) المائدة: (٣).

(٩) التوبة: (١٨).

(١٠) الأحزاب: (٣٩).

(١١) التوبة: (١٣).

[أحوال المنافقين يوم الأحزاب]

فدلَّت هذه الآية ـ وهى قوله تعالى: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[1] ـ على أن المرض والنفاق فى القلب، يوجب الرَّيْبَ فى الأنْبَاء الصادقة التى توجب أمن[2] الإنسان من الخوف، حتى يظنوا أنها كانت غُروراً لهم، كما وقع فى حادثتنا هذه سَواءً.

ثم قال تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ﴾[3].

وكان النبى ﷺ قد عَسْكَرَ بالمسلمين عند سَلْعٍ[4]، وجعل الخَنْدَق بينه وبين العدو فقالت طائفة منهم: لامُقَامَ لكم هنا، لكثرة / العدو، فارجعوا إلى المدينة. [٢٢/ب]

وقيل: لامقام لكم على دين محمد، فارجعوا إلى دين الشرك. وقيل: لا مقام لكم على القتال، فارجعوا إلى الاستئمان والاستجارة بهم؛ وهكذا لما قدم هذا العدو كان من المنافقين من قال: ما بقيت الدَّولة الإسلامية تقوم، فينبغى الدخول فى دولة التتار.

وقال بعض الخاصة: ما بقيت أرض الشام تُسْكَنُ، بل ننتقل عنها إما إلى الحجاز واليمن، وإما إلى مصر.

وقال بعضهم: بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء، كما قد استسلم لهم أهل العراق، والدخولُ تحت حكمهم. فهذه المقالات الثلاث قد قيلت فى هذه النازلة، كما قيلت فى تلك. وهكذا قال طائفة من المنافقين، والذين فى قلوبهم مرض، لأهل دِمَشْق خاصَّة والشام عامَّة: لامُقام لكم بهذه الأرض.

---

(١) الأنفال: (٤٩). (٢) فى (ك) و (ط): كفر، وما أثبتناه من (ص).
(٣) الأحزاب: (١٣).
(٤) سلع، جبل بالمدينة، وقيل، موضع بقرب المدينة. انظر: لسان العرب: (سلع)، القاموس المحيط (باب العين. فصل السين)، معجم البلدان: ٣/٢٣٦.

ونفى المَقام بها أبلغ من نفى المُقام، وإن كانت قد قرئت بالضم أيضاً[١] فإن من لم يقدر[٢] أن يقوم بالمكان، فكيف يُقيم فيه[٣]؟.

قال الله تعالى ﴿ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴾[٤].

كان قومٌ من هؤلاء المذمومين يقولون ـ والناسُ مع النبى ﷺ عند سَلْعٍ داخلَ الخَنْدق، والنساءُ والصبيان فى آطام المدينة ـ: يا رسول الله، إنَّ بيُوتنا عورة؛ أى مكشوفة، فليس[٥] بينها وبين العدوِّ حائل. وأصل العورة: الخالى، الذى يحتاج إلى حفظ وستر. يقال: أعورَ مجلسُك إذا ذهب ستره، أو سقط جداره. ومنه عورة العدو، وقال مجاهد والحسن: أى ضائعة يخشى عليها السُّرَّاق.

وقال قتادة: قالوا: بيوتنا مما يلى العدوَّ، فلا نأمن[٦] على أهلنا، فائذنْ لنا أن نذهب[٧] إليها، لحفظ النساء والصبيان.

قال الله تعالى ﴿ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ﴾ لأن الله يحفظها ﴿ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَارًا ﴾ فهم يقصدون الفرار من الجهاد، ويحتجون بحجة العائلة.

وهكذا أصاب كثيرا من الناس فى هذه الغزاة، صاروا يفرون من الثغر إلى المعاقلِ والحصون، وإلى الأماكن البعيدة، كمصر، ويقولون: ما مقصودنا إلا حفظ

---

(١) المُقام (بضم الميم) قراءة عاصم، وقراءة غيره «مَقام» (بفتح الميم)، ومعنى لا مُقام بضم الميم: لاإقامة، وبالفتح؛ لا مكان لكم تقيمون فيه انظر: تفسير الطبرى: ١٠/٨٦، زاد المسير لابن الجوزى: ٦/٣٦٠، لسان العرب: (قوم).

(٢) فى (ك): لا يقدر. (٣) فى (ك): به.

(٤) الأحزاب: (١٣)، وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى معنى هذه الآية: «هم بنو حارثة قالوا: بيوتنا مخلية نخشى عليها السرقة»؛ وبمثل هذا قال كل من مجاهد وقتادة والحسن البصرى رحمهم الله. انظر: تفسير الطبرى: ١٠/٨٧، زاد المسير: ٦/٣٦١، تفسير ابن كثير: ٣/٤٥٥.

(٥) فى (ص). ليس. (٦) فى (ص): ولا نأمن.

(٧) فى (ص): لنذهب.

العيال، وما يمكن إرسالهم مع غيرنا. وهم يكذبون فى ذلك[1] فقد كان يمكنهم جعلهم فى حصن دمشق لو دنا العدو، كما فعل المسلمون على عهد رسول الله ﷺ وقد كان يمكنهم إرسالهم والمقام للجهاد. فكيف بمن فرّ بعد إرسال عياله؟

قال الله تعالى: ﴿ **وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا** ﴾[2] فأخبر أنه لو دُخلت عليهم المدينةُ من جوانبها ثم طُلبَتْ منهم الفتنةُ - وهى الافتتان عن الدين بالكفر أو النفاق[3] - لأعطوا الفتنةَ. ولجاءوها من غير توقف.

وهذه حال أقوام لو دخل عليهم هذا العدو المنافق المجرم، ثم طُلب منهم موافقتُه على ما هو عليه من الخروج عن شريعة الإسلام - وتلك فتنة عظيمة - لكانوا معه على ذلك. كما ساعدهم[4] فى العام الماضى أقوامٌ بأنواع من الفتنة فى الدين والدنيا، ما بين ترك واجبات، وفعل محرمات، إما فى حق الله، وإما فى حق العباد؛ كترك الصلاة، وشرب الخمور، وسَبِّ السلف، وسب جنود المسلمين، والتجسس لهم على المسلمين، ودلالتهم على أموال المسلمين وحريمهم، وأخذ أموال الناس، وتعذيبهم، وتقوية دولتهم الملعونة، وإرجاف قلوب المسلمين منهم، إلى غير ذلك من أنواع الفتنة.

ثم قال تعالى ﴿ **وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولاً** ﴾[5] وهذه حال أقوام عاهدوا ثم نكثوا قديما وحديثا، فى هذه الغزوة.

فإن فى العام الماضى[6]، وفى هذا العام فى أول الأمر، كان من أصناف الناس من عاهد على أن يقاتل ولا يفر، ثم فرَّ منهزما لما اشتد الأمر. ثم قال الله تعالى ﴿ **قُل لَّن يَنفَعَكُمُ / الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً** ﴾[7] فأخبر الله أن الفرار لا ينفع لا من الموت ولا من القتل، فالفرار من الموت كالفرار من الطاعون. [٢٣/أ]

---

(١) فى ذلك: ليست فى (ك).
(٢) الأحزاب: (١٤).
(٣) فى (ص): والنفاق.
(٤) فى (ص): ساعدوهم.
(٥) الأحزاب: (١٥).
(٦) فى (ص)، (ك): العام.
(٧) الأحزاب: (١٦).

ولذلك قال النبى ﷺ «إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه[1]» والفرار من القتل كالفرار من الجهاد.

وحرف «لن» ينفى الفعل فى الزمن المستقبل. والفعل نكرة، والنكرة فى سياق النَّفْى تَعُمُّ جميع أفرادها.

فاقتضى ذلك: أن الفرار من الموت أو القتل ليس فيه منفعة أبدا، وهذا خبر الله الصادق، فمن اعتقد أن ذلك منفعة فقد كذَّب اللهَ فى خبره.

والتجربةُ تدلُّ على مثل ما دَلَّ عليه القرآن، فإن هؤلاء الذين فَرُّوا فى هذا العام لم ينفعهم فرارهم، بل خسروا الدِّين والدنيا، وتفاوتوا فى المصائب. والمرابطون الثابتون نَفَعَهُمْ ذلك فى الدِّين والدنيا حتى الموتَ الذى فَرُّوا منه كثر فيهم، وقلَّ فى المقيمين، فمات مع الهرب من شاء الله. والطالبون للعدو والمعاقبون له لم يَمُتْ منهم أحد، ولا قتل، بل الموت قلّ فى البلد من حين خرج الفارُّون، وهكذا سُنَّةُ الله قديماً وحديثا.

ثم قال تعالى ﴿ **وَإِذًا لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً** ﴾ يقول: لو كان الفرار ينفعكم لم ينفعكم إلا حياة قليلة، ثم تموتون، فإن الموت لابُدَّ منه.

وقد حكى عن بعض الْحَمْقَى أنه قال: فنحن نريد ذلك القليل. وهذا جهل منه بمعنى الآية، فإن الله لم يقُل: إنهم يتمتعون بالفرار قليلاً. لكنه ذكر أنه لا منفعة فيه أبدا.

ثم إنه ذكر جوابًا ثانيًا. أنه لو كان ينفع لم يكن فيه إلا متاع قليل.

ثم إنه ذكر جوابا ثالثاً: وهو أن الفارَّ يأتيه ما قُضِىَ له من المضَرَّة ويأتى الثابتَ ما قُضِىَ له من المَسَرَّة، فقال ﴿ **قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا** ﴾[2]

---

(١) ورد هذا الحديث فى: البخارى: ٢٠/٣٠٨-٣٠٩ (كتاب الطب ـ باب ما يذكر فى الطاعون)؛ مسلم: ١٧٣٧/٤ (كتاب السلام. باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها)، الترمذى: ٢٦٤/٢ (كتاب الجنائز. باب ما جاء فى كراهية الفرار من الطاعون)، الإمام أحمد فى مسنده: ١٧٨/١، ٣٢٤/٢، ٣٢٥، ٨٢/٦

(٢) الأحزاب: (١٧).

ونظيره: قوله فى سياق آيات الجهاد ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾[1] وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[2].

فمضمون الأمر: أن المنايا مَحْتُومَةٌ. فَكَمْ ممن حضَر الصُّفوف فَسَلِم، وكَمْ ممَّنْ فَرَّ من المنيَّة فصادَفَتْه، كما قال خالدُ بن الوليد ـ لَمَّا احْتُضِرَ «لقد حَضَرتُ كذا وكذا صَفًّا[3]، وإن ببَدنى بضْعاً وثمانين، ما بَيْنَ ضَرْبة بسيفٍ وطَعْنَة برُمْح، ورَمْيَة بسَهْم، وهأنَذَا أموتُ على فِرَاشى كما يموت العير[4]، فَلا قَرَّتْ أَعْيُن الْجبَنَاء».

ثم قال تعالى: ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴾[5].

قال العلماء: كان من المنافقين من يرجع من الخَنْدَق فيدخل المدينة. فإذا جاءهم أحد قالوا له: وَيْحَكَ، اجلسْ، فلا تخرج. ويكتبون بذلك إلى إخوانهم الذين بالعسكر: أن ائْتُونا بالمدينة، فإنَّا ننتظركم، يُثَبِّطونهم عن القتال. وكانوا لا يأتون العسكر إلا أنْ لا يجدوا بُدًّا، فيأتون العسكر ليرى الناسُ وجوهَهم، فإذا غُفِلَ عنهم عادوا إلى المدينة، فانصرف بعضُهم من عند النبىِّ ﷺ، فوجد أخاه لأبيه وأمه وعنده شواء ونَبيذٌ[6]. فقال: أنت هَهنا، ورسول الله ﷺ بين الرِّماح والسيوف؟ فقال: هلُمَّ إلىَّ، فقد أُحِيطَ بك وبصاحبك.

فوصف المُثَبِّطين عن الجهاد ـ وهم صِنْفَان ـ إما أن يكونوا[7] فى بلد الغُزاة، أو فى غيره. فإن كانوا فيه عَوَّقُوهم عن الجهاد بالقول، أو بالعمل، أو بهما. وإن كانوا فى غيره راسلوهم، وكاتبوهم[8]: بأن يخرجوا إليهم من بلد الغُزاة، ليكونوا معهم بالحصون، أو بالبُعْد، كما جرى فى هذ الغَزاة.

---

(١) النساء: (٧٨). (٢) آل عمران: (١٥٦). (٣) صفا: ليست فى (ص).
(٤) فى (ك): العنز. (٥) سورة الأحزاب: (١٨).
(٦) راجع تفسير الطبرى: سورة الأحزاب؛ وفيه: شواء ورغيف ونبيذ، وفى تفسير أبى حيان (البحر المحيط): سويق ونبيذ.
(٧) فى (ك): لأنهم إنما يكونوا. (٨) فى (ك): أو كاتبوهم.

[٢٣/ب] فإن أقواماً فى العسكر والمدينة وغيرها[١] / صاروا يُعَوِّقون مَنْ أراد الغزو، وأقواماً بعثوا من المَعَاقِل والحصون أو غيرهما[٢] إلى إخوانهم: هَلُمَّ إلينا. قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ﴾[٣] قالوا:[٤] أى بخلاء عليكم بالقتال معكم، والنفقة فى سبيل الله، وقال مجاهد: بخلاء عليكم بالخير والظَّفَر والغَنيمة.

وهذه حال من بخل على المؤمنين بنفسه وماله، أو شَحَّ عليهم بفضل الله، من نَصْرِه ورزْقه الذى يجريه بفعل غيره، فإن أقواماً يَشِحُّون بمعروفهم، وأقواماً يشحون بمعروف الله وفضله؛ وهم الحُسَّادُ.

ثم قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾[٥] من شدَّة الرُّعْب الذى فى قلوبهم يُشَبِّهُونَ المُغْمَى عليه وقتَ النَّزعِ[٦]. فإنه يخاف وَيَذْهَلُ عقلُه، ويَشْخَصُ بصَرهُ، ولا يَطْرِفُ، فكذلك[٧] هؤلاء؛ لأنهم يخافون القتل. ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾[٨].

ويقال فى اللغة «صلقوكم» وهو رفع الصوت بالكلام المؤذى. ومنه «الصالقة» وهى التى ترفعُ صوتها بالمصيبَة. يقال: صَلَقه، وسَلَقه - وقد قرأ طائفة من السَّلَف بها، لكنها خارجة عن المصحف - إذا خاطبه خطابا شديداً قوياً. ويقال:[٩] خطيب مِسْلاقٌ، إذا كان بليغا فى خطبته. لكن الشدة هنا فى الشرِّ لا فى الخير كما قال ﴿ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ ﴿ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴾ وهذا السَّلْق بالألسِنَة الحادَّة، وهذا[١٠] يكون بوجوه: -

---

(١) وغيرها: ليست فى (ص).
(٢) فى (ك): أو غيرها.
(٣) الأحزاب: (١٨-١٩).
(٤) قالوا: ليست فى (ك).
(٥) الأحزاب: (١٩).
(٦) فى (ص): النزاع.
(٧) فى (ص): كذلك
(٨) الأحزاب: (١٩).
(٩) فى (ص) يقال.
(١٠) وهذا: ليس فى (ص).

تارة يقـول المنافـقـون للمـؤمنين: هذا الذى جَـرَى علينا بشـؤمكُمْ، فـإنكم أنتم الذين[1] دعوتُمُ الناسَ إلى هـذا الدّين، وقاتلتم عليه، وخالفتموهم. فإن هذا مقالة المنافقين للمؤمنين من الصحابة.

وتارة يقولون: أنتم الذين أشرتم علينا بالمُقَام هنا، والثبات بهذا الثَّغر إلى هذا الوقت، وإلا فلو كنَّا قد[2] سافرنا قبل هذا لما أصابنا هذا.

وتارة يقولون: أنتم مع قلَّتكُمْ وضَعْفكمْ تُريدون أن تَكْسرُوا العدوَّ، وقد غَرَّكم دينُكم، كما قال تعالى ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[3].

وتارة يقولون: أنتم مجانين، لا عقل لكم، تريدون أن تُهلكوا أنفسكُمْ والناسَ معكم.

وتارة يقولون أنواعا من الكلام المؤذى الشديد. وهم مع ذلك أشحَّةٌ على الخير، أى حِراصٌ على الغَنيمة والمال الذى قد حصل لكم. قال قتادة إذا[4] كان وقتَ قسْمة الغنيمة، بَسطوا ألسنَتهم فيكم، يقولون: أعطونا، فلستم بأحقَّ بها منَّا. فأما عند البأسِ فأجْبَنُ قومٍ، وأخْذَلُهم للحق، وأما عند الغنيمة فأشَحُّ قومٍ.

وقيل: أشحة على الخير، أى بُخلاء به، لا ينفعون، لا بنفوسهم ولا بأموالهم وأصل الشُّحِّ: شدَّة الحرْص الذى يتولَّد عنه البُخْلُ والظلم من منع الحقِّ، وأخذ الباطل. كما قال النبى ﷺ «إيَّاكُمْ والشحَّ؛ فإن الشحَّ أهلك مَنْ كان قبلكُم، أمرهم بالبُخْل فبَخلُوا، وأمرهم بالظُّلم فظلموا، وأمرهم بالقَطيعة فقَطعوا[5]».

---

(١) فى (ص): الذى. (٢) قد: ليست فى (ك).
(٣) الأنفال: (٤٩). (٤) فى (ك): إن.
(٥) ورد هذا الحديث فى: مسلم بلفظ «اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم» : ١٩٩٦/٤ (كتاب البر و الصلة والآداب. باب تحريم الظلم) وأبى داود باللفظ المذكور: ١٣٣/٢ (كتاب الزكاة. باب فى الشح)، والإمام أحمد فى مسنده: ١٦٠/٢ (مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما).

فهؤلاء أشحَّاء على إخوانهم، أى بخلاء عليهم، وأشحاء على الخير أى حِراصٌ عليه، فلا ينفقونه، كما قال ﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) ﴾[1] ثم قال تعالى ﴿ يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً ﴾[2].

فوصفهم بثلاث أوصاف :-

الأول :[3] أنهم لِفَرْطِ خوفهم يحسبون الأحزاب لم ينصرفوا عن البلد. وهذه حالُ الجَبانِ الَّذى فى قلبه مَرض، فإن قلبه يُبادر[4] إلى تصديق الخبر المخوف، وتَكذيب خبر الأمْن.

«الوصف الثانى» أنّ الأحزاب إذا جاءوا تَمَنَّوْا أن لا يكونوا بينكم، بل يكونون فى الأعراب، يسألون عن أنبائكم: إيْشْ خَبرُ المدينة؟ وإيْشْ جرى للناس؟.

والوصف الثالث: أن الأحزاب إذا أتوا وهم فيكم، لم يقاتلوا إلا قليلا. وهذه [٢٤/أ] الصفات / الثلاث منطبقة على كثير من الناس فى هذه الغزوة، كما يعرفونه من أنفسهم، ويعرفه منهم من خبرهم.

ثم قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾[5].

فأخبر سبحانه أن الذين يُبْتَلَوْنَ بالعدوِّ، كما ابْتُلِى رسول الله ﷺ، فلهم فيه أُسْوَةٌ حسنة، حيث أصابهم مثل ما أصابه. فلْيتَأسُّوا به فى التوكُّل والصبر، ولا يظنون أن هذه المصائب[6] نقَمٌ لصاحبها، وإهانة له؛ فإنه لو كان كذلك ما ابْتُلِىَ

---

(١) العاديات: (٨). (٢) الأحزاب: (٢٠). (٣) فى (ك): أحدها.
(٤) فى (ص): مبادر. (٥) الأحزاب: (٢١).
(٦) المصائب ليس فى (ك)، وفى (ص): المصائب نقمة.

بها خير الخلائق، بل بها يُنالُ الدَّرجاتُ العالية، وبها يُكَفِّرُ الله الخطايا لمن كان يرجو الله واليومَ الآخرَ وذكرَ الله كثيراً. وإلا فقد يُبْتَلى بذلك من ليس كذلك فيكون فى حقه عذاباً، كالكفار والمنافقين.

ثم قال تعالى ﴿ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴾[1].

قال العلماء: كان الله قد أنزل فى سورة البقرة ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴾[2] فَبيَّن الله سبحانه ـ مُنْكِراً على من حَسِبَ خلافَ ذلك ـ أنهم لا يدخلون الجنة إلا بعد أن يُبْتَلوا مثل هذه الأمم قبلهم «بالبأساء»، وهى الحاجة والفاقة و الضراء، وهى الوَجع والمرض، و الزِّلزال وهى زلزلة العدو.

فلما جاء الأحزابُ عامَ الخندق فرأوهم، قالوا: ﴿ هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ وعلموا أن الله قد ابتلاهم بالزلزال، وأتاهم مَثَلُ الذين خلوا من قبلهم، وما زادهم إلا إيمانا وتسليماً لحكم الله وأمره.

وهذه حال أقوام فى هذه الغزوة قالوا ذلك.

وكذلك قوله ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾[3] أى عَهْدَه الذى عاهد الله عليه، فقاتل حتى قُتِلَ، أو عاش.

«والنَّحْبُ» النَّذْرُ والعَهْد، وأصلُه من النَّحيب، وهوالصوت. ومنه: الانتحاب فى البكاء، وهو الصوت الذى تكلَّم به فى العهد.

---

(١) الأحزاب: (٢٢). (٢) البقرة: (٢١٤). (٣) الأحزاب: (٢٣).

ثم لما كان عهدهم هو نذرهم الصدق فى اللقاء - ومن صدق فى اللقاء فقد يقتل - صار يُفْهم من قوله قضى نَحبه أنه استُشْهِد، لاسيما إذا كان النحب[1] نذر الصدق فى جميع المواطن، فإنه لا يقضيه إلا بالموت. وقضاء النحب هو الوفاء بالعهد، كما قال ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ ﴾ أى أكمل الوفاء. وذلك لمن كان عهده مطلقا بالموت، أو القتل ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ﴾ قضاءَهُ إذا كان قد وَفَّى البعض، فهو ينتظر تمام العهد.

وأصل القضاء: الإتمام والإكمال[2].

﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[3].

بَيَّن الله سبحانه أنه أتى بالأحزاب لِيَجْزِيَ الصادقين بصدقهم، حيث صدقوا فى إيمانهم، كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[4].

فحصر الإيمان فى المؤمنين المجاهدين، وأخبر[5] أنهم هم الصادقون فى قوله: «آمنَّا». لا من قال، كما قالت الأعراب: «آمنا» والإيمان لم يدخل فى قلوبهم، بل انقادوا واستسلموا.

وأما المنافقون فهم بين أمرين: إما أن يعذبهم، وإما أن يتوب عليهم، فهذا حال الناس فى الخندق وفى هذه الغزوة.

---

(١) فى (ص): النحيب.
(٢) فى (ص): الإكمال والإتمام.
(٣) الأحزاب: (٢٤).
(٤) الحجرات: (١٥).
(٥) فى (ك): وأخبرهم.

وأيضاً فإن الله تعالى ابتلى الناسَ بهذه الفتنة، ليجزىَ الصادقين بصدقهم، وهم الثابتون الصابرون، لينصروا الله ورسوله، ويعذِّبَ المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم.

ونحن نرجو من الله أن يتوب على خلق كثير من هؤلاء المذمومين[1] / ، فإن [٢٤/ب] منهم من ندم، والله سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. وقد «فتح الله للتوبة بابا من قبل المغرب عَرْضُه أربعون سنة، لا يغلقه حتى تطلُع الشمس من قبله»[٢].

وقد ذكر أهل المغازى ـ منهم ابن إسحاق ـ أن النبى ﷺ قال فى الخندق «الآن نغزوهم ، ولا يغزونا»[٣] فما غزت قريشٌ، ولا غَطَفان، ولا اليهودُ المسلمين بعدها. بل غزاهم المسلمون، ففتحوا خَيْبَرَ ثم فتحوا مكة.

كذلك، إن شاء الله، هؤلاء الأحزاب من المغُل وأصناف التُّرك ومن الفُرس، والمستَعْرِبة والنصارى، ونحوهم من أصناف الخارجين عن شريعة الإسلام، الآن نغزوهم ولا يغزونا، ويتوب الله على من شاء من المسلمين، الذين خالط قلوبهم مَرَضٌ أو نفاق، بأن ينيبوا[٤] إلى ربهم ويَحسُنَ ظنُّهم فى الإسلام، وتَقوَى عزيمَتُهم على جهاد عدوهم.

---

(١) كتب بهامش (ك): المؤمنين.
(٢) ورد هذا الحديث بألفاظ قريبة فى: الترمذى: ٥/٢٠٥، ٢٠٦ (أبواب الدعوات. باب ما جاء فى فضل التوبة والاستغفار وما ذُكر من رحمة الله بعباده) وقال هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه ٢/١٣٥٣ (كتاب الفتن. باب طلوع الشمس من مغربها)؛ والإمام أحمد: ٤/٢٤٠ (حديث صفوان بن عسال ـ رضي الله عنه).
(٣) ورد هذا الحديث فى: البخارى: ١٥/٢٩٠ (كتاب المغازى. باب غزوة الخندق وهى الأحزاب)، والإمام أحمد: ٤/٢٦٢ (حديث سليمان بن صرد ـ رضي الله عنه).
(٤) فى (ص): فإن ينيبوا.

فقد أراهم الله[1] من الآيات ما فيه عِبْرَةٌ لأولى الأبصار، كما قال ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[2].

فإن الله صَرَفَ الأحزابَ عامَ الخندق بما أرسل عليهم من ريح الصَّبا: ريح شديدة باردة، وبما فَرَّق به بين قلوبهم، حتى شَتَّت شملهم، ولم يَنالوا خيراً إذ كان همتَهم[3] فتْح المدينة والاستيلاء على الرسول والصحابة.

[[4] كما كان همةَ هذا العدو فتح الشام والاستيلاء على من بها [4]] من المؤمنين، فردَّهم الله بغَيْظهم، حيث أصابهم من الثلج العظيم، والبَرْد الشديد، والرِّيح العاصف، والجوع المزعج، ما الله به عليم.

وقد كان بعض الناس يكره تلك الثلوج، والأمطار العظيمة التى وقعت فى هذا العام، حتى طلبوا الاستصحاء غير مرَّةٍ. وكُنَّا نقول لهم: هذا فيه خِيرَة عظيمة. وفيه لله حكمة وسرٌّ فلا تكرهوه، فكان من حكمته أنه فيما قيل: أصاب قازان وجُنوده، حتى أهلكهم، وهو كان فيما قيل: سبب رحيلهم، وابْتُلى به المسلمون ليَتَبيَن من يَصْبر على أمر الله وحُكْمه[5] ممن يَفرُّ عن طاعته وجهاد عدوه.

---

(١) لفظ الجلالة: ليس فى (ك).
(٢) الأحزاب: ٢٥.
(٣) فى (ط): هممهم
(٤-٤) ما بين المعقوفتين كتب بهامش (ص).
(٥) فى (ص): وحكمته.

[رحيل قازان عن الشام]

وكان مبدأ رحيل قازان فيمن معه من أرض الشام وأراضى حلب[1]: يوم الاثنين، حادى عشر جمادى الأولى، يومَ دخلتُ مصر عقَيب العسكر[2]، واجتمعتُ بالسلطان وأمراء المسلمين؛ وألقَى الله فى قلوبهم من الاهتمام بالجهاد ما ألقاه فلما ثبَّت الله قلوبَ المسلمين صَرَفَ العدوَّ، جزاء منه، وبياناً أن النية الخالصة والهمَّة الصادقة ينصر الله بها، وإن لم يقع الفعل، وإن تباعدت الديار.

وذكر أن الله تعالى[3] فرَّق بين قلوب هؤلاء المُغُل والكُرْج، وألقى بينهم تباغُضاً وتعادياً، كما ألقى سبحانه عام الأحزاب بين قُريش وغَطَفان، وبين اليهود، كما ذكر ذلك أهل المغازى، فإنه لم يتسع هذا المكان لأن نصِفَ فيه قِصَّة الخندق، بل مَنْ طالَعها علم صِحة ذلك، كما [قد[4]] ذكره أهل المغازى، مثل عُروة بن الزُّبير، والزُّهْرى، وموسى بن عُقْبَة، وسعيد بن يحيى الأمَوى، ومحمد بن عائذ، ومحمد ابن إسحاق، والواقدى، وغيرهم.

ثم تبقَّى بالشام منهم بقايا، سار إليهم من عسكر دمشق أكثرهم، مضافاً إلى عسكر حَماة وحَلَب، وما هنالك؛ وثبت المسلمون بإزائهم، وكانوا أكثر من المسلمين بكثير، لكن فى ضعف شديد، تَقرَّبوا إلى حَماة، وأذَلَّهم الله تعالى فلم يقدموا على المسلمين قط. وصار من المسلمين من يريد الإقدام عليهم، فلم يوافقه[5] غيره، فَجرَتْ مُناوشات صغار، كما قد كان يجرى فى غزوة الخندق. حيث قَتلَ علىٌّ بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ فيها عَمْرو بن عَبْد وُدٍّ العامرىَّ لما اقْتَحَمَ الخندق، هو ونفر قليل من المشركين.

---

(١) فى (ك): كذا أراضى حلب.
(٢) عقيب العسكر: ليس فى (ص).
(٣) تعالى: ليس فى (ك).
(٤) قد: ليس فى (ك).
(٥) فى (ص): فلا يوافقه.

[٢٥/أ] كذلك صار يتقربُ بعضُ العدو فيكسرَهم المسلمون، / مع كون العدو المتقرب أضعاف من قد سرى[١] إليه من المسلمين. وما من مَرَّة إلا وقد كان المسلمون مستظهرين عليهم[٢]. وساق المسلمون خلفهم فى آخر النوبات[٣]، فلم يدركوهم إلا عند عبُور الفُرات وبعضهم فى جزيرة فيها، فرأوا أوائل المسلمين فهربوا منهم، وخالطوهم، وأصاب المسلمون بعضهم، وقيل إنه غرق بعضهم.

وكان عبورهُم وخلو الشام منهم فى أوائل رجب، بعد أن جرى ما بين عبور قازان أولاً وهذا العبور: رَجْفات ووَقْعات صغارٌ، وعزمنا على الذهاب إلى حماة غير مرة، لأجل الغزاة، لَمَّا بلغنا أن المسلمين يريدون غزو الذين بقوا، وثبت بإزائهم المقدَّم الذى بحماة، ومَنْ معهم من العسكر ـ ومن أتاه من مدد[٤] دمَشق، وعزموا على لقائهم، ونالوا أجراً عظيما. وقد قيل: إنهم كانوا عدَّة لحمانات[٥]، إما ثلاثة، أو أربعة.

وكان من المقدر: أنه إذا عزم الأمر وصدق المؤمنون الله يُلقى فى قلوب عدوهم الرُّعبَ فيهربون، لكن أصابوا من البُلَيْدَات[٦] بالشَّمال مثل «تيزين» و «الفوعة» و «مَعَرَّة مَصْرين» وغيرها ما لم يكونوا وَطئوه فى العام الماضى.

وقيل: إن كثيرا من تلك البلاد كان فيهم مَيلٌ إليهم بسبب الرَّفْض، وأن عند بعضهم فرَّامين منهم. لكن هؤلاء ظَلَمة ومن أعان ظالما بُلى به، والله تعالى يقول: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[٧]

ولقد[٨] ظاهرهم على المسلمين: الذين كفروا من أهل الكتاب، من[٩] أهل «سيس» والإفرنج، فنحن نرجو من الله أن ينزلهم من صَياصيهم، وهى الحصون ـ ويقال للقرون الصياصى ـ ويَقذف فى قلوبهم الرعب [وقد فعل[١٠]].

(١) فى (ص): يسرى.
(٢) عليهم: ليست فى (ص).
(٣) فى (ص): النبوات
(٤) مدد: ليست فى (ك).
(٥) فى (ص): ظمانات.
(٦) فى (ص): البلدان.
(٧) الأنعام: (١٢٩).
(٨) فى (ك): وقد.
(٩) من: ليست فى (ص).
(١٠) وقد فعل: ليست فى (ك).

وقد فتح الله[1] تلك البلاد ويغزوهم[2] إن شاء الله تعالى، فيفتح[3] أرض العراق وغيرها، وتعلو كلمةُ الله ويظهر دينه. فإن هذه الحادثة كان فيها أمور عظيمة جازت حدَّ القياس، وخرجت عن سنن العادة، وظهر لكل ذى عقل من تأييد الله لهذا الدين، وعنايته بهذه الأمة، وحفظه للأرض[4] التى بارك فيها للعالمين بعد أن كاد الإسلام أن يضعف[5].

وكرَّ العدو كرة فلم يلو عن، وخذل الناصرون فلم يلووا على، وتحيَّر السائرون فلم يدروا من ولا إلى، وانقطعت الأسباب الظاهرة، وأُهْطعَت[6] الأحزاب القاهرة، وانصرفت الفئة الناصرة، وتخاذلت القلوب المتناصرة، وثبتت الفئة الصابرة[7]، وأيقنت بالنصر القلوب الطاهرة، واستنجزت من الله وعده العصابة المنصورة الظاهرة، ففتح الله أبواب سماواته لجنوده القاهرة، وأظهر على الحق آياته الباهرة، وأقام عمود الكتاب بعد ميله، وثبَّت لواء الدين بقوته وحوله، وأرغَمَ معاطسَ أهل الكفر والنفاق، وجعل ذلك آية للمؤمنين إلى يوم التلاق.

فاللهُ تعالى[8] يُتمُّ هذه النعمة بجمع قلوب أهل الإيمان على جهاد أهل الطغيان، ويجعل هذه المنَّة الجسيمة مبدأ لكل منحة كريمة (وأمنا شاملا)[9] لإقامة الدعوة النبوية القويمة، ويَشْفِى صدور المؤمنين من أعاديهم، ويمكنهم من دانيهم وقاصيهم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا[10] محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

---

(١) فى (ص): ويفتح الله.
(٢) فى (ص): ونغزوهم.
(٣) فى (ص): فتفتح.
(٤) فى (ص): الأرض
(٥) في (ك)، (ص) بياض بعد لفظ «أن»؛ وفى هامش ك كتب الناسخ ما يلى : فى الأصل بياض بين حرف أن و كرّ؛ ولعل ما بينهما لفظة «يضعف» أو ما فى معناها قد سها عنها الناسخ ـ والله أعلم ـ كتبه أبو إسماعيل يوسف حسين ـ عفا الله عنه، وهذا يدل على أن نسخة ك مأخوذة من أصل آخر.
(٦) أهطع الرجل إذا سار فى ذل وخشوع، ومنه قوله تعالى: ﴿ مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾.
(٧) فى (ك): الناصرة.
(٨) تعالى: ليست فى (ك).
(٩) فى (ك): وأساساً.
(١٠) سيدنا : ليست فى (ص).

قال الشيخ[1] رحمه الله:

كتبت أول هذا الكتاب بعد رحيل قازان وجنوده، لما رجعت من مصر فى جمادى الآخرة، وأشاعوا أنه لم يبق منهم أحد، ثم لما بقيت تلك الطائفة، اشتغلنا بالاهتمام بجهادهم، وقصد الذهاب إلى إخواننا بحماة، وتحريض الأمراء على ذلك، حتى جاءنا الخبر بانصراف المتَبَقِّين منهم، فكملته فى رجب[2].

[3]والحمد لله وحده، وصلى الله على أشرف الخلق محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين[3].

***

قلت: وفى أول شهر رمضان، من[4] سنة اثنتين وسبعمائة، كانت وقعة «شَقْحب»[5] المشهورة. وحصل للناس شدة / [٢٥/ب] عظيمة، وظهر فيها من كرامات الشيخ وإجابة دعائه، وعظيم جهاده، وقوة إيمانه، وشدة [6] نصحه للإسلام، وفَرْط شجاعته، ونهاية كرمه، وغير ذلك من صفاته: ما يفوق النعت، ويتجاوز الوصف.

ولقد قرأت بخط بعض أصحابه ـ وقد ذكر هذه الواقعة، وكثرة من حضرها من جيوش المسلمين ـ قال:

واتفقت كلمة إجماعهم على تعظيم الشيخ تقى الدين ومحبته، وسماع كلامه ونصيحته، واتعظوا بمواعظه، وسأله بعضهم مسائل فى أمر الدين. ولم يبق

---

(١) فى (ك): المؤلف.
(٢) فى هامش (ك) كتب الناسخ: والله أعلم ـ بإشارة فوق كلمة رجب.
(٣ - ٣) ما بين القوسين ليس فى (ص).
(٤) من: ليست فى (ص).
(٥) ذكر ابن كثير أن هذه الوقعة كانت بين المسلمين والتتار فى الشام بجوار دمشق سنة (٧٠٢ هـ) ولم يذكر لماذا سميت بهذا الاسم. انظر: البداية والنهاية: ٢٥/١٤.
(٦) فى (ص): وفرط.

من ملوك الشام تركى ولا عربى، إلا واجتمع بالشيخ فى تلك المدة، واعتقد خيره وصلاحه، ونصحه لله ولرسوله وللمؤمنين.

قال: ثم ساق الله سبحانه جيش الإسلام العرمرم المصرى، صحبة أمير المؤمنين والسلطان الملك الناصر، ووُلاة الأمر وزعماء الجيش، وعظماء المملكة، والأمراء المصريين عن آخرهم، بجيوش الإسلام سوقا حثيثا للقاء التتار المخذولين، فاجتمع الشيخ المذكور بالخليفة والسلطان، وأرباب الحل والعقد، وأعيان الأمراء عن آخرهم، وكلهم بمرجْ الصُّفَّر[1] قِبْلِىَّ دمشق المحروسة، وبينهم وبين التتار أقل من مقدار ثلاث ساعات مسافة. ودار بين الشيخ المذكور وبينهم ما دار بين الشاميين وبينه، وكان بينهم ومعهم كأحد أعيانهم. واتفق له من اجتماعهم ما لم يتفق لأحد قبله من أبناء جنسه، حيث اجتمعوا بجملتهم فى مكان واحد، فى يوم واحد، على أمر جامع لهم وله، مُهِمٌّ عظيم[2] يحتاجون فيه إلى سماع كلامه. هذا توفيق عظيم كان من الله تعالى له، لم يتفق لمثله.

وبقى الشيخ المذكور رضي الله عنه[3] هو وأخوه وأصحابه ومن معه من الغزاة قائمًا بظهوره وجهاده وَلأمَّةِ حربه، يوصى الناس بالثبات وَيَعِدُهم بالنصر، ويُبَشِّرهم بالغنيمة، والفوز بإحدى الحُسْنَيين، إلى أن صدق الله وعده، وأعزَّ جنده، وهزم التتار وحده، ونصر المؤمنين. وهُزِمَ الجمعُ وولوا الدُّبر، وكانت[4] كلمة الله هى العليا، وكلمة الكفار هى السفلى. وقُطِع دابرُ القوم الكفار. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) مَرْج الصُّفَّر (بضم الصاد وتشديد الفاء) موضع بغوطة دمشق ـ كما قال ابن الأثير ـ وقال أيضاً: الغوطة: اسم البساتين والمياه التى حول دمشق، وقيل المرج: الفضاء، وقيل المرج: أرض ذات كلأ ترعى فيها الدواب والجمع مروج، انظر: النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير ـ ط المكتبة الإسلامية: ٣٧/٣، لسان العرب: (مرج)، القاموس المحيط: (باب الجيم فصل الميم).

(٢) مهم عظيم: ليست فى (ص).

(٣) رضي الله عنه: ليست فى (ص):

(٤) فى (ص): وكان.

ودخل جيش الإسلام المنصور إلى دمشق المحروسة، والشيخ فى أصحابه شاكيا[1] فى سلاحه، داخلا معهم، عالية كلمتهُ، قائمةً حُجته، ظاهرة ولايته، مقبولة شفاعته، مجابة دعوته، ملتمسة بركته، مكرما معظما، ذا سلطان وكلمة نافذة، وهو مع ذلك يقول للمداحين له[2] أنا رجل مِلَّة، لا رجل دَولة.

[اشتراك الشيخ فى قتال الكفار]

ولقد أخبرنى حاجب من الحجاب الشاميين، أمير من أمرائهم، ذو دين متين، وصدق لهجة معروف فى الدولة، قال:

قال لى الشيخ - يوم اللقاء، ونحن بمرج الصُّفَّر، وقد تراءى الجمعان -: يافلان الدين[3] أوقفنى موقف الموت.

قال: فسقته إلى مقابلة العدو، وهم منحدرون[4] كالسيل، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم.

ثم قلت له: يا سيدى، هذا موقف الموت، وهذا العدو قد أقبل تحت هذه الغَبَرة المنعقدة، فدونك وما تريد.

قال: فرفع طرفه إلى السماء، وأشخص ببصره[5]، وحرَّك شفتيه طويلا، ثم انبعث وأقدم على القتال. وأما أنا فخُيِّل إلى[6] أنه دعا عليهم، وأن دعاءه استجيب منه فى تلك الساعة.

---

(١) فى (ص): شاكاً، ومعنى شاكياً: يقال رجل شاكى السلاح: إذا كان ذا شوكة وحدٍ فى سلاحه. انظر: لسان العرب: (شكى).

(٢) فى (ص) للمداخلين له.

(٣) كذا فى (ك)، (ص)، وفى (ك) وضع الناسخ إشارة فوق كلمة «الدين» وكتب بالهامش: كلمة غير مقروءة لعلها ككلمة فلان؛ بمعنى ياعماد الدين أو يا ناصر الدين، وفى (ص) كتب كلمة فلان بدون ياء النداء.

(٤) فى (ك): متحدون.

(٥) فى (ك): بصره.

(٦) فى (ك): لى.

قال: ثم حال القتال بيننا والالتحام، وما عدت رأيته، حتى فتح الله ونصر، وانحاز التتار إلى جبل صغير، عصموا نفوسهم به من سيوف المسلمين تلك الساعة، وكان آخر النهار.

قال: وإذا أنا بالشيخ وأخيه يصيحان بأعلى صوتيهما، تحريضا على القتال، وتخويفا للناس من الفرار.

فقلت [له[1]]: يا سيدى، لك البشارة بالنصر، فإنه قد فتح الله ونصر، وها هم التتار محصورون بهذا السفح، وفى غد - إن شاء الله تعالى - يؤخذون عن آخرهم.

قال: فحمد الله تعالى، وأثنى عليه بما هو أهله، ودعا لى فى ذلك الموطن بدعاء[2] وجدت / بركته فى ذلك الوقت وبعده. [٢٦/أ]

هذا كلام الأمير الحاجب.

قال: ثم لم يزل الشيخ بعد ذلك على زيادة فى الحال والقال والجاه [والتعمق[3]] والتحقيق فى العلم والعرفان، حتى حَرَّك الله سبحانه[4] عَزَمات نفوس ولاة الأمر لقتال أهل جبل كسروان[5]، وهم الذين بَغوا وخرجوا على الإمام، وأخافوا السُّبُل[6]، وعارضوا المارِّين بهم من الجيش بكل سوء.

فقام الشيخ فى ذلك أتم قيام وكتب إلى أطراف الشام فى الحثِّ على قتال المذكورين وأنها غَزاة فى سبيل الله.

---

(١) له: ليست فى (ك).
(٢) فى (ك): دعاء من غير باء الجر.
(٣) والتعمق: ليست فى (ك) و (ط).
(٤) فى (ص): بدل «سبحانه»: «تعالى».
(٥) جبل كسروان: هو جبل بالشام، يتصل إلى جهة وادى يعرف بوادى تيم، ويسمى أيضاً جبل الدرزية.
(٦) فى (ص): السبيل.

ثم تجهَز هو ومن معه[1] لغزوهم بالجبل، صَحِبَهُ وَلىُّ الأمر [الأفرم[2]] نائب المملكة[3] المعظمة - أعَزَّ الله نصره - وما زال مع ولى الأمر فى حصارهم وقتالهم، حتى فتح الله الجبل، وأجلى أهله. وكان من أصعب الجبال [مسلكا[4]]، وأشقها ساحة، وكانت الملوك المتقدمة لا تُقدِم على حصاره، مع علمها بما[5] أهله عليه من البَغْى والخروج على الإمام والعصيان، وليس إلا لصعوبة المسلك، ومَشَقة النزول عليهم.

وكذلك لما حاصرهم بَيْدرا[6] بالجيش، رحل عنهم، ولم ينل منهم منالا، لذلك السبب ولغيره، وذلك عقيب فتح قلعة الروم، ففتحه الله على يدى وَلىِّ الأمر، نائب الشام المحروس - أعز الله نصره.

وكان فتحه أحد المكرمات والكرامات المعدودة للشيخ، بشيئين[7] على ما يقوله الناس[8]:

أحدهما: لكون أهل هذا الجبل بُغاةً ورافضة[9] سبَّابةً تَعيَّن قتالهم.

---

(١) فى (ك): بمن معه.

(٢) الأفرم ليست موجودة فى (ك) و (ط).

(٣) فى (ص): السلطة بدل من المملكة.

(٤) مسلكا ليست موجودة فى (ك) و (ط).

(٥) فى (ص): «ما» من غير باء الجر.

(٦) البيدر: الموضع الذى يداس فيه الطعام، والبيدر الكرسى، وبيدر الطعام: كوّمه. انظر: لسان العرب: (بيدر)، القاموس المحيط: ٤٩٨/١ (باب الراء. فصل الباء).

(٧) فى (ك): بسببين.

(٨) على ما يقوله الناس: ليست موجودة فى (ص).

(٩) فى (ك): بغاة رافضة؛ من غير واو العطف بينهما.

والثانى: لأن جبل الصالحية لما استولت الرَّافضة عليه - فى حال استيلاء الطاغية قازان - أشار بعض كبرائهم بنهب الجبل، وسَبْى أهله وقتلهم، وحريق[1] مساكنهم انتقاما[2] لكونهم سنِّيَّة، وسماهم ذلك المُشير: نواصِبَ؛ فكان ما كان من أمر جبل الصالحية بذلك القول، وتلك الإشارة.

قالوا: فكوفئ الرافضة بمثل ذلك، بإشارة كبير من كبراء أهل السنة وزناً بوزْنٍ، جزاءً على يدِ وَلِىِّ الأمر، وجيوش الإسلام.

والمشير المذكور هو[3] الشيخ المشار إليه.

ولما فتح الجبل، وصار الجيش بعد الفتح إلى دمشق المحروسة، عكف خاصُّ الناس وعامتهم[4] على الشيخ بالزيارة له[5] والتسليم عليه، والتهنئة بسلامته، والمسألة له منهم عن كيفية الحصار للجبل، وصورة قتال أهله، وعمَّا وقع بينهم وبين الجيوش من المراسلات وغيرها، فحكى ذلك[6].

وحكى أيضا أنه تجادل مع[7] كبير من كبراء أهل جبل كسروان، له اطلاع على مذهب الرافضة.

قال: وكان الجدل والبحث فى عصمة الإمام وعدم عصمته، وفى أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب - رضى الله عنه - معصوم من الصغائر والكبائر[8]، فى كل قول وفعل. وهذه دعوى الجيلى وأن الشيخ حاجَّه فى أن العصمة لم تثبت إلا للأنبياء - عليهم السلام.

---

(1) فى (ط): وتحريق.
(2) فى (ط): انتقاماً منهم.
(3) فى (ك): وهو.
(4) فى (ك): وعامهم.
(5) له: ليست فى (ط).
(6) ذلك: ليست فى (ط).
(7) فى (ص): معه.
(8) فى (ص): من الكبائر والصغائر.

قال: وإننى قلت له: إن عليا وعبد الله بن مسعود - رضى الله عنهما - اختلفا فى مسائل وقعت، وفتاوى أفتيا[1] بها كل منهما، وأن تلك الفتاوى والمسائل عرضت على النبى ﷺ، فصوَّب فيها قول ابن مسعود رضي الله عنه.

هذا معنى كلام الشيخ فى حديثه عن المجادلة مع الرافضى الجبلى، وإن اختلفت العبارة. انتهى ما ذكره.

***

وكان توجه الشيخ تقى الدين رضي الله عنه[2] إلى الكسروانيين فى مستهل ذى الحجة من سنة أربع وسبعمائة، وصُحبته الأمير قراقوش.

وتوجه نائب السلطنة، الأمير جمال الدين الأفرَم، بمن تأخر من عسكر دمشق إليهم، لغزوهم واستئصالهم فى ثانى[3] شهر المحرم سنة خمس وسبعمائة، وكان قد توجه قبله العسكر، طائفة بعد طائفة فى ذى الحجة.

وفى يوم الخميس سابع عشر [صفر[4]] ، وصل النائب والعسكر معه إلى دمشق، بعد أن نصرهم الله تعالى على حزب الضلال من الروافض والنُّصَيْرية وأصحاب العقائد الفاسدة، وأبادهم الله من تلك الأرض. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) فى (ط): أفتى بها كل منهما، وهى ليست فى النسختين الأصليتين.
(٢) رضي الله عنه: ليست فى (ص).
(٣) فى (ك): ثانى عشر، وشطب الناسخ على كلمة عشر.
(٤) صفر: ليست فى (ك).

[رسالة الشيخ إلى السلطان الملك الناصر][1]

ثم إن الشيخ - رحمه الله - بعد وقعة جبل كسروان، أرسل رسالة إلى السلطان الملك الناصر، يذكر فيها ما أنعم الله / على السلطان وعلى أهل الإسلام، بسبب [٢٦/ب] فتوح الجبل المذكور، وهى هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الداعى أحمد بن تيمية إلى سلطان المسلمين، ومن أيد الله فى دولته الدين، وأعز بها عباده المؤمنين، وقمع فيها الكفار والمنافقين والخوارج المارقين، نصره الله ونصر به الإسلام، وأصلح له وبه أمور الخاص والعام، وأحيا به معالم الإيمان، وأقام به شرائع القرآن، وأذلّ به أهل الكفر والفسوق والعصيان.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. فإنَّا نحمَدُ إليكم الله الذى لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شىء قدير، ونسأله أن يصلى على خاتم النبيين، وإمام المتقين محمد عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وسلم تسليما.

أما بعد: فقد صدق الله وعده، ونصر عبدَه، وأعَزَّ جُنده، وهزم الأحزاب وحده، وأنعم الله على السلطان، وعلى المؤمنين فى دولته نعماً لم تُعهد فى القرون الخالية. وجُدِّد الإسلام فى أيامه تجديدا بانت فضيلته على الدول الماضية. وتحقق فى ولايته خبر الصادق المصدوق، أفضل الأولين والآخرين، الذى أخبر فيه عن تجديد الدين فى رءوس المئين[2] والله تعالى يُوزِعُهُ والمسلمين شكر هذه النعم العظيمة فى الدنيا والدين، ويُتِمُّها بتمام النصر على سائر الأعداء المارقين.

وذلك: أن السلطان - أتمَّ اللهُ نعمته - حصل للأمة بيُمْنِ ولايته وحسن نيَّته،

---

(١) يبدأ سقط فى (ص) من أول هذه الرسالة إلى أن تنتهى فى ص ٢١٠.

(٢) ورد هذا الحديث فى: أبى داود: ١٠٩/٤ (كتاب الملاحم. باب ما يذكر فى قرن المائة).

وصحة إسلامه وعَقيدته، وبَركة إيمانه ومعرفته، وفضل همته، وشجاعته، وثمرة تعظيمه للدين وشرعته، ونتيجة اتباعه لكتاب الله وحكمته، ما هو شبيه بما كان يجرى فى أيام الخلفاء الراشدين وما كان يقصده أكابر الأئمة العادلين: من جهاد أعداء الله المارقين من الدين، وهم صنفان:

أهل الفجور والطغيان، وذوو الغَىِّ والعدوان، الخارجون عن شرائع الإيمان، طلبا للعلو فى الأرض والفساد، وتركا لسبيل الهدى والرشاد، وهؤلاء هم التتار، ونحوهم من كل خارج عن شرائع الإسلام وإن تمسك بالشهادتين، أو ببعض سياسة الإسلام.

والصنف الثانى: أهل البدع المارقون، وذوو الضلال المنافقون، الخارجون عن السنة والجماعة، المفارقون للشرعة والطاعة. مثل هؤلاء الذين غَزُوا بأمر السلطان من أهل الجبل، والجرد، والكسروان، فإن ما منَّ الله به من الفتح والنصر على هؤلاء الطغام، هو من عزائم الأمور التى أنعم الله بها على السلطان وأهل الإسلام.

وذلك: أن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين فى أمر الدنيا والدين فإن اعتقادهم: أن أبا بكر وعمر وعثمان، وأهل بَدْر، وبَيْعة الرِّضوان وجمهور المهاجرين والأنصار، والتابعين لهم بإحسان، وأئمة الإسلام وعلماءهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، ومشايخ الإسلام وعبَّادهم، وملوك المسلمين وأجنادهم، وعوامَّ المسلمين وأفرادهم. كل هؤلاء عندهم كُفَّار مُرتدُّون، أكفر من اليهود والنصارى. لأنهم مرتدون عندهم والمرتد شَرٌّ من الكافر الأصلى؛ ولهذا السبب يُقدِّمون الفرنج والتتار على أهل القرآن والإيمان.

ولهذا لما قدم التتار إلى البلاد، وفعلوا بعسكر المسلمين ما لا يحصى من

الفساد، وأرسلوا إلى أهل قبرص فملكوا بعض الساحل، وحملوا راية الصَّليب، وحملوا إلى قبرص من خيل المسلمين وسلاحهم وأسْراهم ما لا يُحصى عَدَدَه إلا الله، وأقام سوقهم بالساحل عشرين يوما يبيعون فيه المسلمين والخيل والسلاح على أهل قبرص، وفرحوا بمجىء التتار، هم وسائر أهل هذا المذهب الملعون، مثل أهل جَزِّين وما حواليها، وجبل عاملة ونواحيه.

ولما خرجت العساكر الإسلامية من الديار المصرية، ظهر فيهم من الخزى والنكال ما عرفه الناس منهم. ولما نصر الله الإسلام النُّصرة العظمى عند قدوم السلطان، كان بينهم شبيه بالعزاء.

كل هذا، وأعظم منه، عند هذه الطائفة التى كانت من أعظم الأسباب فى خروج جِنْكِسخان إلى بلاد الإسلام، وفى استيلاء هُولاكو/على بغداد، وفى قدومه [٢٧/أ] إلى حلب، وفى نهب الصالحية، وفى غير ذلك من أنواع العداوة للإسلام وأهله.

[من آراء الرافضة]

لأن عندهم أن كل من لم يوافقهم على ضلالهم فهو كافر مرتد، ومن استحل الفُقَّاع[1] فهو كافر. ومن مسح على الخفين فهو عندهم كافر. ومن حرم المتعة فهو عندهم كافر. ومن أحب أبا بكْر أو عمر، أو عثمان، أو ترضى عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو عندهم كافر. ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو عندهم كافر.

وهذا المنتظر صبى عمره سنتان أو ثلاث، أو خمس، يزعمون أنه دخل السِّرداب بسامراً من أكثر من أربعمائة سنة، وهو يعلم كل شىء، وهو حجة الله على أهل الأرض. فمن لم يؤمن به فهو عندهم كافر. وهو شىء لا حقيقة له، ولم يكن هذا فى الوجود قط.

(١) الفقاع: فى القاموس: نوع من الكَرْم الذى يشرب فيسكر، سُمِّى بذلك لما يرتفع فوقه من الزبد.

وعندهم من قال: إن الله يُرى فى الآخرة فهو كافر. ومن قال: إن الله تكلم بالقرآن حقيقة فهو كافر. ومن قال: إن الله فوق السموات فهو كافر. ومن آمن بالقضاء والقدر وقال: إن الله يهدى من يشاء ويُضلُّ من يشاء، وأن الله يُقلِّب قلوب عباده، وأن الله خالق كل شىء، فهو عندهم كافر. وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء الله وصفاته التى أخبر بها فى كتابه وعلى لسان رسوله، فهو عندهم كافر.

هذا هو المذهب الذى تُلقِّنُهُ لهم أئمتهم ـ مثل بنى العود ـ فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل، وهم الذين كانوا يأمرونهم بقتال المسلمين، ويفتونهم بهذه الأمور.

وقد حصل بأيدى المسلمين طائفة من كتبهم تصنيف ابن العود وغيره. وفيها هذا وأعظم منه. وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمروهم لكنهم مع هذا يُظْهِرُون التَّقيَّة والنفاق، ويتقربون ببذل الأموال إلى من يقبلها منهم. وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلية؛ فإنما أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق، ويبذلونه من البرطِيل لمن يقصدهم.

والمكان الذى لهم فى غاية الصعوبة، ذكر أهل الخبرة أنهم لم يروا مثله؛ ولهذا كثر فسادهم، فقتلوا من النفوس، وأخذوا من الأموال، ما لا يعلمه إلا الله.

ولقد كان جيرانهم من أهل البقاع وغيرها معهم فى أمر لايُضْبَط شرُّه، كل ليلة تنزل عليهم منهم طائفة، ويفعلون من الفساد ما لا يحصيه إلا رب العباد. كانوا فى قطع الطرقات وإخافة سكان البيوتات على أقبح سيرة عرفت من أهل الجنايات، يرد إليهم النصارى من أهل قبرص فيضيفونهم ويعطونهم سلاح المسلمين، ويقعون بالرجل الصالح من المسلمين، فإما أن يقتلوه أو يسلبوه، وقليل منهم من يفلت منهم بالحيلة.

فأعان الله ويَسَّرَ، بحسن نية السلطان وهمته، فى إقامة شرائع الإسلام، وعنايته بجهاد المارقين أن غزوا غزوة شرعية، كما أمر الله ورسوله، بعد أن كشفت أحوالهم، وأزيحت عللهم، وأزيلت شبههم، وبُذل لهم من العدل والإنصاف ما لم يكونوا يطمعون به، وبُيِّن لهم أن غزوهم اقتداء بسيرة أمير المؤمنين على بن أبى طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فى قتال الحرورية[1] المارقين، الذين تواتر عن النبى ﷺ الأمر بقتالهم ونعْت حالهم، من وجوه متعددة، أخرج منها أصحاب الصحيح عشرة أوجه: من حديث على بن أبى طالب، وأبى سعيد الخُدْرى. وسَهْل بن حُنَيف، وأبى ذَرٍّ الغِفَارى. ورافع بن عمرو، وغيرهم من أصحاب النبى ﷺ.

قال فيهم: «يَحْقِر أحدُكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، ويقرأون القرآن لا يُجاوز حَناجرهم، يَمْرُقون من الإسلام كما يَمْرُق السَّهْمُ من الرَّمِيَّة. لئن أدركتُهم لأقْتُلَنَّهُمْ قتل عاد، لو يعلم الذين يُقاتلونهم ماذا لهم على لسان محمد ﷺ لاتَّكلوا عن العمل، يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان، يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم، شرُّ قَتْلى تحت أديم السماء. خيرُ قَتْلى من قتلوه»[2].

وأول ما خرج هؤلاء، زمن أمير المؤمنين على رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وكان لهم من الصلاة،

---

(١) الحرورية: فرقة من الخوارج ينسبون إلى قرية حروراء (بفتحتين وسكون الواو)، وهى قرية بالكوفة تمت بها واقعة التحكيم المشهورة بين على ومعاوية - رضى الله عنهما.

(٢) ورد الحديث فى: البخارى بلفظ قريب: ١١٧/١٣ (كتاب الأنبياء - باب قول الله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾، ومسلم: ٧٤٣/٢، ٧٤٤ (كتاب الزكاة - باب ذكر الخوارج وصفاتهم)، والترمذى: ٣٢٦/٣ (أبواب الفتن - باب ما جاء فى صفة المارقة) وقال: حديث حسن صحيح، وأبى داود: ٢٤٤/٤ (كتاب السنة. باب فى قتال الخوارج)، والموطأ: ١٨٦/١ (كتاب القرآن - باب ما جاء فى القرآن)، وابن ماجه: ٦٠/١ (المقدمة - باب فى ذكر الخوارج).

والصيام، والقراءة، والعبادة، والزَّهادة ما لم يكن لعموم الصحابة. لكن كانوا خارجين عن سُنة / رسول الله ﷺ، وعن جماعة المسلمين، وقتلوا من المسلمين رجلا اسمه عبد الله بن خَبَّاب[1] وأغاروا على دوابِّ للمسلمين. [٢٧/ب]

وهؤلاء القوم كانوا أقلَّ صلاة وصياماً، ولم نجدْ فى جَبلهم مصحفا ولا فيهم قارئا للقرآن. وإنما عندهم عقائدهم التى خالفوا فيها الكتاب والسنة، وأباحوا بها دماء المسلمين. وهم مع هذا فقد سفكوا من الدماء وأخذوا من الأموال ما لايحصى عدده إلا الله تعالى.

فإذا كان على بن أبى طالب قد أباح لعسكره أن ينهبوا ما فى عسكر الخوارج، مع أنه قتلهم جميعهم، كان هؤلاء أحق بأخذ أموالهم. وليس هؤلاء بمنزلة المتأوِّلين الذين نادى فيهم على بن أبى طالب يوم الجمل «أنه لا يقتل مُدبرهم ولا يُجْهَزُ على جريحهم، ولا يُغْنم لهم مالا، ولايسبى لهم ذرية» لأن مثل أولئك لهم تأويل سائغ، وهؤلاء ليس لهم تأويل سائغ. ومثل أولئك إنما يكونون خارجين عن طاعة الإمام، وهؤلاء خرجوا عن شريعة رسول الله ﷺ وسنته. وهم شرٌّ من التَّتار من وجوه متعددة، لكن التتر أكثر وأقوى فلذلك يظهر كثرة شرهم.

وكثير من فساد التتر هو لمخالطة هؤلاء لهم، كما كان فى زمن قازان وهولاكو، وغيرهما، فإنهم أخذوا من أموال المسلمين أضعاف ما أخذوا من أموالهم. وأرضُهم فَىْءٌ لبيت المال.

وقد قال كثير من السلف: إن الرافضة لاحقَّ لهم من الفىْء، لأن الله إنما جعل

---

(١) هو عبد الله بن خباب بن الأرت من أصحاب رسول الله ﷺ قيل: أول مولود ولد فى الإسلام عبد الله بن الزبير وعبد الله بن خباب، وهو ابن خباب بن الأرت الصحابى الجليل الذى كان من أوائل من أسلموا بمكة وعُذبوا من كفار قريش عذاباً شديداً، وقد قتل عبد الله هو وزوجته على يد بعض الخوارج حين توجها إلى الكوفة لمقابلة على بن أبى طالب سنة (٣٧هـ) انظر عنه: الإصابة لابن حجر: ٢/٢٩٤، الاستيعاب لابن عبد البر: ٢/٢٨٢.

الفيء للمهاجرين والأنصار، ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] فمن لم يكن قلبه سليما لهم، ولسانه مستغفرا لهم، لم يكن من هؤلاء.

وقطعت أشجارهم لأن النبى ﷺ لما حاصر بنى النضير قطع أصحابُه نخْلهم وحرَّقوه ـ فقال اليهود: هذا فساد، وأنت يا محمد تنهى عن الفساد؛ فأنزل الله فى القرآن[2] ﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾[3].

وقد اتفق العلماء على جواز قطع الشجر، وتخريب العامر، عند الحاجة إليه. فليس ذلك بأولى من قتل النفوس وما أمكن غير ذلك.

فإن القوم لم يحضروا كلهم من الأماكن التى اختفوا فيها، وأيسوا من المقام فى الجبل إلا حين قُطعت الأشجار، وإلا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم، وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم، لأن التركمان إنما قصدُهم الرَّعى، وقد صار لهم مرعى، وسائر الفلاحين لا يتركون عمارة أرضهم ويجيئون إليه.

فالحمد لله الذى يسَّر بهذا الفتح[4] فى دولة السلطان بهمته وعزمه وأمره، وإخلاء الجبل منهم، وإخراجهم من ديارهم.

(١) الحشر: (١٠).
(٢) فى القرآن: ليست فى (ط).
(٣) الحشر: (٥).
(٤) فى (ط) هذا الفتح.

وهم يشبهون ما ذكره الله في قوله ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ (٢) وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ (٣) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤) مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾[1].

وأيضاً فإنه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشام، ومصر، والحجاز، واليمن، والعراق، ما يرفعُ اللهُ به درجاتِ السلطان، ويُعزُّ به أهل الإيمان.

(١) الحشر: (٢ - ٥).

فصـــل

[محاربة الفساد من عوامل النصر]

تمام هذا الفتح وبركته تَقَدُّم مراسِم السلطان بحسْم مادَّة أهل الفساد، وإقامة الشريعة فى البلاد. فإن هؤلاء القوم لهم من المشايخ والإخوان فى قُرى كثيرة مَنْ يَقتدون به[1] وينتصرون لهم، وفى قلوبهم غِلٌّ عظيم، وإبطان معاداة شديدة /، لا [٢٨/أ] يؤمَنُون معها على ما يُمكنهم، ولو أنه مباطنة العدو. فإذا أمسك رءوسهم الذين يُضلونهم - مثل بنى العَوْد - زال بذلك من الشَر ما لا يعلمه إلا الله.

ويتقدم إلى قُراهم، وهى قرى متعددة بأعمال دمشق، وصَفَد؛ وطرابلس، وحَماة، وحمص، وحَلب بأن يُقام فيهم شرائع الإسلام، الجمعة[2]، والجماعة، وقراءة القرآن، ويكون لهم خطباء ومؤذنون، كسائر قرى المسلمين، وتقرأ فيهم الأحاديث النبوية، وتنشر فيهم المعالم الإسلامية، ويعاقب من عُرف منهم بالبدعة والنفاق بما توجبه شريعة الإسلام.

فإن هؤلاء المحاربين وأمثالهم قالوا: نحن قوم جهال[3]، وهؤلاء كانوا يعلموننا ويقولون لنا: أنتم إذا قاتلتم هؤلاء تكونون مجاهدين، ومن قُتل منكم فهو شهيد.

وفى هؤلاء خلق كثير لا يقرُّون بصلاة، ولا صيام، ولا حج، ولا عمرة، ولا يُحَرِّمون الميتة، والدم، ولحم الخنزير، ولا يؤمنون بالجنة والنار من جنس الإسماعيلية، والنُّصَيرية، والحاكمية، والباطِنية، وهم كفار أكفر من اليهود والنصارى بإجماع المسلمين.

---

(١) فى (ط): بهم.
(٢) فى (ط): والجمعة.
(٣) فى (ط): جبال.

فتقدمُ المراسيم السلطانية بإقامة شعائر الإسلام: من الجمعة، والجماعة، وقراءة القرآن، وتبليغ أحاديث النبى ﷺ فى قُرى هؤلاء من أعظم المصالح الإسلامية، وأبلغ الجهاد فى سبيل الله.

وذلك سبب لانقماع من يُباطن العدو من هؤلاء ودخولهم فى طاعة الله ورسوله، وطاعة أولى الأمر من المسلمين.

وهو من الأسباب التى يعين الله بها على قمع الأعداء.

فإن ما فعلوه بالمسلمين فى أرض «سيس» نوع من غدرهم الذى به ينصر الله المسلمين عليهم؛ وفى ذلك لله حكمة عظيمة، ونصرة للإسلام جسيمة.

قال ابن عباس «ما نقض قوم العهد إلا أُديل عليهم العدو».

ولولا هذا وأمثاله ما حصل للمسلمين من العزم بقوة الإيمان، وللعدو من الخذلان، ما ينصر الله به المؤمنين، ويُذلُّ به الكفار والمنافقين.

والله هو المسئول أن يُتمَّ نعمته على سلطان الإسلام خاصة، وعلى عباده المؤمنين عامة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

عنوان الكتاب ظاهره

سلطان المسلمين، ومن أيَّد الله فى دولته الدين، وقمع الكفار والمنافقين أيد الله به الإسلام، ونشر عدله فى الأنام.

[محاربته للبدع]

وفى يوم السبت تاسع جمادى الأولى من هذه السنة ـ سنة خمس وسبعمائة ـ اجتمع جماعة من الأحمدية الرفاعية عند نائب السلطنة بالقصر. وحضر الشيخ تقى الدين، وطلبوا أن يسلِّم إليهم حالهم، وأن الشيخ تقى الدين لا يعارضهم ولا ينكر عليهم. وأرادوا أن يظهروا شيئا مما يفعلونه، فانتدب لهم الشيخ وتكَلَّم باتباع الشريعة، وأنه لايسع أحداً الخروج عنها بقول ولا فعل، وذكر أن لهم حيلا يَتَحَيَّلون بها فى دخول النار، وإخراج الزَّبد من الحلوق.

وقال لهم: من أراد دخول النار فليغسل جسده فى الحمام، ثم يَدْلكه بالخَلّ، ثم يدخل، ولو دخل لا يُلتفت إلى ذلك، بل هو نوعٌ من فعل الدجال عندنا. وكانوا جمعاً كثيرا.

وقال الشيخ صالح شيخ المنيبيع: نحن أحوالنا تنفقُ عند التتار، ما تنفق قُدّام الشرع.

وانفصل المجلس على أنهم يخلعون أطواق الحديد، وعلى أن من خرج عن الكتاب والسنة ضُربت رقبته.

وحفظ هذه الكلمة الحاضرون من الأمراء، والأكابر، وأعيان الدولة.

وكتب الشيخ عقيب هذه الواقعة جزءًا فى حال الأحمدية، ومبدئهم، وأصل طريقتهم، وذكر شيخهم وما فى طريقهم من الخير والشر، وأوضح الأمر فى ذلك.

[سجنه بسبب الفتوى الحموية]

وقال الذهبى فى أثناء كلامه فى ترجمة الشيخ:

ولما صنف المسألة الحموية فى الصفات سنة ثمان وتسعين وستمائة تحزَّبوا له. وآل بهم الأمر إلى أن طافوا به على قصبة من جهة القاضى الحنفى، ونودى عليه بأن لا يُستَفتَى.

ثم قام بنصره طائفة آخرون. وسلم الله.

فلما كان فى سنة[1] خمس وسبعمائة و جاء[2] الأمر من مصر بأن يُسئل عن معتقده فجمع له القضاة والعلماء بمجلس نائب دمشق الأفرم.

[٢٨/ب] فقال /: أنا كنت سُئِلتُ عن معتقد أهل السنة، فأجبتُ عنه فى جزء من سنين، وطلبه من داره، فأحضر، وقرأه.

فنازعوه فى موضعين، أو ثلاثة منه، وطال المجلس؛ فقاموا واجتمعوا مرتين أيضا لتتمة الجزء، وحاققوه.

ثم وقع الاتفاق على أن هذا معتقد سلفىٌّ جيد. وبعضهم قال ذلك كرها.

وكان المصريون قد سعوا فى أمر الشيخ، وملأوا الأمير ركن الدين الجاشنكير الذى تسلطن عليهم.

فطُلِب إلى مصر على البريد.

---

(١) فى (ك): فلما كان سنة.

(٢) فى (ك): جاء.

فثانى يوم دخوله اجتمع القضاة والفقهاء بقلعة مصر، وانتصب ابن عَدْلان[١] له خصما. وادَّعى عليه عند ابن مخلوف[٢] القاضى المالكى أن هذا يقول: إن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت، وأنه تعالى على العرش بذاته، وأن الله يشار إليه الإشارة الحسية.

وقال: أطلب عقوبته على ذلك.

فقال القاضى: ما تقول يا فقيه؟

فحمد الله وأثنى عليه.

فقيل له: أسرع، ما أحضرناك لتخطب.

فقال: أوَ مُنِع الثناء على الله؟

فقال القاضى: أجب، فقد حمدت الله.

فسكت، فألَّح عليه.

فقال: فمن الحاكم[٣] فىّ؟

فأشار له إلى القاضى ابن مخلوف.

---

(١) هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن عدلان، المعروف بابن عدلان الكتانى المصرى، ولد سنة (٦٦٣هـ)، وسمع من كثير من محدثى عصره، وتفقه على ابن السكرى وغيره، وقرأ الأصول على القرافى وغيره، والنحو على ابن النحاس، وبرع فى العلوم وحدث وأفتى وناظر ودرس وكان من شيوخ الشافعية البارزين. قيل: كان ذكياً نظاراً فصيحاً يعبر عن الأمور الدقيقة بعبارة وجيزة مع السرعة والاسترسال، وكان حَسن الخلق سليم الصدر، ولى قضاء العسكر فى أيام الناصر أحمد وتوفى ـ رحمه الله ـ سنة (٧٤٩هـ). انظر عنه. شذرات الذهب: ٦/١٦٤.

(٢) هو زين الدين على بن مخلوف بن ناهض النويرى المالكى، قاضى المالكية بمصر، استمرت ولايته للقضاء ثلاثاً وثلاثين سنة، حدث عن المرسى وغيره، وكان حسن السيرة، توفى ـ رحمه الله ـ بمصر وقد بلغ ثلاثاً وثمانين سنة؛ انظر عنه شذرات الذهب: ٦/٤٩.

(٣) فى (ك): من الحاكم فىّ، وفى (ط): من الحكم.

فقال: أنت خصمى. كيف تحكم فىّ؟ وغضب وانزعج، وأسكت القاضى.

فأقيم الشيخ وأخواه، وسجنوا بالجب بقلعة الجبل، وجرت أمور طويلة.

وكُتب إلى الشام كتاب سلطانى بالخط عليه، فقرئ بالجامع وتألم الناس له. ثم بقى سنة ونصفا، وأخرج، وكتب لهم ألفاظا اقترحوها عليه، وهُدِّد وتُوعِّد بالقتل إن لم يكتبها.

وأقام بمصر يقرئ العلم ويجتمع عنده خلق[1] إلى أن تكلم فى الاتحادية القائلين بوحدة الوجود، وهم : ـ ابن سبعين[2]، وابن عربى،[3] والقَونوى[4]، وأشباههم فتحزّب عليه صوفية وفقراء، وسعوا فيه. وأنه تكلم فى صفوة الأولياء.

---

(١) فى (ص): ويجتمع خلق عنده.

(٢) هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الإشبيلى المرسى، قطب الدين أبو محمد، من زهاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجود. ولد سنة (٦١٣ هـ)، ودرس اللغة العربية والأدب فى الأندلس، وانتقل إلى سبتة، وحج واشتهر أمره. له مريدون وأتباع يعرفون بالسبعينية، وقد كفّره بعض العلماء، ومن مؤلفاته: كتاب الحروف الوضعية فى الصور الفلكية، وشرح كتاب إدريس ـ عليه السلام ـ الذى وضعه فى علم الحروف، وكتاب البدو، وكتاب اللهو، وأسرار الحكمة المشرقية، ورسائل ابن سبعين وغيرها، توفى سنة (٦٦٩ هـ)، انظر عنه: البداية والنهاية: ٢٦١/١٣؛ لسان الميزان: ٣٩٢/٣، فوات الوفيات: ٢٤٧/١؛ شذرات الذهب: ٣٢٩/٥؛ الأعلام: ٢٨٠/٣.

(٣) هو أبو بكر محيى الدين محمد بن على بن محمد الحاتمى الطائى الأندلسى، ابن عربى؛ ويقال ابن العربى، طاف البلاد، وأقام بمكة وصنف فيها كتابه المشهور «الفتوحات المكية»؛ قال ابن كثير عن هذا الكتاب: «فيها ما يعقل وما لا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف ومالا يعرف، وله كتابه المسمى بفصوص الحكم فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح»، وذكر الشعرانى أنه دس عليه فى الفصوص كلاماً لم يقله. وله كتاب العبادلة، وديوان شعر رائق، ومصنفات أخرى، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٦٣٨هـ). انظر عنه: البداية والنهاية ١٥٦/١٣، شذرات الذهب ١٩٠/٥ – ٢٠٢.

(٤) هو محمد بن إسحاق بن محمد بن يوسف بن على القونوى الرومى، صدر الدين، من كبار تلامذة محيى الدين بن عربى، تزوج ابن عربى أمه ورباه، كان شافعى المذهب، وبينه وبين نصير الدين الطوسى مكاتبات فى بعض المسائل الحكمية، من مؤلفاته: النصوص فى تحقيق الطور المخصوص، واللمعة النورانية فى مشكلات الشجرة النعمانية لابن عربى، وإعجاز البيان، ومفتاح الغيب، وشرح الأسماء الحسنى وغير ذلك، توفى سنة (٦٧٣هـ). انظر عنه: طبقات الشافعية: ١٩/٥؛ كشف الظنون: ١٩٥٦/٢؛ مفتاح السعادة: ٤٥١/١، ٢١١/٢؛ الأعلام: ٣٠/٦.

فعمل له محفل، ثم أخرجوه على البريد، ثم ردوه على مرحلة من مصر، ورأوا مصلحتهم فى اعتقاله، فسجنوه فى حبس القضاة سنة ونصفًا.

فجعل أصحابه يدخلون إليه فى السر، ثم تظاهروا، فأخرجته الدولة على البريد إلى الإسكندرية، وحبس ببرج منها، وَشُنِّع بأنه قتل، وأنه غرق غير مرة.

فلما عاد السلطان - أيده الله تعالى[1] - من الكَرَك[2]، وأباد أضداده، بادر باستحضار الشيخ إلى القاهرة، مكرَّما، واجتمع[3] به وحادثه، وسارَّه بحضرة القضاة والكبار، وزاد فى إكرامه.

ثم نزل وسكن فى دار، واجتمع بعد ذلك بالسلطان، ولم يكن[4] [الشيخ من رجال الدول ولا يسلط معهم تلك النواميس فلم[4]] يعد السلطان بجتمع به، فلما قدم السلطان لكشف العدو عن الرَّحبَة، جاء الشيخ إلى دمشق سنة اثنتى عشرة[5] ثم جرت أمور ومحن[6]. انتهى كلامه.

[تلخيص المحنة]

وقال الشيخ علم الدين: وفى شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وستمائة وقع بدمشق محنة للشيخ الإمام تقى الدين ابن تيمية.

وكان الشروع فيها من أول الشهر، وظهرت يوم الخامس منه، واستمرت إلى آخر الشهر.

---

(١) فى (ص): أيده الله.
(٢) الكرك:
(٣) فى (ص): فاجتمع.
(٤-٤) ما بين المعقوفتين ليس فى (ك).
(٥) فى (ط): اثنتى عشرة وسبعمائة.
(٦) أشار الناسخ بعد كلمة «ومحن» إلى الهامش ثم كتب بالهامش كلاما مطولا عن اختلاف العلماء أمام السلطان فى صفة الاستواء.

وملخصها: أنه كان كتب جوابا سُئل عنه من حماة فى الصفات، فذكر فيه مذهب السلف، ورجحه على مذهب المتكلمين، وكان قبل ذلك بقليل أنكر أمر المنجمين، واجتمع بسيف الدين جاغان فى ذلك فى حال نيابته بدمشق وقيامه مقام[1] نائب السلطنة؛ وامتثل أمره؛ وقبل قوله، والتمس منه كثرة الاجتماع به.

فحصل بسبب ذلك ضيق لجماعة، مع ما كان عندهم قبل ذلك[2] من كراهية الشيخ، وتألمهم لظهوره؛ وذكره الحسن.

فانضاف شىء إلى أشياء؛ ولم يجدوا مساغاً إلى الكلام فيه لزهده، وعدم إقباله على الدنيا، وترك المزاحمة على المناصب، وكثرة علمه، وجودة أجوبته وفتاويه، وما يظهر فيها من غزارة العلم، وجودة الفهم.

فعمدوا إلى الكلام فى العقيدة؛ لكونهم يرجحون مذهب المتكلمين فى الصفات، والقرآن على مذهب السلف، ويعتقدونه الصواب.

[٢٩/أ] /فأخذوا الجواب الذى كتبه، وعملوا عليه أوراقاً فى ردّه، ثم سعوا السعى الشديد إلى القضاة والفقهاء، واحداً واحداً، وأغروا خواطرهم، وحرفوا الكلام وكذبوا الكذب الفاحش، وجعلوه يقول بالتجسيم ـ وحاشاه[3] من ذلك ـ وأنه قد أوعز ذلك المذهب إلى أصحابه، وأن العوام قد فسدت عقائدهم بذلك، ولم يقع من ذلك شىء، والعياذ بالله.

وسعوا فى ذلك سعيا شديدا، فى أيام كثيرة المطر والوحل والبرد [[4]وسعوا فى ذلك سعيًا شديدا[4]].

---

(١) فى (ك): فقام.
(٢) قبل ذلك: ليست فى (ص).
(٣) فى (ك): حاشاه.
(٤ - ٤) ما بين المعقوفتين ليس فى (ص).

فوافقهم جلالُ الدّين الحنفيُّ؛ قاضى الحنفية يومئذ على ذلك، ومشى معهم إلى دار الحديث الأشْرفيّة، وطلب حضوره، وأرسل إليه فلم يحضر.

وأرسل إليه فى الجواب: إن العقائد ليس أمرها إليك، وإن السلطان إنما وَلاّك لتحكم بين الناس، وإن إنكار المنكرات ليس مما يختص به القاضى.

فوصلت إليه هذه الرسالة فأغْرَوا خاطره، وشوَّشُوا قلبه، وقالوا: لم يحضر. وردّ عليك.

فأمر بالنداء على بطلان عقيدته فى البلدة، فأجاب إلى ذلك، فنودى فى بعض البلد.

ثم بادر سيف الدين جاغان، وأرسل طائفة، فضرب المنادى وجماعة ممن حوله، وأحرق بهم، فرجعوا مضروبين فى غاية الإهانة.

ثم طلب سيف الدين جاغانُ مَنْ قام فى ذلك وسعى فيه، فدارت الرسل والأعوان عليهم فى البلد، فاختفوا، واحتمى مُقَدَّمهم ببدر الدين الأتابكى، ودخل عليه فى داره، وسأل منه أن يجيره من ذلك، فترفّق فى أمره إلى أن سكن غضب سيف الدين جاغان.

ثم إن الشيخ جلس يوم الجمعة على عادته ثالث عشر الشهر، وكان تفسيره فى قوله تعالى ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾[1] وذكر الحلم، وما ينبغى استعماله، وكان ميعاداً جليلاً.

ثم إنه اجتمع بالقاضى إمام الدين الشافعى، وواعده لقراءة جزئه الذى أجاب فيه، وهو المعروف: بالحموية.

---

(١) القلم: (٤).

فاجتمعوا يوم السبت رابع عشر الشهر، من بكرة النهار إلى نحو الثلث من ليلة الأحد، ميعاداً طويلا مستمراً، وقرئت فيه جميع العقيدة، وبيَّن مراده من مواضع أشكلت. ولم يحصل إنكار عليه من الحاكم، ولا ممن حضر المجلس، بحيث انفصل عنهم، والقاضى يقول: كل من تكلم فى الشيخ [(1)فأنا خصمه. وقال أخوه جلال الدين بعد هذا الميعاد كل من تكلم فى الشيخ نعزره(1)]، وانفصل عنهم عن طيبة، وخرج والناس ينتظرون ما يسمعون من طيب أخباره.

فوصل إلى داره فى ملأ كثير من الناس، وعندهم استبشار وسرور به، وهو فى ذلك كله ثابت الجأش، قوى القلب، واثق بالنصر(2) الإلهى، لا يلتفت إلى نصر مخلوق، ولا يُعوِّل عليه.

وكان سعيهم فى حقه أَتَمَّ السعى، لم يبقوا ممكنا من الاجتماع بمن يرتجون(3) منه أدنى نصر لهم، وتكلموا فى حقه بأنواع الأذى، وبأمور يستحى الإنسان من الله سبحانه أن يحكيها، فضلا عن أن يَخْتلقها، ويُلفَقِّها، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

والذين سعوا فيه معروفون عندنا وعند كل أحد، قد اشتهر عنهم هذا الفعل الفظيع، وكذلك مَنْ ساعدهم بقول أو تشنيع، أو إغراء، أو إرسال رسالة، أو إفتاء، أو شهادة، أو أذى لبعض أصحاب الشيخ ومن يلوذ به، أو شتم، أو غيبة، أو تشويش باطن؛ فإنه وقع من ذلك(4) شىء كثير من جماعة كثيرة.

ورأى جماعة من الصالحين والأخيار فى هذه الواقعة وعقيبها للشيخ مرائى حسنة جليلة، لو ضبطت كانت مجلدا تاما. انتهى ما ذكره.

(1 - 1) ما بين المعقوفتين ليس فى (ك).
(2) فى (ك): بالنصرة.
(3) فى (ص): يرجون.
(4) فى (ص) فى ذلك.

[مناظرة ابن تيميةً فى العقيدة الواسطية]

ثم بعد هذه الواقعة بمدة كثيرة - وذلك يوم الاثنين ثامن رجب من سنة خمس وسبعمائة - طلب القضاة والفقهاء، وطلب الشيخ تقى الدين إلى القصر، إلى مجلس نائب السلطنة الأفرم. فلما[1] اجتمعوا عنده سأل[2] الشيخ تقى الدين وحده عن عقيدته.

وقال له: هذا المجلس عُقد لك، وقد ورد مرسوم السلطان أن أسألك عن اعتقادك.

فأحضر الشيخ عقيدته الواسطية وقال: هذه كتبتها من نحو سبع سنين، قبل مجىء التتار إلى الشام.

/ فقرئت فى المجلس وبحث فيها، وبقى مواضع أُخِّرت إلى مجلس آخر. [٢٩/ب]

ثم اجتمعوا يوم الجمعة بعد الصلاة ثانى عشر رجب المذكور، وحضر المخالفون، ومعهم الشيخ صَفِىُّ الدين الهندى[3]، واتفقوا على أنه يتولى المناظرة مع الشيخ تقى الدين.

فتكلم معه، ثم إنهم رجعوا عنه، واتفقوا على الشيخ كمال الدين بن الزِّمْلِكانى،

---

(١) فى (ك): فاجتمعوا.

(٢) فى (ك): وسأل.

(٣) هو محمد بن عبد الرحيم بن محمد الأرموى، أبو عبد الله صفى الدين الهندى، ولد بالهند سنة (٦٤٤هـ)، وخرج من دهلى سنة (٦٦٧هـ)، وزار اليمن، وحج، ودخل مصر، والروم، ثم استوطن بدمشق سنة (٦٨٥هـ)، كان من علماء الفقه وأصوله البارزين، ومن أهم مؤلفاته: نهاية الوصول إلى علم الأصول، الفائق، الرسالة التسعينية، وغير ذلك، توفى - رحمه الله - بدمشق سنة (٧١٥ هـ). انظر عنه: طبقات الشافعية: ٥/ ٢٤٠، البداية والنهاية: ١٤/ ٧٤، الدرر الكامنة ١٤/٤٦، البدر الطالع: ٢/ ١٨٧، مفتاح السعادة: ٢/ ٢١٨، الأعلام: ٦/ ٢٠٠.

فناظر الشيخ وبحث معه، وطال الكلام، وخرجوا من هناك والأمر قد انفصل، وقد أظهر الله من قيام الحجة ما أعَزّ به[1] أهل السنة، وانصرف الشيخ تقى الدين إلى منزله.

واختلفت نقول المخالفين للمجلس، وحَرَّفوه، ووضعوا مقالة الشيخ على غير موضعها، وشنع ابن الوكيل وأصحابه؛ بأن الشيخ قد رجع عن عقيدته، فالله المستعان.

[أسباب المناظرة]

والذى حمل نائب السلطنة على هذا الفعل؛ كتاب ورد عليه من مصر فى هذا المعنى.

وكان القائم فى ذلك بمصر القاضى ابن مخلوف المالكى، والشيخ نصر المَنْبِجىُّ، والقونوى[2]، واستعانوا بركن الدين الجاشنكير.

ثم بعد ذلك عَزَّر بعضُ القضاة بدمشق شخصاً يلوذ بالشيخ تقى الدين، وطلب جماعة، ثم أُطْلقوا، ووقع هَرْج فى البلد، وكان الأمير نائب السلطنة قد خرج للصيد، وغاب نحو جمعة ثم حضر.

وكان الحافظ جمال الدين المِزّى يقرأ صحيح البخارى؛ لأجل الاستسقاء. فقرأ يوم الاثنين والعشرين من رجب فى أثناء ذلك فصلا فى الردّ على الجَهْمية، وأن الله فوق العرش، من كتاب أفعال العباد، تأليف البخارى، تحت النسر.

---

(١) فى (ص): وما أعزبه.

(٢) فى (ك): القروى.

فغضب لذلك بعض الفقهاء الحاضرين، وقالوا: نحن المقصودون بهذا، ورفعوا الأمر إلى قاضى القضاة الشافعى[1]، فطلبه ورسم بحبسه.

فبلغ ذلك الشيخ تقى الدين، فتألم له، وأخرجه من الحبس بيده، وخرج إلى القصر إلى ملك الأمراء، وتخاصم هو والقاضى هناك، وأثنى على الشيخ جمال الدين، وغضب القاضى وانزعج.

وقال: لئن لم يردّ إلى حبسى عزلتُ نفسى، فأرضاه ملك الأمراء بأن أعاد الشيخ جمال الدين إلى حبسه، فاعتقله بالقوصية أيّاماً.

وذكر الشيخ تقى الدين للنائب ما وقع فى غيبته فى حق بعض أصحابه من الأذى، فرسم بحبس جماعة من أصحاب ابن الوكيل، وأمر فنودى فى البلد: إنه من تكلم فى العقائد حل دمه وماله[2]، ونُهب داره وحانوته، وقصد بذلك تسكين الفتن والشر[3].

وفى يوم الثلاثاء سابع شعبان عُقد للشيخ تقى الدين مجلس ثالث بالقصر ورضى الجماعة بالعقيدة.

وفى هذا اليوم عَزل قاضى القضاة نجم الدين بن صَصْرى[4] نفسه عن الحكم بسبب كلام سمعه من الشيخ كمال الدين بن الزِّملكانى، لا أحب حكايته.

---

(١) فى (ص): الشافعية.
(٢) في (ص): ماله ودمه.
(٣) فى (ص): الشر والفتن.
(٤) هو أحمد بن محمد بن سالم، أبو المواهب، نجم الدين ابن صَصْرى، ولد سنة (٦٥٥هـ)، عمل فى دار الإنشاء، كان من علماء الحديث بدمشق، وولى منصب قاضى القضاء سنة (٧٢٣هـ). انظر عنه: فوات الوفيات: ١/٦٢، الدرر الكامنة: ١/٢٦٣، شذرات الذهب: ٦/٥٨ ـ ٥٩، الأعلام: ١/٢٢٢.

وفى اليوم السادس والعشرين من شعبان، ورد كتاب السلطان إلى القاضى بإعادته إلى الحكم، وفيه: ـ إنا كنَّا رسمنا بعقد مجلس للشيخ تقى الدين، وقد بلغنا ما عُقِد له من المجالس، وأنه على مذهب السلف، وما قصدنا بذلك إلا براءة ساحته.

[المجلس الأول]

وقد ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ (1 صورة ما جرى فى هذه المجالس ملخصا، وعلق فى ذلك 1) شيئا مختصرا فقال :

بسم الله الرحمن الرحيم (2)

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ظهير ولا معين، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى أرسله إلى الخلق أجمعين، صلى الله عليه، وعلى آله وسلم، وعلى سائر عباد الله الصالحين.

أما بعد. فقد سُئِلْتُ غيرَ مرة، أن أكتب ما حضرنى ذِكرُه مما جرى فى المجالس الثلاثة المعقودة للمناظرة، فى أمر الاعتقاد، بمقتضى ما ورد به كتاب السلطان من الديار المصرية إلى نائبه أمير البلاد، ولما(3) سعى إليه قوم من [(4الجهمية، والاتحادية، والرافضة، وغيرهم4)] من ذوى الأحقاد؛ فأمر الأمير

(1-1) ما بين القوسين بهامش (ص)، وفى هامش (ك) كتب الناسخ مايلى: كلمة غير مقروءة كأنها جلسة ثم كتب: ما جرى للشيخ من مناظرات.

(2) البسملة ليست فى (ص).

(3) فى (ص): لما.

(4-4) ما بين المعقوفتين ليس فى (ص).

بجمع القضاة (1الأربعة: قضاة المذاهب الأربعة، وغيرهم من نوابهم والمفتين1) والمشايخ ممن له حرمة وبه اعتداد، وهم لا يدرون فيما[2] قُصد بجمعهم فى هذا الميعاد، وذلك يوم الاثنين، / ثامن رجب المبارك، عام خمس وسبعمائة. [٣٠/أ]

فقال لى: هذا المجلس عقد لك، فقد ورد مرسوم السلطان: أن أسألك عن اعتقادك، وعما كتبت به إلى الديار المصرية، من الكتب التى تدعو بها الناس إلى الاعتقاد، وأظنه قال: وأن أجمع القضاة، والفقهاء، وتتباحثون[3] فى ذلك.

فقلت : أما الاعتقاد فلا يؤخذ عنى، ولا عمن هو أكبر منى، بل يؤخذ عن الله ورسوله، وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان فى القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت فى الأحاديث الصحيحة؛ مثل صحيح البخارى ومسلم.

[الكذب على ابن تيميَّة]

وأما الكتب[4]؛ فما كتبت إلى أحد كتابا ابتداء أدعوه به إلى شىء من ذلك ولكننى كتبت أجوبة أجبت بها مَنْ يسألنى من أهل الديار المصرية وغيرهم.

وكان قد بلغنى أنه زُوِّرَ علىّ كتاب إلى الأمير ركن الدين الجاشنكير أستاذ دار السلطان[5]، يتضمن ذكر عقيدة مُحَرَّفة، ولم أعلم بحقيقته، لكن علمت أن هذا مكذوب. وكان يَردُ علىّ من مصر، وغيرها، مَنْ يسألنى مسائل فى الاعتقاد، أو غيره، فأجيبه بالكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة.

(١-١) ما بين المعقوفتين ليس فى (ص).
(٢) فى (ط): ما.
(٣) فى (ص): ويتباحثون.
(٤) كتب الناسخ فى مقابل هذه الكلمة بهامش (ك) لفظ: بلاغ.
(٥) فى (ص): استدار السلطان.

فقال: نريد أن تكتب لنا عقيدتك.

فقلت: اكتبوا.

فأمر الشيخ كمال الدين أن يكتب، فكتبت[1] له جمل الاعتقاد فى أبواب الصفات، والقدر، ومسائل الإيمان، والوعيد، والإمامة[2]، والتفضيل.

وهو أن اعتقاد أهل السنة والجماعة: ـ الإيمان بما وصف الله به نفسه، وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، ولا تمثيل، وأن القرآن كلام الله، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. والإيمان بأن الله خالق كل شىء من أفعال العباد وغيرها، وأنه ما شاء الله[3] كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه أمر بالطاعة ورضيها وأحبها، ونهى عن المعصية وكرهها، والعبد فاعل حقيقة، والله خالق فعله. وأن الإيمان والدين قول وعمل يزيد وينقص، وأن لا نكفر أحداً من أهل القبلة بالذنوب، ولا يخلد[4] فى النار من أهل الإيمان أحد، وأن الخلفاء بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم على ـ رضى الله عنهم ـ[5] وأن مرتبتهم فى الفضل كمرتبتهم فى الخلافة، ومن قدَّم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار.

وذكرت هذا ونحوه، فإنى الآن قد بَعُد عهدى، ولم أحفظ لفظ[6] ما أمليته إذ ذاك.

ثم قلت للأمير والحاضرين: أنا أعلم أن أقواما يكذبون علىّ، كما قد[7] كذبوا علىّ غير مرة، وإن أمليت الاعتقاد من حفظى[8] ربما يقولون: كتم بعضه، أو داهن ودَارَى. فأنا أُحضِر[9] عقيدةً مكتوبة من نحو سبع سنين، قبل مجىء التتر إلى الشام.

---

(١) فى (ط). وكتبت.
(٢) فى (ص): والإمامة.
(٣) لفظ الجلالة ليس فى (ص).
(٤) فى (ط) ولا تخلد ... أحداً.
(٥) رضى الله عنهم. ليست فى (ص).
(٦) لفظ: ليس فى (ص).
(٧) قد: ليست فى (ص).
(٨) فى (ص): خطى.
(٩) احضر: كتبها الناسخ بهامش (ك).

وقلت[1] قبل حضورها كلاما قد بَعُد عَهْدى به، وغضبتُ غضباً شديداً، لكنى أذكر أنى قلت: أنا أعلم أن أقواماً كذبوا علىّ، وقالوا للسلطان أشياء، وتكلّمت بكلام احتجت إليه، مثل أن قلت: من قام بالإسلام فى أوقات الحاجة غيرى؟ ومن الذى أوضح دلائله، وبَيَّنَه، وجاهد أعداءه، وأقامه لمّا مال حين[2] تخلَّى عنه كل أحد؟، فلا أحد ينطق بحجته، ولا أحد يجاهد عنه، وقمت مُظهرا لحجته، مجاهداً عنه، مرغبا فيه.

فإذا كان هؤلاء يطمعون فى الكلام / فِيَّ، فكيف يصنعون بغيرى؟! ولو أن [٣٠/ب] يهودياً طلب من السلطان الإنصاف؛ لوجب عليه أن ينصفه، وأنا قد أعفو[3] عن حقى، وقد لا أعفو[3]، بل قد أطلب الإنصاف منه، وأن يُحضر هؤلاء الذين يكذبون؛ ليحاقَقُوا[4] على افترائهم.

وقلت كلاماً أطول من هذا، من هذا الجنس لكنى بَعد عهدى به؛ فأشار الأمير إلى كاتب الدَّرَج؛ محيى الدين، أن يكتب ذلك كله[5].

وقلت أيضا: كل من خالفنى فى شىء مما كتبته، فأنا أعلم بمذهبه منه.

وما أدرى، هل قلت هذا قبل حضورها، أو بعدها؟ لكننى قلت أيضا، بعد حضورها وقراءتها: ما ذكرتُ فيها فصلاً إلا وفيه مخالف من[6] المنتسبين إلى القبلة، وكل جملة فيها خلاف لطائفة من الطوائف.

ثم أرسلت من أحضرها، ومعها[7] كراريس بخطى من المنزل، فحضرت العقيدة الواسطية.

---

(١) فى (ط): قلت.

(٢) فى (ص): حتى.

(٣) - (٣) فى كلا الموضعين فى (ص): أغفر.

(٤) فى (ص): ليحاقّوا.

(٥) كله: ليست فى (ك).

(٦) من: ليست فى (ص).

(٧) فى (ص): ومعه.

[سبب تأليف العقيدة الواسطية]

وقلت لهم: هذه كان سبب كتابتها؛ أنه قَدم من أرض واسط بعض قُضاة نواحيها: شيخ يقال له رضىُّ الدين الواسطى[١]، قَدِم علينا حاجاً، وكان من أهل الخير والدين، وشكا ما الناسُ فيه بتلك البلاد فى دولة التتر من غلبة الجهل والظلم، ودروس الدين والعلم، وسألنى أن أكتب له[٢] عقيدة تكون عمدة له، ولأهل بيته.

فاستعفيت[٣] من ذلك، وقلت: قد كتب الناس عقائد [[٤]متعددة فخذ بعض[٤]] عقائد أئمة السنة.

فألحّ فى السؤال وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت.

فكتبت له هذه العقيدة، وأنا قاعد بعد العصر، وقد انتشرت بها نسخ كثيرة فى مصر، والعراق، وغيرهما.

فأشار الأمير بأن لا أقرأها أنا ـ لرفع[٥] الريبة ـ وأعطاها لكاتبه الشيخ

---

(١) هو عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن مسعود الواسطى الحزامى الزاهد، ولد سنة (٦٥٧هـ) بشرقى واسط، وكان أبوه شيخ الطائفة الأحمدية ونشأ الشيخ عماد الدين بينهم، وألهمه الله تعالى من صغره طلب الحق ومحبته والنفور من البدع، اجتمع بفقهاء واسط مثل الشيخ عز الدين الفارقى وغيره، وقرأ شيئاً من الفقه الشافعى، وذهب إلى بغداد والقاهرة، واجتمع فى الاسكندرية بالطائفة الشاذلية، ثم قَدِم إلى دمشق فصاحب الشيخ تقى الدين ابن تيمية فدلّه على مطالعة السيرة النبوية فأقبل على سيرة ابن هشام فلخصها، وطالع كتب الحديث والسنة والآثار، وأخذ يرد على طوائف المبتدعة والاتحادية، وانتقل إلى مذهب الإمام أحمد، واختصر الكافى فى مجلد سماه «البُلغة»، قال عنه ابن تيمية: «هو جنيد وقته»، توفى ـ رحمه الله ـ بدمشق سنة (٧١١هـ). انظر عنه: شذرات الذهب: ٦/ ٢٤ - ٢٥.

(٢) له: ليست فى (ص).

(٣) فى (ص): فاستعففت.

(٤ - ٤) ما بين المعقوفتين ليس فى (ص).

(٥) فى (ص): لدفع.

كمال الدين، فقرأها[1] على الحاضرين حرفاً حرفا، والجماعة الحاضرون يسمعونها[2]. ويورد المورد منهم ما شاء، ويعارض فيما شاء، والأمير أيضا يسأل عن مواضع فيها.

وقد علم الناس ما كان فى نفوس طائفة من الحاضرين، من الخلاف [[3]والهوى ما قد علم الناس بعضه، وبعضه بسبب الاعتقاد، وبعضه بغير ذلك[3]].

ولا يمكن ذكر ما جرى من الكلام، والمناظرات، فى هذه المجالس؛ فإنه كثير لا ينضبط[4].

لكن أكتب ملخص ما حضرنى من ذلك، مع بعد العهد بذلك، ومع أنه كان يجرى رفع أصوات، ولغَط لا ينضبط.

فكان مما اعترض عليه بعضهم، لما ذكر فى أولها «ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله محمد ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل».

فقال: ما المراد بالتحريف والتعطيل؟

ومقصوده: أن هذا ينفى التأويل الذى يثبته أهل التأويل، الذى هو صرف اللفظ عن ظاهره، إما وجوباً وإما جوازاً.

فقلت: تحريفُ الكَلِم عن مواضعه، كما ذمَّه الله فى كتابه، وهو إزالة اللفظ عما دلّ عليه من المعنى؛ مثل تأويل بعض الجهْمِيَة لقوله تعالى[5] ﴿ **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيماً** ﴾[6] أى جرّحه بأظافير الحكمة تجريحاً.

ومثل تأويلات القَرامطة، والباطنية، وغيرهم من الجهمية، والرافضة، والقَدَرية وغيرهم[7]، فسكت وفى نفسه ما فيها.

---

(1) فى (ص): يقرأها.

(2) فى (ص): وهم يسمعونها.

(3-3) ما بين المعقوفتين ليس فى (ص).

(4) لا ينضبط: ليس فى (ص).

(5) تعالى: ليست فى (ص).

(6) النساء (164).

(7) وغيرهم: ليس فى (ص).

وذكرت فى غير هذا المجلس: أنى عَدَلْتُ عن لفظ «التأويل» إلى لفظ «التحريف»؛ لأن التحريف اسم جاء القرآن بذمه، وأنا تحرّيْتُ فى هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة، فنفيتُ ما ذمّه الله من التحريف، ولم أذكر فيها لفظ التأويل بنفى ولا إثبات؛ لأنه لفظ له عِدّة معانٍ، كما بَيَّنْتُه فى موضعه من القواعد، فإن معنى لفظ «التأويل» فى كتاب الله غير معنى[1] لفظ «التأويل» فى اصطلاح المتأخرين من أهل / الأصول والفقه، وغير معنى لفظ التأويل فى اصطلاح كثير من أهلِ التفسير والسلف[2]؛ ولأن من[3] المعانى التى قد تسمى تأويلا[4] ما هو صحيح منقول عن بعض السلف، فلم أنْفِ ما تقوم الحجة على صحته؛ إذ ما قامت الحجة على صحته، وهو منقول عن السلف، فليس من التحريف. [٣١/أ]

وقلت لهُم[5] أيضا: ذكرت فى النَّفى «التمثيل» ولم أذكر «التشبيه»؛ لأن «التمثيل» نفاه الله بنص كتابه حيث قال ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ** ﴾[6] وقال ﴿ **هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا** ﴾[7] فكان[8] أحب إلىّ من لفظ ليس فى كتاب الله، ولا فى سنة رسول الله ﷺ وإن كان قد يُعنى بنَفْيه معنًى صحيح، كما قد يعنى به معنى فاسد.

ولما ذكرت أنهم لا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يُحرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه، ولا يُلْحِدون فى أسماء الله وآياته؛ جعل بعض الحاضرين يَمْتَعِضُ من ذلك، لاسْتِشْعاره ما فى ذلك من الردّ لما هو عليه، ولكن لم يتوجه له ما يقوله وأراد أن يدور علىّ بالأسئلة التى أعلمها، فلم يتمكن لعلمه بالجواب[9].

ولما ذكرت آية الكُرْسِىِّ، أظن سأل الأمير عن قولنا «لا يَقْرَبُه شيطان حتى يُصبح».

---

(١) معنى: ليس فى (ص)
(٢) والسلف: ليس فى (ص).
(٣) من: ليست فى (ص).
(٤) فى (ص) كتب الناسخ إشارة فوق هذه الكلمة ثم كتب بالهامش: قد يكون فيها.
(٥) فى (ك): له.
(٦) الشورى: (١١).
(٧) مريم: (٦٥).
(٨) فى (ص): وكان.
(٩) لعلمه بالجواب: ليست فى (ص)

فذكرت له[١] حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ فى الذى كان يسرق صدقة الفطر، وذكرت أن البخارى رواه فى صحيحه[٢].

وأخذوا يذكرون نفى التشبيه، والتجسيم، ويُطْنِبون فى هذا، ويُعَرِّضون بما ينسبه بعض الناس إلينا من ذلك.

فقلت: قولى من غير تكييف، ولا تمثيل ينفى كل باطل، وإنما اخترت[٣] هذين الاسمين؛ لأن «التكييف» مأثور نفيه عن السلف، كما قال رَبِيْعة، ومالك، وابن عُيَيْنة وغيرهم، المقالة التى تلقاها العلماء بالقبول « الاستواء معلوم، والكَيْفُ مجهول، والإيمانُ به واجب، والسؤال عنه بِدْعة».

فاتفق هؤلاء السلف على أن الكَيْف غير معلوم لنا، فنفيت ذلك، اتباعاً لسلف الأمة، وهو أيضا منفى بالنص، فإن تأويل آيات الصفات يدخل فيها حقيقة الموصوف وحقيقة صفاته، وهذا من التأويل الذى لا يعلمه إلا الله، كما قد قررت ذلك فى قاعدة مفردة ذكرتها فى التأويل، والمعنى، والفرق بين علمنا بمعنى الكلام، وبين علمنا بتأويله.

وكذلك «التمثيل» منفى[٤] بالنص والإجماع القديم، مع دلالة العقل على نفيه، .ونفى التكييف؛ إذ كُنْهُ البارى تعالى غير معلوم للبشر.

---

(١) له: ليست فى (ص).

(٢) عن أبى هريرة رضي الله عنه قال : «وَكّلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتانى آتٍ فجعل يحثو من الطعام. فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ قال: إنى محتاج، وعلى دين وعيال، وفِىّ حاجة شديدة. فخليت عنه، فأصبحت فقال النبى ﷺ. يا أبا هريرة ما فعل أميرك البارحة؟

(٣) فى (ك) أخذت.

(٤) فى (ك): ينفى.

وذكرت فى ضمن ذلك كلام الخطَّابى الذى نقل أنه مذهب السلف وهو: «إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها، مع نفى الكيفية، والتشبيه عنها، إذ الكلام فى الصفات فرع عن الكلام فى الذات، يُحْتَذَى فيه حذوه، ويُتَّبَعُ فيه مثالُه. فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود، لا إثبات تكييف[1]، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف».

فقال أحد كبراء المجلس[2]: فحينئذ يجوز أن يقال: هو جسم لا كالأجسام؟.

فقلت له أنا وبعض الفضلاء الحاضرين[3]: إنما قيل: إنه يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسول الله ﷺ[4]، وليس فى الكتاب والسنة أن الله جسم، حتى يلزم هذا السؤال.

وأخذ بعض القضاة الحاضرين[5]، والمعروفين بالديانة، يريد إظهار أن ينفى عنا ما يقوله، فجعل يزيد فى[6] المبالغة فى نفى التشبيه، والتجسيم.

فقلت: قد ذُكر فيها فى غير موضع «من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل».

[[7]وقلت فى صدرها: «ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف الله به نفسه فى كتابه/، وبما وصفه به رسوله محمد ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل» [٣١/ب]

ثم قلت: «وما وصف الرسول به ربه من الأحاديث الصحاح، التى تلقاها أهل المعرفة بالقبول، وجب الإيمان بها كذلك».

---

(١) فى (ص): كيفية.
(٢) فى (ك): المخالفين.
(٣) فى (ص): فقلت له وبعض الفضلاء.
(٤) ﷺ: ليس فى (ص).
(٥) الحاضرين: ليس فى (ص).
(٦) فى: ليست فى (ص).
(٧ ـ ٧) ما بين المعقوفتين ليس فى (ص).

إلى أن قلت: «إلى أمثال هذه الأحاديث الصحاح التى يخبر فيها رسول الله ﷺ بما يخبر به، فإن الفرقة الناجية أهلَ السنة والجماعة يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما أخبر الله به فى كتابه، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل(٧)] بل هم الوسط فى فرق الأمة، كما أن الأمة هى الوسط فى الأمم، فهم وسط فى باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية، وأهل التمثيل المشبهة».

ولما رأى هذا الحاكم العدل تمالؤهم وتعَصبهم، ورأى قِلة العارف[١] منهم والناصر، وخافهم قال: أنت قد صنفت اعتقاد الإمام أحمد، فنقول هذا اعتقاد أحمد؟

يعنى: والرجل يصنف على مذهبه فلا يعترض عليه، فإن هذا مذهب متبوع وغرضهُ بذلك قطع مخاصمة الخصوم.

فقلت: ما جمعت[٢] إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم، ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا والإمام أحمد إنما هو مبلِّغ العلم الذى جاء به النبى ﷺ. ولو قال أحمد من تلقاء نفسه ما لم يجئ به الرسول ﷺ لم نقبله، وهذه عقيدة محمد ﷺ.

وقلت مرات: قد أمهلت كل من خالفنى فى شىء منها ثلاث سنين، فإن جاء بحرف واحد عن القرون الثلاثة التى أثنى عليها النبى ﷺ، حيث قال: «خير القرون؛ القرن الذى بُعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم[٣]» يخالف

---

(١) فى (ك): المعاون، وفى (ص): العارف الناصر.

(٢) فى (ص): ما خرّجت.

(٣) ورد هذا الحديث فى: البخارى: ٢/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبى ﷺ - باب ومن صحب النبى ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه)؛ مسلم: ١٩٦٢/٤١ (كتاب فضائل الصحابة - باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...)، أبى داود: ٢١٤/٤ (كتاب السنة - باب فى فضل أصحاب رسول الله ﷺ)؛ وابن ماجه: ٧٩١/٢ (كتاب الأحكام - باب كراهية الشهادة لمن لم يستشهد).

ماذكرته فأنا أرجع عن ذلك، وعليّ أن آتى بنقول جميع الطوائف من القرون الثلاثة توافق ما ذكرته: من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، والأشعرية والصوفية، وأهل الحديث، وغيرهم.

وقلت أيضاً، فى غير هذا المجلس: الإمام أحمد، رَضِوَاللَّهُعَنْهُ لما انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره، وابتُلى بالمحنة والردّ على أهل البدع أكثر من غيره، [(1كان كلامهُ وعمله فى هذا الباب أكثر من غيره1)]، فصار إماماً فى السنة أظهر من غيره. وإلا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة العلماء الصلحاء[2] قالوا: المذهب لمالك والشافعى، والظهور لأحمد بن حنبل. يعنى: أن الذى كان عليه أحمد عليه جميع أئمة الإسلام، وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان، وإظهار الحق، ودفع الباطل، ما ليس لبعضهم[3].

ولما جاء حديث أبى سعيد المتفق عليه فى الصحيحين عن النبى ﷺ «يقول الله يوم القيامة: يا آدم. فيقول: لَبَّيكَ، وسَعْديْك. فَيُنادَى بصوتٍ: إن الله يأمرك أن تبعثَ بَعثاً إلى النار»[4] الحديث.

سألهم الأمير: هل هذا الحديث صحيح؟

فقلت: نعم، هو فى الصحيحين، ولم يخالفوا فى ذلك، واحتاج المنازع إلى الإقرار به.

(1 - 1) ما بين المعقوفتين ليس فى (ص).

(2) الصلحاء: ليست فى (ص).

(3) فى (ك): لبعض.

(4) ورد الحديث فى: البخارى: 13/ 127 (كتاب أحاديث الأنبياء ـ باب قصة يأجوج ومأجوج)؛ مسلم: 1/201 (كتاب الإيمان ـ باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين).

وطلب الأمير الكلام فى مسألة الحرف، والصوت، لأن ذلك طُلب منه.

فقلت: هذا الذى يَحْكيه[1] كثير من الناس عن الإمام أحمد وأصحابه: أن صوتَ القارئين، ومِدادَ المصاحف قديم أزَلىٌّ ؛ كذب مُفْتَرى، لم يقل ذلك أحمد، ولا أحد من علماء المسلمين.

وأخرجت كُرَّاساً كان قد أُحْضِرَ مع العقيدة، وفيه ما ذكره الشيخ أبو بكر الخَلَّال[2] فى كتَّاب السُّنة عن الإمام أحمد، وما جمعه صاحبه أبو بكر المروزى[3] من كلام أحمد، وكلام أئمة زمانه فى «أن من قال لفظى بالقرآن مخلوق؛ فهو جهمى، ومن قال غير مخلوق؛ فهو مبتدع»

قلت: فكيف بمن يقول: لفظى قديم أزلى[4]؟ فكيف بمن يقول: صوتى غير مخلوق؟ فكيف بمن يقول: صوتى قديم؟.

/ وأحضرت جواب مسألة كنت سُئلت قديما عنها، فيمن حلف بالطلاق فى مسألة الحرف، والصوت، ومسألة الظاهر فى العرش، وقلت: هذا جوابى. [٣٢/أ]

---

(١) فى (ص): يحكى عن أحمد وأصحابه.

(٢) هو أحمد بن محمد بن هارون، أبو بكر الخلال، صرف عنايته إلى جمع علوم الإمام أحمد بن حنبل، صاحب أبا بكر المروذى إلى أن مات، ومن مصنفاته: «الجامع» نحو من مائتى جزء، و «العلل»، و «السنة»، و «الطبقات»، و «العلم»، و «أخلاق أحمد»، و «تفسير الغريب»، وغير ذلك، وكانت له حلقة بجامع المهدى. توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٣١١هـ). انظر عنه: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى: ص ٥١٢، طبقات الحنابلة: ٢/١٢ ـ ١٥.

(٣) هو أحمد بن محمد بن الحجاج، أبو بكر المروزى، كان ورعاً صالحاً، لازم الإمام أحمد وخدمه وكان الإمام أحمد يبعثه فى حوائجه ويقول: كل ما قلت فهو على لسانى وأنا قلته، وكان يقدمه ويأكل من يده، وكان يقول: جزى الله أبا بكر المروزى خيراً، وهو الذى تولى إغماض أحمد لما مات وغسله. روى عن إمامه أحاديث ومسائل كثيرة، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٢٧٥هـ). انظر عنه: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى: ص ٥٠٧، وطبقات الحنابلة: ١/٥٦ ـ ٦٣.

(٤) أزلى: ليست فى (ك).

وكانت هذه المسألة قد أرسل بها طائفة من المعاندين المتجهمة، ممن كان بعضهم حاضراً فى المجلس، فلما وصل إليهم الجواب أسكتهم.

وكانوا قد ظنوا أنى[1] إن أجبت بما فى ظنهم أن أهل السنة تقوله، حصل مقصودهم[2] من الشناعة. وإن أجبت بما يقولونه هم، حصل مقصودهم من الموافقة.

فلما أُجيبوا بالفرقان الذى عليه أهل السنة، وليس هو ما يقولونه هم، ولا ما ينقلونه عن أهل السنة، إذ قد[3] يقوله بعض الجهال؛ بُهتوا لذلك.

وفيه: «إن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه، ليس القرآن اسمًا لمجرد الحروف ولا لمجرد المعانى».

ولما جاءت مسألة القرآن، «(4 ومن الإيمان به: الإيمان4) بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود»، نازع بعضهم فى كونه منه بدأ وإليه يعود وطلبوا تفسير ذلك.

فقلت: أما هذا القول فهو المأثور الثابت عن السلف، مثل ما نقله عمرو بن دينار[5] قال: «أدركت الناس منذ سبعين سنة يقولون: الله الخالق، وما سواه مخلوق إلا القرآن، فإنه كلام الله غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود» وقد جمع غير واحد ما فى ذلك من الآثار عن النبى ﷺ، والصحابة، والتابعين.

---

(١) فى (ك): أنه.
(٢) فى (ص): مقصودة.
(٣) قد: ليست فى (ك).
(٤-٤) ما بين القوسين ليس فى (ص).
(٥) هو عمرو بن دينار الجمحى بالولاء، أبو محمد، ولد بصنعاء سنة (٤٦هـ)، كان فقيهاً بارعاً، وكان مفتى أهل مكة، فارسى الأصل من الأنباء قال شعبة عنه: ما رأيت أثبت فى الحديث منه، وقال النسائى: ثقة ثبت، واتهمه أهل المدينة بالتشيع والتحامل على ابن الزبير، ونفى الذهبى ذلك عنه، توفى ـ رحمه الله ـ بمكة المكرمة سنة (١٢٦هـ). انظر عنه: تاريخ الإسلام للذهبى: ١١٤/٥، الأعلام: ٧٧/٥.

وأما معناه: فإن قوله «منه بدأ» أى هو المتكلم به، وهو الذى أنزله من لدنه ليس هو كما تقوله الجهمية: إنه خلق فى الهواء أو غيره، أو بدأ[1] من عند غيره.

وأما «إليه يعود» فإنه يسرى به فى آخر الزمان من المصاحف والصدور، فلا يبقى فى الصدور منه كلمة، ولا فى المصاحف منه حرف. ووافق على ذلك غالب الحاضرين، وسكت المنازعون.

وخاطبت بعضهم فى غير هذا المجلس، بأن أريته العقيدة التى جمعها الإمام القادر بالله، التى فيها[2] : «إن القرآن كلام الله خرج منه» فتوقف فى هذا اللفظ.

فقلت : هكذا قال النبى ﷺ «وما تَقَرَّب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه[3]». يعنى القرآن.

وقال خَبَّاب بن الأرَت «ياهَنَتاه. تقرَّبْ إلى الله بما استطعت فلن تتقرب إليه بشىء أحبَّ إليه مما خرج منه»

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما قرئ عليه قرآن مُسيْلمة الكذاب : فقال[4] «إن هذا كلام لم يخرج من إلٍّ» يعنى رَبٍ.

ومما فيها: «ومن الإيمان به: الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل، غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود. وأن الله تكلم به حقيقة. وأن هذا القرآن الذى أنزله الله على

---

(١) فى (ص): وبدأ.

(٢) التي فيها: ليست فى (ص).

(٣) ورد هذا الحديث فى: مسند الترمذى: ٢٤٩/٤ (كتاب فضائل القرآن - باب ما جاء فى فضل القرآن) وقال الترمذى: وقد روى هذا الحديث عن زيد بن أرطأة عن جبير بن نضير عن النبى ﷺ.

(٤) فقال: ليست فى (ص).

محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره. ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية أو عبارة عن كلام الله[1]، بل إذا قرأ الناس القرآن، أو كتبوه فى المصاحف، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا، لا إلى من قاله مُبَلِّغا، مؤديا».

فامتعض بعضهم من كونه إثبات كلام الله حقيقة، بعد تسليمه أن الله تكلم به حقيقة، ثم إنه سلم ذلك لما بُيِّن له أن المجاز يصح نفيه، وهذا لا يصح نفيه، ولما بُيِّن له أن أقوال المتقدمين المأثورة عنهم، وشعر الشعراء المضاف إليهم، هو كلامهم حقيقة، (2فلا يكون نسبة القرآن إلى الله بأقل من ذلك2).

ولما ذكر فيها: «أن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا، لا إلى من قاله مُبلِّغا مؤديا». استحسنوا هذا الكلام وعظموه، وأخذ أحد كبراء الخصوم[3] يظهر تعظيم هذا الكلام /، وأنه أزال عنه الشبهات، ويذكر أشياء من هذا النَّمط. [٣٢/ب]

ولما جاء ذكر ما ذكر[4] من الإيمان باليوم الآخر، وتفصيله، ونظمه، استحسنوا ذلك وعظموه.

وكذلك لما جاء ذكر الإيمان بالقَدَر، وأنه على درجتين، إلى غير ذلك مما فيه من القواعد الجليلة، وكذلك لما جاء الكلام فى الفاسق المِلِّىِّ، وفى الإيمان، لكن اعترضوا على ذلك بما سأذكره.

---

(١) جاءت هذه الجملة فى (ص) هكذا: حكاية عن كلام الله أو عبارة، وفى (ك) جاءت هكذا: حكاية أو عبارة عن كلام الله عبارة، وكلمة عبارة الأولى أضافها الناسخ فى الهامش.

(٢-٢) مابين القوسين ليس فى (ص).

(٣) فى (ص): أحد الخصوم.

(٤) ماذكر: ليس فى (ص).

وكان مجموع ما اعترض به المنازعون المعاندون[1] - بعد انقضاء قراءة جميعها، والبحث فيها [أربعة أسئلة : -

السؤال الأول[2]]: - قولنا: «ومن أصول الفرقة الناجية: أن الإيمان والدين قول وعمل، يزيد وينقص، قولُ القلبِ واللسان، وعَمَلُ القلبِ، واللسان، والجوارح.»

قالوا: إذا قيل: إن هذا من أصول الفرقة الناجية، خرج عن الفرقة الناجية من لم يقل بذلك، مثل أصحابنا المتكلمين الذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق، ومن يقول إن[3] الإيمان هو التصديق والإقرار، وإذا لم يكونوا من الناجين[4]، لزم أن يكونوا هالكين.

وأما الأسئلة الثلاثة، وهى التى كانت عمدتهم، فأوردوها على قولنا: «وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر الله به فى كتابه، وتواتر عن رسوله ﷺ[5]، وأجمع عليه سلف الأمة، ومن أنه سبحانه فوق سماواته، وأنه[6] على عرشه، عليٌّ على خلقه، هو معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك فى قوله: ﴿ (٧هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ٧) يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

«وليس معنى قوله ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فَطرَ الله[8] عليه الخلق، بل

---

(١) المعاندون: ليس فى (ص).
(٢) ما بين المعقوفتين ليس فى (ص).
(٣) إن: ليس فى (ص).
(٤) فى (ك): ناجين.
(٥) ﷺ: ليس فى (ص).
(٦) وإنه: ليس فى (ص).
(٧-٧) ما بين القوسين ليس فى (ص)، والآية فى سورة الحديد: (٤).
(٨) لفظ الجلالة: ليس فى (ص)، وقرأ فطر بالبناء للمجهول.

القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع فى السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر[1] أينما كان، وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه مُهَيْمِنٌ عليهم، مُطَّلِع عليهم، إلى غير ذلك من معانى ربوبيته».

«وكل هذا الكلام الذى ذكره الله: من أنه فوق العرش، وأنه معنا؛ حقٌّ على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة».

والسؤال الأول قال بعضهم: نُقِرُّ باللفظ الوارد، مثل حديث العباس ـ رضى الله عنه ـ حديث الأوعال[2] «والله فوق العرش»، ولا نقول: فوق السموات، ولا نقول: على العرش ولا نقول: فوق السموات، ولا نقول: على العرش.

وقالو أيضاً: نقول ﴿الرَّحْمَنُ[3] عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ولا نقول الله على العرش استوى، ولا نقول: مستو.

وأعادوا[4] هذا المعنى مراراً أى[5] إن اللفظ الذى ورد يقال اللفظ[6] بعينه ولا يبدَّل بلفظ يرادفه، ولا يفهم له معنى أصلا، ولا يقال: إنه يدل على صفة لله[7] أصلا.

وانبسط الكلام فى[8] هذا المجلس الثانى، كما سنذكره إن شاء الله تعالى[9].

والسؤال الثانى: ـ قالوا: التشبيه بالقمر: فيه تشبيه كون الله فى السماء، بكون القمر فى السماء.

---

(١) وغير المسافر: ليس فى (ص).
(٢) والسؤال الأول: ليس فى (ص)، وقد سبق تخريج حديث الأوعال.
(٣) الرحمن: ليس فى (ص)، والآية فى سورة طه: (٥).
(٤) فى (ص): وأعادوا.
(٥) أى: ليس فى (ص).
(٦) اللفظ: ليس فى (ص).
(٧) فى (ص): الله.
(٨) فى : ليست فى (ك).
(٩) تعالى: ليس فى (ص).

السؤال الثالث: ـ قالوا: قولك: «حق على حقيقته» الحقيقة هى المعنى اللغوى، ولا يفهم من الحقيقة اللغوية(1) إلا استواء الأجسام وفوْقيَّتها، ولم تضع العرب ذلك إلا لها، فإثبات الحقيقة هو محض التجسيم، ونفى التجسيم مع هذا تناقض، أو مُصانعة؟

فأجبتهم عن الأسئلة(2) بأن قولى «اعتقاد الفرقة الناجية» هى الفرقة التى وصفها النبى ﷺ بالنجاة / حيث(3) قال: «تفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة [٣٣/أ] ثنتان وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنة، وهى من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابى»

فهذا الاعتقاد هو المأثور عن النبى ﷺ وأصحابه، وهم ومن اتّبعهم الفرقة الناجية، فإنه قد ثبت عن غير واحد من الصحابة أنه قال: «الإيمان يزيد وينقص».

وكل ما ذكرته فى ذلك فإنه مأثور عن الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ(4) بالأسانيد الثابتة لفظه أو معناه، وإذا خالفهم مَنْ بعدهم، لم يضرنى ذلك.

قلت(5) لهم: وليس كل من خالف(6) فى شىء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكاً، فإن المنازع قد يكون مجتهدا مخطئا يغفر الله له(7) خطأه، وقد لا يكون بَلغه فى ذلك من العلم ما تقوم به عليه الحجة، وقد يكون له من الحسنات ما يمحو(8) الله به سيئاته. وإذا كانت ألفاظ الوعيد المتناولة له لا يجب أن يدخل فيها المتأول، والتائب، و ذو الحسنات الماحية، والمغفور له، وغير ذلك، فهذا أولى.

---

(1) الحقيقة اللغوية: ليس فى (ك).
(2) عن الأسئلة: ليست فى (ص).
(3) فى (ص): وحيث، والحديث سبق تخريجه.
(4) رضى الله عنهم: ليست في (ص).
(5) فى (ط) ثم قلت، وهى ليست فى جميع النسخ المخطوطة.
(6) فى (ك): مخالف.
(7) له: ليس فى (ص).
(8) فى (ص): يغفر، وكتبها الناسخ بالهامش.

بل موجب هذا الكلام أن من اعتقد ذلك نجا فى هذا الاعتقاد، ومن اعتقد ضده فقد يكون ناجيا، وقد لا يكون ناجياً، كما يقال[١] «من صَمَت نجا».

وأما السؤال الثانى: ـ فأجبتهم أولا: بأن كل لفظ قلته، فهو مأثور عن النبى ﷺ، مثل لفظ «فوق السموات» ولفظ «على العرش» و «فوق العرش».

وقلت: اكتبوا الجواب، فأخذ الكاتب فى كتابته.

ثم قال بعض الجماعة: قد طال المجلس اليوم، فيؤخر هذا إلى مجلس آخر فتكتبون[٢] أنتم الجواب، وتحضرونه فى ذلك المجلس.

وأشار بعض الموافقين: بأن يتم الكلام بكتابة الجواب، لئلا تنتشر أسئلتهم واعتراضهم.

وكأن الخصوم كان لهم غرض فى تأخير كتابة الجواب، ليستعدوا لأنفسهم ويطالعوا، ويُحضروا من غاب من أصحابهم، ويتأمّلوا العقيدة فيما بينهم ليتمكنوا من الطعن والاعتراض، فحصل الاتفاق على أن يكون الكلام يوم الجمعة، وقمنا على ذلك.

وقد أظهر الله من قيام الحجة، وبيان المحجة، ما أعزَّ الله[٣] به السُنَّةَ والجماعة، وأرغم به أهل البدعة والضلالة،، وفى نفوس كثير من الناس أمور لما يحدث[٤] فى المجلس الثانى.

وأخذوا فى تلك الأيام يتأملونها، ويتأملون ما أجبت[٥] به فى مسائل تتعلق بالاعتقاد، مثل المسألة الحموية فى الاستواء، والصفات الخبرية، وغيرها.

---

(١) فى (ك): قال، والحديث ورد فى: الترمذى: ٤/ ٧٠ (أبواب صفة القيامة ـ باب رقم ١٦) وقال الترمذى: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة، والإمام أحمد فى مسنده: ٢, ١٥٩، والدارمى: ٢/٣٨٧ (كتاب الرقاق ـ باب فى الصمت)، وصححه الألبانى فى الجامع: ٥/٣١٨، وسلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٦٢ ـ ٦٣.

(٢) فى (ص): تكتبون.

(٣) لفظ الجلالة ليس فى (ص).

(٤) فى (ص): بحث.

(٥) فى (ك): أجيب.

" فصـــل "

[المجلس الثانى]

فلما كان فى المجلس الثانى، يوم الجمعة، بعد الصلاة[1]، ثانى عشر رجب وقد أحضروا أكبر شيوخهم ممن لم يكن حاضراً ذلك المجلس[2]، وبحثوها فيما بينهم، واتفقوا، وتواطأوا، وحضروا بقوة واستعداد، غير ما كانوا عليه؛ لأن المجلس الأول أتاهم بغتة، وإن كان أيضا بغتة للمخاطب الذى هو المسئول والمجيب والمناظر.

فلما اجتمعنا، وقد أحضرتُ ما كتبته من الجواب عن أسئلتهم المتقدمة، التى طُلب تأخيره إلى هذا اليوم - حمدت الله بخطبة الحاجة، خطبة ابن مسعود رضي الله عنه[3].

ثم قلت: إن الله أمرنا بالجماعة والائتلاف، ونهانا عن الفرقة والاختلاف وقال لنا فى القرآن ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾[4] وقال ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ** ﴾[5] / وقال ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ** [٢٣/ب

(١) وردت العبارة فى (ص) هكذا: بعد صلاة الجمعة.

(٢) فى (ك): اليوم، وفى ط: أشار الشيخ محمد حامد الفقى بعد كلمة أكبر شيوخهم فى الهامش بما يلى: بهامش الأصل: أظنه الصفى الهندى كذا فى المنقول عنه، وهذه العبارة لا أصل لها فى النسخ المخطوطة؛ ولكنها ستأتى بعد ذلك - إن شاء الله تعالى.

(٣) رضي الله عنه : ليس فى (ص)، وخطبة ابن مسعود رضي الله عنه وردت فى: مسند الإمام أحمد: ٣٩٢/١؛ أبى داود: ٢٣٨/٢، ٢٣٩ (كتاب النكاح - باب خطبة النكاح)، النسائى: ١٠٥/٣ (كتاب الجمعة. باب كيفية الخطبة)، ابن ماجه: ٦١٠/١ (كتاب النكاح - باب خطبة النكاح)، الدارمى: ١٩١/٢ (كتاب النكاح - باب فى خطبة النكاح).

(٤) آل عمران: ١٠٣.

(٥) الأنعام: ١٥٩.

﴿تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾[1] وربنا واحد، وكتابنا واحد، ونبينا واحد، وأصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف، وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين، وهو متفق عليه بين السلف، فإن وافق الجماعة فالحمد لله، وإلا فمَن خالفنى بعد ذلك، كشفت الأسرار[2]، وهتكت الأستار، وبيّنت المذاهب الفاسدة التى أفسدت الملل والدول، وأنا أذهب إلى سلطان الوقت على البريد، وأعَرِّفه من الأمور ما لا أقوله فى هذا المجلس، فإن للسّلم كلاما، وللحرب كلاما.

وقلت: لا شك أن الناس يتنازعون، فيقول هذا: أنا حَنبلى، ويقول هذا: أنا أشعرى، ويجرى بينهم تفرق، وقتل[3]، واختلاف، على أمور لا يعرفون حقيقتها.

وأنا قد أحضرت ما بين[4] اتفاق المذاهب فيما ذكرته، وأحضرت كتاب «تبيين كذب المفترى فيما ينسب إلى الشيخ أبى الحسن الأشعرى»، تأليف الحافظ أبى القاسم ابن عساكر[5].

وقلت: لم يصنف فى أخبار الأشعرى المحمودة كتاب مثل هذا، وقد ذكر فيه لفظه الذى ذكره فى كتاب الإبانة.

فلما انتهيت إلى ذكر المعتزلة، سأل الأمير عن معنى المعتزلة؟

---

(١) آل عمران: ١٠٥.

(٢) فى (ط): له الأسرار.

(٣) وقتل: ليست فى (ك).

(٤) فى (ص): تبين.

(٥) هو على بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقى المؤرخ الحافظ الرحالة، كان محدث الديار الشامية، ورفيق السمعانى صاحب «الأنساب» فى رحلاته، مولده سنة (٤٩٩ هـ) فى دمشق، له تاريخ دمشق الكبير يعرف بتاريخ ابن عساكر اختصره عبد القادر بدران، «ورد الإشراف على معرفة الأطراف» فى الحديث ثلاث مجلدات، ورد تبيين كذب المفترى فى ما نسب إلى أبى الحسن الأشعرى» وهذا الكتاب هو ما يعنيه ابن تيمية فى الحديث، وله أيضا: «كشف المغطى فى فضل الموطا» «ورد أربعين حديثاً من أربعين شيخاً من أربعين مدينة» وغيرها من الكتب والمصنفات توفى - رحمه الله - فى دمشق سنة (٥٧١هـ). انظر: وفيات الأعيان: ١/٣٣٥، البداية والنهاية ١٢/٢٩٤، طبقات الشافعية: ٤/٢٧٣، الأعلام: ٤/٢٧٣.

فقلت: كان الناس فى قديم الزمان قداختلفوا فى الفاسق الملِّى، وهو أول اختلاف[1] حدث فى الملّة، هل هو كافرٌ، أو مؤمن؟ فقالت الخوارج: إنه كافر، وقالت الجماعة: إنه مؤمن.

فقالت طائفة: نقول: هو فاسق، لا كافر، ولا مؤمن[2]؛ نُنْزله منزلة بين منزلتين وخلوده[3] فى النار، واعتزلوا حلقة الحسن البصرى وأصحابه، فَسمُّوا معتزلة.

فقال الشيخ الكبير، بحيه وردّ[4]: ليس كما قلت، ولكن أول مسألة اختلف فيها المسلمون؛ مسألة الكلام، وسُمِّى المتكلمون متكلمين لأجل تكلمهم فى ذلك، وكان أول من قالها: عمرو بن عُبيد، ثم خلفه بعد موته واصل بن عطاء.

هكذا قال، وذكر نحوا من هذا؛ فغضبت عليه وقلت : أخطأت، وهذا كذب مخالف للإجماع.

وقلت له: لا أدب ولا فضيلة، لا تأدبت معى فى الخطاب، ولا أصبت فى الجواب.

ثم قلت: الناس اختلفوا فى مسألة الكلام فى خلافة المأمون، وبعدها فى أوَاخر المائة الثانية. وأما المعتزلة فقد كانوا قبل ذلك بكثير، فى زمن عمرو بن عبيد بعد موت الحسن البصرى، فى أوائل المائة الثانية، ولم يكن أولئك قد تكلموا فى مسألة الكلام، ولا تنازعوا فيها، وإنما أول بدعتهم تكلمهم فى مسائل الأحكام والأسماء، والوعيد.

---

(١) فى (ص): خلاف.

(٢) فى (ص): لامؤمن ولا كافر.

(٣) فى (ط): وخلّدوه، وهو خطأ

(٤) الحيه - (بكسر الهاء): زجر للضأن والمِعْزَى، وحَيْهْ (بسكون الهاء): زجر للحمار، والرد: الردىء، والرِّدّة: القبح، والمُردّ: الغضبان .

فقال: هذا ذكره الشهرستانى فى كتاب الملل والنحل.

فقلت: الشهرستانى ذكر ذلك فى اسم المتكلمين لِمَ سُمّوا متكلمين، لم يذكره فى اسم المعتزلة، والأمير إنما سأل عن اسم المعتزلة.

وأنكر الحاضرون عليه.

وقال: غلطت.

وقلت فى ضمن كلامى: أنا أعلم كل بدعة حدثت فى الإسلام، وأول من ابتدعها، وما كان سبب ابتداعها.

وأيضاً: فما ذكره الشهرستانى ليس بصحيح فى اسم المتكلمين؛ فإن المتكلمين كانوا يسمون بهذا الاسم قبل تنازعهم فى مسألة الكلام، وكانوا يقولون عن واصل ابن عطاء إنه متكلم، ويصفونه بالكلام ولم يكن الناس اختلفوا فى مسألة الكلام.

وقلت أنا وغيرى: إنما هو وَاصل بن عطاء.

[٣٤/أ] / قلت: وواصل لم يكن بعد موت عمرو بن عبيد، وإنما كان قريبه.

وقد روى أن واصلاً تكلم مرة بكلام، فقال عمرو بن عبيد: لو بعث نبى ما كان يتكلم بأحسن من هذا، وفصاحته مشهورة، حتى قيل: إنه كان ألثغ، فكان يحترز عن الراء، حتى قيل له: أمر الأمير أن يحفر بئرٌ فى قارعة الطريق[١]. فقال: أوعز القائد أن يقلّب قليب فى الجادّة[٢].

قال الشيخ المتقدم[٣] فيهم: لا ريب أن الإمام أحمد إمام عظيم القدر، ومن أكبر أئمة الإسلام، لكن[٤] قد انتسب إليه أناس ابتدعوا أشياء.

---

(١) فى قارعة الطريق: ليس فى (ص).
(٢) فى الجادة: ليس فى (ص).
(٣) فى (ص): فقال الشيخ المقدم.
(٤) فى (ص): ولكن.

فقلت: أما هذا فحق، وليس هذا من خصائص أحمد، بل ما من إمام إلا وقد انتسب[1] إليه أقوام، هو منهم برىء. قد انتسب إلى مالك أناس، مالك برىء منهم[2]، وانتسب إلى الشافعى [3] أناس، هو منهم برىء، وانتسب إلى أبى حنيفة أناس، هو برىء منهم، وقد انتسب إلى موسى ـ عليه السلام ـ أناس، هو برىء منهم، وانتسب إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أناس، هو برىء منهم، وقد انتسب إلى على بن أبى طالب رضي الله عنه أناس، هو برىء منهم[3]، ونبينا ﷺ قد انتسب إليه من القرامطة، والباطنية، وغيرهم، من أصناف الملحدة، والمنافقين، من هو برىء منهم.

وذكر فى كلامه: أنه انتسب إلى أحمد أناس من الحشوية[4] والمشبهة[5]، ونحو هذا الكلام.

فقلت: المشبهة، والمجسمة فى غير أصحاب الإمام[6] أحمد، أكثر منهم فيهم هؤلاء أصناف الأكراد ـ وكلهم شافعية ـ وفيهم من التشبيه والتجسيم ما لا يوجد فى صنف آخر، وأهل جيلان فيهم شافعية وحنبلية.

---

(١) فى (ص): انتسبت.

(٢) وردت العبارة فى (ص) هكذا: انتسب إلى مالك أقوام هو منهم برىء.

(٣-٣) وردت الفقرة فى (ص) هكذا: وانتسب إلى الشافعى كذلك، وانتسب إلى أبى حنيفة كذلك وقد انتسب إلى عيسى أناس هو منهم برىء، وكذلك إلى موسى، وكذلك إلى على بن أبى طالب...

(٤) الحشو من الكلام: الفضل الذى لا يعتمد عليه، يذكر ابن قتيبة أن المعتزلة وأصحاب الكلام سموا أهل الحديث: بالحشوية والنابتة والمجبرة وربما قالوا الجبرية، وذكر ابن تيمية: أن أول من قال بهذا اللفظ عمرو بن عبيد يقصد به عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ وبين أن المقصود به من كان قوله حشو فى الناس وليس من المتخصصين المتأهلين. انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٥٥، مجموع الفتاوى لابن تيمية: ١٧٦/١٢، لسان العرب : (حشو).

(٥) ذكر الشهرستانى أن المشبهة جماعتان؛ جماعة من الشيعة يقال لهم الهشاميون أتباع هشام بن الحكم الرافضى ـ وستأتى ترجمته ـ وجماعة من أصحاب الحديث ملقبون بالحشوية مثل: مضر وكهمس وأحمد الهجمى، وغيرهم، قالوا: معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض (إما روحانية وإما جسمانية، يلامس ويصافح، ويعانقه المسلمون المخلصون فى الدنيا والآخرة إذا بلغوا فى الرياضة والاجتهاد إلى حد الإخلاص والاتحاد المحض. وقال بعضهم إنه جسم ولحم ودم، ولكنه جسم لا كالأجسام، ولحم لا كاللحوم، ودم لا كالدماء، وكذلك سائر الصفات). انظر: الملل والنحل: ١٠٥/١ ـ ط مصطفى الحلبى.

(٦) الإمام: ليست فى (ك).

قُلت[١]: وأما الحنبلية المحضة، فليس فيهم من ذلك ما فى غيرهم، وكان من تمام الجواب: أن الكرَّامية[٢] المجسِّمة كلهم حنفية. وتكلمت على لفظ الحَشْوِيَّة، (٣ما أدرى جوابا عن سؤال الأمير، أو غيره، أو عن غير جواب٣).

فقلت. هذا اللفظ أول من ابتدعه المعتزلة؛ فإنهم يسمون الجماعة والسواد الأعظم: الحشو، كما تسميهم الرافضةُ: الجمهور.

وحشو الناس: هم[٤] عموم الناس وجمهورهم، وهم غير الأعيان المتميزين (٥يقولون: هذا من حشو الناس. كما يقال: هذا من جمهورهم٥).

وأول من تكلم بهذا: عمرو بن عبيد، وقال: كان عبد الله بن عمر حشويا.

فالمعتزلة سموا الجماعة حشوا، (٦كما تسميهم الرافضةُ: الجمهور.

وقلت: ـ لا أدرى فى المجلس الأول، أو الثانى٦) ـ وأول من قال إن الله جسم هشام بن الحكم الرافضى[٧].

---

(١) قلت: ليست فى (ص).

(٢) هم أصحاب أبى عبد الله محمد بن كرَّام، ومعظمهم من بلاد خراسان، يثبتون الصفات الإلهية إلا أنهم ينتهون فيها إلى التجسيم والتشبيه، والكرامية تشتمل على طوائف بلغ عددهم إلى اثنتى عشرة فرقة، وأصولها ستة، العابدية، والتونية، والزرينية، والإسحافية، والواحدية، وأقربهم الهيصمية، ولكل واحدة منهم رأى، وقد نص ابن كرّام على أن الله تعالى على العرش استقراراً، وعلى أنه بجهة فوقه ذاتاً، وأطلق عليه اسم الجوهر وأنه مماس للعرش فى الصفحة العليا. ومن الكرامية من قال إنه على بعض أجزاء العرش، وقال بعضهم امتلأ العرش به، وصار المتأخرون منهم إلى أنه تعالى بجهة فوقه وأنه محاذ للعرش، ولهم آراء أخرى فى موضوعات العقيدة المختلفة. انظر: الملل والنحل: ١/١٠٨ وما بعدها.

(٣-٣) ما بين القوسين ليس فى (ص). (٤) هم: ليس فى (ص).

(٥-٥) مابين القوسين ليس فى (ص). (٦ ـ ٦) مابين القوسين ليس فى (ص).

(٧) هو هشام بن الحكم الشيبانى بالولاء، الكوفى، أبو محمد، متكلم مناظر، كان شيخ الإمامية فى وقته، ولد بالكوفة ونشأ بواسط وسكن بغداد، وانقطع إلى يحيى بن خالد البرمكى فكان القيم بمجالس كلامه ونظره، من مؤلفاته: «الإمامة»، و «القدر»، و «الرد على المعتزلة فى طلحة والزبير»، و «الرد على الزنادقة» وغير ذلك، توفى سنة (١٩٠هـ)، وقيل عاش إلى خلافة المأمون. ذكر الأشعرى أن الهشامية أصحاب هشام بن الحكم الرافضى يزعمون أن معبودهم جسم له نهاية وحد، طويل عريض عميق، طوله مثل عرضه، وعرضه مثل عمقه، وغير ذلك من الأوصاف، وذكر الشهرستانى أن هشام بن الحكم يقول عن معبوده: «جسم ذو أبعاض، له قدر من الأقدار، ولكن لا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شىء»؛ انظر: مقالات الإسلاميين لأبى الحسن الأشعرى: ١/١٠٦، الملل والنحل: ١/١٨٤، الأعلام: ٨/٨٥.

وقلت لهذا الشيخ: [(١ مَن فى أصحاب الإمام أحمد من الأعيان حشوى(١)] بالمعنى الذى تريده؟ الأثرم(٢)، أبو داود،(٣)، المروزى(٤)، الخلاَّل(٥)، أبو بكر بن عبد العزيز(٦)

(١ ـ ١) جاءت العبارة التى بين المعقوفتين فى (ص) هكذا: من فى أصحابنا حشوى.

(٢) هو أحمد بن محمد بن هانىء، أبو بكر الأثرم، سمع حَرَمَىّ بن حفص، وعفان بن مسلم، وأبا بكر ابن أبى شيبة وأبا نعيم، وصاحب الإمام أحمد وتشاغل بمسائله وقام بتصنيفها، كان من حفاظ الحديث المتقنين له، يعلم أبوابه ومسانيده، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٢٦١هـ)، وقيل: سنة (٢٧٣ هـ). انظر: طبقات الحنابلة: ١/٦٦ـ٧٤، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى: ص ٥٠٧.

(٣) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشر بن شداد الأزدى، أبو داود السجستانى، الإمام، رحل وطوف، وجمع وصنف، كان مولده سنة (٢٠٢هـ)، ونشأ فى طلب العلم، وأخذ عن علماء الحديث فى شتى بلاد الإسلام مثل: العراق وخرسان والشام والبصرة وغيرها، وسمع سليمان بن إبراهيم وسليمان ابن حرب وأبا عمر الحوضى والإمام أحمد، وأشهر مصنفاته «السنن»، توفى ـ رحمه الله ـ بالبصرة سنة (٢٧٥ هـ) وله ثلاث وسبعون سنة. انظر عنه: طبقات الحنابلة: ١/١٥٩ ـ ١٦٢.

(٤) سبقت ترجمته.

(٥) سبقت ترجمته.

(٦) هو عبد العزيز بن جعفر، أبو بكر المعروف بغلام الخلال المروزى، حدث عن محمد بن عثمان بن أبى شيبة، وموسى بن هارون، وأبى القاسم البغوى وغيرهم، وصاحب أبا بكر الخلال ولازمه حتى لقب بغلام الخلال، وكان واسع الفهم، موثوقاً به فى العلم، متسع الرواية، من مصنفاته: «الشامى» و «المقنع»، و «تفسير القرآن»، و «الخلاف مع الشافعى»، و «زاد المسافر» وغير ذلك، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٣٦٣ هـ) وله ثمان وسبعون سنة. انظر عنه: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى ص ٥١٦؛ طبقات الحنابلة: ٢/١١٩ - ١٢٦.

أبو الحسن التميمى[1]، ابن حامد القاضى[2]، أبو يعلى[3]، أبو الخطاب[4]، ابن عقيل[5]؟

(١) هو عبد العزيز بن الحارث بن أسد، أبو الحسن التميمى، حدث عن أبى بكر النيسابورى، وأبى بكر ابن عبد العزيز (غلام الخلال)، ومقطويه، وصحب أبا القاسم الخرقى، صنف فى الأصول والفروع والفرائض، وقيل: إنه حج ثلاثًا وعشرين حجة، كان مولده سنة (٣١٧هـ)، وتوفى ـ رحمه الله ـ سنة (٣٧١هـ). انظر: طبقات الحنابلة ١٣٩/٢، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى: ص ٥١٦.

(٢) هو الحسن بن حامد، أبو عبد الله، انتهى إليه المذهب الحنبلى، سمع أبا بكر بن مالك، وأبا على الصوافى، وأبا بكر النجاد وغيرهم، ومن مؤلفاته: الجامع فى المذهب نحو من أربعمائة جزء، وله شرح الخرقى، وشرح أصول الدين، وأصول الفقه، توفى ـ رحمه الله ـ وهو فى طريق مكة بعد رجوعه من الحج سنة (٤٠٣هـ). انظر مناقب الإمام أحمد: ص٥١٩، طبقات الحنابلة: ١٧١/٢ ـ ١٧٧.

(٣) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء، القاضى أبو يعلى، ولد سنة (٣٨٠هـ)، سمع الحديث الكثير، ودرس الفقه على أبى عبد الله بن حامد، وانتهى إليه علم المذهب الحنبلى بعد شيخه ابن حامد، وكان له الأصحاب المتوافرون، ولى القضاء، وأملى الحديث بجامع المنصور على كرسى عبدالله ابن الإمام أحمد، وكان يحضره عدد كبير جداً، وكانت له المصنفات الكثيرة فى الأصول والفروع منها: «أحكام القرآن»، و «إبطال التأويلات»، و «المعتمد فى أصول الدين»، و «العدة فى أصول الفقه» و «الأحكام السلطانية»، وغيرها، توفى ـ رحمه الله ـ ببغداد سنة (٤٥٨هـ). انظر طبقات الحنابلة ١٩٣/٢ ـ ٢١٦، مناقب الإمام أحمد: ص ٥٢٠ ـ ٥٢١.

(٤) هو محفوظ بن أحمد، أبوالخطاب الكلواذى أو الكلوذانى، ولد سنة (٤٣٢هـ)، وسمع من الجوهرى والعشارى والقاضى أبى يعلى، وبرع فى الفقه، وصنف وانتُفع بمؤلفاته؛ وأهمها «التمهيد فى أصول الفقه»، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٥١٠هـ). انظر عنه: طبقات الحنابلة: ٢٥٨/٢، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى: ص ٥٢٧.

(٥) هوعلى بن عقيل بن محمد بن عقيل، أبو الوفاء البغدادى، انتهت إليه رئاسة المذهب الحنبلى، له الخاطر العاطر، كان مولده سنة (٤٣٢هـ)، قد أوتى الفهم الثاقب واللباقة والفطنة والبروز فى المناظرات، من مؤلفاته: «كتاب الفنون» وهو من أكبر الكتب فى الثقافة الإسلامية؛ قال عنه ابن الجوزى: «من طالع مصنفاته أو قرأ شيئاً من خواطره فى كتابه المسمى بالفنون ـ وهو مائتا مجلد ـ عرف مقدار الرجل، ودفع إلىّ من هذا الكتاب نحو من مائة وخمسين مجلداً»، وقد سمع ابن عقيل من أبى بكر بن بشران، وأبى الفتح بن شيطا، وأبى محمد الجوهرى، والقاضى أبى يعلى وغيرهم، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٤١٣هـ). انظر: مناقب الإمام أحمد لابن الجوزى: ص٥٢٦، ٥٢٧ طبقات الحنابلة ٢٥٩/٢٦.

ورفعت صوتى وقلت: سَمِّهم. قل لى: مَن هُمْ، مَن هم؟

أبكذب ابن الخطيب[1] وافترائه على الناس فى مذاهبهم تبطل الشريعة!! وتندرس معالم الدين؟ كما نقل هو وغيره عنهم، إنهم يقولون: إن القرآن القديم هو أصوات القارئين، ومداد الكاتبين، وأن الصوت والمداد قديم أزلى؟ من قال هذا؟ وفى أى كتاب وجد هذا عنهم؟ قل لى.

وكما نقل عنهم: أن الله لا يُرى فى الآخرة، باللزوم الذى ادَّعاه، والمقدمة التى نقلها عنهم؟

وأخذت أذكر ما يستحقه هذا الشيخ[2]: من أنه كبير الجماعة، وشيخهم، وأن فيه من العقل والدين، ما يستحق أن يعامل بموجبه.

وأمرت بقراءة العقيدة جميعها عليه، فإنه لم يكن حاضرا فى المجلس الأول وإنما أحضروه فى الثانى؛ انتصارا به.

وحدثنى الثقة عنه بعد خروجه من المجلس أنه اجتمع به، وقال له: أخبرنى عن هذا المجلس؟

---

(١) فى ط: أيكذب ابن الخطيب (بالياء المثناة من تحت)، وفى ك: أبكذب (بالباء)، وفى ص: غير منقوطة، والصواب ما أثبتناه على الاستفهام الإنكارى، وابن الخطيب هو الفخر الرازى، محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين التيمى البكرى، أبو عبد الله، الإمام المفسر، وهو قرشى النسب.. أصله من طبرستان، ومولده فى الرى سنة (٥٤٤هـ) وإليها نسبته، ويقال له: «ابن الخطيب الرى»، له مصنفات كثيرة فى فنون العلم المختلفة حتى أقبل الناس عليها فى حياته وبعد مماته يتدارسونها؛ منها: «مفاتيح الغيب» ثمانى مجلدات فى تفسير القرآن الكريم، و «معالم أصول الدين»، و «محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين»، و «أساس التقديس»، و «المحصول فى علم الأصول» وغيرها، كان واعظاً بارعاً باللغتين العربية والفارسية، وله شعر حسن باللغتين أيضاً، توفى - رحمه الله - فى هراة سنة (٦٠٦هـ). انظر عنه: البداية والنهاية: ٥٥/١٣، طبقات الشافعية: ٣٣/٥، الأعلام: ٣١٣/٦.

(٢) فى هامش (ك) أشار الناسخ: أظنه الصفى الهندى كذا فى المنقول عنه.

[٣٤/ب] فقال: ما لفلان ذنب / ولا لى، فإن الأمير سأل عن شىء، فأجابه عنه، فظننته سأل عن شىء آخر.

وقال: قلت لهم: ما لكم على الرجل اعتراض، فإنه نَصَر ترك التأويل، وأنتم تنصرون قول التأويل، وهما قولان للأشعرى.

وقال: أنا أختار قول ترك التأويل، وأخرج وصيته التى أوصى بها، وفيها: قول ترك التأويل.

قال الحاكى لى: فقلت له: بلغنى[1] عنك أنك قلت، فى آخر المجالس[2]، لما أشهدوا الجماعة على أنفسهم بالموافقة: لا تكتبوا عنى نفيا ولا إثباتا، فلِمَ ذاك؟

فقال: لوجهين، أحدهما: أنى لم أحضر[3] قراءة جميع العقيدة فى المجلس الأول. والثانى: لأن أصحابى طلبونى لينتصروا بى، فما كان يليق أن أُظهر مخالفتهم فسكتٌّ عن الطائفتين.

وأمَرْتُ غير مرة أن تعاد قراءةُ العقيدة جميعها على هذا الشيخ؛ فرأى بعض الجماعة أنّ ذلك يطول، وأنه لايُقرأ عليه إلا الموضع الذى[4] لهم عليه سؤال وأعظمه لفظ «الحقيقة» فقرأوه[5] عليه، وذكر هو بحثاً حسنا، يتعلق بدلالة اللفظ، فحسَّنته ومدحته عليه.

وقلت: لا ريب أن الله حىٌّ حقيقةً، سميع حقيقة، بصير حقيقة، وهذا متفق عليه بين أهل السنة والصفاتية، من جميع الطوائف، ولو نازع بعض أهل البدع فى بعض ذلك، فلا ريب أن الله موجود، والمخلوق موجود، ولفظ «الوجود» سواء كان

---

(١) فى (ص): فبلغنى.
(٢) فى (ك) المجلس.
(٣) فى (ك): لما أشهد.
(٤) فى (ص): المواضع التى.
(٥) فى (ص): فقرأه.

مقولا عليهما بطريق الاشتراك اللفظى فقط،[1] أو بطريق التواطؤ، المتضمن للاشتراك لفظا ومعنى، أو بالتشكيك، الذى هو نوع من التواطؤ، فعلى كل قول: فالله موجود حقيقة، والمخلوق موجود حقيقة، ولا يلزم من إطلاق الاسم على الخالق والمخلوق بطريق الحقيقة محذورٌ.

ولم أرجّح فى ذلك المقام قولا من هذه الثلاثة على الآخر، لأن غرضى يحصل على كل مقصود.

وكان مقصودى تقرير ما ذكرته على قول جميع الطوائف، وأن أُبَيِّن اتفاق السلف ومن تبعهم على ما ذكرته، وأن أعيانَ المذاهب الأربعة، والأشعرى، وأكابر أصحابه على ما ذكرته.

فإنه قبل المجلس الثانى، اجتمع من أكابر الشافعية، والمنتسبين إلى الأشعرية، والحنفية، وغيرهم ممن[2] عظم خوفهم من هذا المجلس، وخافوا انتصار الخصوم فيه، وخافوا على نفوسهم أيضا من تفرق[3] الكلمة، فلو أظهرتُ الحجة التى ينتصر بها ما ذكرته، أو لم يكن من أئمة أصحابهم من يوافقها؛ لصارت فُرقة ولصعب عليهم[4] أن يُظهروا فى المجالس العامة الخروج عن أقوال طوائفهم، لما فى ذلك من تمكن أعدائهم من أغراضهم، فإذا كان من أئمة مذاهبهم من يقول ذلك، وقامت الحجة عليه، وبان أنه مذهب السلف؛ أمكنهم إظهار القول به، مع ما يعتقدونه فى الباطن من أنه الحق، حتى قال لى[5] بعض الأكابر من الحنفية، وقد اجتمع بى:

---

(١) فقط: ليست فى (ص).
(٢) فى (ص): من.
(٣) فى (ص): تفريق.
(٤) فى (ك): ولصعب.
(٥) لى: ليست فى (ص).

لو قلت: هذا مذهب أحمد بن حنبل[1] وثبت على ذلك؛ لانقطع النزاع.

ومقصوده: أنه[2] يحصل دفع الخصوم عنك بأنه مذهب متبوع، ويستريح المنتصر والمنازع من إظهار الموافقة.

فقلت: لا والله، ليس لأحمد بن حنبل بهذا اختصاص، وإنما هذا اعتقاد سلف الأمة، وأئمة أهل الحديث.

وقلت أيضا: هذا اعتقاد رسول الله ﷺ ، وكل لفظ ذكرته، فأنا أذكر به آية أو حديثا، أو إجماعا سلفياً، وأذكر من ينقل الإجماع عن السلف، من جميع طوائف المسلمين أتباع[3] الفقهاء الأربعة، والمتكلمين، وأهل الحديث، والصوفية.

وقلت لمن خاطبنى من أكابر الشافعية؛ لأبَيِّن أن ما ذكرته هو قول السلف

[٣٥/أ] قول أئمة / أصحاب الشافعى، وأذكر قول الأشعرى، وأئمة أصحابه التى تَرُدّ على هؤلاء الخصوم، ولينتصرن كل شافعى، وكل من قال بقول الأشعرى الموافق لمذهب السلف، وأبيّنُ أن القول المحكىّ عنه فى تأويل الصفات الخبرية قول لا أصل له فى كلامه، وإنما هو قول طائفة من أصحابه، فللأشعرية قولان ليس للأشعرى قولان.

فلما[4] ذكرت فى المجلس أن جميع أسماء الله التى يسمى بها المخلوق كلفظ «الوجود» الذى هو مقولٌ بالحقيقة على الواجب والممكن، (٥على الأقوال الثلاثة٥) تنازع كبيران: هل هو مَقولٌ بالاشتراك، أو بالتواطؤ؟

---

(١) ابن حنبل: ليست فى (ص).

(٢) فى (ص): أن.

(٣) اتباع: ليس فى (ص).

(٤) فى (ص): ولما.

(٥-٥) ما بين القوسين ليس فى (ص).

فقال أحدهما: هو متواطئٌ. وقال الآخر: هو مشترك، لئلا يلزم التركيب.

وقال هذا: قد ذكر فخر الدين: أن هذا النزاع مبنى على أن وجوده هل هو عين ماهيته، أم لا؟

فمن قال: إن وجود كل شىء عين ماهيته، قال: إنه مقول بالاشتراك، ومن قال: إن وجوده قدر زائد على ماهيته، قال: إنه مقول بالتواطؤ.

فأخذ الأول يرجح قول من يقول: إن الوجود زائد على الماهية، لينصر أنه مقول بالتواطؤ.

فقال الثانى: ليس[1] مذهب الأشعرى وأهل السنة أن وجوده عين ماهيته.

فأنكر الأول ذلك.

فقلت: أما متكلمو[2] أهل السنة، فعندهم: أن وجود كل شىء عين ماهيته. وأما القول الآخر؛ فهو قول المعتزلة: إن وجود كل شىء قدر زائد على ماهيته، وكل منهما أصاب من وَجه، فإن الصواب أن هذه الأسماء مقولة بالتواطؤ، كما قد قررته فى غير هذا الموضع، وأجبت عن شبهة التركيب بالجوابين المعروفين.

وأما بناء ذلك على كون وجود الشىء عين ماهيته أو ليس عينها، فهو من الغلط المضاف إلى ابن الخطيب، فإنَّا وإن قلنا: إن وجود الشىء عين ماهيته، لا يجب أن يكون الاسم مقولا عليه وعلى نظيره بالاشتراك اللفظى فقط، كما فى جميع

(١) ليس: ليست فى (ص).
(٢) فى (ص): متكلمة.

أسـمـاء الأجناس؛ فـإن اسم «السـواد» مـقـول على هـذا السـواد، وهذا السـواد بالتواطؤ. وليس عين هذا السواد هو عين هذا السواد؛ إذ الاسم[1] دال على القدر المشترك بينهما، وهو المطلق الكلِّى، لكنه لا يوجد مطلقا كليا[2] بشرط الإطلاق إلا فى الذهن، ولا يلزم من ذلك نفى القـدر المشـترك بين الأعـيـان الموجـودة فى الخارج فإنه على ذلك تنتفى الأسماء المتواطئة، وهى جمهور[3] الأسماء الموجودة فى اللغات، وهى أسماء الأجناس اللغوية، وهو الاسم المطلق على الشىء وعلى كل ما أشبهه، سواء كان اسم عين، أو اسم صفة، جامدا، أو مشتقا، وسواء كان جنساً منطقـيـا، أو فقـهـيـاً، أو لـم يكن. بل اسم الجنس فى اللغـة يدخل فـيـه الأصناف والأجناس والأنواع[4]، ونحو ذلك، وكلها أسماء متواطئة؛ وأعيان مسمياتها فى الخارج متميزة.

وطلب بعضـهم إعادة قـراءة الأحـاديث المذكورة فى العقـيـدة؛ (٥ ليطعن فى بعضها، فعرفت مقصوده٥).

فقلت: كأنك استعددت للطعن فى حديث الأوعال، (٦حديث العباس بن عبد المطلب٦)، وكانوا قد تعبوا[7] حتى ظفروا بما تكلم به زكى الدين عبد العظيم، من قول البخارى فى تاريخه: عبد الله بن عميرة، لا يعرف له سماع من الأحنف.

---

(١) فى (ص): والاسم.
(٢) كلياً: ليست فى (ص).
(٣) فى (ص) جميع.
(٤) فى (ص) الأجناس والأصناف.
(٥-٥) ما بين القوسين ليس فى (ص).
(٦-٦) ما بين القوسين ليس فى (ص).
(٧) فى (ك): تقتتوا.

فقلت : هذا الحديث ـ مع أنه رواه أهل السنن، كأبى داود، والترمذى، وابن ماجه وغيرهم، فهو مروى من طريقين مشهورين، فالقدح فى أحدهما لايقدح فى الآخر.

فقال : أليس مداره على ابن عميرة وقد قال[1] البخارى : لا يعرف له سماع من الأحنف؟

فقلت : قد رواه إمام الأئمة ابن خزيمة فى كتاب التوحيد، الذى اشترط / فيه [٣٥/ب] أنه لايحتج فيه إلا بما نقله العدل، عن العدل، موصولا إلى النبى ﷺ.

قلت : والإثبات مقدم على النفى، والبخارى إنما نفى معرفته لسماعه من الأحنف[2]، لم ينف معرفة الناس بهذا[3]، فإذا عرف غيره ـ كإمام الأئمة ـ الإسناد، كانت معرفته وإثباته مقدما على نفى غيره، وعدم معرفته، ووافق الجماعة على ذلك.

وأخذ بعض الجماعة يذكر من المدح ما لا يليق أن أحكيه[4]، وأخذوا يناظرون فى أشياء لم تكن فى العقيدة، ولكن لها تعلق بما أجبت به فى مسائل، ولها تعلق بما قد يفهمونه من العقيدة.

فأحضر بعض[5] أكابرهم كتاب الأسماء والصفات للبيهقى فقال: هذا فيه تأويل الوجه عن السلف.

فقلت : لعلك تعنى قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[6]؟

---

(١) فى (ص) : قال.
(٢) فى (ص) : لسماع الأحنف.
(٣) فى (ص) : ولماذا.
(٤) فى (ص) : مالا أحبكه.
(٥) فى (ص) : وأحضر بعضهم.
(٦) ليس فى (ص)، والآية من سورة البقرة : ١١٥.

فقال : نعم . قد قال مجاهد والشافعى؛ يعنى قِبْلَة الله .

فقلت : نعم. هذا صحيح عن مجاهد، والشافعى[1]، وغيرهما، وهذا حق وليست هذه الآية[2] من آيات الصفات، ومَنْ عَدّها فى الصفات[3] فقد غلط، كما فعل طائفة، فإن سياق الكلام يدل على المراد، حيث قال : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾[٢] والمشرق والمغرب : الجهات، والوجه: هو الجهة يقال : أىَّ وَجْه تريد؟ أى أىَّ جهة؟ وأنا أريد هذا الوجه؛ أى هذه الجهة كما قال تعالى : ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾[4]، ولهذا قال : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ أى تستقبلوا وتتوجهوا، والله أعلم.

هذا آخر ما علقه الشيخ فيما يتعلق بالمناظرة، بحضرة نائب السلطان والقضاة والفقهاء، وغيرهم، بالقصر.

---

(١) فى (ص) : قلت هذا صحيح عنهما وعن غيرهما .
(٢) الآية : ليست فى (ص).
(٣) فى (ص) : من آيات الصفات.
(٤) البقرة : ١٤٨.

[إحضار الشيخ إلى مصر لمناظرته]

وفى يوم الاثنين خامس[1] شهر رمضان من سنة خمس وسبعمائة، وصل كتاب السلطان بالكشف عما كان وقع للشيخ تقىِّ الدين، فى ولاية سيف الدين جاغان وفى ولاية القاضى إمام الدين، وبإحضاره وإحضار القاضى نجم الدين بن صَصْرى إلى الديار المصرية.

فطلب نائب السلطنة الشيخ وجماعة من الفقهاء، وسألهم عن تلك الواقعة، وقرئ عليهم المرسوم.

فأجاب كل منهم بما كان عنده من تلك القضية، وكتبه عنهم صاحب الديوان محيى الدين [2] بن فضل الله وفى يوم الاثنين ثانى عشر رمضان توجه الشيخ تقى الدين[2] والقاضى نجم الدين بن صصرى[3] إلى مصر على البريد، وخرج مع الشيخ خلق كثير، وبكوا، وخافوا عليه من أعدائه.

وأخبرتُ : أن نائب السلطنة كان قد أشار على الشيخ[4] بترك التوجه إلى مصر، وأنه يكاتب فى ذلك، فامتنع الشيخ من ذلك، ولم يقبل وذكر أن فى توجهه إلى مصر مصالح كثيرة.

وقرأت بخط بعض أصحاب الشيخ، قال :

ولما توجه الشيخ فى اليوم الذى توجه فيه من دمَشق المحروسة، كان يوما مشهوداً، غريب المثل، فى كثرة ازدحام الناس لوداعه، ورؤيته، حتى انتشروا من

---

(١) فى (ص) خامس عشر.

(٢-٢) مابين القوسين ليس فى (ص).

(٣) ابن صصرى : ليس فى (ك).

(٤) على الشيخ : ليس فى (ص).

باب داره إلى قريب للجسورة - فيما بين دمشق والكسوة - التى هى أول منزلة منها، وهم ما بين باكٍ وحزين، ومتعجب ومتنزه، ومُزاحم متغال فيه. ودخل الشيخ مدينة غَزّة يوم السبت، وعمل فى جامعها مجلساً عظيما.

وفى يوم الخميس الثانى والعشرين من رمضان، وصل الشيخ والقاضى إلى القاهرة.

وفى ثانى يوم بعد صلاة الجمعة، جمع القضاة، وأكابر الدولة بالقلعة لمحفل الشيخ[1]، وأراد الشيخ أن يتكلم، فلم يُمكّن من البحث والكلام على عادته[2]، وانتُدب له الشمس ابن عدلان خصما، احتسابا، وادّعى عليه القاضى ابن مخلوف المالكى أنه يقول:

إن الله فوق العرش حقيقة، وإن الله يتكلم بحرف وصوت، وسأل جوابه.

فأخذ الشيخ فى حمد الله والثناء عليه.

فقيل له : أجب. ما جئنا بك لتخطب.

فقال : ومَن الحاكم فىّ؟

فقيل له : القاضى المالكى.

قال : كيف يحكم فىّ وهو خصمى؟ وغضب غضباً شديدا، وانزعج.

[٣٦/أ] فأقيم مرسمًا عليه، وحبس فى / برح أياماً.

---

(١) الشيخ : ليست فى (ك).

(٢) هنا تنتهى نسخة (ص)، ويقابلها السطر الرابع والعشرون من اللوحة رقم (٣٦أ) من نسخة (ك)، وسوف نقتصر فى المقابلة من هنا إلى آخر الكتاب بين نسخة (ك) والمطبوع المرموز له بـ (ط)

ثم نُقِل منه ليلة عيد الفطر إلى الحبس المعروف بالجُبِّ، هو وأخواه شرف الدين عبدالله[1]، وزين الدين عبدالرحمن.

ثم إن نائب السلطنة - سيف الدين سلارا - بعد أكثر من سنة، وذلك ليلة عيد الفطر من سنة ست وسبعمائة أحضر القضاة الثلاثة : الشافعى، والمالكى والحنفى، ومن الفقهاء : الباجى، والجَزَرى، والنمراوى، وتكلَّم فى إخراج الشيخ من الحبس.

فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور، ويُلزَم بالرجوع عن بعض العقيدة.

فأرسلوا إليه من يحضره ليتكلموا معه فى ذلك. فلم يجب إلى الحضور.

وتكرر الرسول إليه فى ذلك مرات، وصمم على عدم الحضور.

فطال عليهم المجلس، فانصرفوا عن غير شىء.

---

(١) هو شرف الدين عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرّانى، أبو محمد، أخو الشيخ تقى الدين ابن تيمية، ولد سنة (٦٦٦هـ) بحران، وقدم مع أهله إلى دمشق رضيعاً، وتعلم من أبى اليسر وغيره، وتفقه فى المذهب الحنبلى حتى أفتى وبرع فى الفرائض والحساب وغير ذلك، كان شجاعاً مقداماً مجاهداً زاهداً عابداً ورعاً، جلس مع أخيه مدة فى الديار المصرية، توفى - رحمه الله - بدمشق سنة (٧٢٧ هـ). انظر: شذرات الذهب : ٦/٧٦ - ٧٧.

[رسالته إلى أهل دمشق]

وفى اليوم الثامن والعشرين من ذى الحجة من سنة ست وسبعمائة، أخبر نائب السلطنة بدمشق، بوصول كتاب إليه من الشيخ تقى الدين من الجب، وأعلم بذلك جماعة ممن حضر مجلسه وأثنى عليه، وقال : ما رأيت مثله، ولا أشجع منه.

وذكر ما هو عليه فى السجن : من التوجه إلى الله تعالى، وأنه لم يقبل شيئاً من الكسوة السلطانية، ولا من الإدرار السلطانى، ولا تدنس بشىء من ذلك.

وفى هذا الشهر أيضا - شهر ذى الحجة - فى يوم الخميس اليوم السابع والعشرين منه طُلب أخَوَا الشيخ تقى الدين : شرفُ الدين عبدُالله، وزينُ الدين عبدُالرحمن إلى مجلس نائب السلطنة سلار، وحضر القاضى زينُ الدين بنُ مخلوف المالكى، وجرى بينهم كلام كثير، وأُعيدا إلى موضعهما، بعد أن بحث الشيخ شرف الدين مع القاضى المالكى، وظهر عليه فى النَّقل والمعرفة، وخطَّأه فى مواضع ادَّعى فيها الإجماع، وكان الكلام فى مسألة العرش، وفى مسألة الكلام، وفى مسألة النزول.

وفى يوم الجمعة ثانى اليوم المذكور أُحْضِرَ شرفُ الدين وحده إلى مجلس نائب السلطنة، وحضر ابنُ عدلان، وتكلم معه الشيخ شرف الدين وناظره، وبحث معه، وظهر عليه.

وفى اليوم الرابع والعشرين من صفر من سنة سبع وسبعمائة، اجتمع القاضى بدرُ الدين بنُ جماعة بالشيخ تقىِّ الدين فى دار الأوحدى بالقلعة، بُكرَة الجمعة وتفرقا قبل الصلاة، وطال بينهما الكلام.

[ابن مهنا يُخرج الشيخ من الجُب]

وفى شهر ربيع الأول من سنة سبع وسبعمائة، دخل الأمير حسام الدين مهنًّا ابن عيسى ملك العرب إلى مصر، وحضر بنفسه إلى الجب.

فأخرج الشيخ تقى الدين بعد أن استأذن فى ذلك، فخرج يوم الجمعة الثالث والعشرين من الشهر إلى دار نائب السلطنة بالقلعة، وحضر بعض الفقهاء وحصل بينهم بحث كثير، وفرقت صلاة الجمعة بينهم. ثم اجتمعوا إلى المغرب، ولم ينفصل الأمر.

ثم اجتمعوا يوم الأحد بعد يومين، بمرسوم السلطان مجموع النهار، وحضر جماعة أكثر من الأولين حضر : نجم الدين بن الرفعة، وعلاء الدين الباجى وفخرُ الدين ابن بنت أبى سعد، وعزُّ الدين النمراوى، وشمسُ الدين بن عَدلان وجماعة من الفقهاء، ولم يحضر القضاة. وطُلِبوا فاعتذر بعضهم بالمرض وبعضهم بغيره، وقَبل عذرَهم نائبُ السلطنة، ولم يكلفهم الحضور، بعد أن رسم السلطان بحضورهم، وانفصل المجلس على خير، وبات الشيخ عند نائب السلطنة.

وكتب كتابا إلى دمشق بكرة الاثنين السادس والعشرين من الشهر، يتضمن خروجه، وأنه أقام بدار ابن شقير بالقاهرة، وأن الأمير سيف الدين سلار رسم بتأخيره عن مدة / مقام الشيخ فى الجب ثمانية عشر شهرا. [٣٦/ب]

ففرح خلق كثير بخروجه، وسروا بذلك سرورا عظيما، وحزن آخرون وغضبوا.

وامتدحه الشيخ الإمام نجم الدين سليمان بن عبدالقوى بقصيدة منها :

فاصبر، ففى الصبر ما يغنيك عن حيَلٍ — وكلُّ صعبٍ إذا صابرته هانا

ولست تعدمُ من خطب رُميتَ به — إحدى اثنتين، فأيقن ذاك إيقانا

تمحيص ذنب، لتلقى الله خالصة — أو امتحانا به تزداد قربانا

يا سعد إنا لنرجو أن تكون لنا — سعدا، ومرعاك للوُرَّاد سعدانا

وأنْ يَضُرَّ بك الرحمنُ طائفةً — وَلَّتْ، وينفع مَنْ بالوُدِّ والانا

يا أهل تيمية العالين مرتبة — ومنصبا فرع الأفلاك تبيانا

جواهر الكون أنتم غير أنكم — فى معشر أشُر بوافى العقل نقصانا

لا يعرفون لكم فضلا، ولو عقلوا — لصيَّروا لكم الأجفان أوطانا

يا من حوى من علوم الخلق ما قَصُرت — عنه الأوَائل مُذْ كانوا إلى الآنا

إن تُبْتَلَى بلئام الناس يرفعهم[1] — دهر عليك لأهل الفضل قد خانا

إنى لأقسم، والإسلام معتقدى — وإننى من ذوى الإيمان أيمانا

لم ألق قبلك إنسانا أُسَرّ به — فلا برحت لعين المجد إنسانا

فى أبيات كثيرة غير هذه، يمدح فيها الشيخ ويذم أعداءه.

(١) كتب الناسخ فى هامش (ك) مايلى : يرفعهم الدهر، فى كلامه نظر.

[مجلسه بجامع الحاكم]

وفى يوم الجمعة صلى الشيخ فى جامع الحاكم وجلس. فاجتمع إليه خلق عظيم، وسأله بعضهم أن يتكلم بشىء يسمعونه منه، فلم يجبهم إلى ذلك بل كان يبتسم، وينظر يَمنة وَيَسرة.

فقال له رجل : قال الله فى كتابه الكريم ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ ﴾[1].

فنهض الشيخ قائما، وابتدأ بخطبة الحاجة : خطبة ابن مسعود رضي الله عنه، ثم استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، وقرأ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ﴾ .. وتكلم على تفسير قوله تعالى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وفى معنى العبادة، والاستعانة، إلى أن أذّن مؤذن العصر.

(١) آل عمران : (١٨٧).

[مجلسه بالمدرسة الصالحية]

وفى يوم الخميس السادس من شهر ربيع الآخر سنة سبع[1]، عقد للشيخ مجلس آخر بالمدرسة الصالحية بالقاهرة، واجتمع فيه القضاة وغيرهم.

وكان مما جرى فى المجلس ـ فيما بلغنى ـ أنه قيل للشيخ : نستغفر الله العظيم، ونتوب إليه.

فقال الشيخ : كلنا نستغفر الله العظيم، ونتوب إليه

والتفت إلى رجل منهم فقال له : استَغْفِر الله العظيم وتُبْ إليه.

فقال : أستغفر الله العظيم وأتوب إليه. وكذلك قال لآخر، ولآخر، وكلهم يقول كذلك.

فقيل للشيخ : تُب إلى الله عزّوجل من كذا وكذا ـ وذُكر له كلام.

فقال: إن كنت قلت كلاما يستوجب التوبة فأنا تائب منه.

فقال له قائل : هذه ليست توبة.

فرد عليه الشيخ، وجهّله.

ووقع كلام يطول ذكره.

ووصل كتاب الشيخ مؤرخا بليلة الجمعة الرابع عشر من الشهر، يذكر فيه أنه عُقد له مجلس ثالث بالمدرسة الصالحية بالقاهرة، بعد خروج مُهَنّا فى يوم الخميس سادس الشهر، وأنه حصل فيه خير، وأن فى إقامته مصالح وفوائد.

---

(١) فى (ط) سنة سبع وسبعمائة.

[كتاب الشيخ إلى والدته بالشام][1]

وقد وقفت على عدة كتب بخط الشيخ، بعثها من مصر إلى والدته وإلى أخيه لأمه، بَدْر الدين، وإلى غيرهما. منها كتاب إلى والدته يقول فيه: -

من أحمد بن تيمية إلى الوالدة السعيدة، أقرّ الله عينها بنعمه، وأسبغ عليها جزيل كرمه، وجعلها من خيار إمائه وخدمه.

سلام عليكم، ورحمة الله وبركاته.

فإنا نحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، وهو للحمد / أهل، وهو على كل شىء [٣٧/أ] قدير. ونسأله أن يُصلىَ على خاتم النبيين، وإمام المتقين، محمدٍ عبده ورسوله ﷺ وسلم تسليما.

كتابى إليكم عن نعم من الله عظيمة، ومِنَنٍ كريمة، وآلاء جسيمة نشكر الله عليها، ونسأله المزيد من فضله. ونِعَمُ الله كُلَّمـا جاءت فى نُمُـوّ وازدياد، وأياديه جلَّت عن التعداد.

وتعلمون أن مُقامنا الساعة فى هذه البلاد، إنما هو لأمور ضرورية متى أهملناها فسد علينا أمر الدين والدنيا. ولسنا والله مختارين للبعد عنكم ولوحملتنا الطيور لسرنا إليكم، ولكن الغائب عذره معه، وأنتم لو اطلعتم على باطن الأمور، فإنكم - ولله الحمد - ما تختارون الساعة إلا ذلك، ولم نعزم على المقام والاستيطان شهرا واحدا، بل كل يوم نستخير الله لنا ولكم، وادعوا لنا بالخِيرَة فنسأل الله العظيم أن يخير لكم ولنا وللمسلمين، مافيه الخِيرَة فى خير وعافية.

---

(١) فى (ك): يوجد بالهامش : كتاب شيخ الإسلام إلى والدته.

ومع هذا فقد فتح الله من أبواب الخير والرحمة، والهداية والبركة، ما لم يكن يخطر بالبال، ولا يدور فى الخيال، ونحن فى كل وقت مُهِمُّون بالسفر، مستخيرون الله سبحانه وتعالى، فلا يظن الظَّانُّ أنَّا نُؤثر على قربكم شيئا من أمور الدنيا قط، بل ولا نؤثر من أمور الدين، ما يكون قربكم أرجح منه، ولكن ثَمَّ أمور كبار نخاف الضرر الخاص والعام من إهمالها؛ والشاهد يرى ما لا يرى الغائب.

والمطلوب، كثرة الدعاء بالخيرة، فإن الله يعلم، ولانعلم، ويقدر ولا نقدر، وهو عَلاَّم الغيوب. وقد قال النبى ﷺ «مِنْ سعادة ابن آدم: استخارته الله، ورضاه بما يقسم الله له، ومن شقاوة ابن آدم : ترك استخارته الله، وسخطه بما يقسم الله له[1]» والتاجر يكون مسافرًا فيخاف ضياع بعض ماله، فيحتاج أن يقيم حتى يستوفيه، وما نحن فيه أمرٌ يَجِلُّ عن الوصف، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والسلام عليكم، ورحمة الله وبركاته، كثيراً، كثيراً، وعلى سائر من فى البيت من الكبار والصغار، وسائر الجيران، والأهل والأصحاب واحدًا، واحدًا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

---

(١) ورد الحديث فى : الترمذى : ٣٠٩/٣ (وفيه تقديم وتأخير) (أبواب القدر - باب ماجاء فى الرضا بالقضاء) وقال الترمذى : هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث محمد بن أبى حميد، فليس هو بالقوى عند أهل الحديث؛ مسند الإمام أحمد : ٦٨/١ من حديث سعد بن أبى وقاص.

[كتاب آخر للشيخ لجمع كلمة المسلمين][1]

ومنها كتاب، قال فيه: بعد حمد الله تعالى، والصلاة على نبيه ﷺ.

أما بعد. فإن الله ـ وله الحمد ـ قد أنعم عليّ من نعمه العظيمة ومننه الجسيمة، وآلائه الكريمة، ما هو مستوجب لعظيم الشكر، والثبات على الطاعة، واعتياد حسن الصبر على فعل المأمور، والعبد مأمور بالصبر فى السراء أعظم من الصبر فى الضراء قال تعالى: ﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ (9) وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ (10) إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[2].

وتعلمون، أن الله سبحانه منّ فى هذه القضية من المِنَن التى فيها من أسباب نصر دينه، وعلوّ كلمته، ونصر جُنده، وعزّة أوليائه، وقُوَّة أهل السنة والجماعة، وذُلّ أهل البِدْعة والفُرْقة، وتقرير ماقُرِّر عندكم من السنة، وزيادات على ذلك بانفتاح أبواب من الهُدى والنصر، والدلائل، وظهور الحق، لأمم لا يُحصى عددَهم إلا الله تعالى، وإقبال الخلائق إلى سبيل السنة والجماعة، وغير ذلك من المنن، ما لا بد معه من عظيم الشكر، ومن الصبر، وإن كان صبراً فى سرَّاء.

وتعلمون أن من القواعد العظيمة التى هى من جِماع الدِّين: تأليفَ القلوب، واجتماعَ الكلمة، وصلاح ذات البَيْن، فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا/ [37/ب] ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾[3] ويقول: ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا ﴾[4] ويقول:

---

(1) فى (ك): يوجد بالهامش: كتاب آخر له رضي الله عنه.
(2) هود: (9 - 11).
(3) سورة الأنفال: (1).
(4) آل عمران: (103).

﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١).

وأمثال ذلك من النصوص التى تأمر بالجماعة والائتلاف، وتنهى عن الفُرقة والاختلاف.

وأهل هذا الأصل: هم أهل الجماعة، كما أن الخارجين عنه، هم أهل الفُرقة.

وجماعُ السنة؛ طاعة الرسول؛ ولهذا قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة «إن الله يرضَى لكم ثلاثا: أن تعبدوه، ولاتشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً، ولاتَفَرَّقُوا، وأن تناصحوا مَن وَلاَّهُ الله أموركم(٢)».

وفى السنن من حديث زيد بن ثابت وابن مسعود ـ فَقِيهى الصحابة ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «نَضَّر الله امَرأ سَمِعَ منَّا حديثاً فبَلَّغه إلى مَنْ لم يسمعه، فرُبَّ حاملِ فقْه غيرِ فقيه، ورُبّ حاملِ فقه إلى مَنْ هو أفقهُ منهُ. ثلاثٌ لايَغُلُّ عليهنَ قلبُ مُسلمٍ: إخلاص العمل لله، وَمُناصَحَةُ وَلاة الأمر، ولزومُ جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تُحيطُ مَنْ وَراءَهم(٣)».

وقوله «لايغل» أى لا يحقد عليهن، فلا يبغض هذه الخصال قلب المسلم، بل يحبّهن، ويرضاهن.

---

(١) آل عمران: (١٠٥).

(٢) ورد الحديث فى: مسلم: ١٣٤٠/٣ (كتاب الأقضية. باب النهى عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهى عن منع وهات...)، الإمام أحمد فى مسنده: ٣٢٧/٢.

(٣) ورد الحديث كاملا فى: ابن ماجه: ٨٤/١ (المقدمة. باب من بلغ علماً) وفيه: زاد علىّ بن محمد: ثلاث لايغل عليهن قلب امرىء مسلم، الدارمى: ٨٧/١ (المقدمة. باب الاقتداء بالعلماء)، مسند الإمام أحمد: ٨٠/٤ من حديث جبير بن مطعم ـ رضي الله عنه، وورد مختصراً فى: أبى داود: ٣٢٢/٣ (كتاب العلم. باب فضل نشر العلم)، الترمذى: ١٤١/٤ (أبواب العلم. باب الحث على تبليغ السماع).

وأولُ ما أبدأ به من هذا الأصل: ما يتعلق بى، فتعلمون - رضى الله عنكم - أنى لا أحبُّ أن يؤذَى أحد من عموم المسلمين - فضلا عن أصحابنا - بشىء أصلا لا باطنا ولا ظاهراً، ولا عندى عَتْبٌ على أحد منهم، ولا لومٌ أصلا، بل لهم عندى من الكرامة، والإجلال، والمحبة، والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان، كلٌّ بحسَبه، ولا يخلو رجل؛ إما أن يكون مجتهدا مصيبا، أو مخطئا، أو مذنبا. فالأول: مأجور مشكور. والثانى مع أجره على الاجتهاد: فمعفوٌّ عنه، مغفور له. والثالث: فالله يغفر لنا وله، ولسائر المؤمنين.

فنَطْوى بساط الكلام المخالف لهذا الأصل، كقول القائل: فلان قصّر، فلان ما عمل، فلان أُوذى الشيخُ بسببه، فلان كان سببَ هذه القضية، فلان كان يتكلم فى كيد فلان، ونحو هذه الكلمات، التى فيها مَذَمّة لبعض الأصحاب، والإخوان؛ فإنى لا أسامح من آذاهم من هذا الباب، ولاحول ولاقوة إلا بالله.

بل مثل هذا يعود على قائلة بالملام، إلا أن يكون له من حسنة، ممن يغفر الله له إن شاء، وقد عفا الله عما سلف.

وتعلمون أيضا: أن مايجرى من نوع تغليظ، أو تخشين على بعض الأصحاب والإخوان، ما كان يجرى بدمَشق، ومما جرى الآن بمصر، فليس ذلك غَضاضةً ولا نقصا فى حق صاحبه، ولا حصل بسبب ذلك تَغيُّر منَّا، ولابغض. بل هو بعد ما عومل به من التغليظ والتخشين، أرفع قدراً، وأنْبَهُ ذكرا، وأحبُّ وأعظم، وإنما هذه الأمور هى من مصالح المؤمنين، التى يصلح الله بها بعضهم ببعض، فإن المؤمن للمؤمن كاليدين، تغسل إحداهما الأخرى. وقد لاَينْقَلِعُ الوَسَخُ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة، والنُّعومة، مانَحْمَد معه ذلك التخشين.

وتعلمون أنا جميعا متعاونون على البرِّ والتقوى، واجب علينا نصر بعضنا بعضا، أعظمَ مما كان، وأشدَّ، فمن رام أن يؤذى بعض الأصحاب، أو الإخوان، لما قد يظنه من نوع تَخَشين عومل به بدمشق، أو بمصر الساعة، أو غير ذلك ـ فهو الغالط.

وكذلك، من ظن أن المؤمنين يبخلون عما أمروا به من التعاون، والتناصر، فقد ظن ظنَّ سَوءٍ ﴿ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾[1] وماغاب عنّا أحد من الجماعة، أو قدم إلينا الساعة، أو قبل الساعة، إلا ومنزلته عندنا اليوم أعظم مما كانت، وأجلُّ، وأرفع.

[٣٨/أ] وتعلمون / رضى الله عنكم ـ أن ما دون هذه القضية من الحوادث يقع فيها من اجتهاد الآراء، واختلاف الأهواء، وتنوع أحوال أهل الإيمان، وما لابد منه ـ من نزغات الشيطان ـ مالا يتَصَوَّر أن يعترى عنه نوع الإنسان. وقد قال تعالى : ﴿ وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً (٧٢) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[2] بل أنا أقول ما هو أبلغ من ذلك، تنبيها بالأدنى على الأعلى، وبالأقصى على الأدنى، فأقول:

تعلمون كثرة ما وقع فى هذه القضية من الأكاذيب المفتراة، والأغاليط المظنونة، والأهواء الفاسدة، وأن ذلك أمر يجل عن الوصف. وكلّ ماقيل: من كذب وزوُر، فهو فى حقنا خيرٌ ونعمة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

وقد أظهر الله من نور الحق وبرهانه، ما رَدَّ به إفك الكاذب وبهتانه.

---

(١) النجم : (٢٨).　(٢) الأحزاب: (٧٢ - ٧٣).　(٣) النور : (١١).

فلا أحب أن يُنْتَصَر من أحد بسبب كذبه علىَّ، أو ظلمه وعدوانه، فإنى قد حللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد بكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسى، والذين كذبوا وظلموا، فهم فى حل من جهتى.

وأما ما يتعلق بحقوق الله، فإن تابوا تاب الله عليهم، وإلا فحكم الله نافذ فيهم، فلو كان الرجل مشكورا على سوء عمله، لكنت أشكر كلَّ من كان سببا فى هذه القضية، لما يترتب عليه من خير الدنيا والآخرة، لكن الله هو المشكور على حسن نعمه وآلائه، وأياديه، التى لا يقضى للمؤمن قضاء إلا كان خيرا له.

وأهل القصد الصالح يُشكرون على قصدهم، وأهل العمل الصالح يُشكرون على عملهم، وأهل السيئات نسأل الله أن يتوب عليهم وأنتم تعلمون هذا من خلقى. والأمر أزيد مما كان وأوكد، لكن حقوق الناس بعضهم مع بعض، وحقوق الله عليهم، هم فيها تحت حكم الله.

وأنتم تعلمون أن الصدِّيق الأكبر فى قضية الإفك،التى أنزل الله فيها القرآن حلف لا يَصِلُ مِسْطَحَ بن أُثاثَة، لأنه كان من الخائضين فى الإفك، فأنزل الله تعالى: ﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[1]. فلما نزلت قال أبو بكر: بلى، والله إنى لأحب أن يغفر لى فأعاد إلى مِسْطَحَ النفقة التى كان ينفق[2].

---

(١) النور : (٢٢).

(٢) ورد هذا الحديث فى : البخارى: ٤٥٥/٨ (تفسير سورة النور) وفيه قصة أبى بكر الصديق ومسطح بن أثاثة - رضي الله عنه - فى آخر حديث الإفك، مسلم: ٢١٢٩/٤ (كتاب التوبة. باب فى حديث الإفك وقبول توبة القاذف)؛ الإمام أحمد : ١٩٤/٦.

ومع ماذكر من العفو والإحسان، وأمثاله، وأضعافه، والجهاد على ما بعث الله به ورسوله من الكتاب والحكمة أمر لابد منه ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤) إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[1].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما.

وقد بعث الشيخ ـ رحمه الله ـ إلى أقاربه، وأصحابه، بدمشق كُتبا غير هذه.

---

(١) المائدة : (٥٤ - ٥٦).

[دخوله السجن بسبب شكوى الصوفية]

ولم يزل بمصر يُعلِّم الناس، ويُفتيهم، ويُذكِّر بالله ويدعو إليه، ويتكلّم فى الجوامع على المنابر بتفسير القرآن وغيره من بعد صلاة الجمعة إلى العصر، إلى أن ضاق منه وانحصر، واجتمع خلق كثير من أهل الخوانق والرُّبُط والزّوايا واتفقوا على / أن يتشكوا الشيخ إلى السلطان. [٣٨/ب]

فطلع منهم خلق إلى القلعة، وكان منهم خلق تحت القلعة، فكانت لهم ضَجَّة شديدة، حتى قال السلطان: ما لهؤلاء؟

فقيل له: هؤلاء كلهم جاءوا من أجل الشيخ تقى الدين بن تيمية، يشكون منه ويقولون: إنه يسبُّ مشايخهم، ويضع من قدرهم عند الناس، واستغاثوا منه[1] وأجلَبوا عليه، ودخلوا على الأمراء فى أمره، ولم يُبقوا ممكنا.

وكان بعض الناس يأتون إلى الشيخ فيقولون له: إن الناس قد جمعوا لك جمعا كثيرا.

فيقول: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وأمر من يعقد له مجلسا[2] بدار العدل.

فعقد له مجلس يوم الثلاثاء فى العشر الأول من شوال، من سنة سبع وسبعمائة، وظهر فى ذلك المجلس من علم الشيخ وشجاعته، وقوة قلبه، وصدق توكله، وبيان حجته، مايتجاوز الوصف. وكان وقتا مشهودا، ومجلسا عظيما.

وقال له كبير من المخالفين: من أين لك هذا؟

فقال له الشيخ: من أين لاتعلمه.

وذكر بعض من حضر ذلك المجلس: أن الناس لما تفرقوا منه، قام الشيخ ومعه جماعة من أصحابه.

قال: فجاء وجئت معه إلى موضع ـ ذكره ـ فى دار العدل.

---

(١) فى ك : فيه.

(٢) فى ك : مجلس، وصححه الناسخ فى الهامش مجلساً.

قال: فلما جلسنا استلقى الشيخ على ظهره، وكان هناك حَجر لأجل تثقيل الحصير، فأخذه ووضعه تحت رأسه، فاضطجع قليلا، ثم جلس وقال له إنسان: ياسيدى قد أكثر الناس عليك.

فقال: إنْ هم إلا كالذباب. ورفع كفه إلى فيه ونفخ فيه.

قال: وقام، وقمنا معه، حتى خرجنا، فأتى بحصان، فركبه ويختل بذؤابته، فلم أر أحدًا أقوى قلبًا، ولا أشد بأسًا منه.

قال: فلما أكثروا الشكاية منه والملام، وأوسعوا من أجله الكلام، رُسِم بتسفيره إلى بلاد الشام.

فخرج للسفر ليلة الخميس ثانى عشر الشهر إلى جهة الشام، ثم رُدَّ فى يوم الخميس المذكور، وحُبس بسجن الحاكم بحارة الدَّيلم، فى ليلة الجمعة تاسع عشر شوال.

قال: ولما دخل الحبس وجد المحابيس مشتغلين بأنواع من اللعب، يلتهون بها عمَّا هم فيه، كالشطرنج والنَّرْد، ونحو ذلك من تضييع الصلوات، فأنكر الشيخ عليهم ذلك أشد الإنكار، وأمرهم بملازمة الصلاة، والتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة، والتسبيح، والاستغفار، والدعاء، وَعلّمهم من السنة ما يحتاجون إليه وَرغّبهم فى أعمال الخير، وحضَّهم على ذلك، حتى صار الحبس بما فيه من الاشتغال بالعلم والدين خيرا من الزَّوايا، والرُّبُط، والخوانق، والمدارس، وصار خلق من المحابيس إذا أُطلِقُوا يختارون الإقامة عنده. وكثر المترددون إليه، حتى كان السجن يمتلئ منهم.

فلما كثر اجتماع الناس به، وترددهم إليه، ساء ذلك أعداءه، وحَصِرتْ صدورهم، فسألوا نقله إلى الإسكندرية، وظنوا قلوب أهلها عن محبته عَرِيَّة. وأرادوا أن يبعد عنهم خبره، أو لعلهم يقتلونه فينقطع أثره.

فأُرسلَ به إلى ثغر الإسكندرية، فى ليلة يسفر صباحها[1] عن يوم الجمعة سلخ صفر من سنة تسع وسبعمائة.

---

(١) فى (ك) : يسفر صاحبها.

[حبس الشيخ بالإسكندرية]

وذكر الشيخ البرزالى وغيره: أن فى شهر شوال من سنة سبع وسبعمائة، شكا شيخ الصوفية بالقاهرة، كريم الدين الإبلى ـ[1]، وابن عطاء[2]، وجماعة نحو الخمسمائة، من الشيخ تقى الدين، وكلامه فى ابن عربى، وغيره إلى الدولة.

فرُدَّ الأمرُ فى ذلك إلى القاضى الشافعى، وعقد له مجلس وادَّعى عليه ابن عطاء بأشياء لم يثبت شىء منها، لكنه قال: إنه لايستغاث إلا بالله، حتى لايستغاث بالنبى ﷺ استغاثة ـ بمعنى العبادة ـ ولكنه يُتوسل به، ويتشفع به إلى الله، فبعض الحاضرين قال: ليس فى هذا شىء، ورأى قاضى القضاة: بدر الدين[3] أن هذا فيه قلة أدب، فحضرت رسالة إلى القاضى أن يعمل معه / ما [٣٩/أ] تقتضيه الشريعة فى ذلك. فقال القاضى: قد قلت له ما يقال لمثله.

ثم إن الدولة خيروه بين أشياء وهى : ـ الإقامة بدمشق، أو الإسكندرية؛ بشروط أو الحبس، فاختار الحبس.

---

(١) كريم الديم الإبلى.

(٢) هو تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن عطاء الله الأسكندرى، المالكى الشاذلى، صحب أبا العباس المرسى صاحب الشاذلى، وحقق فى مناقبه ومناقب شيخ طريقته، وكان المتكلم بلسان الصوفية فى زمانه، وكان ممن قام على الشيخ تقى الدين ابن تيمية فبالغ فى ذلك، وكان يعظ الناس ويُذكرهم بالله تعالى فكثر أتباعه، له مصنفات عديدة، منها: «كتاب لطائف المنن»، و«الحكم» وغير ذلك، توفى رحمه الله ـ بمصر سنة (٧٠٩هـ). انظر عنه: الدرر الكامنة لابن حجر: ١٦٢/١ شذرات الذهب: ١٩/٦ـ ٢٠.

(٣) هو بدر الدين أبو عبدالله محمد بن الشيخ أبى إسحاق إبراهيم بن سعد الله بن جماعة، المالكى ولد سنة (٦٣٩هـ) بحماة، وسمع الحديث واشتغل بالعلم وساد أقرانه، وباشر التدريس، ثم ولى القضاء والخطابة بالقدس الشريف، ثم نقل منه إلى قضاء مصر فى الأيام الأشرفية، ثم ولى قضاء الشام، تولى منصب قاضى القضاة بالديار المصرية بعد وفاة الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد، فلم يزل حاكماً بها حتى كبرت سنه جداً فاستقال وتولى مكانه القزوينى، له مصنفات كثيرة ونافعة، توفى ـ رحمه الله ـ بمصر وقد أكمل أربعاً وتسعين سنة، وذلك فى سنة (٧٣٣). انظر عنه: البداية والنهاية: ١٦٣/١٤، شذرات الذهب: ١٠٥/٦ ـ ١٠٦.

فدخل عليه جماعة فى السفر إلى دمشق ملتزما ما شُرط، فأجابهم فأركبوه خيل البريد ليلة الثامن عشر من شوال.

ثم أرسل خلفه من الغد بريدًا آخر فرده، وحضر عند قاضى القضاة بحضور جماعة من الفقهاء.

فقال بعضهم له: ما ترضى الدولة إلا بالحبس.

وقال قاضى القضاة: وفيه مصلحة له، واستناب شمس الدين التونسى المالكى وأذن له أن يحكم عليه، فتحيَّر.

فقال الشيخ: أنا أمضى إلى الحبس وأتبع ما تقتضيه المصلحة.

فقال نور الدين المأذون له فى الحكم: فيكون فى موضع يصلح لمثله.

فقيل له: ما ترضى الدولة إلا بمسمى الحبس، فأُرسل إلى حبس القاضى وأُجلس فى الموضع الذى أُجلس فيه القاضى تقى الدين ابن بنت الأعز، لما حُبِس وأُذن أن يكون عنده من يخدمه.

وكان جميع ذلك بإشارة الشيخ نصر المنبجى ووجاهته فى الدولة، واستمر الشيخ فى الحبس يُستَفْتى وَيقصده الناس ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس.

قال علم الدين: وفى الأربعاء، العشرين من شوال من سنة ثمان وسبعمائة، طُلب أخو الشيخ تقى الدين، فوجدَ زينُ الدين وعنده جماعة، فرسم عليهم، ولم يوجد شرف الدين، ثم أطلق الجماعة سوى زين الدين، فإنه حُمِل إلى المكان الذى فيه الشيخ وهو قاعةُ الترسيم بالقاهرة. ثم إنه أخرج فى خامس صفر سنة تسع وسبعمائة.

وقال: وفى الليلة الأخيرة من شهر صفر هذا، وهى ليلة الجمعة توجه الشيخ تقى الدين من القاهرة إلى الإسكندرية، مع أمير مقدّم، ولم يُمَكَّن أحد من جماعته من السفر معه.

ووصل هذا الخبر إلى دمشق بعد عشرة أيام، فحصل التألم لأصحابه ومحبيه وضاقت الصدور، وتضاعف الدعاء له.

وبلغنا: أن دخوله الإسكندرية كان يوم الأحد، دخل من باب الخوخة إلى دار السلطان، ونُقل ليلاً إلى برج فى شرقى البلد.

ثم وصلت الأخبار أن جماعة من أصحابه توجهوا إليه بعد ذلك، وصار الناس يدخلون إليه ويقرأون عليه، ويتحدثون معه، وكان الموضع الذى هو فيه فسيحاً متسعاً.

[كتاب الشيخ شرف الدين إلى أخيه بدر الدين]

وقد[1] رأيت كتابا بخط الشيخ شرف الدين، كتبه إلى أخيه بدر الدين بعد توجه الشيخ إلى الإسكندرية، يقول فيه: ـ من أخيه عبدالله بن تيمية.

سلام الله ورحمته وبركاته على الشيخ الإمام العالم الجليل الكبير بدر الدين وَالَى الله عليه آلاءه وأتبعها، وأسبغ عليه نعمة ونَوَّعها، وأباحه[2] مننه وأيْنَعها وأيّده بالقوة والتأييد، لإقامة الحق على القريب والبعيد، غير مقصِّر ولا وانٍ، ولا مُفَتَّر ولا متوانٍ، بالرأى السديد، والعزم الوكيد. وجمعنا وإياه فى هذه الدار على طاعته، وفى دار القرار فى دار كرامته، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين أهل ولايته، إنه ذو الفضل العظيم، والمنّ الجسيم، والطول العميم.

أما بعد. فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، وهو للحمد أهل، وهو على كل شىء قدير، وأصلى على سيد ولد آدم، وخير خلق الله أجمعين، وسيد رسل رب العالمين إلى الأسود، والأحمر، والجن، والإنس، بشيرا للمؤمنين، ونذيرا للكافرين، أتَمَّ الصلاة وأفضلها، وأشرفها وأكملها، دائمة إلى يوم الدين، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

وبعد. فنحن والجماعة فى نعم الله الكاملة، ومننه الشاملة، التى تفوت العدَّ والإحصاء، وتعجز العقول عن تصورها ودركها، وتُحْصَر الألسُن عن نعتها ووصفها، فضلاً عن كتابتها. فنسأل الله العظيم أن يُوْزِعَنا / شكرَها، وأن يديمها علينا وعلى جميع الإخوان والمؤمنين، إنه الجواد الكريم. [٣٩/ب]

(١) كتب الناسخ فى هامش الأصل: كتاب أخى شيخ الإسلام ـ رضى الله عنهما.
(٢) فى (ط) : منحه.

فمنها: نزول الأخ الكريم بالثغر المحروس، فإن أعداء الله قصدوا بذلك أموراً يكيدون بها الإسلام وأهله، وظنوا أن ذلك يحصل عن قريب؛ فانقلبت عليهم مقاصدهم الخبيثة المعلومة، وانعكست من كل الوجوه، وأصبحوا وما زالوا عند الله وعند العارفين من المؤمنين سود الوجوه، يتقطّعون حسرات وندمًا على ما فعلوه. وأقبل أهل الثغر أجمعون إلى الأخ، متقبلين لما يذكره وينشره، من كتاب الله وسنة رسوله، والحطِّ والوقيعة فى أعدائهما من أهل البدع والضلالات، والكفر والجهالات، خصوصا أخبث الملاحدة، والاتحادية، ثم الجهمية.

واتفق أنه وَجد بها إبليسَ إلحادهم، قد باض وفرّخ، ونصب بها عرشه ودَوّخ وأضلَّ بها فريقى السبعينية، فمزق الله بها بقدومه الثغر جموعهم، شَذَرَ مَذَرَ، وهتك أستارهم وكشف ([1]رمزهم فى الإلحاد والكفر وأسرارهم[1]) وفضحهم واستتاب جماعات منهم، وتوّب رئيسا من رؤسائهم، وإن كان عند عباد الله المؤمنين حقيراً، وصنّف هذا التائب كتابا فى كشف كفرهم وإلحادهم، وكان من خواص خواص اللعين عدو الله ورسوله نصير الملحدين[2]، واشتهر ذلك واستقر عند عموم المؤمنين، وخواصهم، من أمير، وقاض، وفقيه، ومفتٍ، وشيخ، وعموم المجاهدين، إلا من شذّ من الأغمار الجهال، مع الذِّلة والصغار، حذرا على نفسه من أيدى المؤمنين وألسنتهم، وعَلَتْ كلمةُ الله بها على أعداء الله ورسوله، ولُعنوا لعناً ظاهرا فى مجامع الناس بالاسم الخاص، وصار بذلك عند نصير الملحد[3]

(١ - ١) جاءت هذه العبارة فى الأصل هكذا: وكشف رمزهم إلحاد والكفر وأسرارهم .. إلخ، وهى عبارة ركيكة لامعنى لها مما جعل الشيخ محمد حامد الفقى يعلق عليها قائلا: لعل صحة العبارة: وكشف رمزهم فى إلحادهم وهتك أستارهم. هامش (٢) ص: ٢٩٠ من المطبوع.

(٢) أشار الناسخ بالهامش إلى أن نصير الملحدين هو نصر المنبجى الاتحادى.

(٣) فى (ط) : الملحدين.

المقيم المقعدُ، ونزل به من الخوف والذل ما لا يعبر عنه، وهمَّ أن يكيد كيدا آخر فوقع ما وقع عندكم بالشام من الأمر المزعج، والكرب المقلق، والبلاء العظيم والذل، واستعطاف من كانوا لا يلتفتون إليه بالأموال والأنفس، والتذلل حتى رقَّ بعض الأصحاب لهم، فزُجر عن ذلك، وقيل له: ﴿ **وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ** ﴾. إلى أمور كثيرة من المحن والبلاء، مما لا يمكن وصفه، فنسأل الله العظيم أن يعجل تمام النقمة[1] عليهم، وأن يقطع دابرهم، وأن يريح عباده وبلاده منهم وأن ينصر دينه وكتابه ورسوله وعباده عليهم، وأن يُوزعنا شكر هذه النعمة، وأن يتمَّها علينا، وعلى سائر المؤمنين.

وغير خاف عنك سيرتنا: -

إذا أعجبتك خصال امرئ * فكُنْه يكن[2] ما يعجبك

فليس لدى المجد والمكرما * ت إذا جئتها حاجب يحجبك

فأسأل الله العظيم، أن يعينك ويُمدك، ويؤيدك بروح منه، وأن يُقرَّ بك أعين المؤمنين، وأن يخزى بك الكفار والمنافقين، وأن يوفقك لما يحبه ويرضاه، وأن يتولاك فى جميع الأمور، ويعينك على القيام فيها بما يرضى الله ورسوله.

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وعلى السعيدة الكريمة الطيبة التى رضى الله عنها وأرضاها، وجعل بعد اجتماعنا بها الجنة دارها ومأواها، وأراها وجهه الكريم فى دار النعيم، الوالدة التى منحها الله تعالى - فى آخر عمرها - هذه الكرامة العظيمة، والمنزلة الرفيعة، والدرجة العليّة، وأكملُ السلام وأنماه،

(١) فى الأصل: النعمة، وصححها الناسخ بالهامش: النقمة.
(٢) كتب بالهامش فى (ك): لعله يكن فيه، أو فيه أو مايقاربه. أبو إسماعيل يوسف حسين - عفى عنه.

وعلى جميع الأهل والإخوان، والأصحاب والمعارف والجيران، كبيرهم وصغيرهم قريبهم وبعيدهم، كل فرد فرد له السلام، وغير خاف عنهم العجز عن حصرهم.

فالله تعالى يرضى عن جميعهم، ويجمعنا وإياهم - بعد نصر دين الله ورسوله - على مايحبه ويرضاه.

وكُتب والخاطر مشغول بأمر المسلمين، لحدوث أمر يذكره لكم الشيخ عبدالله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

[قدوم الشيخ من الإسكندرية إلى القاهرة]

[٤٠/أ] قلت: بقى الشيخ بثغر الإسكندرية ثمانية / أشهر، مقيما ببرج مليح نظيف، له شباكان، أحدهما إلى جهة البحر، يدخل إليه من شاء، ويتردد إليه الأكابر والأعيان، والفقهاء يقرأون عليه ويبحثون معه، ويستفيدون منه.

فلما دخل السلطان الناصر إلى مصر بعد خروجه من الكرك، وقدومه إلى دمشق، وتوجه منها إلى مصر ـ وكان قدومه إليها يوم عيد الفطر، من سنة تسع وسبعمائة ـ نفَّذَ لإحضار الشيخ من الإسكندرية فى اليوم الثامن من شوال.

وخرج الشيخ منها متوجها إلى مصر، ومعه خلق من أهلها يودعونه، ويسألون الله أن يردَّه إليهم، وكان وقتها مشهودا.

ووصل إلى القاهرة يوم السبت ثامن عشر الشهر، واجتمع بالسلطان فى يوم الجمعة الرابع والعشرين منه، وأكرمه وتلقاه فى مجلس، حَفَل فيه قضاة المصريين والشاميين والفقهاء، وأصلح بينه وبينهم.

ولقد أخبرنى بعض أصحابنا قال:

أخبرنى القاضى جمال الدين القلانسى(١)، قاضى العساكر المنصورة، فيما تذاكرتُ أنا وهو ذات ليلة، حين كان الشيخ تقىُّ الدين مُعتقلا فى القلعة المنصورة ـ يعنى قلعة دمشق ـ وقد أشاع بعض الجهلة وأرجف بعض المبغضين للسُّنَّة

---

(١) هو أحمد بن شرف الدين بن جمال الدين محمد بن أبى الفتح نصر الله بن أسد بن حمزة التميمى الدمشقى ابن القلانس، أبو العباس، قاضى العساكر ووكيل بيت المال ومدرسة الأمينية حفظ التنبيه ثم المحرر للرافعى على الفقه الشافعى، واشتغل بالتعليم على الشيخ تاج الدين الفزارى وتقدم لطلب العلم ثم طلب الرئاسة، وباشر رئاسة بعض الجهات الكبيرة، وكان متواضعا حسن السمت، توفى ـ رحمه الله ـ بدمشق سنة (٧٣١ هـ). انظر عنه: البداية والنهاية: ١٤/١٥٦، شذرات الذهب ٦/٩٥.

بأخبار مختلفة، لاحقيقة لها، لكن وقع فى نفوس أصحاب الشيخ من ذلك ما يلقيه الشيطان فى قلب الإنسان، وما ذاك إلا من شدة الشفقة والمحبة.

فقلت له فيما تحدثنا به: ان الناس يقولون: كيت وكيت، وأن الشيخ ربما يخرج من القلعة ويُدَّعى عليه، ويُعزَّر ويطاف به.

فقال: يا فلان هذا لايقع منه شىء، ولايسمح السلطان - خلد الله سعادته - بشىء من ذلك، وهو أعلم بالشيخ من كل هؤلاء وبعلمه ودينه.

ثم قال: أُخبرك بأمر عجيب، وقع من السلطان فى حق الشيخ تقى الدين وذلك حين توجه السلطان إلى الديار المصرية، ومعه القضاة والأعيان، ونائب الشام الأفرم.

فلما دخل الديار المصرية وعاد إلى مملكته، وهرب سلار والشنكير[1]، واستقر أمر السلطان، جلسا يوما دَست السلطنة[2] وأبَّهة الملك، وأعيان الأمراء من الشاميين والمصريين حضور عنده، وقضاة مصر عن يمينه، وقضاة الشام عن يساره - وذكر لى كيفية جلوسهم منه، كحسب منازلهم - قال: وكان من جملة من هناك ابن صَصْرى، عن يسار السلطان، وتحته الصدر علىّ قاضى الحنفية، ثم بعده الخطيب جلال الدين، ثم بعده ابن الزملكانى. قال. وأنا إلى جانب ابن الزملكانى، والناس جلوس خلفه، والسلطان على مقعد مرتفع، فبينما الناس على ذلك جلوس إذ نهض السلطان قائما، فقام الناس، ثم مشى السلطان، فنزل عن

(١) هو أمير من أمراء مصر، كان نائباً للسلطان المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير الذى تولى السلطنة مكان الناصر بن قلاوون سنة (٧٠٩ هـ) ثم عُزل منها فى نفس السنة بعد بضعة أشهر وعندما رجع السلطان الناصر إلى السلطة هرب سلار نحو تبوك ثم رجع مخدوعاً بالأمان، فأمسك به أتباع السلطان الناصر وأميت جوعاً سنة (٧٠٩هـ). انظر عنه: شذرات الذهب: أحداث سنة (٧٠٩ هـ).
(٢) دست السلطنة هو اللباس المعدُّ لها، ودست الوزارة بمعنى منصبها، والدست اللباس وصدر المجلس.

تلك المقعدة. ولا ندرى ما به. وإذا بالشيخ تقى الدين ابن تيمية ـ رحمه الله ـ مقبل من الباب والسلطان قاصد إليه، فنزل السلطان عن الإيوان، والناس قيام، والقضاة والأمراء والدولة، فتسالم هو والسلطان وتكارشا[1]، وذهبا إلى صُفَّة فى ذلك المكان، فيها شباك إلى بستان، فجلسا فيها حينا، ثم أقبلا ـ ويد الشيخ فى يد السلطان ـ فقام الناس، وكان قد جاء فى غيبة السلطان تلك، الوزير فخر الدين بن الخليل، فجلس عن يسار السلطان فوق ابن صصرى. فلما جاء السلطان جلس على مقعدته، وجاء الشيخ تقى الدين فجلس بين يدى السلطان على طرف مقعدته متربعاً.

فشرع السلطان يُثنى على الشيخ عند الأمراء والقضاة بثناء ما سمعته من غيره قط، وقال كلاما كثيراً، والناس تقول معه، ومثله القضاة والأمراء، وكان وقتاً عجيبًا، وذلك / مما يسوء كثيراً من الحاضرين من أبناء جنسه، وقال فى الشيخ [٤/ب] من الثناء والمبالغة ما لا يقدر أحد من أخص أصحابه أن يقوله. ثم إن الوزير أنهى إلى السلطان أن أهل الذّمة قد بذلوا للديوان فى كل سنة سبعمائة ألف درهم، زيادة على الجالية، على أن يعودوا إلى لبس العمائم المصَبَّغة كلها بهذه الألوان، التى ألزمهم بها ركن الدين الجاشنكير.

فقال السلطان للقضاة ومَنْ هناك: ما تقولون؟ فسكت الناس.

فلما رآهم الشيخ تقى الدين سكتوا جثا على ركبتيه، وشرع يتكلم مع السلطان فى ذلك بكلام غليظ، ويردُّ ما عرضه الوزير عنهم رداً عنيفا، والسلطان يُسكته

---

(١) تكارشا: تكرشوا بمعنى اجتمعوا، وتكارشا بمعنى تعانقا إذا التصق كرش كل واحد منهما بكرش الآخر، انظر: القاموس المحيط.

بترفُّق وتؤدة وتوقير، فبالغ الشيخ فى الكلام. وقال ما لا يستطيع أحد أن يقوم بمثله، ولا بقريب منه.

حتى رجع السلطان عن ذلك، وألزمهم بما هو عليه، واستمروا على هذه الصفة.

فهذه من حسنات الشيخ تقى الدين ابن تيمية رحمه الله ورضي الله عنه آمين.

قال: هذا ملخص ما أخبرنى به ـ رحمه الله.

وكنت جلست يوما إلى قاضى القضاة: صدر الدين قاضى الحنفيه، فقال لى وهو يضحك: تحب الشيخ تقى الدين ابن تيمية؟

فقلت: نعم.

فقال: والله تحب شيئا مليحا، وحكى لى قريبا مما ذكر ابن القلانسى، لكن سياق ابن القلانسى أبسط وأتم.

[حلم الشيخ وعفوه عمن ظلمه]

وسمعت الشيخ تقى الدين ابن تيمية ـ رحمة الله ـ يذكر: أن السلطان لما جلس بالشباك، أخرج من جيبه فتاوى لبعض الحاضرين فى قتله، واستفتاه فى قتل بعضهم.

قال: ففهمت مقصوده وأن عنده حنقا شديدا عليهم، لما خلعوه، وبايعوا الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير.

فشرعت فى مدحهم، والثناء عليهم، وشكرهم، وأن هؤلاء لو ذهبوا لم تجد مثلهم فى دولتك، أما[1] أنا فهم فى حلٍ من حقى ومن جهتى، وسكّنْتُ ما عنده عليهم.

قال: فكان القاضى زين الدين ابن مخلوف ـ قاضى المالكية ـ يقول بعد ذلك: ما رأينا أفتى[2] من ابن تيمية، لم نبق ممكنا فى السعى فيه، ولما قدَرَ علينا عفا عنا.

ثم إن الشيخ ـ بعد اجتماعه بالسلطان ـ نزل إلى القاهرة، وسكن بالقرب من مشهد الحسين، وعاد إلى بث العلم ونشره، والخلق يشتغلون عليه ويقرأون ويستفتونه ويجيبهم بالكلام والكتابة، والأمراء والأكابر والناس[3] يترددون إليه وفيهم من يعتذر إليه ويتنصَّل مما وقع.

فقال: قد جعلت الكل فى حل مما جرى.

وبعث الشيخ كتابا إلى أقاربه وأصحابه بدمشق، يذكر ما هو فيه من النعم العظيمة والخير الكثير، ويطلب فيه جملة من كتب العلم يرسل بها إليه، وقال فى هذا الكتاب:

---

(١) فى (ك) : أو، والمثبت من (ط).
(٢) فى (ط) : أتقى بدل أفتى.
(٣) موجودة فى هامش (ك).

[كتاب آخر من الشيخ إلى أقاربه بدمشق]

تعلمون أنَّا بحمد الله في نعم عظيمة، ومِنَن جسيمة، وآلاء متكاثرة، وأياد متظاهرة؛ لم تكن تخطر لأكثر الخلق ببال، ولا تدور لهم في خيال، والحمد لله حمدا كثيراً طيبا مباركا فيه، كما يحب ربنا ويرضاه[1] إلى أن قال:

والحق دائما في انتصار وعلو وازدياد، والباطل في انخفاض وسفال وَنَفاد. وقد أخضع الله رقاب الخصوم وأذلهم غاية الذل، وطلب أكابرهم من السِّلم والانقياد وما يطول وصفه.

ونحن - ولله الحمد - قد اشترطنا عليهم في ذلك من الشروط ما فيه عز الإسلام والسُّنَّة، وانقماع الباطل والبدعة، وقد دخلوا في ذلك[2] كله، وامتنعنا، حتى يظهر ذلك إلى الفعل، فلم نثق لهم بقول ولا عهد، ولم نجبهم إلى مطلوبهم، حتى يصير المشروط معمولا، والمذكور مفعولا، ويظهر من عز الإسلام والسنة للخاصة والعامة ما يكون من الحسنات التي تمحو سيئاتهم. وقد أمد الله من الأسباب التي فيها عز الإسلام / والسُّنَّة، وقمع الكفر والبدعة، بأمور يطول [٤١/أ] وصفها في كتاب. وكذلك جرى من الأسباب التي هي عز الإسلام وقمع اليهود والنصارى، بعد أن كانوا قد استطاعوا وحصلت لهم شوكة، وأعانهم من أعانهم على أمر فيه ذُلٌّ كبير من الناس، فلطف الله باستعمالنا في بعض ما أمر الله به ورسوله. وجرى في ذلك[2] مما فيه عز المسلمين، وتأليف قلوبهم، وقيامهم على اليهود والنصارى وذل المشركين وأهل الكتاب، مما هو من أعظم نعم الله على عباده المؤمنين، ووصف هذا يطول.

---

(١) في (ط) : ويرضى بدل من : ويرضاه.
(٢) كلمة ذلك مكتوبة في هامش (ك).

وقد أرسلت إليكم كتابا أطلب ما صنفته فى أمر الكنائس، وهى كراريس بخطى، قطع النصف البلدى، فترسلون ذلك إن شاء الله تعالى، وتستعينون على ذلك بالشيخ جمال الدين المزِّى، فإنه يُقلِّب الكتب ويخرج المطلوب، وترسلون أيضا من تعليق القاضى أبى يعلى الذى بخط القاضى أبى الحسين، إن أمكن الجميع وهو أحد عشر مجلدا، وإلا فمن أوله مجلدا، أو مجلدين، أو ثلاثة، وذكر كتبا يطلبها منهم.

ولم يزل الشيخ مستمرا على عادته من اشتغال الناس[1]، ونفعهم، وموعظتهم والاجتهاد فى سُبل الخير.

---

(١) فى (ط) : من الاشتغال بتعليم الناس، والمثبت من (ك).

[جماعة من الغوغاء يضربون الشيخ بجامع مصر]

فلما كان فى رابع شهر رجب من سنة إحدى عشرة وسبعمائة، جاء رجل - فيما بلغنى - إلى أخيه الشيخ شرف الدين وهو فى[1] مسكنه بالقاهرة.

فقال له: إن جماعة بجامع مصر قد تعصبوا على الشيخ، وتفردوا به[2] وضربوه.

فقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. وكان بعض أصحاب الشيخ جالساً عند شرف الدين. قال: فقمت من عنده، وجئت إلى مصر، فوجدت خلقا كثيرا من الحسينية وغيرها رجالاً وفرساناً يسألون عن الشيخ، فجئت فوجدته بمسجد الفخر كاتب المماليك على البحر، واجتمع عنده جماعة، وتتابع الناس، وقال له بعضهم : يا سيدى، قد جاء خلق من الحسينية، ولو أمرتهم أن يهدموا مصر كلها لفعلوا.

فقال لهم الشيخ: لأى شىء؟

قال: لأجلك.

فقال لهم: هذا يجوز[3]؟

فقالوا: نحن نذهب إلى بيوت هؤلاء الذين آذوك، فنقتلهم ونخرب دورهم فإنهم شَوَّشوا على الخلق، وأثاروا هذه الفتنة على الناس.

فقال لهم: هذا ما يحل.

قالوا: فهذا الذى قد فعلوه معك يحل؟ هذا شىء لا نصبر عليه، ولابد أن نروح إليهم ونقاتلهم على ما فعلوا.

---

(١) فى: ليست فى (ك)، وهى مثبته من (ط).
(٢) ليست بالأصل وزيدت لتوضيح المعنى.
(٣) فى (ط): يحق بدل من يجوز.

والشيخ ينهاهم ويزجرهم، فلما أكثروا فى القول قال لهم: إما أن يكون الحق لى، أو لكم، أو لله، فإن كان الحق لى فهم فى حلٍ منه، وإن كان لكم فإن لم تسمعوا منى فلا تستفتونى فافعلوا ما شئتم، وإن كان الحق لله فالله يأخذ حقه إن شاء كما يشاء.

قالوا: فهذا الذى فعلوه معك هو حلال لهم؟

قال: هذا الذى فعلوه قد يكونون مثابين عليه مأجورين فيه.

قالوا: فتكون أنت على الباطل وهم على الحق؟ فإذا كنت تقول: إنهم مأجورون فاسمع منهم ووافقهم على قولهم.

فقال لهم: ما الأمر كما تزعمون، فإنهم قد يكونون مجتهدين مخطئين ففعلوا ذلك باجتهادهم، والمجتهد المخطئ له أجر.

فلما قال لهم ذلك. قالوا: فقُمْ واركب معنا، حتى نجىء إلى القاهرة.

فقال: لا. وسأل عن وقت العصر فقيل له: إنه قريب، فقام قاصدا إلى الجامع لصلاة العصر.

فقيل له: ياسيدى قد تواصوا عليك ليقتلوك، وفى الجامع قد يتمكنون منك بخلاف غيره. فصلِّ حيث كان.

فأبى إلا المضىَّ إلى الجامع والصلاة فيه، فخرج وتبعه خلق كثير لا يرجعون عنه، فضاقت الطريق بالناس.

فقال له من كان قريبا منه: ادخل إلى هذا المسجد ـ مسجد فى الطريق ـ واقعد فيه حتى يخف الناس، لئلا يموت أحد من الزحام.

فدخل ولم يجلس فيه، ووقف وأنا معه، فلما خفّ الناس خرج يطلب الجامع العتيق. فمرَّ فى طريقه على قوم يلعبون بالشطرنج / على مسطبة بعض حوانيت [٤١/ب الحدادين، فنفض الرقعة وقلبها، فبُهِت الذى يلعب بها والناس من فعله ذلك.

ثم مشى قاصدا للجامع، والناس يقولون: هنا يقتلونه، الساعة يقتلونه.

فلما وصل إلى الجامع قيل: الساعة يغلق الجامع عليه وعلى أصحابه ويقتلون.

فدخل الجامع ودخلنا معه، فصلى ركعتين، فلما سلّم منها أذّن المؤذن بالعصر فصلى العصر، ثم افتتح بقراءة: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ ثم تكلم فى المسألة التى كانت الفتنة بسببها إلى أذان المغرب.

فخرج أتباع خصومه، وهم يقولون: والله لقد كنا غالطين فى هذا الرجل لقيامنا عليه، والله إن الذى يقوله هذا هو الحق، ولو تكلم هذا بغير الحق لم نُمهله إلى أن يسكت، بل كنا نبادر إلى قتله، ولو كان هذا يُبطنُ خلاف مَا يُظهر لم يَخْفَ علينا، وصاروا فرقتين يخاصم بعضهم بعضا.

قال: ورُحنا مع الشيخ إلى بيت ابن عمه على البحر فبتنا عنده.

[واقعة أخرى فى أذى الشيخ بمصر]

وقال الشيخ علم الدين: وفى العشر الأوسط من رجب من سنة إحدى عشرة، وقع أذى فى حق الشيخ تقى الدين بمصر، وظفر به بعض المبغضين له فى مكان خال، وأساء عليه الأدب، وحضر جماعة كثيرة من الجند وغيرهم إلى الشيخ بعد ذلك لأجل الانتصار له، فلم يجب إلى ذلك.

وكتب إلى المقاتلى يذكر أن ذلك وقع من فقيه بمصر، يعرف بالمبدى، حصل منه إساءة أدب، ثم بعد ذلك طلب وتودَّد وشَفَع فيه جماعة، والشيخ ما تكلّم ولا اشتكى، ولو حصل منه شكوى أهين ذلك غاية الإهانة، لكن قال : أنا ما أنتصر لنفسى.

وأقام الشيخ بعد هذا مدة بالديار المصرية.

[عودة الشيخ إلى دمشق فى معية الجيش]

ثم إنه توجه إلى الشام، صحبة الجيش المصرى قاصدا الغُزاة، فلما وصل معهم إلى عسقلان توجه إلى بيت المقدس، وتوجه منه إلى دمشق، وجعل طريقه على عَجْلون، وبعض بلاد السواد، وزُرَعَ. ووصل إلى دمشق فى أول يوم من شهر ذى القعدة سنة اثنتى عشرة وسبعمائة، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه وسروا سرورا عظيما بمقدمه وسلامته وعافيته، وكان مجموع غيبته عن دمشق سبع سنين وسبع جمع.

وقد توفى فى أثناء غيبة الشيخ عن دمشق غير واحد من كبار أصحابه وساداتهم، منهم: الشيخ الإمام القدوة الزاهد العارف عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبدالرحمن الواسطى، المعروف بابن شيخ الحزاميين توفى يوم السبت السادس والعشرين من شهر ربيع الآخر من سنة إحدى عشرة وسبعمائة.

وكان رجلا صالحا ورعا، كبير الشأن، منقطعا إلى الله، متوفرا على العبادة والسلوك.

وكان قد كتب رسالة[1] وبعثها إلى جماعة من أصحاب الشيخ وأوصاهم فيها بملازمة الشيخ، والحثّ على اتباع طريقته، وأثنى فيها على الشيخ ثناءً عظيما.

وهذه نسخة الرسالة التى كتبها: -

---

(١) كتب الناسخ فى هامش الأصل هذه العبارة: قف على هذه الرسالة العجيبة.

[رسالة التذكرة والاعتبار فى الانتصار للأبرار للواسطى فى الثناء على ابن تيميَّة]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسبحان الله وبحمده، تقدّس فى علوه وجلاله، وتعالى فى صفات كماله، وتعاظم فى سُبُحات فرادنيته وجماله، وتكرّم فى إفضاله وجمال نواله، جل أن يمثل بشيء من مخلوقاته، أو يحاط به، بل هو المحيط بمبتدعاته، لا تصوره الأوهام، ولا تُقلُّه الأجرام، ولا يعقل كنهَ ذاته البصائر ولا الأفهام.

الحمد لله مؤيد الحق وناصره، ودافع الباطل وكاسره، ومعز الطائع وجابره، ومذل الباغى وداثره، الذى سعد بحظوة الاقتراب من قدسه من أقام بأعباء الاتباع فى بنيانه وأسسه[1]، وفاز بمحبوبيته فى ميادين أنسه من بذل ما يهواه فى طلبه من قلبه وحسه، وتَثَبَّت فى مهامِهِ / الشكوك منتظرا زوال لبسه، سبحانه وبحمده له المثل الأعلى، والنور الأتم الأجلى، والبرهان الظاهر فى الشريعة المثلى. [٤٢/أ]

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، الذى شهدت بوحدانيته الفِطر وأسلم لربوبيته ذو العقل والنظر، وظهرت أحكامه فى الآى والسور، وتمَّ اقتداره فى تنزل القدر.

وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، الذى شهدت بنبوته الهواتف والأحبار فكان قبل ظهوره ينتظر، وتلاحقت عند مبعثه معجزاته من حَنين الجِذع وانقياد الشجر، صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه، أهل الخشية والحذر، والعلم المنور

(١) فى (ط) فى بنانه وأسه، والمثبت من (ك).

فهم قدوة التابع للأثر، وبعد: ـ فهذه رسالة سطرها العبد الضعيف الراجى رحمة ربه وغفرانه، وكرمه وامتنانه، أحمد بن إبراهيم الواسطى، عامله الله بما هو أهله، فإنه أهل التقوى وأهل المغفرة؛ إلى إخوانه فى الله السادة العلماء، والأئمة الأتقياء، ذوى العلم النافع، والقلب الخاشع، والنور الساطع، الذين كساهم الله كسوة الاتباع، وأرجو من كرمه أن يحققهم بحقائق الانتفاع.

السيد الأجل العالم، الفاضل فخر المحدثين، ومصباح المتعبدين، المتوجه إلى رب العالمين، تقى الدين أبى حفص عمر بن عبدالله بن عبدالأحد بن شقير.

والشيخ الأجلّ، العالم الفاضل، السالك الناسك، ذى العلم والعمل، المكتسى من الصفات الحميدة أجمل الحلل، الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الأحد الآمدى.

والسيد الأخ، العالم الفاضل، السالك الناسك، التقى الصالح، الذى سيماء نور قلبه لائح على صفحات وجهه، شرف الدين محمد بن المنجَّى.

والسيد الأخ، الفقيه العالم النبيل، الفاضل فخر المحصلين، زين الدين عبدالرحمن بن محمود بن عبيدان البعلبكى.

والسيد الأخ العالم الفاضل، السالك الناسك، ذى اللب الراجح، والعمل الصالح والسكينة الوافرة، والفضيلة الغامرة، نور الدين محمد بن محمد بن محمد بن الصائغ.

وأخية السيد الأخ، العالم التقى الصالح، الخيِّر الدَّيِّن، العالم الثقة، الأمين الراجح، ذى السمت الحسن، والدين المتين، فى اتباع السنن، فخر الدين محمد.

والأخ العزيز الصالح، الطالب لطريق ربه، والراغب فى مرضاته وحبه، العالم الفاضل، الولد شرف الدين محمد بن سعد الدين سعد الله بن نجيح، وغيرهم من اللائذين بحضرة شيخهم وشيخنا السيد الإمام، الأمَّة[1] الهمام، محيى السُّنَّة وقامع البدعة، ناصر الحديث، مفتى الفرق، الفائق عن الحقائق، وموصلها بالأصول الشرعية للطالب الذائق، الجامع بين الظاهر والباطن، فهو يقضى بالحق ظاهرا وقلبه فى العلى قاطن، أنموذج الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين الذين غابت عن القلوب سيرهم، ونسيت الأمة حذوهم وسبلهم، فذكرهم بها الشيخ، فكان فى دارس نهجهم سالكا، ولموات حذوهم محييا، ولأعنة قواعدهم مالكا: الشيخ الإمام تقى الدين أبو العباس، أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية، أعاد الله علينا بركته، ورفع إلى مدارج العلى درجته، وأدام توفيق السادة المبدوء بذكرهم وتسديدهم، وأجزل لهم حظهم، ومزيدهم.

السلام عليكم معشر الإخوان ورحمة الله وبركاته، جعلنا الله وإياكم ممن ثبت على قَرْع نوائب الحق جأشُه، واحتسب لله ما بذله من نفسه فى إقامة دينه، وما احتوشته من ذلك وحاشه، واحتذى حذو السُّبَّق الأولين، من المهاجرين والأنصار والذين لم تأخذهم فى الله لومة لائم، فما ضَرّهم مَنْ خذلهم ولا من خالفهم، مع/ [٤١/ب] قلة عددهم فى أول الأمر، فكانوا مع ذلك كلٌّ منهم مجاهد بدين الله قائم. ونرجو من كرم الله تعالى أن يوفقنا لأعمالهم، ويرزق قلوبنا قسطا من أحوالهم وينظمنا فى سلكهم، تحت سجعتهم[2] ولوائهم، مع قائدهم وإمامهم سيد المرسلين، وإمام المتقين، محمد صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

(١) كتب الناسخ فى الهامش مايلى: قال ابن مسعود ﷺ الأمة: معلم الخير.

(٢) سجعتهم: السجع: الكلام المقفى، أو النطق وكلام له فواصل، واستجعت الحمامه: رددت صوتها وسجع ذلك: قصد ذلك، والساجع: القاصد فى الكلام وغيره، انظر: القاموس المحيط.

أذكركم رحمكم الله بما أنتم به عالمون، عملا بقوله تعالى ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وأبدأ من ذلك بأن أوصى نفسى وإياكم بتقوى الله، وهى وصية الله تعالى إلينا وإلى الأمم من قبلنا، كما بين سبحانه وتعالى قائلا وموصيا: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾.

وقد علمتم تفاصيل التقوى على الجوارح والقلوب، بحسب الأوقات والأحوال: من الأقوال، والأعمال، والإرادات، والنيات.

وينبغى لنا جميعا أن لا نقنع من الأعمال بصورها حتى نطالب قلوبنا بين يدى الله تعالى بحقائقها. ومع ذلك فلتكن لنا همة علوية، تترامى إلى أوطان القرب، ونفحات المحبوبية والحب. فالسعيد من حظى من ذلك بنصيب. وكان مولاه منه على سائر الأحوال قريبا بخصوص التقريب، فيكتسى العبد من ذلك ثمرة الخشية والتعظيم للعزيز العظيم، فالحبُّ والخشية ثابتان فى الكتاب العزيز والسنة المأثورة. قال تعالى: ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾[1] ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾[2] وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾[3] وفى الحديث «أسألك حبك وحب من أحبك وحب عمل يقربنى إلى حبك»[4] وفى الحديث «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله»[5].

---

(١) المائدة: (٥٤). (٢) البقرة: (١٦٥). (٣) فاطر: (٢٨).

(٤) ورد الحديث فى: الترمذى: ٨٤/٥ (أبواب الدعوات. باب (٧٤) وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب.

(٥) ورد الحديث فى: البخارى: ٢٢٢/٤-٢٢٥ (أبواب الكسوف، باب الصدقة فى الكسوف)، مسلم: ٦١٨/٢ (كتاب الكسوف. باب صلاة الكسوف)، الإمام مالك فى الموطأ: ١٧١/١ (كتاب صلاة الكسوف - باب العمل فى صلاة الكسوف)، الترمذى: ٣٨٠/٣، ٣٨١ (أبواب الزهد. باب ماجاء فى قول النبى ﷺ - لوتعلمون ماأعلم لضحكتم قليلا).

ومعلوم أن الناس يتفاوتون فى مقامات الحب والخشية، فى مقام أعلى من مقام، ونصيب أرفع من نصيب، فليكن همة أحدنا من مقامات الحب والخشية أعلاه، ولا يقنع إلا بذروته وذراه، فالهمم القصيرة تقنع بأيسر نصيب، والهمم العلية تعلو مع الأنفاس إلى قريب الحبيب، لا يشغلنا عن ذلك ما هو دونه من الفضائل، والعاقل لا يقنع بأمر مفضول عن حال فاضل. ولتكن الهمة منقسمة على نيل المراتب الظاهرة، وتحصيل المقامات الباطنة، فليس من الإنصاف الانصباب إلى الظواهر والتشاغل عن المطالب العلوية ذوات الأنوار البواهر.

وليكن لنا جمعًا بين الليل والنهار ساعة، نخلو فيها بربنا جل اسمه وتعالى قدسه، نجمع بين يديه فى تلك الساعة همومنا، ونطرح أشغال الدنيا من قلوبنا فنزهد فيما سوى الله ساعة من نهار، فبذلك يعرف الإنسان حاله مع ربه، فمن كان له مع ربه حال، تحركت فى تلك الساعة عزائمه، وابتهجت بالمحبة والتعظيم سرائره، وطارت إلى العلى زفراته وكوامنه، وتلك الساعة أنموذج لحالة العبد فى قبره، حين خلوه عن ماله وحِبِّه؛ فمن لم يخل قلبه لله ساعة من نهار، لما احتوشه من الهموم الدنيوية وذوات الآصار، فليعلم أنه ليس له ثَم رابطة علوية، ولا نصيب من المحبة ولا المحبوبية، فليبك على نفسه، ولا يرضى منها إلا بنصيب من قرب ربه وأنسه.

فإذا حصلت لله تلك الساعة، أمكن إيقاع الصلوات الخمس على نمطها من الحضور والخشوع والهيبة للرب العظيم فى السجود والركوع، فلا ينبغى لنا أن نبخل على أنفسنا فى اليوم والليلة من أربع وعشرين ساعة بساعة واحدة لله الواحد القهار، نعبده فيها حق عبادته، ثم نجتهد على إيقاع الفرائض على ذلك النهج فى رعايته، وذلك طريق لنا جميعا إن شاء الله تعالى إلى / النفوذ، فالفقيه [٤٣/أ]

إذا لم ينفذ فى علمه حصل له الشطر الظاهر، وفاته الشطر الباطن، لاتصاف قلبه بالجمود، وبعده فى العبادة والتلاوة عن لين القلوب والجلود؛ كما قال تعالى: ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾[1] وبذلك يرتقى الفقيه عن فقهاء عصرنا، ويتميز به عنهم، فالنافذ من الفقهاء له البصيرة المنوَّرة، والذَّوق الصحيح، والفراسة الصادقة، والمعرفة التامة، والشهادة على غيره بصحيح الأعمال وسقيمها. ومن لم ينفذ لم تكن له هذه الخصوصية وأبصر بعض الأشياء وغاب عنه بعضها.

فيتعين علينا جميعا طلب النفوذ إلى حضرة قرب المعبود، ولقائة بذوق الإيقان لنعبده كأننا نراه، كما جاء فى الحديث.

وبعد ذلك الخطوة فى هذه الدار تلقاء رسول الله ﷺ، غيبا فى غيب، وسرا فى سر، بالعكوف على معرفة أيامه وسننه واتباعها، فتبقى البصيرة شاخصة إليه، تراه عيانا فى الغيب، كأنها معه ﷺ، وفى أيامه، فيجاهد على دينه، ويبذل ما استطاع من نفسه فى نصرته.

وكذلك من سلك فى طريق النفوذ يُرجَى له أن يلقى ربه بقلبه غيبا فى غيب وسرًا فى سر، فيرزق القلب قسطا من المحبة والخشية، والتعظيم اليقينى، فيرى الحقائق بقلبه من وراء ستر رقيق، وذلك هو المعبر عنه بالنفوذ، ويصل إلى قلبه من وراء ذلك الستر ما يغمره من أنوار العظمة والجلال والبهاء والكمال، فيتنور العلم الذى اكتسبه العبد، ويبقى له كيفية أخرى زائدة عَلَى الكيفية المعهودة من البهجة والأنوار والقوة فى الإعلان والإسرار.

فلا ينبغى لنا أن نتشاغل عن نيل هذه الموهبة السنية، بشواغل الدنيا وهمومها

---

(١) الزمر: (٢٣).

فننقطع بذلك - كما تقدم - بالشىء المفضول عن الأمر المهم الفاضل، فإذا سلكنا فى ذلك برهة من الزمان، ورزقنا الله تعالى نفوذا، وتمكنا فى ذلك النفوذ؛ فلا تعود هذه العوارض الجزئيات الكونيات تؤثر فينا إن شاء الله تعالى.

وليكن شأن أحدنا اليوم: التعديل بين المصالح الدنيوية، والفضائل العلمية والتوجيهات القلبية، ولا يقنع أحدنا بأحد هذه الثلاثة عن الآخرين، فيفوته المطلوب، ومتى اجتهد فى التعديل؛ فإنه إن شاء الله تعالى بقدر ما يحصل للعبد جزء[1] من أحدهم، حصل جزءا من الآخر، ثم بالصبر على ذلك تجتمع الأجزاء المحصلة، فتصير مرتبة عالية عند النهاية - إن شاء الله تعالى.

هذا وإن كنتم - أيدكم الله تعالى - بذلك عالمين، لكن الذكرى تنفع المؤمنين.

فصل

واعلموا - أيدكم الله - أنه يجب عليكم أن تشكروا ربكم تعالى فى هذا العصر حيث جعلكم بين جميع أهل هذا العصر كالشامة البيضاء فى الحيوان الأسود. لكن من لم يسافر إلى الأقطار، ولم يتعرف أحوال الناس، لا يدرى قدر ما هو فيه من العافية، فأنتم إن شاء الله تعالى فى حق هذه الأمة كما قال تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[2] وكما قال تعالى ﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾[3].

أصبحتم إخوانى تحت سَنْجق[4] رسول الله ﷺ، إن شاء الله تعالى مع شيخكم

(١) فى (ك) : جزءا بالنصب، والمثبت من (ط).
(٢) آل عمران: (١١٠).
(٣) الحج : (٤١).
(٤) أى تحت لوائه ورايته.

وإمامكم، وشيخنا وإمامنا المبدوء بذكره - رضى الله عنه - قد تميزتم عن جميع أهل الأرض، فقهائها وفقرائها، وصوفيتها، وعوامها، بالدين الصحيح.

وقد عرفتم ما أحدث الناس من الأحداث، فى الفقهاء والفقراء والصوفية والعوام، فأنتم اليوم فى مقابلة / الجهمية من الفقهاء، نصرتم الله ورسوله فى [٤٣/ب] حفظ ما أضاعوه من دين الله، تصلحون ما أفسدوه من تعطيل صفات الله.

وأنتم أيضا فى مقابلة من لم ينفذ فى علمه من الفقهاء إلى رسول الله ﷺ وجمد على مجرد تقليد الأئمة، فإنكم قد نصرتم الله ورسوله فى تنفيذ العلم إلى أصوله من الكتاب والسنة، واتحاد أقوال الأئمة، تأسِّيًا بهم لا تقليدًا لهم.

وأنتم أيضا فى مقابلة ما أحدثته أنواع الفقراء من الأحمدية والحريرية من إظهار شعار المكاء والتّصْدية[1]، ومؤاخاة النساء والصبيان، والإعراض عن دين الله إلى خرافات مكذوبة عن مشايخهم، واستنادهم إلى شيوخهم وتقليدهم فى صائب حركاتهم وخطائها، وإعراضهم عن دين الله الذى أنزله من السماء، فأنتم بحمد الله تجاهدون هذا الصنف أيضا كما تجاهدون من سبق؛ حفظتم من دين الله ما أضاعوه، وعرفتم ما جهلوه تُقَوِّمون من الدين ما عوجوه، وتصلحون منه ما أفسدوه.

وأنتم أيضا فى مقابلة رسمية الصوفية والفقهاء، وما أحدثوه من الرسوم الوضعية، والآصار الابتداعية، من التصنع باللباس، والأطراق والسجادة لنيل الرزق من المعلوم، ولبس البقيار والأكمام الواسعة فى حضرة الدرس، وتنميق الكلام، والعَدْو بين يدى المدرس راكعين، حفظا للمناصب، واستجلابا للرزق والإدرار.

---

(١) المكاء: هو التصفير بالفم، أو تشبيك الأصابع والنفخ فيها لإحداث الصفير، التصدية: التصفيق. انظر: القاموس المحيط.

فخلط هؤلاء فى عبادة الله غيره، وتألهوا سواه، ففسدت قلوبهم من حيث لا يشعرون، يجتمعون لغير الله بل للمعلوم، ويلبسون للمعلوم وكذلك فى أغلب حركاتهم يراعون ولاة المعلوم، فضيعوا كثيرا من دين الله وأماتوه، وحفظتم أنتم ما ضيعوه، وقومتم ماعوجوه.

وكذلك أنتم فى مقابلة ما أحدثته الزنادقة من الفقراء والصوفية من قولهم بالحلول والاتحاد، وتأله المخلوقات، كاليونسية، والعربية، والصدرية[1]، والسبعينية،[2] والتلمسانية[3]؛ فكل هؤلاء بدلوا دين الله تعالى وقلبوه، وأعرضوا عن شريعة رسول الله ﷺ.

فاليونسية يتألهون شيخهم، ويجعلونه مظهرًا للحق، ويستهينون بالعبادات ويظهرون بالفرعنة والصولة، والسفاهة والمحالات، لما وقر فى بواطنهم من الخيالات الفاسدة، وقبلتهم الشيخ يونس، ورسوله الله ﷺ والقرآن المجيد عنهم بمعزل، يؤمنون به بألسنتهم، ويكفرون به بأفعالهم.

وكذلك الاتحادية، يجعلون الوجود مظهرا للحق، باعتبار أن لا متحرك فى الكون سواه، ولا ناطق فى الأشخاص غيره. وفيهم من لا يفرق بين الظاهر

---

(١) الصدرية: أتباع صدر الدين القونوى (محمد بن اسحاق بن محمد بن يوسف) توفى سنة (٦٧٣هـ) من أتباع ابن عربى ومن القائلين بوحدة الوجود، تكلم عنه ابن تيمية كثيرا فى رسالته السبعينية انظر عنه وعن فرقته: الطبقات الكبرى للشعرائى ١/١٧٧، الكتاب التذكارى لمحيى الدين بن عربى مقال المرحوم ابو الوفا التفتازانى من ٣٤٣ ـ ٣٤٤، ط سنة ١٩٦٩م.

(٢) السبعينية: أتباع أبى محمد عبدالحق بن ابراهيم المعروف بابن سبعين ولد سنة (٦١٣هـ) وتوفى سنة (٦٦٩هـ) لهم آراء أخذوها عن شيخهم ابن سبعين خرجوا بها عن مذهب أهل السنة وتبرأ منهم المعتدلون من الصوفية، أنظر عنهم وعن شيخهم الذهبى ٥/٣٢٩، الطبقات الكبرى للشعرانى ١/١٧٧ لسان الميزان ٢/٣٩٢ نفح الطيب ٢/٣٩٥، فوات الوفيات ١/٥١٦ ـ ٥١٨.

(٣) التلمسانية هم أتباع عفيف الدين التلمسانى (سليمان بن عبدالله بن على الكوفى) قيل عنه: كان به ميل إلى النصرانية وكان يدعى العرفان، أنظر عنه البداية والنهاية ١٢/٣٢٦، النجوم الزاهره ٨/٢٩ ـ ٣١ وانظر عنه كذلك درء تعارض العقل والنقل ١/١٦٣ هـ.

والمظهر فيجعل الأمر كموج البحر، فلا يفرق بين عين الموجة وعين البحر، حتى إن أحدهم يتوهم أنه الله، فينطق عَلَى لسانه، ثم يفعل ما أراد من الفواحش والمعاصى، لأنه يعتقد ارتفاع الثنوية فمَنِ العابد ومَنِ المعبود؟ صار الكل واحدا - اجتمعنا بهذا الصنف فى الرُّبُط والزوايا -

فأنتم بحمد الله قائمون فى وجه هؤلاء أيضا تنصرون الله ورسوله، وتذبُّون عن دينه، وتعملون عَلَى إصلاح ما أفسدوا وعَلَى تقويم ما عوجوا، فإن هؤلاء محوا رَسْمَ الدين، وقلعوا أثره، فلا يقال أفسدوا ولا عوجوا بل بالغوا فى هدم الدين ومحو أثره، ولا قربة أفضل عند الله من القيام بجهاد هؤلاء بمهما أمكن، وتبيين مذاهبهم للخاص والعام، وكذلك جهاد كل من ألحد فى دين الله وزاغ عن حدوده وشريعته، كائناً فى ذلك ما كان من فتنة وقول، كما قيل:

إذا رضى / الحبيب فلا أبالى * أقام الحَىُّ أم جَدَّ الرحيل [٤٤/أ]

وبالله المستعان.

وكذلك أنتم بحمد الله قائمون بجهاد الأمراء والأجناد، تصلحون ما أفسدوا من المظالم والإجحافات، وسوء السيرة الناشئة عن الجهل بدين الله، بما أمكن وذلك لبعد العهد عن رسول الله ﷺ، لأن اليوم له سبعمائة سنة، فأنتم بحمد الله تجددون ما دثر من ذلك ودُثر.

وكذلك أنتم بحمدٍ قائمون فى وجوه العامة، مما أحدثوا من تعظيم الميلادة، والقلندس، وخميس البيض. والشعانين[1]، وتقبيل القبور والأحجار، والتوسل عندها، ومعلوم أن ذلك كله من شعائر النصارى والجاهلية، وإنما بُعث رسول الله

(١) فى ط: الشعانين، والمثبت فى (ك)، والشعانين: عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع يخرجون فيه بصلبانهم. انظر: القاموس المحيط.

ﷺ ليوحد الله ويعبد وحده، ولايُتألهُ معه شىء من مخلوقاته. بعثه الله تعالى ناسخا لجميع الشرائع والأديان والأعياد، فأنتم بحمد الله قائمون بإصلاح ما أفسد الناس من ذلك.

وقائمون فى وجوه من ينصر هذه البدع من مارقى الفقهاء، أهل الكيد والضرار لأولياء الله، أهل المقاصد الفاسدة، والقلوب التى هى عن نصر الحق حائدة.

وإنما أعرض هذا الضعيف عن ذكر قيامكم فى وجوه التتر والنصارى، واليهود، والرافضة، والمعتزلة، والقدَرية، وأصناف أهل البدع والضلالات؛ لأن الناس متفقون على ذمِّهم، يزعمون أنهم قائمون برد بدعتهم، ولايقومون بتوفية حق الرد عليهم كما تقومون، بل يعلمون ويجبنون عن اللقاء فلا يجاهدون، وتأخذهم فى الله اللائمة، لحفظ مناصبهم، وإبقاءً على أعراضهم.

سافرنا البلاد فلم نر من يقوم بدين الله فى وجوه مثل هؤلاء حق القيام سواكم، فأنتم القائمون فى وجوه هؤلاء إن شاء الله؛ بقيامكم بنصرة شيخكم وشيخنا - أيده الله - حق القيام، بخلاف من ادعى من الناس أنهم يقومون بذلك.

فصبرًا يا إخوانى على ما أقامكم الله فيه، من نصرة دينه، وتقويم اعوجاجه وخذلان أعدائه، واستعينوا بالله، ولا تأخذكم فيه لومة لائم، وإنما هى أيام قلائل والدين منصور، قد تولىّ الله إقامته ونصره، ونصرة من قام به من أوليائه، إن شاء الله، ظاهراً وباطنا.

وابذلوا فيما أقمتم فيه ما أمكنكم من الأنفس والأقوال، والأفعال، والأموال عسى أن تلحقوا بذلك بسلفكم أصحاب رسول الله ﷺ، فلقد عرفتم ما لقوا فى

ذات الله، كما قال خُبَيْب[1] حين صُلب على الجذع.

وذلك فى ذات الإله، وإن يشأ

يُبارِك على أوصال شِلْوٍ مُمَزَّع

وقد عرفتم ما لقى رسول الله ﷺ من الضر والفاقة فى شِعْب بنى هاشم، وما لقى السابقون الأولون من التعذيب والهجرة إلى الحبشة، وما لقى المهاجرون والأنصار فى أحُد، وفى بئر مَعُونة، وفى قتال أهل الرِّدَّة، وفى جهاد الشام والعراق، وغير ذلك.

وانظروا كيف بذلوا نفوسهم وأموالهم لله، حُبًّا له، وشوقاً إليه، فكذلك أنتم - رحمكم الله - كل منكم على قدر إمكانه واستطاعته، بفعله، وبقوله، وبخطه وبقلبه، وبدعائه؛ كل ذلك جهاد. أرجو أن لا يخيب من عامل الله بشىء من ذلك إذ لاعيش إلا فى ذلك، ولو لم يكن فيه إلا هممكم، مزاحمةً لأهل الزيغ، مشوشة لهم، تبغضونهم فى الله، وتطلبون استقامتهم فى دين الله، وذلك من الجهاد الباطن إن شاء الله تعالى.

فصل

ثم اعرفوا إخوانى حق ما أنعم الله عليكم من قيامكم بذلك، واعرفوا / [٤٤/ب]

(١) هو خبيب بن عدى الأنصارى أحد صحابة رسول الله ﷺ، وشهيد غزوة الرجيع سنة (٤ هـ) وكانت هذه الغزوة بين سرية من المسلمين أميرهم عاصم بن ثابت - رضي الله عنه -، وكان خبيب أحد أفرادها فتجمع حولهم بنو لحيان على بعد ثمانية أميال من عسفان، ثم أمنهم الكفار فنزلوا على عهدهم فغدروا بهم وأسروا خبيبا وباعوه بمكة فاشتراه بنوا الحارث بن عامر، وكان خبيب هو الذى قتل الحارث يوم بدر، وحبسوه، وظهر على يديه من الكرامة فى الحبس أمور عجيبة ثم صلبوه على مشهد من الناس وقبل أن يسلبهم قال:

ولست أبالى حين أقتل مسلما ● على أى شقٍ كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ● يبارك على أوصال شلو ممزع

انظر فى ذلك: صحيح البخارى: (كتاب المغازى - قصة غزوة الرجيع)، والبداية والنهاية: ٢/٤٧٧ - ٤٨٤

طريقكم إلى ذلك، واشكروا الله تعالى عليها. وهو أن أقام لكم ولنا فى هذا العصر مثل سيدنا الشيخ الذى فتح الله به أقفال القلوب، وكشف به عن البصائر عمى الشبهات وحيرة الضلالات، حيث تاه العقل بين هذه الفرق، ولم يهتد إلى حقيقة دين الرسول ﷺ.

ومن العجب أن كلا منهم يدعى أنه على دين الرسول، حتى كشف الله لنا ولكم بواسطة هذا الرجل عن حقيقة دينه الذى أنزله من السماء وارتضاه لعباده.

واعلموا أن فى آفاق الدنيا أقواما يعيشون أعمارهم بين هذه الفرق، يعتقدون أن تلك البدع حقيقة الإسلام. فلا يعرفون الإسلام إلا هكذا.

فاشكروا الله الذى أقام لكم فى رأس السبعمائة من الهجرة من بَيَّن لكم أعلام دينكم. وهداكم الله به وإيانا إلى نهج شريعته. وبين لكم بهذا النور المحمدى ضلالات العبّاد وانحرافاتهم، فصرتم تعرفون الزائغ من المستقيم، والصحيح من السقيم. وأرجو أن تكونوا أنتم الطائفة المنصورة. الذين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم. وهم بالشام إن شاء الله تعالى.

فصـــل

ثم إذا علمتم ذلك، فاعرفوا حق هذا الرجل الذى هو بين أظهركم وقدره، ولايعرف حقه وقدره إلا من عرف دين الرسول - ﷺ - وحقه وقدره. فمن وقع دين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قلبه بموقع يستحقه، عرف حق ما قام هذا الرجل به بين أظهر عباد الله، يقوم معوجهم، ويصلح فسادهم، ويلم شعثهم، جهد إمكانه، فى الزمان المظلم، الذى انحرف فيه الدين، وجهلت السنن، وعهدت البدع، وصار المعروف منكرا، والمنكر معروفا، والقابض على دينه، كالقابض على الجمر، فإن أجر من قام بإظهار هذا النور فى هذه الظلمات لا يوصف، وخطره لا يعرف.

هذا إذا عرفتموه أنتم من حيثية الأمر الشرعى الظاهر. فهنا قوم عرفوه من حيثيه أخرى من الأمر الباطن. ومن يقوده إلى معرفة أسماء الله تعالى وصفاته، وعظمة ذاته، واتصال قلبه بأشعة أنوارها، والاحتظاء من خصائصها وأعلى أذواقها، ونفوذه من الظاهر إلى الباطن، ومن الشهادة إلى الغيب، ومن الغيب إلى الشهادة، ومن عالم الخلق إلى عالم الأمر، وغير ذلك مما لايمكن شرحه فى كتاب.

فشيخكم ـ أيدكم الله تعالى ـ عارف بذلك، عارف بأحكام الله الشرعية، عارف بأحكامه القدرية، عارف بأحكام أسمائه وصفاته الذاتية، ومثل هذا العارف قد يُبصّر ببصيرته تنزُّل الأمر بين طبقات السماء والأرض. كما قال تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[1].

فالناس يحسون بما يجرى فى عالم الشهادة. وهؤلاء بصائرهم شاخصة إلى الغيب، ينتظرون ما تجرى به الأقدار، يشعرون بها أحياناً عند تنزلها.

فلا تهونوا أمر مثل هؤلاء فى انبساطهم مع الخلق، واشتغال أوقاتهم بهم فإنهم كما حكى عن الجنيد ـ رحمه الله ـ أنه قيل له: «كم تنادى على الله تعالى بين الخلق؟ فقال: أنا أنادى على الخلق بين يدى الله».

فالله الله فى حفظ الأدب معه، والانفعال لأوامره، وحفظ حرماته فى الغيب والشهادة، وحبّ من أحبَّه، ومجانبة من أبغضه وتنقصه و ردّ غيبته، والانتصار له فى الحق.

واعلموا رحمكم الله، أن هنا من سافر إلى الأقاليم، وعرف الناس وأذواقهم وأشرف على غالب أحوالهم /، فوالله، ثم والله، ثم والله، لم يُر تحت أديم السماء [٤٥/أ]

(١) الطلاق : (١٢).

مثل شيخكم : علمًا، وعملاً، وحالاً، وخلقًا، واتباعًا، وكرمًا، وحلمًا؛ فى حق نفسه، وقيامًا فى حق الله عند انتهاك حرماته، أصدقُ الناس عقدا وأصَحُّهم علما وعزما، وأنفذهم وأعلاهم فى انتصار الحق وقيامه همة وأسخاهم كفا، وأكملهم اتباعا لنبيه محمد ﷺ.

ما رأينا فى عصرنا هذا من تَستجلى النبوةُ المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، بحيث يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة.

وبعد ذلك كله فقول الحق فريضة، فلا ندعى فيه العصمة عن الخطأ، ولا ندَّعى إكماله لغايات الخصائص المطلوبة، فقد يكون فى بعض الناقصين خصوصية مقصودة مطلوبة، لا يتم الكمال إلا بهاتيك الخصوصية وهذا القدر لا يجهله منصف عارف. ولولا أن قول الحق فريضة، والتعصب[1] للإنسان هوى لأعرضتُ عن ذكر هذا، لكن يجب قول الحق إن ساء أو سر. وبالله المستعان.

إذا علمتم ذلك - أيدكم الله تعالى - فاحفظوا قلبه، فإن مثل هذا قد يُدْعَى عظيما فى ملكوت السماء، واعملوا على رضاه بكل ممكن، واستجلبوا وُدَّهُ لكم، وحبه إياكم بمهما قدرتم عليه؛ فإن مثل هذا يكون شهيدًا، والشهداء فى العصر تبع لمثله، فإن حصلت لكم محبته رجوت لكم بذلك خصوصية أكتمها ولا أذكرها، وربما يفطن لها الأذكياء منكم، وربما سمحت نفسى بذكرها، كيلا أكتم عنكم نصحى.

وتلك الخصوصية: هى أن ترزقوا قسطا من نصيبه الخاص المحمدى مع الله تعالى، فإن ذلك إنما يسرى بواسطة محبة الشيخ للمريد، واستجلاب المريد محبة الشيخ بتأتيه معه، وحفظ قلبه وخاطره، واستجلاب ودُّه ومحبته، فأرجو بذلك لكم قسطا مما بينه وبين الله تعالى، فضلا عما تكسبونه من ظاهر علمه وفوائده وسياسته، إن شاء الله تعالى.

---

(١) فى (ك) : والتعب، والمثبت فى (ط).

وأرجو أنكم إذا فتحتم بينكم وبين ربكم - تعالى - بصحيح المعاملة بحفظ تلك الساعة فى الصلوات الخمس والتهجد؛ أن ينفتح لكم معرفة حقيقة هذا الرجل ونبأه إن شاء الله تعالى.

وإنما ذكرت حفظ الساعة، وإن كان فى الصلوات الخمس كفاية إذا قام العبد فيها لحق الله تعالى؛ وذلك لأن الصلوات قد تهجم على العبد وقلبه مأخوذ فى جواذب الظاهر، فلا يعرف نصيب قلبه من ربه فيها، فإذا كان للعبد ساعة بين الليل والنهار عرف فيها نصيب قلبه من ربه، فإذا جاءت الصلوات، عرف فيها حاله وزيادته ونقصانه باعتبار حالته مع ربه فى تلك الساعة، وبالله المستعان.

فصـــل

وإذا عرفتم قدر دين الله - تعالى - الذى أنزله على رسوله ﷺ، وعرفتم قدر حقائق الدين الذى يعبر عنه بالنفوذ إلى الله تعالى، والحظوة بقربه، ثم عرفتم اجتماع الأمرين فى شخص معين، ثم عرفتم انحراف الأمة عن الصراط المستقيم، وقيام الرجل المعين الجامع للظاهر والباطن فى وجوه المنحرفين، ينصر الله - تعالى - ودينه، ويقوم معوجهم، ويلمُّ شعثهم، ويصلح فاسدهم. ثم سمعتم بعد ذلك طعنَ طاعن عليه من أصحابه أو من غيرهم، فإنه لا يخفى عنكم مُحِقٌّ هو أو مبطل؟ إن شاء الله.

وبرهان ذلك: أن المحق طالب الهدى والحق بغرض عند من أنكر عليه ذلك الفعل الذى أنكره، إما بصيغة السؤال أو الاستفهام بالتلطف عن ذلك النقص الذى رآه فيه، أو بلغه عنه، فإن وجد هناك اجتهادًا، أو رأيا أو حجة، قنع بذلك/ [٤٥/ب] وأمسك، ولم يُفْشِ ذلك إلى غيره، إلا مع إقامة ما بينه من الاجتهاد، أو الرأى،

أو الحجة، ليَسُد الخَلَل بذلك. فمثل هذا يكون طالب هدى، محبًّا، ناصحا، يطلب الحق، ويروم تقويم أستاذه عن انحرافه بتعريفه وتفويضه، كما يروم أستاذه تقويمه، كما قال بعض الخلفاء الراشدين[1] ـ ولا يحضرنى اسمه ـ : إذا اعوججت فقومونى.

فهذا حق واجب بين الأستاذ والطالب، فإن الأستاذ يطلب إقامة الحق على نفسه ليقوم به، ويتَّهم نفسه أحيانًا، ويتعرّف أحواله من غيره، مما عنده من النّصَفة وطلب الحق، والحذر من الباطل، كما يطلب المريد ذلك من شيخه من التقويم، وإصلاح الفاسد من الأعمال والأقوال.

ومن براهين المحق: أن يكون عدلا فى مدحه، عدلا فى ذمّه، لايحمله الهوى عند وجود المراد على الإفراط فى المدح، ولا يحمله الهوى عند تعذر المقصود على نسيان الفضائل والمناقب، وتعديد المساوئ والمثالب.

فالمحق فى حالتى غضبه ورضاه ثابت على مدح من مدحه وأثنى عليه، ثابت على ذم من ثلبه وحطَّ عليه.

وأما من عمل كراسة فى عد مثالب هذا الرجل القائم بهذه الصفات الكاملة بين أصناف هذا العالَم المنحرف، فى هذا الزمان المظلم، ثم ذكر مع ذلك شيئاً من فضله، ويعلم أنه ليس المقصود ذكر الفضائل، بل المقصود تلك المثالب، ثم أخذ الكراسة يقرؤها على أصحابه واحدا واحدا فى خلوة، يوقف بذلك هممهم عن شيخهم، ويريهم قدحا فيه، فإنى أستخير الله ـ تعالى ـ وأجتهد رأيى فى مثل هذا الرجل، وأقول انتصارًا لمن ينصر دين الله، بين أعداء الله فى رأس السبعمائة، فإن نصرة مثل هذا الرجل واجبة على كل مؤمن كما قال وَرَقَة بن نوفل: «لئن

---

(١) فى هامش (ك): هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، كذا فى المنقول عنه.

أدركني يومُك لأنصرنك نصراً مُؤزرا[1]» ثم أسأل الله تعالى العصمة فيما أقول عن تعدى الحدود والإخلاد إلى الهوى.

أقول: مثل هذا ـ ولا أعَيِّن الشخص المذكور بعينه ـ لا يخلو من أمور: ـ

أحدها: أن يكون ذا سن تغير رأيه لسنه؛ لا بمعنى أنه اضطرب، بل بمعنى أن السن إذا كبر يجتهد صاحبه للحق، ثم يضعه فى غير مواضعه؛ مثلا يجتهد أن إنكار المنكر واجب، وهذا منكر، وصاحبه قد راج على الناس، فيجب علىَّ تعريف الناس ما راج عليهم، وتغيب عليه المفاسد فى ذلك.

فمنها: تخذيل الطلبة، وهم مضطرون إلى محبة شيخهم، ليأخذوا عنه، فمتى تغيرت قلوبهم عليه ورأوا فيه نقصا حرموا فوائده الظاهرة والباطنة، وخيف عليهم المقت من الله أولاً، ثم من الشيخ ثانياً.

المفسدة الثانية: إذا شعر أهل البدع الذين نحن وشيخنا قائمون الليل والنهار بالجهاد أو التوجه فى وجوههم لنصرة الحق، أن فى أصحابنا من ثلب رئيس القوم بمثل هذا؛ فإنهم يتطرقون بذلك إلى الاشتفاء بأهل الحق ويجعلونه حجة لهم.

المفسدة الثالثة: تعديد المثالب فى مقابلة ما يستغرقها ويزيد عليها بأضعاف كثيرة من المناقب؛ فإن ذلك ظلم وجهل.

والأمر الثانى، من الأمور الموجبة لذلك: تغير حاله وقلبه، وفساد سلوكه بحسدٍ كان كامناً فيه، وكان يكتمه بُرهة من الزمان، فظهر ذلك الكمين فى قالبٍ، صورته حق ومعناه باطل.

---

(1) ورد هذا الحديث فى: البخارى: ٥٢/١٠ ـ ٦١ (كتاب بدء الوحى ـ باب أول مابدئ به رسول الله ﷺ ـ من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم)، مسلم: ١٣٩/١ ـ ١٤٢ (كتاب الإيمان ـ باب بدء الوحى إلى رسول الله ـ ﷺ)، الإمام أحمد فى مسنده: ٢٢٣/٦.

فصـــل

وفى الجملة ـ أيَّدكم الله ـ إذا رأيتم طاعنا فى صاحبكم فافتقدوه فى عقله أولا، ثم فى فهمه، ثم فى صدقه، ثم / فى سنِّه، فإذا وجدتم الاضطراب فى عقله [٤٦/أ] دلّكم على جهله بصاحبكم، ومايقول فيه وعنه، ومثله قلة الفهم، ومثله عدم الصدق، أو قصوره؛ لأن نقصان الفهم يؤدى إلى نقصان الصدق بحسب ماغاب عقله عنه، ومثله العلو فى السنّ فإنه يشيخ فيه الرأى والعقل كما يشيخ فيه القوى الظاهرة الحسية، فاتهموا مثل هذا الشخص واحذروه، وأعرضوا عنه إعراض مداراة بلا جدل ولا خصومة.

وصفة الامتحان[1] بصحة إدراك الشخص وعقله وفهمه: أن تسألوه عن مسألة سلوكية، أو علمية؛ فإذا أجاب عنها أوردوا على الجواب إشكالا متوجها بتوجيه صحيح، فإن رأيتم الرجل يروح يمينا وشمالا، ويخرج عن ذلك المعنى إلى معان خارجة، وحكايات ليست فى المعنى حتى ينسى رب المسألة سؤاله، حيث تَوَّهه عنه بكلام لا فائدة فيه، فمثل هذا لا تعتمدوا على طعنه، ولا على مدحه فإنه ناقص الفطرة، كثير الخيال، لا يثبت على تحرى المدارك العلمية، ولا تنكروا مثل إنكار هذا؛ فإنه اشتهر قيام ذى الخوَيصرة التميمى إلى رسول الله ﷺ وقوله له «اعدل ـ فانك لم تعدل ـ إن هذه قسمة لم يرد بها وجه الله تعالى[2]» أو نحو ذلك.

فوقوع هذا وأمثاله من بعض معجزات الرسول ﷺ فإنه قال: «لتركَبُنَّ سَنَنَ من

---

(١) فى هامش (ك) كتب الناسخ مايلى، امتحان المحق والمبطل.

(٢) ورد الحديث فى البخارى: ٢٣٩/١٢ (كتاب فرض الخمس. باب ماكان النبى ﷺ يعطى المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه ...)، مسلم: ٧٤٤/٢ (كتاب الزكاة. باب ذكر الخوارج وصفاتهم) الإمام أحمد فى مسنده: ٢١٩/٢.

كان قبلكم حَذوَ القُذَّة بالقُذة[1]» وإن كان ذلك فى اليهود والنصارى، لكن لما كانوا منحرفين عن نَهْج الصواب، فكذلك يكون فى هذه الأمة من يحذو حَذوَ كل منحرف وجد فى العالم، متقدما كان أو متأخراً، حَذو القُذَّة بالقذة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍ لدخلوه.

يا سبحان الله العظيم، أين عقول هؤلاء؟! أعميت أبصارهم وبصائرهم؟ أفلا يرون ما الناس فيه من العمى والحيرة فى الزمان المظلم المدلهم، الذى قد ملكت فيه الكفار معظم الدنيا؟ وقد بقيت هذه الخطة الضيقة، يشم المؤمنون فيها رائحة الإسلام، وفى هذه الخطة الضيقة من الظلمات من علماء السوء والدُعاة إلى الباطل وإقامته، ودَحْض الحق وأهله مالا يحصر فى كتاب. ثم إن الله تعالى قد رحم هذه الأمة بإقامة رجل قوى الهمة، ضعيف التركيب، قدفرَّق نفسه وهمَّهُ فى مصالح العالم، وإصلاح فسادهم، والقيام بمهماتهم، وحوائجهم، ضمن ماهو قائم بصدد البدع والضلالات، وتحصيل مواد العلم النبوى الذى يصلح به فساد العالَم، ويردهم إلى الدين الأول العتيق جهد إمكانه، وإلا فأين حقيقة الدين العتيق؟

فهو مع هذا كله قائم بجملة ذلك وَحْده، وهو منفرد بين أهل زمانه، قليل ناصره، كثير خاذله وحاسده، والشامت فيه!!

فمثل هذا الرجل فى هذا الزمان، وقيامه بهذا الأمر العظيم الخطير فيه. أيقال له: لم تردّ على الأحمدية؟ لم لا تعدل فى القسمة؟ لم تَدخل على الأمراء؟ لم تقربُ زيداً وعمرا؟

---

(١) ورد الحديث فى البخارى: ٢٥٩/١٣ ـ بألفاظ متقاربة (كتاب أحاديث الأنبياء. باب ماذكر عن بنى إسرائيل)، مسلم: ٢٠٥٤/٤ (كتاب العلم. باب اتباع سنن اليهود والنصارى)، الإمام أحمد: ١٢٥/٤، ٣٤٠/٥، الترمذى: ٣٢٢/٣ (أبواب الفتن. باب لتركبن سنن من كان قبلكم).

أفلا يستحيى العبد من الله؟ يذكر مثل هذه الجزئيات فى مقابلة هذا العبء الثقيل؟ ولو حوُقق الرجلُ على هذه الجزئيات وجد عنده نصوص صحيحة ومقاصد صحيحة ونيات صحيحة، تغيب عن الضعفاء العقول، بل عن الكُمَّل منهم، حتى يسمعوها.

أما رَده على الطائفة الفلانية أيها المفرط التائه، الذى لا يدرى ما يقول، أفيقوم دين محمد بن عبدالله الذى أنزل من السماء، إلا بالطعن على هؤلاء؟ وكيف يظهر الحق إن لم يخذل الباطل؟ لا يقول مثل هذا إلا تائه، أو مُسِنٌ، أو حاسد.

وكذا القسمة للرجل فى ذلك اجتهاد صحيح، ونظرا إلى مصالح تترتب على إعطاء قوم دون قوم /، كما خَصَّ الرسول ﷺ الطُّلَقاء بمائة من الإبل، وحرم الأنصار! حتى قال منهم أحداثهم شيئاً فى ذلك، لا ذووا أحلامهم[1]، وفيها قام ذو الخويصرة فقال ماقال. [٤٦/ب]

وأما دخوله على الأمراء، فلو لم يكن، كيف كان شم الأمراء رائحة الدين العتيق الخاص؟ ولو فتش المفتش، لوجد هذه الكيفية التى عندهم من رائحة الدين، ومعرفة المنافقين، إنما اقتبسوها من صاحبكم.

وأما تقريب زيد وعمرو، فلمصلحة باطنة، لو فتش عنها مع الإنصاف وجد هنالك ما يرى أن ذلك من المصلحة. ونفرض أنك مصيب فى ذلك، إذ لا نعتقد العصمة إلا فى الأنبياء، والخطأ جار على غيرهم، أيذكر مثل هذا الخطأ فى مقابلة ماتقدم من الأمور العظام الجسام؟

---

(١) ورد الحديث فى: البخارى: ٢٣٧/١٢ (كتاب فرض الخمس. باب ماكان النبى ﷺ - يعطى المؤلة قلوبهم من الخمس ونحوه...)، مسلم: ٧٣٣/٢، ٧٣٨ (كتاب الزكاة. باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوى إيمانه)

لا يذكر مثل هذا فى كراسة ويعددها، ثم يدور بها على واحد واحد، كأنه يقول شيئا إلا رجل يسأل الله العافية فى عقله، وخاتمة الخير على عمله، وأن يرده عن انحرافه إلى نهج الصواب بحيث لا يبقى مَعْشَرُهُ يعيبه بعلمه[1]، وتصنيفه، من أولى العقول والأحلام.

ونستغفر الله العظيم، من الخطأ والزلل، فى القول والعمل، والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

***

هذا[2] آخر الرسالة التى سماها مؤلفها (التذكرة والاعتبار، والانتصار للأبرار)

فرحم الله من قام بحمل الإصرار، وتصحيح التوبة النصوح بالاستغفار إلى عالم الأسرار، نفع الله من وقف عليها، وأصغى إلى ما يفتح منها ولديها. آمين.

---

(١) فى (ك) :لايبقى معشرة بعيه يعلمه، والمثبت من (ط).
(٢) أشار الناسخ بهامش (ك) بقوله: هذا آخر الرسالة.

[بعض الفتاوى التى انفرد بها ابن تيمية]

ثم إن الشيخ ـ رحمه الله ـ بعد وصوله من مصر إلى دمشق واستقراره بها، لم يزل ملازما للاشتغال والأشغال، ونشر العلم، وتصنيف الكتب، وإفتاء الناس بالكلام والكتابة المطولة وغيرها، ونفع الخلق والإحسان إليهم، والاجتهاد فى الأحكام الشرعية.

ففى بعض الأحكام يفتى بما أدى إليه اجتهاده، من موافقة أئمة المذاهب الأربعة، وفى بعضها قد يفتى بخلافهم، أو بخلاف المشهور من مذاهبهم.

ومن اختياراته التى خالفهم فيها، أو خالف المشهور من أقوالهم : ـ

١ - القول بقَصْر الصلاة فى كل مايُسَمَّى سفرا، طويلا كان أو قصيرا[١]؛ كما هو مذهبُ الظاهرية، وقول بعض الصحابة.

٢ - والقول بأن البكر لاتُستَبْرَأ، وإن كانت كبيرة؛ كما هو قول ابن عمر واختاره البخارى صاحب الصحيح.

٣ - والقول بأن سجود التلاوة لا يشترط له وضوء؛ كما يشترط للصلاة، كما هو مذهب ابن عمر، واختيار البخارى أيضا.

٤ - والقول بأن من أكل فى شهر رمضان معتقداً أنه ليل، فبان نهاراً، لا قضاء عليه؛ كما هو الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإليه ذهب بعض التابعين وبعض الفقهاء بعدهم.

٥ - والقول بأن المتمتع يكفيه سعى واحد بين الصفا والمروة، كما هو فى حق القارن والمُفْرِد؛ كما هو قول ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ورواية عن الإمام

(١) أشار الناسخ بالهامش بقوله: قف عند هذا الموضع.

أحمد بن حنبل، رواها عنه ابنه عبدالله، وكثير من أصحاب الإمام أحمد لايعرفونها.

٦ - والقول بجواز المسابقة بلا مُحَلِّل، وإن خرج المتسابقان.

٧ - والقول باستبراء المختلِعَة بحيضة، وكذلك الموطوءه بشبهة، والمطلَّقة آخر ثلاث تطليقات.

٨ - والقول بإباحة وطء الوثنيات بملك اليمين.

٩ - والقول بجواز عقد الرِّداء فى الإحرام، ولا فدية فى ذلك.

١٠ - وجواز طواف الحائض ولا شىء عليها، إذا لم يمكنها أن تطوف طاهراً.

١١ - والقول بجواز بيع الأصل بالعصير؛ كالزيتون بالزيت، والسمسم بالشَّيْرَج.

١٢ - والقول بجواز الوضوء بكل مايسمَّى ماء، مطلقا / كان أو مُقَيَّداً. [٤٧/أ]

١٣ - والقول بجواز بيع ما يتخذ من الفضة للتحلى وغيره؛ كالخاتم ونحوه بالفضة متفاضلا، وجعل الزائد من الثمن فى مقابلة الصَّنعة.

١٤ - والقول بأن المائع لا ينجس بوقوع النجاسة فيه؛ إلا أن يتغير قليلا كان أو كثيراً.

١٥ - والقول بجواز التيمم، لمن خاف فوات العيد والجمعة باستعمال الماء.

١٦ - والقول بجواز التيمم فى مواضع معروفة.

١٧ - والجمع بين الصلاتين فى أماكن مشهورة، وغير ذلك من الأحكام المعروفة من أقواله.

وكان يميل أخيرا لتوريث المسلم من الكافر الذمى، وله فى ذلك مصنف وبحث طويل.

١٨ - ومن أقواله المعروفة المشهورة التى جرى بسبب الإفتاء بها مِحَنٌ وقلاقل: قوله بالتكفير فى الحلف بالطلاق.

١٩ - وأن الطلاق الثلاث لا يقع إلا واحدة.

٢٠ - وأن الطلاق المحرم لا يقع.

وله فى ذلك مصنفات ومؤلفات كثيرة. منها[1]: -

قاعدة كبيرة سماها «تحقيق الفرقان بين التطليق والأيمان» نحو أربعين كراسة.

وقاعدة سماها «الفرق المبين بين الطلاق واليمين»، بقدر النصف من ذلك.

وقاعدة فى أن جميع أيمان المسلمين مكفرة، مجلد لطيف.

وقاعدة فى تقرير أن الحلف بالطلاق من الأيمان حقيقة.

وقاعدة سماها «التفصيل بين التكفير والتحليل».

وقاعدة سماها «اللمعة»[2].

وغير ذلك من القواعد والأجوبة فى ذلك لا ينحصر ولا ينضبط، وله فى ذلك جواب اعتراض، و رد عليه من الديار المصرية، وهو جواب طويل فى ثلاث مجلدات، بقطع نصف البلدى.

---

(١) أشار الناسخ بالهامش بقوله: ذكر بعض تصانيف ابن تيمية.

(٢) أشار الناسخ بالهامش بمايلى: لعله اللمحة لأن له - رحمه الله - قاعدة سماها لمحة المختطف.

[اجتماع الشيخ بالقاضى شمس الدين]

وكان القاضى شمس الدين بن مسلم الحنبلى - رحمه الله -، فى يوم الخميس منتصف شهر ربيع الآخر، من سنة ثمان عشرة وسبعمائة قد اجتمع بالشيخ وأشار عليه بترك الإفتاء فى مسأله الحلف بالطلاق، فقبل الشيخ إشارته وعرف نصيحته، وأجاب إلى ذلك، وكان قد اجتمع إلى القاضى جماعة من الكبار حتى فعل ذلك.

فلما كان يوم السبت، مستهل جمادى الأولى من هذه السنة، ورد البريد إلى دمشق، ومعه كتاب السلطان بالمنع من الفتوى فى مسألة الحلف بالطلاق، التى رآها الشيخ تقى الدين بن تيمية وأفتى فيها، وصنف فيها، والأمر بعقد مجلس فى ذلك.

فعقد يوم الإثنين ثالث الشهر المذكور بدار السعادة، وانفصل الأمر على ما أمر به السلطان، ونودى بذلك فى البلد يوم الثلاثاء رابع الشهر المذكور.

ثم إن الشيخ عاد إلى الإفتاء وقال: لا يسعنى كتمان العلم. فلما كان فى يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبعمائة، جُمع القضاة والفقهاء عند نائب السلطنة بدار السعادة، وقرئ عليهم كتاب السلطان وفيه فصل يتعلق بالشيخ، بسبب الفتوى فى هذه المسألة، وأُحضر وعوتب على فتياه بعد المنع، وأكد عليه فى المنع من ذلك

[حبس الشيخ بدمشق]

فلما كان بعد ذلك بمدة، فى يوم الخميس الثانى والعشرين من رجب من سنة عشرين وسبعمائة، عقد مجلس بدار السعادة حضره النائب والقضاة، وجماعة من المفتين، وحضر الشيخ، وعاودوه فى الإفتاء بمسألة الطلاق، وعاتبوه على ذلك، وحبسوه بالقلعة، فبقى فيها خمسة أشهر وثمانية عشر يوما.

ثم ورد مرسوم السلطان بإخراجه، فَأُخرج منها يوم الإثنين يوم عاشوراء، من سنة إحدى وعشرين وسبعمائة، وتوجه إلى داره.

* * *

ثم لم يزل بعد ذلك يُعلِّم الناس ويلقى الدرس بالحنبلية أحيانا، ويقرأ عليه فى مدرسته / بالقصاصين، فى أنواع من العلم. [٤٧/ب]

وكنت أتردد إليه فى هذه المدة أحيانا. وقرأت عليه قطعة من الأربعين للرازى وشَرَحَهَا لى، وكتب لى على بعضها شيئا، وكان يُقرأ عليه فى تلك المدة من كتبه وهو يصلح فيها، ويزيد وينقص.

ولقد حضرت معه يوما فى بستان الأمير فخر الدين بن الشمس لؤلؤ، وكان قد عمل وليمة، وقرأت على الشيخ فى ذلك اليوم أربعين حديثا، وكتب بعض الجماعة أسماء الحاضرين، وأخذ الشيخ بعد ذلك فى الكلام فى أنواع العلوم فبُهت الحاضرون لكلامه، واشتغلوا بذلك عن الأكل.

ومما حفظت من كلامة فى المجلس قوله:

«يقول الله تعالى فى بعض الكتب: أهلُ ذكرى أهل مشاهدتى، وأهل شكرى أهلُ زيارتى، وأهلُ طاعتى أهلُ كرامتى، وأهل معصيتى لا أؤيسهم من رحمتى، إن تابوا فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطَهِّرهم من المعايب[1]»

وحصل فى ذلك المجلس خير كثير، وكان فيه غير واحد من المشايخ، واستمر الشيخ بعد ذلك على عادته.

* * *

(١) قد ورد أول هذا الأثر، وهو: «إنى والجن والإنس فى نبأ عظيم أخلق ويعبد غيرى ...» فى: الاتحافات السنية بالأحاديث القدسية - تأليف عبدالرءوف المناوى: ص ٥٨ - ط محمد على صبيح عبيدان - الأزهر، أما بقية الأثر المذكور فلم أجده.

[الكلام على شد الرحال إلى القبور]

فلما كان فى سنة ست وعشرين وسبعمائة، وقع الكلام فى مسألة شدِّ الرحال، وإعمال المطىِّ إلى قبور الأنبياء والصالحين، وظفروا للشيخ بجواب سؤال فى ذلك، كان قد كتبه من سنين كثيرة؛ يتضمن حكاية قولين فى المسألة، وحجة كل قول منهما.

وكان للشيخ فى هذه المسألة كلام متقدم أقدم من الجواب المذكور بكثير، ذكره فى كتاب «اقتضاء الصراط المستقيم» وغيره. وفيه ما هو أبلغ من هذا الجواب الذى ظفروا به.

وكَثُر الكلام، والقيل والقال، بسبب العثور على الجواب المذكور وعظم التشنيع على الشيخ، وحُرِّف عليه، ونُقِل عنه ما لم يَقُلْه، وحصل فتنة طار شررها فى الآفاق، واشتد الأمر، وخِيفَ على الشيخ من كَيْد القائمين فى هذه القضية بالديار المصرية والشامية، وكثر الدعاء والتضرع والابتهال إلى الله تعالى، وضعف من أصحاب الشيخ من كان عنده قوة، وجَبُن منهم من كانت له همة.

وأما الشيخ ـ رحمه الله ـ فكان ثابت الجأش، قوىّ القلب، وظهر صدق توكله واعتماده على ربه.

ولقد اجتمع جماعة معروفون بدمشق وضربوا مشورة فى حق الشيخ فقال أحدهم: يُنفى. فنفى القائل.

---

(١) الكلام على شد الرحال من اقتضاء الصراط المستقيم.

(٢) كتب بالهامش أمام هذه الكلمة مايلى: «والحمد لله رب العالمين وصلاته وسلامه على محمد وآله» ثم شطب عليها الناسخ.

(٣) كتب بالهامش: أى أهل بغداد.

وقال آخر: يُقطع لسانه، فقطع لسان القائل.

وقال آخر: يُعَزَّر. فعزر القائل.

وقال آخر: يُحْبس، فحبس القائل.

أخبرنى بذلك من حضر هذه المشورة وهو كاره لها.

واجتمع جماعة آخرون بمصر، وقاموا فى هذه القضية قياما عظيما، واجتمعوا بالسلطان، وأجمعوا أمرهم على قتل الشيخ، فلم يوافقهم السلطان على ذلك.

* * *

[حبس الشيخ بقلعة دمشق]

ولما كان يوم الإثنين بعد العصر، السادس من شعبان من السنة المذكورة، حضر إلى الشيخ من جهة نائب السلطنة بدمشق مِشَدُّ الأوقاف، وابن خطير، أحد الحجاب. وأخبراه أن مرسوم السلطان ورد بأن يكون فى القلعة، وأحضرا معهما مركوبا.

فأظهر الشيخ السرور بذلك وقال: أنا كنت منتظراً ذلك، وهذا فيه خير عظيم.

وركبوا جميعاً من داره إلى باب القلعة، وأخليت له قاعة حسنة، وأجرى إليها الماء، ورسم له بالإقامة فيها، وأقام معه أخوه زين الدين يخدمه بإذن السلطان، ورُسم له مما يقوم بكفايته.

وفى يوم الجمعة عاشر الشهر المذكور، قرئ بجامع دمشق الكتاب السلطانى الوارد بذلك وبمنعه من الفُتيا.

[٤٨/أ] وفى يوم الأربعاء منتصف شعبان، أمر القاضى الشافعى / بحبس جماعة من أصحاب الشيخ بسجن الحكم، وذلك بمرسوم النائب وإذنه له فى فعل ما يقتضيه الشرع فى أمرهم.

وأوذى جماعة من أصحابه، واختفى آخرون، وعُزِّر جماعة، ونودى عليهم، ثم أطلقوا، سوى الإمام شمس الدين محمد بن أبى بكر إمام الجوزية، فإنه حُبس بالقلعة. وسكنت القضية.

* * *

[فتواه فى زيارة القبور]

وهذه صورة الفتيا وموافقة البغاددة له وغيرهم:

" بسم الله الرحمن الرحيم "

الحمد لله رب العالمين، وصلواته وسلامه على محمد وآله.

أما بعد

فهذه فتيا أفتى بها الشيخ الإمام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رضي الله عنه.

ثم بعد مدة، نحو سبع عشرة سنة، أنكرها بعض الناس، وشنع بها جماعة عند بعض ولاة الأمور، وذكرت بعبارات شنيعة، ففهم منها جماعة غير ما هى عليه، وانضم إلى الإنكار والشناعة وتغير الألفاظ أمور، أوجب ذلك كله مكاتبة السلطان - سلطان الإسلام بمصر أيده الله تعالى. فجمع قضاة بلده. ثم اقتضى الرأى حبسه. فحبس بقلعة دمشق المحروسة - بكتاب ورد سابع شعبان المبارك سنة ست وعشرين وسبعمائة.

وفى ذلك كله لم يحضر الشيخ المذكور بمجلس حكم، ولا وقف على خَطِّه الذى أنكر ولا ادُّعى عليه بشىء.

فكتب بعض الغرباء من بلده هذه الفتيا، وأوقف عليها بعض علماء بغداد، فكتبوا عليها بعد تأملها، وقراءة ألفاظها.

وسئل بعض مالكية دمشق عنها، فكتبوا كذلك. وبلغنا أن بمصر من وقف عليها فوافق.

ونبدأ الآن بذكر السؤال الذى كتب عليه أهل بغداد. وبذكر الفتيا، وجواب الشيخ المذكور عليها، وجواب الفقهاء، بعده[1].

وهذه صورة السؤال والأجوبة: -

المسئول من إنعام السادة العلماء، والهداة الفضلاء؛ أئمة الدين، وهداة

(١) كتب بالهامش ما يلى: لله در المصنف ابن عبدالهادى جزاه الله عن شيخه خيراً.

المسلمين، وفقهم الله لمرضاته، وأدام بهم الهداية، أن ينعموا ويتأملوا الفتوى وجوابها المتصل بهذا السؤال المنسوخ عقبه، وصورة ذلك:

ما يقول السادة العلماء، أئمة الدين، نفع الله بهم المسلمين، فى رجلٍ نوى السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين، مثل نبينا محمد ﷺ، وغيره؟ فهل يجوز له فى سفره أن يقصر الصلاة؟ وهل هذه الزيارة شرعية أم لا؟

وقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «من حج ولم يزرنى فقد جفانى[1]» «ومن زارنى بعد موتى، كمن زارنى فى حياتى[2]» وقد روى عنه ﷺ أيضا أنه قال «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى[3]» أفتونا مأجورين رحمكم الله.

الجـواب

"الحمد لله رب العالمين" أما من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين، فهل يجوز له قصر الصلاة؟ على قولين معروفين: ـ

(١) روى هذا الحديث ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ وفى سنده النعمان بن شبل الباهلى البصرى متهم، انظر: الكامل: ٢٤٨/٨، وقال الذهبى فى الميزان: هذا موضوع، انظر: ميزان الاعتدال فى نقد الرجال: ٣٩٠/٥، وذكره محمد بن طولون الصالحى فى كتابه «الشذرة فى الأحاديث المشتهرة» وقال: لايصح، انظر: الشذرة: ١٩٣/٢ حديث رقم (١٠١٠).

(٢) ذكر هذا الحديث الذهبى فى ميزان الاعتدال وبَيَّن أنه موضوع على ابن جريج عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ، وفى سنده فضالة بن سعيد بن زميل، قال عنه العقيلى: حديثه غير محفوظ ولا يعرف إلا به وكذا نقله ابن عساكر عن العقيلى، وقال أبو نعيم: روى المناكير لاشىء انظر: ميزان الاعتدال للذهبى: ٢٦٨/٤، ٢٦٩، ولسان الميزان لابن حجر: ٥٠٩/٤.

(٣) ورد هذا الحديث فى البخارى: ٧٧/٧، ٧٨ (كتاب التهجد. باب فضل الصلاة فى مسجد مكة والمدينة)، ومسلم: ١٠١٤/٢ (كتاب الحج. باب لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) والترمذى: ٢٠٥/١ (أبواب الصلاة. باب ماجاء فى أى المساجد أفضل)، وأبى داود: ٢١٦/٢ (كتاب المنسك والحج ـ باب فى إتيان المدينة)، والنسائى: ٣٧/٢ (كتاب المساجد. باب ماتشد الرحال إليه من المساجد)، وورد فى الموطأ فى حديث طويل بلفظ «لاتعمل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد»: ١٣/١ (كتاب الجمعة. باب ماجاء فى الساعة التى فى يوم الجمعة).

أحدهما: ـ وهو قول متقدمى العلماء الذين لا يجوزون القصر فى سفر المعصية كأبى عبدالله بن بَطه[1]، وأبى الوفاء بن عقيل، وطوائف كثيرة من العلماء المتقدمين ـ: أنه لا يجوز القصر فى مثل هذا السفر؛ لأنه سفر منهى عنه، ومذهب مالك والشافعى وأحمد: أن السفر المنهى عنه فى الشريعة لا يقصر فيه.

والقول الثانى: أنه يقصر، وهذا يقوله مَنْ يُجَوِّز القصر فى السفر المحرم، كأبى حنيفة. ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعى، وأحمد، ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، كأبى حامد الغزالى[2]، وأبى الحسن ابن عبدوس/ [٤٨/ب] الحرانى وأبى محمد بن قُدامة المقدسى[3]، وهؤلاء يقولون: إن هذا السفر

---

(١) هو عبيد الله بن محمد بن حمدان، أبو عبدالله العكبرى، المعروف بابن بطه، ولد فى عكبرا سنة (٣٠٤هـ)، ورحل إلى مكة والثغور والبصرة وغير ذلك، كان عالما بالحديث، فقيها من كبار الحنابلة، لزم بيته أربعين سنة وصنف نحواً من مائة كتاب، منها: «الإبانة»، «والسنن»، و«التفرد والعزلة»، توفى ـ رحمه الله ـ فى عكبرا سنة (٣٨٧هـ) وقد رثاه خلق كثير، وقال فيه تلميذه ابن الشهاب: هيهات أن يأتى الزمان بمثله. إن الزمان بمثله لبخيل. أنظر عنه: طبقات الحنابلة: ٢/١٤٤ـ١٥٣، الأعلام: ٤/١٩٧.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد الغزالى الطوسى، أبو حامد حجة الإسلام، ولد بخراسان سنة (٤٥٠ هـ)، ورحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، ثم عاد إلى بلدته مرة أخرى، نسبته إلى صناعة الغزل، برع فى الفقه والأصول، وله مصنفات كثيرة فى الفلسفة وعلم الكلام والتصوف، منها: «إحياء علوم الدين» و«الاقتصاد فى الاعتقاد» و «الوجيز فى الفقة» وكذلك «الوسيط»، و «إلجام العوام عن علم الكلام»، «وتهافت الفلاسفة» و «المستصفى فى أصول الفقه» وغير ذلك، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٥٠٥ هـ). انظر عنه: وفيات الأعيان: ١/٤٦٣، طبقات الشافعية: ٤/١٠١، شذرات الذهب: ٤/١٠، الأعلام: ٢/٥٧.

(٣) هو عبدالله بن أحمد بن قدامه المقدسى، موفق الدين أبو محمد، ولد بجماعيل من قرى فلسطين ـ قريبه من بيت المقدس ـ سنه (٥٤١ هـ)، وقدم دمشق مع أهله وله عشر سنين، وحفظ مختصر الحزقى فى الفقة الحنبلى وسمع من والده وأبى المكارم بن هلال، وأبى المعالى بن صابر، والشيخ عبدالقادر الجيلانى وغيرهم، برع فى الفقه والأصول والحديث وسائر العلوم الإسلامية، من مؤلفاته «المُغنى» وهو أشهر مصنفاته فى الفقة، «ولمعه الاعتقاد» و «روضه الناظر فى أصول الفقه»، و«تحريم النظر فى كتب الكلام» و «البرهان فى بيان القرآن» وغير ذلك، توفى ـ رحمه الله ـ بدمشق سنة (٦٢٠ هـ). انظر عنه: الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب: ٢/١٣٣ ـ ١٤٢، سير أعلام النبلاء للذهبى: ٢٢/١٦٧ ـ ١٧٢، البداية والنهاية: ١٣/٦٤، شذرات الذهب: ٥/٨٨ـ٨٩، الأعلام: ٣/٦٧، معجم المؤلفين كحاله: ٦/٣٠.

ليس بمحرم. لعموم قوله ﷺ «زوروا القبور»[1].

وقد يحتج بعض من لا يعرف الحديث، بالأحاديث المروية فى زيارة قبر النبى ﷺ كقوله «من زارنى بعد مماتى فكأنما زارنى فى حياتى» رواه الدارقطنى.

وأما ما ذكره بعض الناس من قوله «من حج ولم يزرنى فقد جفانى» فهذا لم يروه أحد من العلماء. وهو مثل قوله: «من زارنى وزار أبى إبراهيم فى عام واحد ضمنت له على الله الجنة».

فإن هذا أيضا باتفاق العلماء لم يروه أحد، ولم يحتج به أحد، وإنما يحتج بعضهم بحديث الدارقطنى ونحوه.

وقد احتج أبو محمد المقدسى على جواز السفر لزيارة القبور بأنه ﷺ كان يزور مسجد قُباء.

وأجاب عن حديث «لا تشد الرحال» بأن ذلك محمول على نفى الاستحباب.

وأما الأولون، فإنهم يحتجون بما فى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»

وهذا الحديث مما اتفق الأئمة على صحته والعمل به، فلو نذر بشده الرحل ليصلى بمسجد، أو مشهد، أو يعتكف فيه ويسافر إليه، غير هذه الثلاثة، لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة.

ولو نذر أن يسافر ويأتى المسجد الحرام لحج أو عمرة. وجب عليه ذلك باتفاق العلماء.

ولو نذر أن يأتى مسجد النبى ﷺ أو المسجد الأقصى لصلاة أو اعتكاف وجب

---

(١) قال العجلونى فى كشف الخفاء عن هذا الحديث: «قال النووى فى شرح المهذب فى آخر الحج: موضوع لا أصل له، وقال ابن تيميه: موضوع ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث». انظر: كشف الخفاء: ٢٥١/٢ حديث رقم ٢٤٩٠.

عليه الوفاء بهذا النذر، عند مالك والشافعى فى أحد قوليه، وأحمد ولم يجب عليه عند أبى حنيفة، لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان جنسه واجباً بالشرع.

أما الجمهور، فيوجبون الوفاء بكل طاعة، كما ثبت فى صحيح البخارى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه»[1]. والسفر إلى المسجدين طاعة، فلهذا وجب الوفاء به.

وأما السفر إلى بقعة غير المساجد الثلاثة، فلم يوجب أحد من العلماء السفر إليه إذا نذره، حتى نص العلماء على أنه لا يسافر إلى مسجد قباء لأنه ليس من المساجد الثلاثة، مع أن مسجد قباء يستحب زيارته لمن كان فى المدينة؛ لأن ذلك ليس بشد رحل كما فى الحديث الصحيح: «من تَطَهَّر فى بيته، ثم أتى مسجد قباء، لا يريد إلا الصلاة فيه، كان كعمرة»[2].

قالوا: ولأن السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة، لم يفعلها أحد من الصحابة ولا التابعين، ولا أمر بها رسول الله ﷺ، ولا استحب ذلك أحد من أئمة المسلمين، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعله، فهو مخالف للسنة ولإجماع الأئمة.

وهذا مما ذكره أبو عبدالله بن بَطّه فى الإبانة الصغرى من البدع المخالفة للسنة والإجماع.

---

(١) ورد الحديث فى: البخارى: ٥٨١/١١ (كتاب الإيمان والنذور. باب النذور فى الطاعة)، أبى داود: ٣٢/٣ (كتاب الإيمان والنذور. باب ماجاء فى النذور فى المعصية)، الترمذى: ٤١/٣ (أبواب النذور والإيمان. باب ماجاء عن رسول الله ﷺ أن لانذر فى معصية)، النسائى: ١٧/٧ (كتاب الإيمان والنذور. باب النذر فى الطاعة)، ابن ماجه: ٦٨٧/١ (كتاب الكفارات. باب النذور فى المعصية).

(٢) ورد الحديث فى: الترمذى بلفظ" «الصلاة فى مسجد قبا كعمرة»: ٢٠٤/١ (أبواب الصلاة. باب ماجاء فى مسجد قبا) وقال: حديث غريب، والنسائى بلفظ قريب: ٣٧/٢ (كتاب المساجد، باب فضل مسجد قباء والصلاة فيه)، وابن ماجه: ٤٥٣/١ (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها. باب ماجاء فى الصلاة فى مسجد قباء).

وبهذا يظهر ضعف[1] حجة أبى محمد المقدسى؛ لأن زيارة النبى ﷺ لمسجد قباء لم تكن بشد رحل، ولأن السفر إليه لا يجب بالنذر.

وقوله: بأن الحديث الذى مضمونه «لاتشد الرحال»: محمول على نفى الاستحباب، يجاب عنه بوجهين : -

أحدهما : - أن هذا إن سُلِّم فيه أن هذا السفر ليس بعمل صالح، ولا قربة، ولا طاعة، ولا هو من الحسنات؛ فإذاً من اعتقد أن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين قربة وعبادة وطاعة فقد خالف الإجماع، وإذا سافر لاعتقاد أن ذلك طاعة، كان ذلك / محرما بإجماع المسلمين، فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة ومعلوم أن أحداً لا يسافر إليها إلا لذلك. [٤٩/أ]

وأما إذا نذر الرجل أن يسافر إليها لغرض مباح، فهذا جائز، وليس من هذا الباب.

الوجه الثانى: أن هذا الحديث يقتضى النهى، والنهى يقتضى التحريم وما ذكروه من الأحاديث فى زيارة قبر النبى ﷺ فكلها ضعيفة، باتفاق أهل العلم بالحديث، بل هى موضوعة، لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئا منها، ولم يحتج أحد من الأئمة بشىء منها، بل مالك - إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة - كره أن يقول الرجل: زرت قبر النبى ﷺ، ولو كان هذا اللفظ معروفا عندهم، أو مشروعا، أو مأثورا عن النبى ﷺ لم يكرهه عالم أهل المدينة.

والإمام أحمد أعلم الناس فى زمانه بالسُّنة، ولما سئل عن ذلك لم يكن عنده ما يعتمد عليه فى ذلك من الأحاديث، إلا حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «ما من رجل يُسلم علىّ إلا ردّ الله علىّ روحى حتى أرد عليه السلام»[1].

---

(١) ضعف: ليست بالأصل وأضفناها لحاجة السياق إليها.

(٢) ورد الحديث فى : أبى داود بلفظ: «ما من أحد»: ٢١٨/٢ (كتاب المناسك «الحج» - باب زيارة القبور) للإمام أحمد بلفظ قريب: ٥٢٧/٢ (مسند أبى هريره - رضي الله عنه)

وعلى هذا اعتمد أبو داود فى سننه.

وكذلك مالك فى الموطأ، روى عن عبدالله بن عمر «أنه كان إذا دخل المسجد قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبت، ثم ينصرف».

وفى سنن أبى داود عن النبى ﷺ أنه قال: «لاتتخذوا قبرى عيدا، وصلُّوا علىَّ، فإن صلاتكم تبلغنى حيثما كنتم»[1].

وفى سنن سعيد بن منصور «أن عبدالله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب، رأى رجلا يختلف إلى قبر النبى ﷺ فقال له: إن رسول الله ﷺ قال «لاتتخذوا قبرى عيدا، وصلوا علىَّ فإن صلاتكم حيثما كنتم تبلغنى» فما أنت ورجل بالأندلس منه إلا سواء.

وفى الصحيحين عن عائشة: عن النبى ﷺ أنه قال فى مرض موته «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يُحذِّر ما فعلوا، ولولا ذلك لأبرز قبره، ولكن كرِه أن يتخذ مسجدا»[2].

وهم دفنوه ﷺ فى حجرة عائشة - رضى الله عنها -، خلاف ما اعتادوه من الدفن فى الصحراء؛ لِئلا يصلى أحد عند قبره ويتخذه مسجدا، فيتخذ قبره وثنا.

وكان الصحابة والتابعون - لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد، إلى

---

(١) ورد الحديث فى: سنن ابى داود: ٢١٨/٢ بلفظ: «لاتجعلوا بيوتكم قبوراً، ولاتجعلوا قبرى عيداً وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم» (كتاب المناسك. باب زيارة القبور)، والإمام أحمد بلفظ قريب: ٣٦٧/٢ (مسند أبى هريرة - رضي الله عنه).

(٢) ورد الحديث فى: البخارى: ٥٣٢/١ (كتاب الصلاة. باب «٥٥»)، مسلم، ٣٧٧/١ (كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب النهى عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهى عن اتخاذ القبور مساجد)، النسائى: ٩٧/٤ (كتاب الجنائز. باب اتخاذ القبور مساجد) الدرامى: ٣٨٠/١ (كتاب الصلاة. باب النهى عن اتخاذ القبور مساجد).

زمن الوليد بن عبدالملك ـ لا يدخل أحد إليه، لا لصلاة هناك، ولاتمسُّح بالقبر ولا دعاء هناك، بل هذا جميعه إنما كانوا يفعلونه فى المسجد.

وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا على النبى ﷺ وأرادوا الدعاء دعوا مستقبلى القبلة، ولم يستقبلوا القبر.

وأما الوقوف للسلام عليه، صلوات الله عليه وسلامه، فقال أبو حنيفة: يستقبل القبلة أيضا ولايستقبل القبر.

وقال أكثر الأئمة: يستقبل القبر عند الدعاء.

وليس فى ذلك إلا حكاية مكذوبة، تروى عن مالك، ومذهبه بخلافها، واتفق الأئمة على أنه لا يمس قبر النبى ﷺ ولا يقبله.

وهذا كله محافظة على التوحيد، فإن من أصول الشرك بالله: اتخاذ القبور مساجد، كما قال طائفة من السلف فى قوله تعالى: ﴿ **وَقَالُوا لا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلا سُوَاعًا وَلا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴾[1] قالوا «هؤلاء كانوا قوما صالحين فى قوم نوح، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم / ثم صوروا على صورهم تماثيل، ثم طال عليهم الأمد فعبدوا» [٤٩/ب]

وقد ذكر البخارى فى صحيحه هذا المعنى عن ابن عباس، وذكره محمد بن جرير الطبرى وغيره فى التفسير عن غير واحد من السلف، وذكره وثيمه وغيره فى قصص الأنبياء، من عدة طرق.

وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل فى غير هذا الموضع.

وأول من وضع هذه الأحاديث فى السفر لزيارة المشاهد التى على القبور؛ أهل البدع من الرافضة ونحوهم، الذين يعطلون المساجد، ويعظمون المشاهد، يدعون

---

(١) نوح: (٢٣).

بيوت الله التى أمر أن يُذكر فيها اسمه، ويعبد وحده لا شريك له، ويعظمون المشاهد التى يشرك فيها ويكذب، ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطانا، فان الكتاب والسنة، إنما فيهما ذكر المساجد، دون المشاهد، كما قال تعالى ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ﴾[2].

وقال تعالى ﴿ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ ﴾[3].

وقال تعالى ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾[4].

وقال تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ﴾[5].

وقد ثبت عنه ﷺ فى الصحيح: أنه كان يقول «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإنى أنهاكم عن ذلك»[6].

* * *

هذا آخر ما أجاب به شيخ الإسلام والله سبحانه وتعالى أعلم، وله من الكلام فى مثل هذا كثير، كما أشار إليه فى الجواب.

ولما ظفروا فى دمشق بهذا الجواب كتبوه، وبعثوا به إلى الديار المصرية وكتب عليه قاضى الشافعية:

---

(١) الأعراف: (٢٩). (٢) التوبة : (١٨). (٣) البقرة : (١٨٧).
(٤) الجن : (١٨). (٥) البقرة : (١١٤).
(٦) روى الإمام أحمد فى مسندة من حديث أبى عبيدة بن الجراح: «شرار الناس الذين يتخذون القبور مساجد»: ١٩٥/١، وروى الترمذى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: «لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج» وقال: حديث ابن عباس حديث حسن، وأما اللفظ المذكور فلم أجده.

قابلت الجواب عن هذا السؤال، المكتوب على خط ابن تيمية، فصح إلى أن قال: وإنما المحرف جعله: زيارة قبر النبى ﷺ وقبور الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ معصية بالإجماع مقطوع بها[1].

هذا كلامه؛ فانظر إلى هذا التحريف على شيخ الإسلام، والجواب ليس فيه المنع من زيارة قبور الأنبياء والصالحين، وإنما ذكر فيه قولين فى شد الرحل والسفر إلى مجرد زيارة القبور، وزيارة القبور من غير شد رحل إليها مسألة، وشد الرحل لمجرد الزيارة مسألة أخرى.

والشيخ لا يمنع الزيارة الخالية عن شد رحل، بل يستحبها، ويندب إليها؛ وكتبه ومناسكه تشهد بذلك، ولم يتعرض الشيخ إلى هذه الزيارة فى الفتيا، ولا قال إنها معصية، ولاحكى الإجماع على المنع منها. والله سبحانه وتعالى لا تخفى عليه خافية.

* * *

ولما وصل خط القاضى المذكور إلى الديار المصرية، كثر الكلام وعظمت الفتنة وطلب القضاة بها، فاجتمعوا وتكلموا، وأشار بعضهم بحبس الشيخ، فرسم السلطان به وجرى ما تقدم ذكره.

ثم جرى بعد ذلك أمور على القائمين فى هذه القضية لا يمكن ذكرها فى هذا الموضع.

---

(١) علق الناسخ عند هذا الكلام بهامش نسخة (ك) بما يلى: قال القسطلانى فى شرح البخارى فى شرح باب فضل بيت المقدس إذ تكلم على حديث «لاتشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد»: الاستثناء مفرغ، والتقدير: لاتشد الرحال إلى موضع، ولازمة منع السفر إلى كل موضع غيرها، كزيارة صالح أو قريب أو طلب علم أو تجارة، لأن المستثنى منه فى المفرغ يقدر بأعم، لكن المراد بالعموم هنا الموضع المخصوص وهو المسجد ـ كما مر تقريره ـ، واختلف فى شد الرحل إلى غيرها ـ يعنى الثلاثة مساجد ـ كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياءً وأمواتا وإلى المواضع الفاضلة للصلاة فيها والتبرك بها، فقال أبو محمد الجوينى: يحرم عملاً بظاهر الحديث، واختاره القاضى حسين، وقال به القاضى عياض وطائفة. انتهى بلفظه، وقد سبقه إلى ذلك الحافظ ابن حجر فى فتح البارى، فيسع ابن تيمية ـ رحمه الله ـ فى منعه شد الرحال لزيارة القبور ماوسع أبا محمد الجوينى والقاضيين حسيناً وعياضاً وغيرهم، إن الإنصاف لله مرضاة. كذا فى المنقول عنه.

[انتصار علماء بغداد للشيخ فى مسألة شد الرحال للقبور]

وقد وصل ما أجاب به الشيخ فى هذه المسألة إلى علماء بغداد، فقاموا فى الانتصار له، وكتبوا بموافقته، ورأيت خطوطهم بذلك.

وهذا صورة ماكتبوا:

[جواب ابن الكتبى الشافعى]

" بسم الله الرحمن الرحيم "

يقول العبد الفقير إلى تعالى: -

بعد حمد الله السابغة نعمه، السابغة مننه، والصلاة على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

إنه حيث قد مَنَّ الله تعالى على عباده، وتفضل برحمته على بلاده؛ بأن وَسَّد أمور الأمة المحمدية، وأسند أزمة الملة الحنيفية، على من خصصه الله تعالى بأفضل الكمالات / النفسانية، وخصص بأكمل السعادات الروحانية، محيى سُنن [٥٠/أ] العدل، ومُبْدى سنن الفضل، المعتصم بحبل الله، المتوكل على الله، المكتفى بنعيم الله، القائم بأوامر الله، المستظهر بقوة الله، المستضىء بنور الله، أعز الله سلطانه، وأعلى على سائر الملوك شأنه، ولا زالت رقاب الأمم خاضعة لأوامره وأعناق العباد طائعة لمراسمه، ولا زال موالى دولته بطاعته مجبوراً، ومعادى صولته بخزيه مذموما مدحورا.

فالمرجو من ألطاف الحضرة المقدسة - زادها الله تعالى علوا وشرفا - أن يكون للعلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وصفوة الأصفياء، وعماد الدين، ومدار أهل

اليقين، حظ من العناية السلطانية وافر، ونصيب من الرحمة والشفقة، فإنها مَنْقَبة لا يعادلها فضيلة، وحسنة لا يحبطها سيئة، لأنها حقيقة التعظيم لأمر الله تعالى، وخلاصة الشفقة على خلق الله تعالى.

ولا ريب أن المملوك وقف على ما سأله الشيخ الإمام العلامة وحيد دهره، وفريد عصره، تقى الدين أبو العباس، أحمد بن تيمية وما أجاب به.

فوجدته خلاصة ما قاله العلماء فى هذا الباب، حسب ما اقتضاه الحال من نقله الصحيح، وما أدى اليه البحث من الإلزام والالتزام ، لا يداخله تحامل؛ ولا يعتريه تجاهل. وليس ـ فيه والعياذ بالله ـ ما يقتضى الإزراء والتنقيص بمنزله الرسول ﷺ.

وكيف يجوز للعلماء أن تحملهم العصبية أن يتفوهوا بالإزراء والتنقيص فى حق الرسول ﷺ.

وهل يجوز أن يتصور متصور أن زيارة قبره ﷺ تزيد فى قدره، وهل تركها مما ينقص من تعظيمه؟

حاشا للرسول من ذلك.

نعم لو ذكر ذلك ذاكر ابتداء، وكان هناك قرائن تدل على الإزراء والتنقيص أمكن حمله على ذلك، مع أنه كان يكون كناية لا صريحا، فكيف وقد قاله فى معرض السؤال، وطريق البحث والجدل؟

مع أن المفهوم من كلام العلماء، وأنظار العقلاء: أن الزيارة ليست عبادة وطاعة لمجردها، حتى لو حلف أنه يأتى بعبادة أو طاعة لم يَبَرَّ بها، لكن القاضى ابن كَجٍ[1] ـ من متأخرى أصحابنا ـ ذكر أن نذر هذه الزيارة عنده قربة تلزم ناذرها.

---

(١) هو يوسف بن أحمد بن يوسف بن كج الدينورى، أبو القاسم، فقية من علماء الشافعية من أهل دينور، ولى قضاءها، قال ابن خلكان: هو من أشهر فقهاء العصر، صنف كتباً كثيرة انتفع بها الفقهاء، وقال عنه اليافعى: كان يضرب به المثل فى حفظه لمذهب الشافعى وهو صاحب وجه فيه، قتله الحاقدون له سنة (٤٠٥ هـ) ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ. انظر عنه: وفيات الأعيان: ٣٤٨/٢، طبقات الشافعية للسبكى: ٢٩/٢، الأعلام: ٢١٤/٨.

وهو منفرد به، لايساعده فى ذلك نقل صريح ولا قياس صحيح.

والذى يقتضيه مطلق الخبر النبوى فى قوله ﷺ: «لا تشد الرحال .... إلى آخره» أنه لايجوز شد الرحال إلى غير ما ذكر أو وجوبه، أو نُدبيته مخالفا لصريح النهى، ومخالفة النهى معصية - إما كفر أو غيره - على قدر المنهى عنه، ووجوبه وتحريمه، وصفة النهى. والزيارة أخص من وجه، فالزيارة بغير شد غير منهى عنها، ومع الشد منهى عنها.

وبالجملة، فما ذكره الشيخ تقى الدين على الوجه المذكور الموقوف عليه، لم يستحق عليه عقابا، ولا يوجب عتابا.

والمراحم السلطانية أحرى بالتوسعة عليه، والنظر بعين الرأفة والرحمة إليه وللآراء الملكية علو المزيد.

حرره ابن الكتبى الشافعى. حامدا لله على نعمه.

[جواب محمد بن عبدالرحمن البغدادى]

الله الموفق : ـ

ما أجاب به الشيخ الأجل الأوحد، بقية السلف، وقدوه الخلف رئيس المحققين وخلاصة المدققين، تقى الملة والحق والدين من الخلاف فى هذه المسألة: صحيح منقول فى غير ما كتاب من كتب أهل العلم، لا اعتراض عليه فى ذلك، إذ ليس فى ذلك ثلب لرسول الله ﷺ، ولاغض من قدره ﷺ.

وقد نص الشخ أبو محمد الجوينى فى كتبه على تحريم السفر لزيارة القبور، وهذا اختيار القاضى الإمام عياض بن موسى بن عياض[1] فى إكماله، وهو من أفضل المتأخرين من أصحابنا.

[٥٠/ب] ومن المدونة / ومن قال: على المشى إلى المدينة، أو بيت المقدس فلا يأتيهما أصلا، إلا أن يريد الصلاة فى مسجديهما، فليأتهما؟

فلم يجعل نذر زيارة قبره طاعة يجب الوفاء بها، إذ من أصلنا أن من نذر طاعة لزمه الوفاء بها، كان من جنسها ما هو واجب بالشرع، كما هو مذهب أبى حنيفة، أو لم يكن.

---

(١) هو عياض بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى، أبو الفضل، ولد بسبته سنة (٤٧٦ هـ)، كان من أعلم الناس بكلام العرب وأنسابهم وأيامهم، وكان إماماً فى الحديث، ولى قضاء سبتة ثم ولى قضاء غرناطه، وكان من كبار فقهاء المالكية، من تصانيفه: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى»، «والغنية»، «وشرح صحيح مسلم» و «ترتيب المدارك وتقريب المسالك فى معرفة مذهب الإمام مالك»، «والإكمال»، وقد جمع المقرى سيرته فى كتاب «أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض» ، توفى ـ رحمه الله ـ بمراكش مسموما سنة (٥٤٤ هـ) انظر عنه: وفيات الأعيان: ٣٩٢/١، مفتاح السعادة: ١٩/٢، الأعلام: ٩٩/٥.

قال القاضى أبو إسحق إسماعيل بن إسحق[1] عقيب هذه المسألة: ولولا الصلاة فيها لما لزمه إتيانهما، ولو كان نذر زيارة طاعة لزمه ذلك.

وقد ذكر ذلك القيروانى[2] فى تقريبه، والشيخ، وابن سيرين فى تنبيهه.

وفى المبسوط قال مالك: ومن نذر المشى إلى مسجد من المساجد ليصلى فيه. قال: فإنى أكره ذلك له لقوله ﷺ «لاتُعْمَل المَطِىُّ، إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس، ومسجدى هذا» وروى محمد بن المَوَّاز[3] فى المَوازِّية: إلا أن يكون قريباً، فيلزمه الوفاء، لأنه ليس بشد رَحْل.

وقد قال الشيخ أبو عمر بن عبد البر[4] فى كتابه «التمهيد»: يحرم على المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والصالحين مساجد.

---

(١) هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد الجهضمى الأزدى، ولد بالبصرة سنة (٢٠٠ هـ) ونشأ فى بيت علم وفضل من أجلّ بيوت العلم فى العراق، وكان لآل حماد الفضل فى نشر مذهب الإمام مالك بالبصرة، كان إسماعيل الجهضمى فقيها بارعا، ولى قضاء بغداد والمدائن والنهروانات، ثم ولى قضاء القضاة ببغداد، وكان العلم يتردد فى بيت عائلته نحو ثلاثمائة عام، من مؤلفاته: «الموطأ»، و «أحكام القرآن»، و «المبسوط» ، و «الرد على الشافعى» ، و «الرد على أبى حنيفة»، و «الأموال والمغازى» ، توفى - رحمه الله - ببغداد سنة (٢٨٢ هـ). انظر عنه تاريخ بغداد: ٦/٢٨٤، الأعلام: ١/٣١٠.

(٢) هو عبدالله بن أبى زيد بن عبدالرحمن القيروانى المالكى، أبو محمد، ولد بالقيروان سنة (٣١٠ هـ)، كان فقيها من أكابر فقهاء المالكية، وكان بارعا فى التفسير، وقد صنف فى كثير من العلوم، ومن أهم مؤلفاته: كتاب «النوادر والزيادات» فى نحو مائة جزء، و «مختصر المدونة» و «الرسالة» ، «وإعجاز القرآن» و «التفسير»، توفى - رحمه الله - سنة (٣٨٦ هـ) وقيل سنة (٣٨٩ هـ)، انظر عنه: معجم المؤلفين: ٦/٧٣.

(٣) هو محمد بن ابراهيم بن زياد المواز، أبو عبدالله، فقيه مالكى، انتهى اليه رياسة المذهب فى عصره، له تصانيف كثيرة، من اشهرها: «الموازية» وهو مصنف فى فقه الإمام مالك، وذكر عنه أنه من أقدم المصنفات التى كتبت على الرق، يقع فى حوالى ١٦ ورقة، وحفظت نسخته الأولى فى خزانه محمد ابن عاشور فى تونس، توفى - رحمه الله - سنة (٢٨١ هـ). انظر عنه: الوافى بالوفيات: ١/٣٣٥، شذرات الذهب: ٢/١٧٧، الأعلام: ٥/٢٩٤.

(٤) هو يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمرى القرطبى المالكى، أبو عمر، ولد بقرطبة سنة (٣٦٨هـ)، ورحل رحلات طويلة فى غرب الأندلس وشرقها، كان حافظاً محدثا مؤرخا أديبا بحاثة ولى قضاء لشبونه وشنترين من بلاد الأندلس، له تصانيف كثيرة وبارعة ومتنوعة فى العلوم والمعارف، منها: «الدرر فى اختصار المغازى والسير»، و «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب»، و «جامع بيان العلم وفضله»، و «الانتقاء فى فضائل الثلاثة الفقهاء»، و «الكافى فى الفقه»، و «التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد» وهو من أكبر مؤلفاته، توفى - رحمه الله - سنة (٤٦٣هـ) انظر عنه: وفيات الأعيان: ٢/٣٤٨، جمهرة الأنساب: ص ٢٨٥، الأعلام: ٨/٢٤٠.

وحيث تقرر هذا فلا يجوز أن ينسب من أجاب فى هذه المسألة بأنه سفر منهى عنه، إلى الكفر، فمن كفره بذلك من غير موجب، فإن كان مستبيحا ذلك فهو كافر؛ وإلا فهو فاسق.

قال الإمام أبو عبدالله محمد بن على المازرى[1] فى كتاب المعلم: من كَفَّر أحداً من أهل القبلة، فإن كان مستبيحا ذلك فقد كَفَر، وإلا فهو فاسق، يجب على الحاكم إذا رُفع أمرهُ إليه أن يؤدبه، ويُعزره بما يكون رادعاً لأمثاله، فإن تُرِكَ مع القدرة عليه فهو آثم. والله تعالى أعلم.

كتبه محمد بن عبد الرحمن البغدادى، الخادم للطائفة المالكية بالمدرسة الشريفة المستنصرية ـ رحمة الله على منشئها ـ

---

(١) هو محمد بن على بن عمر التميمى المازرى، أبوعبدالله، ولد سنة (٤٥٣هـ)، نسبته إلى «مازر» بجزيرة صقلية، محدث فقيه من فقهاء المالكية، له مصنفات كثيرة منها: «المعلم بفوائد مسلم» وهو ماعلق عليه فيه على صحيح مسلم فى مجلسة سنة (٤٩٩ هـ) وقيده عنه تلاميذه، و«التلقين» فى الفروع، «والكشف والإتيان فى الرد على الاحياء» للغزالى و «إيضاح المحصول فى الأصول» ، وله مصنفات عديدة فى الأدب، وقد تناول سيرته وحياته ومؤلفاته حسن حسنى عبدالوهاب فى كتابه «الإمام المازرى»، توفى ـ رحمه الله ـ بالمهدية سنة (٥٣٦ هـ). انظر عنه: وفيات الأعيان: ٤٨٦/١، الإعلام: ٢٧٧/٦.

[جواب عبد المؤمن بن عبد الحق]

أجاب غيره فقال :

الحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد، وعلى آله الطاهرين ما ذكره مولانا الإمام، العالم العامل، جامع الفضائل والفوائد، بحر العلوم، منشئ الفضل جمال الدين، كاتب خطه أمام خطى هذا، جمّل الله به الإسلام وأسبل عليه سوابغ الإنعام، أتى فيه بالحق الجلى الواضح، وأعرض فيه عن إغضاء المشايخ إذ السؤال والجواب اللذان[1] تقدماه، لا يخفى على ذى فطنة وعقل، أنه أتى فى الجواب المطابق للسؤال، بحكاية أقوال العلماء الذين تقدموه، ولم يبق عليه فى ذلك إلا أن يعترضه معترض فى نقله، فيبرزه له من كتب العلماء الذين حكى أقوالهم. والمعترض له بالتشنيع، إما جاهل لا يعلم ما يقول، أو متجاهل يحمله حسده وَحمِيَّة الجاهلية على رد ما هو عند العلماء مقبول، أعاذنا الله تعالى من غوائل الحسد، وعصمنا من مخائل النكد، بمحمد وآله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

كتبه الفقير إلى عفو ربه ورضوانه، عبد المؤمن بن عبد الحق الخطيب[2]، غفر الله له وللمسلمين أجمعين.

---

(١) فى (ك) : اللذين بدل من اللذان، والمثبت من (ط).

(٢) هو عبدالمؤمن بن عبدالحق، ابن شمائل القطيعى البغدادى الحنبلى صفى الدين، ولد ببغداد سنة (٦٥٨ هـ)، كان عالم بغداد فى عصره، وكان يضرب به المثل فى معرفة المواريث والفرائض، من مؤلفاته: «معجم» فى رجال الحديث، و«مراصد الأطلاع فى الأمكنة والبقاع» اختصر به «معجم البلدان» لياقوت الحموى، و «تحقق الأمل فى علمى الأصول والجدل» و «شرح المحرر» لمجد الدين ابن تيمية، فى الفقه وهو فى ستة أجزاء، و«اختصار تاريخ الطبرى» وله أشعار كثيرة، توفى ـ رحمه الله ـ ببغداد سنة (٧٣٩ هـ) انظر عنه: الدرر الكامنة: ٤١٨/٢، شذرات الذهب: ١٢١/٦، الأعلام: ١٧٠/٤.

[جواب جمال الدين البُتِّى]

وأجاب غيره فقال :

بعد حمد الله الذى هو فاتح كل كلام، والصلاة والسلام على رسوله محمد خير الأنام، وعلى آله وأصحابه البررة الكرام، أعلام الهدى ومصابيح الظلام.

يقول أفقر عباد الله، وأحوجهم إلى عفوه: ما حكاه الشيخ الإمام البارع الهمام افتخار الأنام، جمال الإسلام، ركن الشريعة، ناصر السنة، قامع البدعة، جامع أشتات الفضائل، قدوة العلماء الأماثل، فى هذا الجواب، من أقوال العلماء والأئمة النبلاء ـ رحمة الله عليهم أجمعين ـ بَيِّنٌ لا يُدفع، ومكشوف لا يتقنع، بل أوضح من النَّيـرَين، وأظهر من فرق الصبح لذى / عينين، والعُمدة فى هذه المسألة: [٥١/أ] الحديث المتفق على صحته، ومنشأ الخلاف بين العلماء من احتمالى صيغته.

وذلك: أن صيغة قوله ﷺ «لاتُشَدّ الرحال» ذات وجهين، نفى ونهى لاحتمالهما فإن لُحظ معنى النفى فمقتضاه[1]: نفى فضيلة واستحباب شد الرحال، وإعمال المطىِّ إلى غير المساجد الثلاثة إذ لو فرض وقوعها لامتنع ورفعهما، فتعين توجُّه النفى إلى فضيلتهما واستحبابهما دون ذاتهما، وهذا عام فى كل ما يعتقد أن إعمال المطى وشد الرحال إليه قربة وفضيلة من المساجد، وزيارة قبور الصالحين، وما جرى هذا المجرى، بل أعم من ذلك. وإثبات ذلك بدليل ضرورة إثبات ذلك المنفىّ المقدّر فى صدر الجملة لما بعد «إلاّ»، وإلاّ لما افترق الحكم بين ما قبلها وما بعدها، وهو مفترق حينئذ، لا يلزم من نفى الفضيلة والاستحباب نفى الإباحة، فهذا وجه متمسك من قال بإباحة هذا السفر، بالنظر إلى أن هذه الصيغة نفى، وبنى على ذلك جواز القصر.

---

(١) فى هامش (ك) : فمعناه ـ كذا فى الأصل على هامشة أ. هـ أبو إسماعيل يوسف حسين.

وإن كان النهى ملحوظا؛ فالمعنى نهيه عن إعمال المطىّ وشَدّ الرحال إلى غير المساجد الثلاثة، إذ المقرر عند عامة الأصوليين أن النهى عن الشىء قاضٍ بتحريمه أو كراهته، على حسب مقتضى الأدلة، فهذا وجه متمسك من قال بعدم جواز القصر فى هذا السفر، لكونه منهيا عنه، وممن قال بحرمته: الشيخ الإمام أبو محمد الجوينى من الشافعية، والشيخ أبو الوفاء ابن عقيل من الحنابلة، وهو الذى أشار القاضى عياض من المالكية إلى اختياره.

وما جاء من الأحاديث فى استحباب زيارة القبور، فمحمول على ما لم يكن فيه شدَّ رَحْل وإعمالُ مَطِىّ، جمعًا بينهما.

ويحتمل أن يقال: لا يصلح أن يكون غير حديث «لا تشد الرحال» معارضا له لعدم مساواته إياه فى الدرجة، لكونه من أعلى أقسام الصحيح. والله أعلم.

وقد بلغ أنه رُزِئ وضُيّق على المجيب، وهذا أمر يحار فيه اللبيب ويتعجب منه الأريب، ويقع به فى شك مريب.

فإن جوابه فى هذه المسألة قاض بذكر خلاف العلماء، وليس حاكما بالغضِّ من الصالحين والأنبياء، فإن الأخذ بمقتضى كلامه - صلوات الله وسلامه عليه - فى الحديث المتفق على صحة رفعه إليه، هو الغاية القصوى فى تتبع أوامره ونواهيه، والعدول عن ذلك محذور، وذلك مما لا مرية فيه.

وإذا كان كذلك فأىُّ حَرَجٍ على مَنْ سُئل عن مسألة فذكر فيها خلاف الفقهاء ومال فيها إلى بعض أقوال العلماء؟ فإن الأمر لم يزل كذلك على مَمَرّ العصور وتعاقب الدهور.

وهل ذلك محمول من القادح إلا على امتطاءِ نِضْوِ الهوى المُفضى بصاحبه إلى

التَّوى، فإن مَن يُقتَبس من فوائده، ويلتقط من فرائده، لحقيق بالتعظيم، وخليق بالتكريم، ممن له الفهم السليم، والذهن المستقيم. وهل حكم المظاهر عليه فى الظاهر، إلا كما قيل فى المثل السائر، وقول الشاعر: «الشعير يؤكل ويذم».

جزى بنوه أبا الغَيلان عن كِبَر ❖ وحُسن فعل كما يُجْزى سِنِمَّارُ

غيـره :

وحديث ألذه ، وهو مما ❖ يَنْعَتُ النَّاعتُون يُوزَنُ وَزْنا

منطق أربع . وتلْحَنُ أحيا ❖ نا . وخير الحديث ما كان لحنا

وقال الله تعالى : ﴿ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا /(٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[4]. [٥١/ب]

ولولا خشية الملالة، لما نَكَبْتُ عن الإطالة

---

(١) المائدة : ٨.
(٢) المائدة : ٢.
(٣) الأحزاب : ٧٠ - ٧١.
(٤) الحج : ٤٠.

نسأل الله الكريم، أن يسلك بنا وبكم سبيل الهداية، وأن يجنبنا وإياكم مسلك الغواية. إنه على كل شىء قدير. وبالإجابة جدير. حسبنا الله ونعم الوكيل ونعم النصير.

والحمد لله رب العالمين، وصلوات الله وسلامه على سيد المرسلين، محمد النبى وآله الطاهرين، وأصحابه الكرام المنتخبين.

هذا جواب الشيخ الإمام العلامة جمال الدين يوسف بن عبد المحمود بن عبدالسلام بن البتِّى الحنبلى ـ رحمه الله تعالى.

قال المؤلف : ومن خطه نقلت.

[جواب أبى عمرو المالكى]

جواب آخر

لبعض علماء أهل الشام المالكية

الحمد لله، وهو حسبى.

السفر إلى غير المساجد الثلاثة ليس بمشروع، وأما من سافر إلى مسجد النبى ﷺ، ليصلى فيه ويسلم على النبى ـ صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضى الله عنهما ـ، فمشروع، كما ذُكر باتفاق العلماء.

وأما لو قُصد إعمال المطى لزيارته ﷺ، ولم يقصد الصلاة فهذا السفر إذا ذكر رجلٌ فيه خلافاً للعلماء: وأن منهم من قال إنه منهى عنه ومنهم من قال إنه مباح؛ وأنه على القولين ليس بطاعة، ولا قربة، فمن جعله طاعة وقربة على مقتضى هذين القولين كان حراماً بالإجماع، وذكر حجة كل قول منهما، أو رَجَّح أحد القولين، لم يلزمه ما يلزم مَنْ تنقص، إذ لا تنقص فى ذلك ولا إزراء بالنبى ﷺ.

وقد قال مالك ـ رحمه الله ـ، لسائلٍ سأله: أنه نذر أن يأتى قبر النبى ـ صلى الله عليه وسلم؟ فقال: إن كان أراد مسجد النبى ﷺ فليأته وليصلى فيه. وإن كان أراد القبر فلا يفعل، للحديث الذى جاء «لاتُعْمَل المطى إلا إلى ثلاثة مساجد» والله أعلم.

كتبه أبو عمرو بن أبى الوليد المالكى.

كذلك يقول عبدالله بن أبى الوليد المالكى.

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ: نقلت هذه الأجوبة كلها من خط المفتين بها

قال: ووقفت على كتاب وَرَدَ مع أجوبة أهل بغداد، وصورته: ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله ناصر الملّة الإسلامية، ومُعزِّ الشريعة المحمدية، بدوام أيام الدولة المباركة السلطانية، المالكية، الناصرية؛ ألبسها الله تعالى لباس العزِّ المقرون بالدوام، وحلاَّها بحِلْيَةِ النَّصْرِ المستمر بمرور الليالى والأيام؛ والصلاة والسلام على النبى المبعوث إلى جميع الأنام: صلى الله عليه وعلى آله البررة الكرام.

اللهم إن بابك لم يزل مفتوحا للسائلين، ورِفْدكَ ما بَرِحَ مبذولا للوافدين، مَنْ عَوَّدته مسألتك وحدك، لم يسأل أحَداً سواك، ومَنْ منحته منائح رفدك، لم يَفِد على غيرك، ولم يَحتّم إلا بحماك. أنت الرب العظيم الكريم الأكرم، قَصدُ باب غيرك على عبادك محرم، أنت الذى لا إله غيرك، ولا معبود سواك، عزّ جارك وجلّ ثناؤك، وتقدّست أسماؤك، وعظم بلاؤك، ولا إله غيرك. ولم تزل سُنَّتك فى خلقك جارية بامتحان أوليائك وأحبابك، تفضلا منك عليهم، وإحساناً من لدنك إليهم، ليزدادوا لك فى جميع الحالات ذكراً، ولإنعامك فى جميع التقلبات شكراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون، ﴿ **وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ** ﴾[1].

اللهم وأنت العالم الذى لا تُعلَم، وأنت الكريم الذى لا تَبْخَل، قد علمت يا عالم السِّر والعلانية، أن قلوبنا لم تزل ترفع إخلاص الدعاء صادقة، وألسنتنا فى حالتي السر والعلانية ناطقة، أن تسعفنا / بإمداد هذه الدولة المباركة الميمونة [٥٢/أ] السلطانية الناصرية، بمزيد العلا والرفعة والتمكين، وأن تحقق آمالنا فيها بإعلاء الكلمة فى ذلك، برفع[2] قواعد دعائم الدين، وقمع مكائد الملحدين؛ لأنها الدولة التى برئت من غشيان الجَنَف والحَيْف، وسلمت من طغيان القَلم والسَّيف.

(١) العنكبوت : (٤٣).

(٢) فى (ك): رفع، من غير باء، والمثبت من (ط).

والذى ينطوى عليه ضمائر المسلمين، ويشتمل عليه سرائر المؤمنين: أن السلطان الملك الناصر للدين، ممن قال فيه رب العالمين، وإله السموات والأرضين: الذى بتمكينه فى أرضه، حصل التمكين لملوك الأرض، وعظماء السلاطين، فى كتابه العزيز الذى يتلى، فمن شاء فليتدبر: ﴿ **الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾[1] وهو ممن مكّنه الله تعالى فى الأرض تمكينا، يقينا لا ظناً وهو ممن يُعنَى بقوله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا** ﴾[2].

والذى عهد المسلمون، وتعوده المؤمنون؛ من المراحم الكريمة، والعواطف الرحيمة، إكرام أهل الدين، وإعظام علماء المسلمين.

والذى حمل على رفع هذه الأدعية الصريحة إلى الحضرة الشريفة ـ وإن كانت لم تزل مرفوعة إلى الله سبحانه بالنية الصحيحة ـ قوله ﷺ: «الدين النصيحة. قيل: لمن يارسول الله؟ قال: لله، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»[3] وقوله ـ ﷺ: «الأعمالُ بالنيات»[4] فهذان الحديثان مشهوران بالصحة، ومستفاضان فى الأمة.

ثم إن هذا الشيخ المعظم الجليل، والإمام المكرم النبيل، أوحد الدهر، وفريد العصر، طراز المملكة الملكية، وعلم الدولة السلطانية، لو أقسم مقسم، بالله

---

(١) الحج: (٤١). (٢) النور: (٥٥).

(٣) ورد هذا الحديث فى: البخارى (تعليقاً): ١/ ٢٢٣ (كتاب الإيمان. باب قول النبى ـ ﷺ «الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»)، ومسلم: ١/ ٧٤ (كتاب الإيمان. باب بيان أن الدين النصيحة)، والترمذى: ٣/ ٢١٧ (كتاب البر والصلة. باب فى النصيحة)، والنسائى: ٧/ ١٥٦ (كتاب البيعة. باب النصيحة للإمام)، والإمام أحمد: ٤/ ١٠٢ (حديث تميم الدارى ـ رضى الله عنه ـ).

(٤) سبق تخريجه.

العظيم القدير: أن هذا الإمام الكبير، ليس له فى عصره مماثل ولا نظير لكانت يمينه بَرَّة، غنية عن التكفير، وقد خلت من وجود مثله السبع الأقاليم، إلا هذا الإقليم، يوافق على ذلك كل منصف جُبِل على الطبع السليم. ولست بالثناء عليه أُطَرِيه، بل لو أطنب مُطنبٌ فى مدحه والثناء عليه، لما أتى على بعض الفضائل التى هى فيه: أحمد بن تيمية، دُرَّة يتيمةٌ يتنافس فيها، تشترى ولا تباع، ليس فى خزائن الملوك درَّة تماثلها وتؤاخيها، انقطعت عن وجود مثله الأطماع، لقد أصَمَّ الأسماع، وأوهى قوى المتبوعين والأتباع، سماعُ رفع أبى العباس - أحمد بن تيمية - إلى القلاع.

وليس يقع من مثله أمرٌ ينقم منه عليه، إلا أنه يكون أمرًا قد لبس عليه، ونسب إلى ما لا ينسب مثله إليه، والتطويل على الحضرة العالية لا يليق، إن يكن فى الدنيا قطب فهو القطب على التحقيق، قد نصب الله السلطان أعلى الله شأنه فى هذا الزمان، منصب يوسف الصديق - صلى الله على نبينا وعليه - لما صرف الله وجوه أهل البلاد إليه، حين أمْحَلَت البلاد، واحتاج أهلها إلى القوت[1] المدَّخَر لديه؛ والحاجة بالناس الآن إلى قوت الأرواح، المشار فى ذلك الزمان إليها، لاخفاء أنها للعلوم الشريفة، والمعانى اللطيفة.

وقد كانت فى بلاد المملكة السلطانية - حرسها الله تعالى - تُكال إلينا جزافا بغير أثمان، منحة عظيمة من الله للسلطان، ونعمة جسيمة، إذ خص بلاد مملكته وإقليم دولته، بما لا يوجد فى غيرها من الأقاليم والبلدان / ، وكان قد وفد [٥٢/ب] الوافدون من سائر الأمصار، إلى تلك الديار؛ فوجدوا صاحب صواع الملك قد رُفِع إلى القلاع، ومثل هذه المسيرة لا توجد فى غير تلك البلاد لتشترى أو تباع فصادف ذلك جدب الأرض ونواحيها، جدباً أعطب أهاليها، حتى صاروا من شدة حاجتهم إلى الأقوات، كالأموات، والذى عرض للملك بالتضييق على صاحب

(١) فى (ك): الفوات، والمثبت من هامش ك.

صواعه، مع شدة الحاجة إلى غذاء الأرواح، لعله لم يتحقق عنده أن هذا الإمام من أكابر الأولياء، وأعيان أهل الصلاح، وهذه نزعة من نزغات الشيطان، قال الله سبحانه: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[1].

وأما إزراء بعض العلماء عليه فى فتواه، وجوابه عن مسألة شد الرحال إلى زيارة القبور، فقد حُمل جواب علماء هذه البلاد، إلى نظرائهم من العلماء وقرنائهم من الفضلاء وكلهم أفتى: أن الصواب فى الذى به أجاب.

والظاهر بين الأنام، أن إكرام هذا الإمام، ومعاملته بالتبجيل والاحترام، فيه قوام المُلك، ونظام الدولة، وإعزاز الملة، واستجلاب الدعاء، وكبت الأعداء، وإذلال أهل البدع والأهواء، وإحياء الأمة وكشف الغمة، ووفور الأجر، وعلو الذكر، ورفع البأس، ونفع الناس، ولسان حال المسلمين، تال قول الكبير المتعال: ﴿ فَلَمَّا[2] دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾[3].

والبضاعة المزجاة: هى هذه الأوراق المرقومة بالأقلام، والميْرَة المطلوبة: هى الإفراج عن شيخ الإسلام، والذى حمل على هذا الإقدام قوله عليه السلام: «الدين النصيحة» والسلام.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الكرام، وسلم تسليما، هذا آخر هذا الكتاب.

قال المؤلف: ووقفت على كتاب آخر من بغداد أيضا، صورته:

---

(١) الإسراء: (٥٣).

(٢) فى (ك): ولما، بالواو، والصحيح بالفاء كما فى المصحف.

(٣) يوسف: (٨٨).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد النبى وآله وصحبه أجمعين.

اللهم : فكما أيدت ملوك الإسلام، وولاة الأمور، بالقوة والأيد، وشيدت لهم ذكراً وجعلتهم للمقهور اللائذ بجنابهم ذُخراً، وللمكسور العائذ بأكناف بابهم جبرا فاشدد اللهم منهم بحسن معونتك لهم أزراً، وأعلِ لهم مجداً وارفع قدراً، وزدهم عزاً وزودهم على أعدائك نصراً، وامنحهم توفيقا مسددا، وتمكينا مستمراً، وبعد:

فإنه لما قرع أسماع أهل البلاد المشرقية، والنواحى العراقية، التضييق على شيخ الإسلام، تقى الدين أبى العباس، أحمد بن تيمية - سلمه الله، عظم ذلك على المسلمين، وشق على ذوى الدين، وارتفعت رءوس الملحدين، وطابت نفوس أهل الأهواء والمبتدعين، ولما رأى علماء أهل هذه الناحية، عِظم هذه النازلة، من شماتة أهل البدع وأهل الأهواء، بأكابر الأفاضل وأئمة العلماء، أنهوا حال هذا الأمر الفظيع والأمر الشنيع، إلى الحضرة الشريفة السلطانية، زادها الله شرفا، وكتبوا أجوبتهم فى تصويب ما أجاب به الشيخ - سلمه الله - فى فتاواه، وذكروا من علمه وفضائله بعض ما هو فيه، وحملوا ذلك إلى بين يدى مولانا ملك الأمراء - أعزّ الله أنصاره وضاعف اقتداره -، غيرةً منهم على هذا الدين، ونصيحة للإسلام وأمراء المؤمنين.

والآراء المولوية العالية، أولى بالتقديم، لأنها ممنوحة بالهداية إلى الصراط / [٥٣/أ] المستقيم.

وأفضل الصلاة وأشرف التسليم، على النبى الأمى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وسلم تسليما.

[بقاء الشيخ بسجن القلعة إلى وفاته بها]

ثم إن الشيخ - رحمه الله تعالى - بقى مقيماً بالقلعة سنتين وثلاثة أشهر وأياما، ثم توفى إلى رحمة الله ورضوانه. وما برح فى هذه المدة مُكبًا على العبادة، والتلاوة وتصنيف الكتب، والرد على المخالفين.

وكتب على تفسير القرآن العظيم جملة كثيرة، تشتمل على نفائس جليلة، ونكت دقيقة، ومعان لطيفة، وبَيَّن فى ذلك مواضع كثيرة أشكلت على خلق من علماء أهل التفسير.

وكتب في المسألة التى حبس بسببها عدة مجلدات، منها :-

كتاب فى الرد على ابن الأخنائى قاضى المالكية(١) بمصر، تُعرف بالأخنائية(٢).

ومنها: كتاب كبير حافل فى الرد على بعض قضاة الشافعية، وأشياء كثيرة فى هذا المعنى أيضا.

وفى هذه المدة التى كان الشيخ فيها بالقلعة، توفى أخوه الشيخ الإمام العالم العلامة، البارع، الحافظ، الزاهد، الورع، جمال الإسلام، شرف الدين، أبو محمد، عبدالله، توفى يوم الأربعاء الرابع عشر من جمادى الأولى من سنة سبع وعشرين وسبعمائة، وصلى عليه ظهر اليوم المذكور بجامع دمشق، وحمل إلى باب القلعة فصلى عليه مرة أخرى، وصلى عليه أخواه وخلق من داخل القلعة، وكان الصوت بالتكبير يبلغهما، وكثر البكاء فى تلك الساعة، وكان وقتا مشهوداً، ثم صلى عليه

---

(١) هو محمد بن أبى بكر بن عينى بن بدران السعدى المصرى، أبو عبدالله تقى الدين، المعروف بالأخنائى، ولد سنة (٦٥٨هـ)، تولى قاضى قضاة المالكية بمصر، له تصانيف كثيرة؛ منها ما رد به على ابن تيمية فى مسألة زيارة القبور، ورد عليه ابن تيمية فى رسالة «الأخنائية» توفى - رحمه الله - سنة ٧٥٠هـ). انظر عنه: الأعلام: ٦/٥٦.

(٢) بهامش (ط): طبع بالسلفية فى مصر على نفقة الملك ابن السعود.

مرة ثالثة ورابعة، وحمل على الرءوس والأصابع، إلى مقبرة[1] الصوفية، فدفن بها. وحضر جنازته جمع كثير، وعالم عظيم، وكثر الثناء والتأسف عليه.

وكان ـ رحمه الله ـ صاحب صدق وإخلاص، قانعا باليسير، شريف النفس شجاعا، مقداما مجاهدا، بارعا فى الفقه، إماما فى النحو، مستحضراً لتراجم السلف ووفياتهم، له فى ذلك يد طولى، عالما بالتواريخ المتقدمة والمتأخرة، وكان ـ رحمه الله ـ شديد الخوف والشفقة على أخيه شيخ الإسلام، وكان يخرج من بيته ليلا ولا يجلس فى مكان معين بحيث يقصد فيه، ولكنه يأوى إلى المساجد المهجورة، والأماكن التى ليست بمشهورة.

وكان كثير العبادة والتألة، والمراقبة والخوف من الله، ولم يزل على ذلك إلى حين مرضه، ووفاته.

ومولده فى اليوم الحادى عشر من المحرم سنة ست وستين وستمائة بحران.

وسمع من ابن أبى اليُسْر، والجمال عبدالرحمن البغدادى، وابن الصيرفى والشيخ شمس الدين، وابن البخارى وخلق كثير. وحَدَّث وسمع الكتب الكبار.

وقد سئل عنه الشيخ كمال الدين ابن الزملكانى، فقال: هو بارع فى فنون عديدة: من الفقه، والنحو، والأصول. ملازم لأنواع الخير وتعليم العلم، حسن العبادة، قوى في دينه، جيد التفقه، مستحضر لمذهبه استحضاراً جيدا، مليح البحث، صحيح الذهن، قوى الفهم.

قلت: ومازال الشيخ تقى الدين ـ رحمه الله ـ فى هذه المدة معظما مكرما، يكرمه نقيب القلعة ونائبها إكراما كثيرا، ويستعرضان حوائجه ويبالغان فى قضائها.

وكان ما صنفه فى هذه المدة قد خرج بعضه من عنده، وكتبه بعض أصحابه، واشتهر وظهر.

---

(١) فى (ك) : مقبر من غير تاء مربوطة، والمثبت من (ط).

[حرمانه من أدوات الكتابة]

فلما كان قبل وفاته بأشهر، ورد مرسوم السلطان بإخراج ما عنده كله، ولم يبق عنده كتاب، ولا ورقة، ولا دواة، ولا قلم، وكان بعد ذلك إذا كتب ورقة إلى بعض أصحابه، يكتبها بفحم، وقد رأيت أوراقاً عدة بعثها إلى أصحابه، وبعضها مكتوب بفحم، منها ورقة يقول فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

[٥٣/ب] سلام عليكم ورحمة الله / وبركاته، ونحن لله الحمد والشكر فى نعم متزايدة متوافرة، وجميع ما يفعله الله فيه نصر الإسلام، وهو من نعم الله العظام، و ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً**﴾[1] فإن الشيطان استعمل حزبه فى إفساد دين الله، الذى بعث به رسله، وأنزل كتبه.

ومن سنة الله: أنه إذا أراد إظهار دينه، أقام من يعارضه، فيُحق الحق بكلماته، ويَقذفُ بالحق على الباطل فيَدْمَغه، فإذا هو زاهق.

والذى سعى فيه حزب الشيطان لم يكن مخالفة لشرع محمد ﷺ وحده، بل مخالفة لدين جميع المرسلين: إبراهيم، وموسى، والمسيح، ومحمد خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين.

وكانوا قد سعوا فى أن لا يظهر من جهة حزب الله ورسوله خطاب ولا كتاب،

---

(١) الفتح: (٢٨).

وجزعوا من ظهور الأخنائية، فاستعملهم الله تعالى حتى أظهروا أضعاف ذلك وأعظم. وألزمهم بتفتيشه ومطالعته، ومقصودهم إظهار عيوبه، وما يحتجون به، فلم يجدوا فيه إلا ما هو حجة عليهم، وظهر لهم جهلهم وكذبهم وعجزهم، وشاع هذا فى الأرض. وهذا مما لا يقدر عليه إلا الله، ولم يمكنهم أن يظهروا علينا فيه عيباً فى الشرع والدين، بل غاية ما عندهم: أنه خولف مرسوم بعض المخلوقين، والمخلوق كائناً من كان، إذا خالف أمر الله تعالى ورسوله لم يجب، بل ولا يجوز طاعتهُ، فى مخالفة أمر الله ورسوله باتفاق المسلمين.

وقول القائل: إنه يظهر البدع، كلام يَظهر فساده لكل مستبصر ويعلم أن الأمر بالعكس؛ فإن الذى يظهر البدعة، إما أن يكون لعدم علمه بسنة الرسول، أو لكونه له غرض وهوى يخالف ذلك؛ وهو أولى بالجهل بسنة الرسول، واتباع هواهم بغير هدى من الله ﴿ **وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ** ﴾[1]، ممن هو أعلم بسنة الرسول منهم، وأبعد عن الهوى والغرض فى مخالفتها ﴿ **ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ (١٨) إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ** ﴾[2].

وهذه قضية كبيرة لها شأن عظيم، ولتعلمنَّ نبأه بعد حين.

ثم ذكر الشيخ فى الورقة كلاما، لايمكن قراءة جميعه، لانطماسه.

وقال بعده:

وكانوا يطلبون تمام الأخنائية، فعندهم مايطمهم أضعافها، وأقوى فقهاً منها، وأشد مخالفة لأغراضهم؛ فإن الزملكانية قد بين فيها من نحو خمسين وجها: أن

---

(١) القصص: (٥٠).
(٢) الجاثية: (١٨، ١٩).

مـا حكم به ورسـم به، مـخـالف لإجمـاع المسلمين، ومـا فـعلوه لو كـان ممن يعـرف مـاجـاء به الرسـول ويتعـمـد مـخـالفـتـه؛ لكان كفـراً وردَّة عن الإسـلام، لكنهم جـهـال دخلوا فـى شـىء مـا كـانوا يعـرفـونه، ولا ظنوا أنه يظهـر منه أن السـلطنة تـخـالف مـرادهم والأمـر أعظم ممـا ظهـر لكم، ونحـن ولله الحـمـد، على عظيـم الجـهـاد فى سبيله.

ثم ذكر كلاما وقال:

بل جهادنا فى هـذا مثل جهادنا يوم قـازان، والجبليـة، والجـهـميـة والاتحـادية، وأمــثـال ذلك. وذلك من أعظم نعم الله علينـا وعلـى النـاس ولكن أكـثـر النـاس لايعلمون.

* * *

ومنها ورقة قال فيها:

(ورقة أخرى مما كتبه الشيخ فى السجن)

ونحن ولله الحمـد والشكر، فى نعم عظيـمـة تتزايد كل يوم، ويجـدد الله تعـالى من نعمه نعمـا أخرى، وخروج الكتب كان من أعظم النعم؛ فإنى كنت حريصـا على خروج الأخنائية، فـاستعـملهم الله تعـالى فى إخراج الجـميع، وإلزام المنازعين / [٥٤/أ] بالوقـوف عليه. وبهـذا يظهـر مـا أرسل الله به رسـوله من الهدى ودين الحق، فإن هذه المسائل كانت خفية على أكثر الناس. فإذا ظهرت فمن كان قصده الحق هداه الله، ومن كان قصده الباطل قامت عليه حجة الله، واستحق أن يُذلِّه الله وَيُخْزِيهُ.

ومـا كتبت شيئـا من هذا ليُكتم عن أحد ولو كان مبغضـا، والأوراق التى فيهـا جواباتكم غُسِلَتْ.

وأنا طيِّبُ، وعيناى طيبتان أطيب ما كانتا(1)، ونحن فى نعم عظيمة لا تحصى ولا تعدُّ، والحمد الله حمداً كثيراً طيبا مباركا فيه. ثم ذكر كلاما، وقال:

وكلُّ ما يقضيه الله تعالى، ففيه الخير والرحمة والحكمة، إنَّ ربى لَطِيفٌ لما يشاء إنه هو القَوىُّ العزيز، العليم الحكيم، ولايدخل على أحد ضررٌ إلا من ذنوبه ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾(2) فالعبد عليه أن يشكر الله ويحمده دائما على كل حال، ويستغفر من ذنوبه، فالشكر يوجب المزيد من النعم، والاستغفار يدفع النقم، ولايقضى الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له (إن أصابته سَرَّاء شكر؛ فكان خيراً له، وإن أصابته ضرَّاء صَبَر؛ فكان خيراً له)(3).

وهذه الورقة كتبها الشيخ وأرسلها بعد خروج الكتب من عنده بأكثر من ثلاثة أشهر؛ فى شهر شوال، قبل وفاته بنحو شهر ونصف.

ولما أخرج ما عنده من الكتب والأوراق، حمل إلى القاضى علاء الدين القونوى(4)، وجعل تحت يده فى المدرسة العادلية.

وأقبل الشيخ بعد إخراجها على العبادة والتلاوة والتذكر والتهجد، حتى أتاه اليقين.

---

(1) فى (ك) : كانت ، والمثبت من (ط).

(2) النساء : (79).

(3) سبق تخريجه.

(4) هو على بن إسماعيل بن إبراهيم بن يوسف القونوى، أبوالحسن علاء الدين، ولد بقونية سنة (668هـ)، ونزل بدمشق سنة (693هـ)، ثم انتقل إلى القاهرة، برع فى الفقه على المذهب الشافعى، وتصوف وتلقى علوم الأدب، ثم ولى قضاء الشام سنة (727هـ)، من مؤلفاته: «شرح الحادى الصغير»، و«الابتهاج فى انتخاب المنهاج»، و«التعرف فى التصوف»، أقام بدمشق فى آخر عمره إلى أن توفى بها ـ رحمة الله ـ. سنة (729هـ). انظر عنه: البداية والنهاية: 14/147، الأعلام: 4/264.

وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين، أو إحدى وثمانين ختمة، انتهى فى آخر ختمة إلى آخر ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾(١) ثم كملت عليه بعد وفاته. وهو مُسجًّى.

كان كل يوم يقرأ ثلاثة أجزاء، يختم فى عشرة أيام. هكذا أخبرنى أخوه زين الدين.

وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوما، وأكثر الناس ماعلموا بمرضه، فلم يفجأ الخلق إلا نعيه، فاشتد التأسف عليه وكثر البكاء والحزن، ودخل إليه أقاربه وأصحابه، وازدحم الخلق على باب القلعة والطرقات، وامتلأ جامع دمشق وصلوا عليه، وحمل على الرءوس - رحمه الله ورضى عنه.

[وفاة الشيخ فى السجن]

قال الشيخ علم الدين: وفى ليلة الإثنين، لعشرين من ذى القعدة، من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، توفى الشيخ الإمام العلامة الفقيه، الحافظ الزاهد، القدوة، شيخ الإسلام، تقى الدين أبو العباس، أحمد، بن شيخنا الإمام المفتى، شهاب الدين، أبى المحاسن، عبدالحليم، بن الشيخ الإمام، شيخ الإسلام مجد الدين أبى البركات، عبدالسلام، بن عبدالله، بن أبى القاسم، بن محمد بن تيمية الحرانى، ثم الدمشقى، بقلعة دمشق، التى كان محبوساً فيها(٢).

---

(١) القمر: (٥٤، ٥٥).

(٢) فى هامش ك: وفاة ابن تيمية.

وحضر جمع إلى القلعة، فأذن لهم فى الدخول، وجلس جماعة قبل الغسل. وقرأوا القرآن، وتبركوا برؤيته وتقبيله، ثم انصرفوا.

وحضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك، ثم انصرفن.

واقتصر على من يغسل ويعين فى غسله. فلما فرغ من ذلك أخرج، وقد اجتمع الناس بالقلعة والطريق إلى جامع دمشق، وامتلأ الجامع وصحنه والكلاسة، وباب البريد، وباب الساعات إلى اللبادين والفوارة.

وحضرت الجنازة فى الساعة الرابعة من النهار، أو نحو ذلك. ووضعت فى الجامع والجند يحفظونها من الناس من شدة الزحام، وصلى عليه / أولا بالقلعة. [٥٤/ب] تقدم فى الصلاة عليه الشيخ محمد بن تمام، ثم صلى عليه بجامع دمشق، عقيب صلاة الظهر، وحمل من باب البريد، واشتد الزحام، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم للتبرك. وصار النعش على الرءوس، تارة يتقدم وتارة يتأخر، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها من شدة الزحام، وكل باب أعظم زحمة من الآخر.

ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام، لكن كان المعظم من الأبواب الأربعة: باب الفرج، الذى أخرجت منه الجنازة ومن باب الفراديس، ومن باب النصر، وباب الجابية، وعظم الأمر بسوق الخيل.

وتقدم فى الصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبدالرحمن، وحمل إلى مقبرة الصوفية، فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبدالله - رحمهما الله - وكان دفنه وقت العصر أو قبلها بيسير.

وغَلّق الناس حوانيتهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا القليل من الناس، أو من أعجزه[1] الزحام.

وحضرها نساء ([2]كثير بحيث حُزرن [2]) بخمسة عشر ألفا. وأما الرجال فحزروا بستين ألفا وأكثر؛ إلى مائتى ألف. وشَرب جماعة الماء الذى فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السِّدْر الذى غسل به.

وقيل: إن الطاقية التى كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهم. وقيل: إن الخيط الذى فيه الزئبق، الذى كان فى عنقه بسبب القمل دفع فيه مائة وخمسون درهما. وحصل فى الجنازة ضجيج وبكاء، وتضرع، وختمت له ختم كثيرة بالصالحية والبلد.

وتردد الناس إلى قبره أياما كثيرة ليلا ونهاراً، ورؤيت له منامات كثيرة صالحة، ورثاه جماعة بقصائد جمة.

وكان مولده يوم الإثنين عاشر ربيع الأول بحران، سنة إحدى وستين وستمائة.

وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، فسمع الحديث من ابن عبدالدايم، وابن أبى اليسر، وابن عبد، والشيخ شمس الدين الحنبلى، والقاضى شمس الدين بن عطاء الحنفى، والشيخ جمال الدين ابن الصيرفى، ومجد الدين ابن عساكر، والشيخ جمال الدين البغدادى[3] والنجيب المقداد، وابن أبى الخير، وابن علان، وأبى بكر الهروى، والكمال عبدالرحيم،والفخر على، وابن شيبان، والشرف ابن القواس وزينب بنت مكى[4]، وخلق كثير.

---

(١) فى (ك) : عجز، والمثبت من (ط).

(٢-٢) فى (ك) : كثيرون بحيث حزروا، والمثبت من (ط).

(٣) هو عبدالرحمن بن سليمان بن سعيد بن سليمان، جمال الدين، المعروف بالبغدادى، ولد بحران سنة (٥٨٥هـ) وسمع من عبدالقادر الحافظ، وحنبل، وابن طبرزد وغيرهم، وتعلم الفقه من الشيخ موفق الدين ابن قدامة المقدسى، أفتى وحدث وانتقع به كثير من طلبة العلم، كان إماماً بحلقة الحنابلة بالجامع ببغداد، وكان مشهوراً بالفضل والدين وحسن الخلق، توفى ـ رحمه الله ـ سنة (٦٧٠ هـ) ودفن بدمشق.

(٤) هى زينب بنت مكى بن على الحرانى، ولدت سنة (٥٩٤هـ) كانت محدثة وفقيهة، ازدحم على بابها طلبة العلم يأخذون عنها الحديث وعلوم الدين؛ فاشتهرت وذاع صيتها، وكانت مشهورة بالصلاح والتعبد، توفيت ـ رحمها الله ـ بدمشق سنة (٦٨٨هـ). انظر عنها: الأعلام: ٦٧/٣.

وقرأ بنفسه الكثير، وَطلب الحديث، وكتب الطِّباق والأثبات، ولازم السماع بنفسه مدة سنين، واشتغل بالعلوم.

وكان ذكيا كثير المحفوظ، فصار إماما فى التفسير وما يتعلق به، عارفا بالفقه، واختلاف العلماء، والأصلين، والنحو، واللغة، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية. وما تكلم معه فاضل فى فَنٍ؛ إلا ظن أن ذلك الفنَّ فَنُّه. ورآه عارفا به متقنا له.

وأما الحديث فكان حافظاً له مميزاً بين صحيحه وسقيمه، عارفا برجاله متضلعا من ذلك.

وله تصانيف كثيرة، وتعاليق مفيدة، فى الفروع والأصول، كمل منها جملة وبُيِّضت وكتبت عنه، وجملة كثيرة لم يكملها، وجملة كملها ولكن لم تبيض.

وَأثنى عليه وعلى فضائله جماعة من علماء عصره، مثل القاضى الخُوَى، وابن دقيق العيد، وابن النحاس، وابن الزملكانى، وغيرهم.

ووجدت بخط الشيخ جمال الدين الزملكانى أنه اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وأن له اليد الطولى فى حسن التصنيف، وجودة العبارة والترتيب، والتقسيم والتبيين، وكتب على تصنيف[1] له هذه الأبيات الثلاثة / من نظمه، وهى: [٥٥/أ]

ماذا يقول الواصفون له	وصفاته جلت عن الحصر
هو حجة لله قاهرة	هو بيننا أعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة	أنوارها أرْبَتْ على الفجر

وهذا الثناء عليه، وكان عمره نحو الثلاثين سنة.

وَكان بينى وبينه مَودَّة وصحبة من الصغر، وسماع الحديث والطلب من نحو خمسين سنة، وله فضائل كثيرة.

---

(١) فى هامش (ك) مكتوب: وهذا التصنيف الذى أشار إليه هو «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» للشيخ.

وأسماءُ مصنفاته، وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة، وحَبْسهُ مرات، وأحوالهُ لا يحتمل ذكر جميعها هذا الكتاب.

ولما مات كنت غائبا عن دمشق بطريق الحجاز الشريف، وبلغنا خَبرة بعدموته بأكثر من خمسين يوما، لما وصلنا إلى تبوك؛ وحصل التأسف لفقده - رحمه الله تعالى.

* * *

قلت: وقد قيل: إن الخلق الذين حضروا جنازة الشيخ كانوا أزيد مما ذُكر.

ومن الجنائز العظيمة فى الإسلام: جنازة الإمام أبى عبدالله أحمد بن حنبل. فإن الذين حضروه، وصلوا عليه، كانوا أكثر من ألف ألف إنسان.

وقد قال الإمام أبو عثمان الصابونى: سمعت أبا عبدالرحمن السُّلَمِى يقول: حضرت جنازة أبى الفتح القواس الزاهد مع الشيخ أبى الحسن الدارقطنى. فلما بلغ إلى ذلك الجمع الكثير، أقبل علينا وقال: سمعت أبا سهل بن زياد القطان يقول: سمعت عبدالله بن أحمد بن حنبل يقول: سمعت أبى يقول: قولوا لأهل البدع: بيننا وبينكم يوم الجنائز.

قال أبو عبدالرحمن على إثر هذه الحكاية: إنه حزر الحزارون المصلين على جنازة أحمد، فبلغ العدد بحزرهم ألف وسبعمائة ألف، سوى الذين كانوا فى السفن.

[من شعر ابن تيميَّة]

وقد وجد بخط الشيخ أبيات قالها بالقلعة، وهى:

أنا الفقير إلى رب السموات	أنا المسكين فى مجموع حالاتى
أنا الظلوم لنفسى وهى ظالمتى	والخير إن جاءنا من عنده ياتى
لا أستطيع لنفسى جلب منفعة	ولا عن النفس فى دفع المضرات

وليس لى دونه مـــولى يُدَبِّرنى ... ولا شــفــيع إلى رب البـــريَّات
إلا بإذن من الرحـــمن خـــالقنا ... رب السماء[1]، كما قد جا فى الآيات
ولست أملك شــيــئــا دونه أبدا ... ولا شـــريك أنا فى بعض ذراتى
ولا ظهـــيـــرٌ له كَــيْــمــا أعــاونه ... كـــمـــا يكون لأرباب الولايات
والفـــقـــر لى وصفٌ ذات لازم أبدا ... كـــمـــا الغنى أبداً وصف له ذاتى
وهذه الحـالُ حـالُ الخلق أجـمـعـهم ... وكلّهم عنده عـــبـــد له آتى
فـمن بغى مطلبـاً من دون خـالقـه ... فهو الجهول الظلوم المشرك العاتى
والحـمـد لله ملِء الكون أجـمـعـه ... مـا كـان منه، ومـا من بعـده ياتى
ثم الصلاة على المختـار من مُـضَـرٍ ... خـيـر البـرية من مـاضٍ ومن آتى

وله أيضًا:

إن لله عـلـيـنـا أنْعُـمـا ... يعجزِ الحصْرُ عن العَدِّ لها
فله الحـمـد على أنعـمـه ... ولَه الحـمـد على الشكر لها

---

(١) فى هامش (ك) مكتوب : إلى الشفيع.

[ما قيل فى مدح الشيخ وفى رثائه]

وقد مُدح الشيخ ـ رحمه الله ـ بقصائد كثيرة فى حياته، ورثى بأكثر منها بعد وفاته.

فمن القصائد التى مُدح بها: قصيدة نجم الدين إسحق بن أبى بكر ابن أَلْمَى التركى(1) وهى:

ذرانىَ من ذكــرَى ســعُــادٍ وزينب ... ومن ندب أطلال اللِّوى والمُحَــصَّب

ومن مــدح آرام(2) سنحن برامـــة ... ومن غـزلٍ فى وصف سـربٍ وَرَبرَبِ(3)

ولا تنشدانى غـيـر شـعـر إلى العـلا ... يظَل ارتيــاحــا يزدهينى ويَطَّبى

وإن أنتــمــا طارحــتــمــانى، فليكن ... حـديثكمـا فى ذكـر مَـجْـدٍ ومَنصِبِ

بحب الأعــالى، لابحب ام جُندب ... أقَــضى لُبـانات الفــؤاد المعــذب

[٥٥/ب] خلقت امــرءاً جَلْداً على حـمل الهـوى ... فلست أبالى بالقلَى والتــجنب /

ســواء أرى للوصل تعــريض جُــؤذرٍ(4) ... وإعراض ظَبى أَلْعَس(5) الثَّغر أشْنَبِ(6)

ولم أصْبُ فى عصر الشبيبة والصِّبا ... فـهل أصْـبُـوَنْ كَـهـلاً بلَمَّـة أشـيب؟

يُعَنفنى فى بغــيــتى رُتَبَ العـــلا ... جَـهـول، أراه راكـبـاً غـيـر مَـرْكـبى

له همــة دون الحــضــيض مَـحَلهُّــا ... ولى همَّــةٌ تســمــو على كل كـوكب

فلو كــان ذا جــهل بســيطٍ عــذرتُه ... ولكنه يُدلى بجـــــهل مُــــرَكَّبِ

يقـول: عـلامَ اخـتـرتَ مـذهب أحـمـدٍ ... فــقلت له: إذ كــان أحــمــدَ مَــذهب

---

(1) هو نجم الدين بن إسحاق بن أبى بكر، ولد سنة (٦٧١هـ) تركى الأصل، تنقل بين مصر والشام والعراق، سمع من علماء مصر بالأسكندرية، وانقطعت اخباره بالعراق سنة (٧٢١هـ).

(2) جمع رئم وريم وهو ولد الظبية، ويجمع على آرام.

(3) الربرب: القطيع من الظباء ومن البقر الوحشى، والإنسى ربرب ولا واحد له من لفظة

(4) الجؤذر: ولد البقرة الوحشية.

(5) يقال: لعست الشفة إذا اسود باطنها، وهى صفة يستحسنها العرب فيقال ظبى ألعس وظبية لعساء.

(6) الظبى الأشنب هو الذى رقت أسنانه وابيضت.

وهل فى ابن شـيـبـان مـقـال لقـائل	وهل فيـه من طعن لصاحب مـضـرب؟
أليس الذى قـد طار فى الأرض ذكـره	فطبَّـقـهـا، مـا بين شـرق ومـغـرب؟
إمـام الهـدى، الداعى إلى سنن الهـدى	وقد فاضت الأهواءُ من كل مَسْغَب[1]
أتوا بعظيم الإفْك، وانتـصـروا له	بكلِّ مـقـال بالدليل مكذَّب
وقـالوا: كـلام الله خلقـاً، وكـذَّبوا	بما صحَّ نقـلا عن أُبَيٍّ ومُـصْـعَب
وأصـبح أهل الحق بين مُـعـاقَب	وبين مُـعَـدٍّ لـلأذى مُـتـرقِّب
فـقـام بما يُوحى ثَبـيـرا ويَذْبُلاً	قـيـام هِزَبْرٍ للفـريسـة مُـغْـضَب
ولم ينتـه عنهم، ولما يصـده	عـقـوبة ذى ظلمٍ، وجَـوْر مُـعـذِّب
إلى أن بدا الإسـلام أبلجَ سـاطعـا	وكَـشَّف عن ظَلمـائهم كل غَـيْـهب
وهدَم مـن أركـانهم كل شـامخ	ودوخ من شـجـعـانهم كل قـرهب[2]
ومـزَّقـهم أيدى سَـبَـا، فـتـفـرقت	كـتـائبـهم مـا بين شَـرْق ومـغـرب
وأصـحـابهُ أهل الهـدى لا يَضُـرهم	على دينهم طعن امـرئ جـاهل غَـبِى
هُم الظاهرون القـائمـون بدينهم	إلى الحـشـر، لم يغلبـهمُ ذو تغلُّب
لنا منهمُ فى كل عـصـر أئمـةٌ	هُداة إلى العليـا، مـصـابيح مُـرقب
فـأيَّدهم ربُّ العـلا من عـصـابة	لإظهـار دين الله أهلِ تعـصـب

---

(١) مسغب : يقال أسغب إذا دخل فى المجاعة وفى التنزيل ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾.
(٢) قرهب : تعبير عن الشجاع الضخم الذى يهابه الأعداء.

وقــد علم الرحـــمن أن زمـــاننا ... تشـــعب فـــيـــه الرأىُ أىَّ تشـــعب

فـجـاء بِحَـبـرٍ عـالم من سَـرَاتِهم ... لسـبـع مِـئينٍ بعـد هـجـرة يَثْـرب

يُقـيم قَناة الدين، بعـد اعـوجـاجـهـا ... ويُنقـذهـا من قـبـضـة المتـغـصب

فـذاك فـتى تيـمـيَّـة، خـيـرُ سَـيِّـد ... نجـــيب أتانا من سُـــلالة منجب

عليم بأدواء النفـــوس يســـوســـهـــا ... بحكمـــتـــه، فـعل الطبـيب المجــرِّب

بعـيـدٍ من الفـحـشـاء والبـغى والأذى ... قـــريبٍ إلى أهل التـقى، ذو تحـبـب

يغـيب ، ولكن عن مـسـاوٍ وغـيـبـة ... وعن مـشـهـد الإحسـان لم يتـغـيب

حليم كـــريم مـــشـــفق، بَيْـــدَ أنه ... إذا لم يُطَعْ فى الله، لله يغـــضب

يرى نُصـــرة الإســلام أكـــرم مـــغنم ... وإظهـــار دين الله أربح مكسب[1]

وكم قـد غـدا بالقـول والفـعل مـبطلاً ... ضـــلالة كـــذاب ورأى مكذب

ولم تلق من عـــاداه غـــيـــر منافـق ... وآخـــر عن نهج الســبـيل منكب

لقـد حـاولوا منه الذى كـان رامـه ... من المصطفى قـدمـا حُيى بن أخطب

ولكن رأوا من بأســه مـــثل مـــارأى ... من المصطفى فى حربه رأس مـرحب

تمسك أبا العبـاس بالدين واعـتـصم ... بحـبل الهـدى تقـهـر عـداك وتغلب

ولاتخش من كيـد الأعـادى فـمـا هم ... ســوي حــائر فى أمـــره ومـــذبذب

جنـودهـم من طـامع ومـــــذلل ... مـــسـيلمـــة منهم يلوذ بأشـــعب

---

(١) من هنا حتى قوله: «... فليس إذاً يصغى لقول مؤنب» مؤخرة فى (ط)، وهذه الأبيات التسعة مثبتة من الأصل صفحة (٦/أ).

وجندك من أهل السماء ملائك ... يمدك منهم موكب بعد موكب

وكل امرىء قد باع لله نفسه ... فليس إذاً يصغى لقول مؤنب

ليوث، إذا أهل الضلال تجمعوا ... فكل فتى منهم يُعَدُّ بمقنب/(1) [٥٦/أ]

لئن جَحَدت علياءَ فضلك حُسَّدٌ ... لعَمْرُ أبى، قد زاد منهم تعجبى

وهل ممكن فى العقل أن يجحد السَّنَا ... ضُحًى، وضياء الشمس لم يتحجب؟

أيا مَطْلبًا حزناه من غير مهلك ... وكم مَهْلك صَدَّ الورى دون مطلب

بعزم تَقِىِّ الدين أحمد تُتَّقى ... صروف زمان بالفوادح مُرعب

وفى الجدب نستسقى الغمام بوجهه ... فنصبح فى روض كناديه مخصب

ربيب المعالى، يافع الجود والنَّدَى ... فتى العلم، كَهْل الحلم، شيخ التأدب

مُفَصِّل ما قد جاء من جمل النهى ... وإيضاحُه للفهم غير مقرب

بسيط معان فى وجيز عبارة ... بتهذيبه تعجيز كل مهذب

وليس له فى العلم والزهد مُشْبِه ... سوى الحسن البصرى وابن المسيَّب

ومن رام حَبْرا غيره اليوم فى الورى ... فذاك الذى قد رام عَنقاء مُغْرِب

أليس هو النَّدْب الذى بانتصاره ... حبا الدين حبى، بالإمامة قد حُبى

وجاهد فى ذات الإله بنفسه ... وبالمال والأهلين والأم والأب

ووازره فى حالتيه ابنُ أمه ... فذلك عبد الله، نعم الفتى الأبىّ

عقاب المعالى، ضيغم الغابة، الذى ... فَرَى كل ذى غَىٍّ بناب ومِخْلب

هما ناصرا دين الإله، وحاميا ... حمى خير خلق الله من نسل يعرب

مقيمان كالإسلام فى دار غربة ... فياحَبَّذا فى الله حسن التغرب

---

(1) بمقنب: يقال أقنب الرجل إذا تخفى من عدوه، وأقنبت الخيل إذا باعدت بين خطوها فى العدو هربا.

خـدمـتـهـمـا منى بعـقـد منضـد	بـفـكـر سـوائـى دُرَّه لـم تُـنـقـب
تشنف سمع الدهر حسنا إذا اغتدى	به الناظم التـركى أفـصح مـعـرب
ومـاجـئت فى مـدحـيـهـمـا مـتطلعـا	به عـرضـا يفنى، ولانيل منصب
ولكننى أبغى رضـا الله خـالقى	وأرجـو به غـفـران زَلَّة مـذنب
وأجـعله لى فى المعـاد ذخـيـرة	أفوز بها فى الحشر من خطبه الوبى

نجزت. وهى سبع وستون بيتا

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة فتيا قدمت فى مجلس الشيخ تقى الدين رضى الله عنه فأجاب فى المجلس بهذا الجواب؛ وهو «تقدير القدر».

السؤال[1]

أيا علماء الدين، ذمِّىّ دينكم ... تحيَّر دُلُّوه بأوضح حجة

إذا ما قضى ربى بكفرى بزعمكم ... ولم يَرْضَهُ منى، فما وجه حيلتى؟

دعانى، وسد الباب عنى، فهل إلى ... دخولى سبيل؟ بَيِّنوا لى قضيتى

قضى بضلالى، ثم قال: ارضَ بالقضا ... فما أنا راضٍ بالذى فيه شِقوتى

فإن كنت بالمقضىِّ، يا قوم راضيا ... فربِّى لا يرضى بشؤم شكيَّتى

فهل لى رضاً. ما ليس يرضاه سيدى؟ ... فقد حِرْتُ، دُلّونى على كشف حيرتى

إذا شاء ربى الكفر منِّى مشيئة ... فهل أنا عاصٍ فى اتباع المشيئة؟

وهل لى اختيار أن أخالف حكمه؟ ... فبالله فاشفوا بالبراهين علَّتى

---

(١) هذا السؤال صاغة شعراً محمد بن أبى السكاكينى المعتزلى المتشيع، ودسها على لسان يهودى بقصد استثارة الشيخ ابن تيمية ليسمع الناسُ كلامه فى موضوع القدر، فرد شيخ الإسلام على الفور مرتجلاً الجواب شعراً على نفس البحر وعلى نفس القافية، وجاء الرد فى بعض الروايات مائة وخمسة أبيات، وفى بعضها الآخر أكثر من ذلك.

قال البزار فى الأعلام العلية ص٢٩: أخبرنى الشيخ الصالح تاج الدين محمد المعروف بابن الدورى أنه حضر مجلس الشيخ - رضى الله عنه - وقد سأله يهودى عن مسألة فى القدر قد نظمها شعرا فى ثمانية أبيات فلما وقف عليها فكر لحظة يسيرة وأنشأ يكتب جوابها وجعل يكتب ونحن نظن أنه يكتب نثرا فلما فرغ تأمله من حضر من أصحابه وإذا هو نظم فى بحر أبيات السؤال وقافيتها.

وكتب محقق الكتاب الهامش (١) مايلى: إن قائل هذه الأبيات لم يكن يهوديا وإنما هو محمد بن أبى بكر بن السكاكينى عملها على لسان ذمى يمتحن بها علماء زمانه، ومطلع أبيات السكاكينى:-

أيا علماء الدين ذمى دينكم ∴ تحير دلوه بأوضح حجة

انظر الأعلام العلية للبزار: ص ٢٨-٢٩ بتحقيق زهير الشاويش.

الجـواب

الحمد لله رب العالمين:

سـؤالك يا هذا، سـؤال معـاندِ ... تُخَـاصِمُ رَبَّ العـرش، بارى البـرية

وهذا سـؤال، خـاصَم الملأ العُـلا ... قـديما به إبليسُ، أصل البليـة

وَمن يكُ خـصمـا للمـهـيمن يرجعنْ ... على أم رأس هـاويا فـى الحَـفـيـرة

ويُدعَى خـصـوم الله يوم مـعـادهم ... إلى النار طُرًّا، مـعـشـر القَـدَرية

سـواء نفـوه، أو سَعَوا ليخاصـمـوا ... به الله، أو مـارُوا به للشـريعـة

وأصل ضـلال الخلق من كل فـرقـة ... هـو الخـوض فـى فـعل الإلَه بعلة

فـإنَّهمُ لم يفـهـمـوا حكمـة له ... فـصـاروا على نوع من الجـاهليـة

وإن مـبـادى الشـرِّ فـى كل أمـة ... ذوى مِلَّة قُـدْسـيـة نبـوية

[٥٦/ب] بخـوضـهم فى ذلكم، صـار شـركهم ... وجـاء دروس البـيِّنات بفَـتـرة /

فـإن جـمـيع الكون أوجب فـعله ... مـشـيـئـة رب الخلق بارى الخليـقـة

وذات إلَـه الخلـق واجـبـة بمـا ... لهـا من صـفـات واجـبـات قـديمة

مـشـيـئـتـه مع علمـه، ثم قـدرة ... لوازم ذات الله قـاضى القـضـيـة

فـقولك: لِم قد شـاء؟ مـثل سـؤال من ... يقـول : فلِمَ قـد كـان فى الأزليـة؟

وذاك سـؤال يبطل العـقل وجـهـه ... وَتحـريمُه قـد جـاء فى كل شـرعـة

وفى الكون تخـصيص كـثيـر يَدلُّ مَنْ ... لـه نـوع عـقـل : أنـه بـإرادة

وَإصـداره عن واحـد بعـد واحـد ... أو القـول بالتـجـويز رَمْـيـة حَـيْـرة

وَلا ريب فـى تعليق كل مـسـبَّب ... بمـا قـبله من عِلّة مـوجـبِـيَّـة

بل الشأن فى الأسباب، أسباب ما ترى ... وَمصدرها عن حكم محض المَشيئة

وَقولك: لِمَ شاء الإله؟ هو الذى ... أزَلَّ عقول الخلق فى قعر حُفرة

فإن المجوس القائلين بخالق ... لنفعٍ، وَربٌّ مُبْدعٍ للمَضَرَّة

سؤالهُم عن علّة الشّر، أوقعت ... رءوسهم فى شبهة المثَنوِيَّة

وإن ملاحيد الفلاسفة الأُولى ... يقولون بالفعل القديم بعلة

بغَوا علةً للكون بعد انعدامه ... فلم يجدوا ذاكم، فضلوا بضلَّة

وَإن مبادى الشر فى كل أمَّة ... ذوى ملة ميمونة نبوية

بخوضهمُ فى ذاكم، صار شركهم ... وَجاء دروس البينات بفترة

ويكفيك نقضا: أن ما قد سألته ... من العذر مردود لدى كل فِطْرة

فأنت تعيب الطاعنين جميعهم ... عليك، وترميهم بكل مَذمَّة

وَتَنْحلُ مَنْ والاك صفوَ مَوَدَّة ... وتُبْغض من ناواك من كل فِرقة

وحالهمُ فى كل قول وفِعْلَة ... كحالك، ياهذا، بأرجح حجة

وهَبْك كففت اللوم عن كل كافر ... وكل غَوِىٍ خارج عن مَحجة

فيلزمك الإعراض عن كل ظالم ... على الناس فى نفسٍ، ومال، وحُرمة

ولا تغضبن يوما على سافكٍ دما ... ولا سارقٍ مالاً لصاحب فاقة

ولا شاتمٍ عرضًا مصونا، وإن علا ... ولا ناكحٍ فرجاً على وَجْه غيَّة

ولا قاطع للناس نَهْج سبيلهم ... ولا مفسدٍ فى الأرض فى كل وجهة

ولا شاهد بالزور إفكًا وفِرْية ... ولا قاذفٍ للمحصنات بريْبة

ولامُهلك للحَرْثِ والنَّسْل عامدا ... ولا حاكم للعالمين برشْوة

وَكُفَّ لسان اللوم عن كل مفسد ... ولا تأخذن ذا جُرمة بعقوبة

وسَهِّلْ سبيل الكاذبين تعمداً ... عَلَى ربِّهم، من كل جاءٍ بفِرْية

وإن قصدوا إضلال من يستجيبهم — برَوْمِ فساد النوع، ثم الرياسة

وجادل عن الملعون، فرعون، إذ طغَى — فأُغْرِق فى اليمِّ انتقاما بعصبة

وكل كَفورٍ مشرك بإلهه — وآخر طاغٍ كافر بنبوة

كعادٍ ونمرودٍ، وقوم لصالح — وقوم لنوح، ثم أصحاب الأيْكَة

وخاصم لموسى، ثم سائر من أتى — من الأنبياء محيياً للشريعة

على كونهم إذ جاهدوا الناس إذ بغوا — ونالوا من العاصى بلوغ العقوبة

وإلا فكل الخلق فى كل لفظة — وَلَحْظَة عينٍ، أو تحرك شَعْرة

وبطشة كَفٍ، أو تخطى قُدَيْمَة — وكل حراك، بل بكل سكينة

هُمُ تحت أقدار الإله وحكمه — كما أنت فيما قد أتيت بحجة

وَهَبْك رفعت اللوم عن كل فاعل — فِعَالَ ردىً، طردًا لهذى المقيسة

فهل تُمكنَنْ رفعُ الملام جميعه — عن الناس طُرًّا عند كل قبيحة؟

[٥٧/أ] وترك عقوبات الذين قد اعتدوا — وترك الورى الإنصاف بين الرعية /

فلا تُضمنَنْ نفسٌ ومال بمثله — ولاتُعقبن عادٍ بمثل الجريمة

وهل فى عقول الناس، أو فى طباعهم — قبول لقول النَّذْل : ما وجه حيلتى؟

ويكفيك نقضاً ما بجسم ابن آدم — صبى، ومجنون، وكل بهيمة

من الألم المقضى فى غير حيلة — وفيما يشاء الله أكملُ حكمة

إذا كان فى هذا له حكمة، فما — يُظَنّ بخلق الفعل، ثم العقوبة؟

وكـيف، ومنْ هـذا عـذابٌ مـخلد — عن الفعل فعل العبد، عبد الطبيعة؟

كـآكل سُـمٍ أوجب الموت أكلـه — وكلٌّ بتـقـديرٍ لرب البَـريَّة

فكفـرك ياهذا، كـسُمٍّ أكلتـه — وتعـذيب نارٍ، مـثل جَـرْعَـة غُـصـة

ألست ترى فى هذه الدارَ من جنى — يعـاقبُ، إمـا بالقـضـاء أو بشِـرْعَـة؟

ولا عـذر للجـانى بتـقـدير خـالق — كـذلك فى الأخـرى بلا مـثْنَوِيَّة

وتقـدير رب الخلق للذنب مـوجب — كـتـقـدير عُـقـبى الذنب إلا بتـوبة

ومن كـان من جنس المتـاب لرفـعـه — عـواقب أفعـال العـبـاد الخـبـيـثـة

كـجَـبْـريَّة تمحى الذنوب، ودعـوة — تجـاب من الجـانى، ورَبٍّ شـفـاعـة

وقـول حَليف الشـعـر: إنى مُـقَـدَّرٌ — عَلَىَّ، كقـول الذِّيبِ: هذى طبـيـعـتى

وتقـديره للفـعـل يجلب نقـمـة — كـتـقـديره الآثار طُرًّا بِعِلَّة

فـهلْ يَنْفَـعَنْ عـذر الملوم، لأنه — كـذا طبـعـه، أم هل يقـال لعـثـرة؟

أم الذنبُ والتـعـذيبُ أوْكـدُ للذى — طبـيـعـتـه فـعلُ الشـرور الشنيـعـة؟

فـإن كنتَ تَرجـو أن تجـاب بما عـسى — ينجِّـيك من نـار الإله العظيـمـة

فدونك ربَّ الخلق، فـاقصده ضارعا — مـريداً بأن يهـديك نحـو الحـقـيـقـة

و ذَلِّلْ قِيـاد النفس للحق، واسـمَـعَنْ … ولا تُعـرِضَـنْ عن فكرة مـسـتـقـيـمـة

و مـــا بانَ من حقٍ فـــلا تتـــركنَّه … ولا تعص من يدعـــو لأقـــوم رَيْعَـــة

وَ دَعْ دِين ذا العـــادات، لاتَتْـــبَـــعَنَّه … وعُجْ عن سـبـيل الأمـة الغـضـبـيَّـة

ومن ضل عن حق فـــلا تَقْـــفُـــونَّه … و زنْ مـــا عليـــه الناس بالمعـــدليـــة

هنالك تبـــدو طلعـــاتٌ من الهـــدى … تُبَـشِّـــرُ مَنْ قـــد جـــاء بالحنفـــيـــة

بملَّـةِ إبراهيـم، ذاك إمـــــــامُـنـا … ودِين رســـول الله خـــيـــر البـــرية

فـلا يقـبلُ الرحـمنُ دينا سـوى الذى … به جـاءت الرسل الكرام السـجـيـة

و قد جاء هذا الحاشـر الخاتم الذى … حـوى كل خـيـر فى عـمـوم الرسـالة

و أخـبـــر عن رب العـــبـــاد بأن مَنْ … عـدا عنه فى الأخـرى بأقـبح جَنْيَـةِ

فـــهـــذى دلالات العـــبـــاد لحـــائر … وأمـــا هداه فـــهـــو فـــعل الربوبة

وفـقـد الهـدى عند الورى لا يُقيل مَنْ … غَـدا عنه، بل يُجـزى بلا وجـه حـجـة

وحـــجَّـــة مـــحـــتـج بتـــقـــدير ربه … يريد عـذابا، كـاحـتـجـاج مـريضـة

وأمـــا رضـــانا بالقـــضـــاء فـــإنما … أُمـــرنا بأن نرضى بمثل المصـــيـــبـــة

كـــســـقم، وفـــقـــر، ثم ذُلٍ، وغُـــربة … ومـــا كـــان من ســـوء بدون جـــريمة

فـأمـــا الأفـاعـيل التى كُـرهت لنا … فـلا تُرتضى، مـسـخـوطة لمشيـئـة

وقد قال قوم من أُولى العلم: لا رضاً … بفـعل المعـاصى والذنوب الكريهـة

وقال فريق: تُرتضى لقضائه ... لها. وما فيها فيلقى بسخطة

كما أنها للرب خلق، وأنها ... لمخلوقة، ليست كفعل الغريزة

فنرضى من الوجه الذى هى خلقه ... ونسخط من وجه اكتساب بحيلة

ومعصية العبد المكلَّف تركُه ... لما أمر المولى، وإنْ بمشيئة

فإنَّ إله الخلق حق مقالُه ... بأنّ العباد فى جحيم و جنة

كما أنهم فى هذه الدار هكذا ... بل البُهْمُ فى الآلام أيضا و نعمة

وحكمته العليا اقتضت ما اقتضت من الـ ... فروق بعلْمٍ ثم أيْدٍ ورحمة / [٥٧/ب]

يسوق أُولى التعذيب بالسبب الذى ... يُقَدِّره نحوَ العذاب بِعزَّة

ويهدى أُولى التنعيم نحو نعيمهم ... بأعمال صدق، فى رجاء وخشية

وأمْرُ إله الخلق تبيين ما به ... يسوق أُولى التنعيم نحو السعادة

فَمَنْ كان من أهل السعادة أثَّرت ... أوامره فيه بتيسير صنعة

و مَنْ كان من أهل الشقاوة لم يَنَلْ ... بأمر و لا نهى بتقدير شِقْوة

ولا مخرجٌ للعبد عما به قضى ... ولكنه شاء بخلق الإرادة

ومن أعجب الأشياء : خلق مشيئة ... بها صار مختارَ الهدى والضلالة

فقولك : هل أختار تركاً لحكمه؟ ... كقولك : هل أختار ترك المشيئة؟

وأختار أن لا أختار فعل ضلالة ... ولو نِلْتَ هذا الترك فُزت بتوبة

و ذا ممكن ، لكنه متوقف ... على من يشاء الله من ذى المشيئة

فدونك ، فافهم ما به قد أجبتُ من ... معانٍ، إذا انحلَّت بفهم غريزة

أشارت إلى أصل تشير إلى الهدى ... ولله ربِّ الخلق أكمل مِدْحة

وصلى إله الخلق، جلَّ جلاله ... على المصطفى المختار خير البرية[1]

تمت بحمد الله وعونه، وهى مائة وأربعة وثمانون بيتا، بل هى مائة وخمسة أبيات.

* * *

الحمد لله رب العالمين.

قال القاضى أبو بكر محمد بن عبد الباقى بن محمد البزار: إنَّ المظفر هَنَّاد ابن إبراهيم النسفى يقول : سمعت أبا القاسم عبد الواحد بن عبد السلام بن الواثق يقول: سمعت بعض الصالحين يقول : رؤى بعض الصالحين فى المنام. فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال : غفر لى.

قيل: من وجدتَ أكثر أهل الجنة ؟ قال : أصحاب الشافعى.

فقيل : فأين أصحاب أحمد بن حنبل؟

قال : سألتنى عن أكثر أهل الجنة. ما سألتنى عن أعلى أهل الجنة، أصحاب أحمد أعلى أهل الجنة، وأصحاب الشافعى أكثر أهل الجنة.

---

(١) كتب الناسخ بعد هذه الكلمة: ختم النبوة، ووضع فوقها علامة شطب.

[رثاء ابن سلار للشيخ]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الفقيه، أمين الدين عبد الوهاب بن سلار الشافعي ـ رضي الله عنه ـ يرثي الشيخ تقي الدين، الإمام أحمد بن تيمية:

كل حي له الممات ورود ... ليس في الدنيا لمرء خلود

كل خلّ مفارق لخليل ... كل وصل إلى انفصال يعود

ليس يَبْقى إلا إله البرايا ... دائمُ الملك والبقا. لايبيد

عينُ، سحّي بمدمع ليس يرقأ ... وسهادٍ دائما، وأجفانُ جودوا

يالجُرحٍ بمهجتي، ليس يَبرا ... أو يجودوا بطَيْفهم، أو يعودوا

هل لما بي من مُسْعِدٍ، أو معين؟ ... عَزَّ صبري، وفَرْط حزني يزيد

وَيْكِ نفسي، تعاملي باصطبار ... فالذي قد قضى بهذا مُريد

قد رُزئنا إمام علمٍ ودين ... عَدِم المثل في الزمان فريد

يالَحُزَن عليه ، عمَّ البرايا ... يالَنَارِ، لها بقلبي وَقود

كان شيخ الإسلام عقلا ونقلا ... سَنَن البِدْع عنده مردود

كان في العلم والشجاعة فَذًّا ... و هو في الزهد والعفاف يسود

كان بالعُرف آمراً ، لا للحظ ... وعن النُّكر للعباد يذود

كان لله ذاكراً كل وقت ... وعن اللهو والضلال بعيد

مات لله صابرا وسْطَ سجن ... يوم الاثنين، سرُّه مشهود

وتولاَّه الأبرار غَسْلاً ودفنا ... أبيض الوجه، في الثرى ملحود

حين وافى على الرءوس مُسَجًّى ... والبرايا من كل حَيٍ وفود

صِحْتُ من فرط ما بدا لي : مَهْـ ... ـلا، لك في جَنَّة الخلود خلود

يا لهَـا من رَزِيَة طاش فـيــهــا ... كل لـب ٍ وتقـــشــعـــرُّ الجـلود

[٥٨/أ] يا ابن تيـمـيـة، عليك سـلامى بِرَحْمٍ ... كل وقـت يمضى، ووقت يعـــود /

يا ابن عـبـد الحليم ، حلمُك يسـمـو ... يا ابن عـبـد السـلام ، سِلْمُك جـود

يا إِمــام العلوم، مَنْ للفــتــاوى؟ ... ولحل الإشكال حَــبــراً تفــيــد؟

ولفـــهم الكتـــاب والنقل بَحـــرٌ ... فى مـعـانيـهـمـا مـصـيب شـديد

يا بشــوشًــا لكل من رام نفــعــاً ... إن من نـال مَن جناك ســعــيــد

كلُّ وقت مــضى لديك ســمــاعــا ... ذاك عند التـحـقـيق عـمـر جـديد

ليت شـعــرى ، أيَّامَنا باجـتـمــاع ... بك، هـل تبــدو لنـا ، أو تعـــود؟

طبْتَ تُرباً ، وقُـــدِّسَتْ منك روح ... ومُنِحْتَ النعــيم مـــهـــمـا تريد

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

* * *

[رثاء ابن عساكر]

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدتُ بخط والدى يقول:

أنشد الشيخ الإمام العالم، مسند الشام، بهاءُ الدين القاسم بن محمود بن عساكر - أبقاه الله تعالى - لنفسه فى شيخ الإسلام تقىِّ الدين أحمد بن تيمية هذين البيتين، فى يوم الأربعاء سابع رجب عام عشرين وسبعمائة، بمنزله بدمشق:

تقى الدين أضحى بحر علم ... يجيب السائلين بلا قنوط

أحاط بكل علم فيه نفع ... فقُلْ ماشئت فى البحر المحيط

* * *

[رثاء القواس]

وأيضا وجدت بخطه فى ابن تيمية يقول:

أنشدنا الشيخ صلاح الدين القوّاس من لفظه ونَظْمه، فى شوال سنة ست وسبعمائة ببعلبك، بمسجد الحنابلة:

قالوا: ابن تيميَّة فى السجن، قلت : لهم ... لا يعجزنكم الأفكار بالقلق

مات الموفّق والقاضى الإمام أبو ... يَعْلَى ، ومات أبو الخطَّاب ، والخِرَقى

ولابن حنبلٍ الصديق نورُ هُدًى ... حتى القيامة مثل البدر فى الغَسَق

وفضله بين أهل الفضل مشتهر ... و إصبعاه من الزنديق فى الحدق

تم والحمد لله وحده

* * *

[رثاء الدقوقى]

بسم الله الرحمن الرحيم

وجدت بخط الشيخ سعيد الذهلى يقول:

أنشدنا الشيخ الإمام العالم الفاضل الكامل، أوحد دهره، وفريد عصره، إمام المحققين، وقدوة أئمة المحدثين، تقى الدين أبو الثناء محمود بن على بن محمود ابن مقبل بن سليمان بن داود الدقوقى المُحَدث ـ سامحه الله تعالى ـ لنفسه.

يرثى الشيخ الإمام العلامة والبحر الفهامة، حجة الإسلام، وقدوة الأنام، تقى الملة والحق والدين، أحمد بن الشيخ الإمام شهاب الدين عبد الحليم، بن الشيخ الإمام العلامة مجد الدين عبد السلام بن تيمية الحرّانى ـ قدس الله روحه ـ ونوَّر ضريحه ـ فى سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، ولم ير الشيخَ ـ رحمه الله ـ:

قِفْ بالربوع الهامدات وعَدِّد ... وأذْرِ الدموع الجامدات وبَددِ

واحبس مطيَّك فى المنازل ساعة ... واسْأل، ولاتَكُ فى سؤالك مُعْتَدِ

واقطع علائقك التي هى فتنة ... وَاتَّبِعْ سبيل أُولى الهداية تهتد

ودَّعْ صباك وَدَعْ أباطيل المُنَى ... واهْجُرْ دُنَيَّات الأمور وسَدِّد

واقنع من الدنيا القليل، ولازم الفعل ... الجميل، وسرْ بسير مُجَرَّد[1]

وتوخَّ فعل الخير، واصْحَب أهله ... متحبباً متجنبا أهل الدَّد[2]

لاتعتبَنَّ مفارقا يبكى على ... أحبابه ، وارحمه إن لم تُسْعِد

ودَعِ المروَّع بالبعاد وعَذله ... فالعذل أمضى من فعال مُهَنَّد

(١) فى الأصل : سير مجرد ، وأضفنا الباء لصحة الوزن.

(٢) الدد : اللهو واللعب.

مـاذا الوقـوف عن السُّـرى، وصحـابُنا ... سـاروا، وصـاروا بالعَـراء الفَـدْفَـد

لا اخـضَـرَّ بعـدهم العـقـيق، ولا شَـدَتْ ... وُرْقُ الحـمـائم فـوق برقَـد ثَهْـمَـد

أمـــا أنا، فـــلأبْكيَنَّ ، فـــإن وَنى ... دمعى ، سفكتُ حشاشة القلب الصدى

أين المعين على الخطوب إذا عـرت؟ ... أين المسـاعـد عند فـقـد المسـعـد؟

[٥٨/ب] أوَ ما درى مَنْ كُنت تعرف قد مضى / ... لسـبـيله فى ضنك لَحْـدٍ مُـؤْصَـدِ؟

أين المحـامى عن شـريعـة أحـمـد؟ ... أين المحـقق نهجَ مـذهب أحـمـد؟

مـات الإمـام العـالم الحـبـر الذى ... بُهـداه عـالِمُ كل قـومٍ يهـتـدى

مَنْ لليـهـود، وللنصـارى بعـده ... يرمــيــهمُ بمقـاله المتـسـدد؟

سل عنه دَيَّان اليـهـود، أمـا غـدا ... مُـتلفـعـا بصـغـاره المتـهـود؟

نشـأت على فـعل التّـقَى أطوارُه ... فـعَنَتْ له التـقـوى، وأعطت عن يَد

ورِثَ الزَّهـادة كـابراً عن كـابر ... والعلم إرثا سـيـدا عن سـيـد

قف، إن مـررت بقاسيون[١] على ثرى ... فـيـه ضـريح العـالم المتـفـرد

واعـجب لقـبـر ضَمَّ بَحْـرًا زَاخـراً ... بالفـضل يقـذف بالعُـلا والسـؤدد

بَشَـرٌ يُبَـشِّـر بالغنى من جـاءه ... يسـر يَسُـرَّ فـؤاد عـان مـزهد

كـانت به أرض الشـام أمـينة ... من مُـبْطل مَـتَـهـولٍ مـتلدد

لو تسـتطيع بنات نَعشٍ أن ترى ... يومـاً يسـيـر بنعش مـيت ملحـد

كـانت تسـيـر بنعـشـه وتحطه ... فـوق السِّـماك وفـوق فَـرْق الفَـرقـد

مـات الذى جـمع العلوم إلى التـقى ... والفـضل والورع الصـحـيح الجـيـد

شـيُخ الأنام تقى دين مـحـمـد ... وجـمـال مذهب ذى الفضائل أحـمـد

ودّعت قلبى يوم جاء نَعيُّه ... فتقاعدى ياعَيْنُ بى أو أنجدى

سقَتِ العِهادُ عِراصَ قبر حَلَّه ... جسدٌ حَوى خُلُقًا وحسن تودد[1]

يامُبلغ العُذّال فَرْطَ صبابتى ... وتقلقى يوم النوَى وتَسهُّدى

مابعد رُزْئِك فى الزمان رَزِيةٌ ... تُصْمِى المقاتل بالفراق ولاتدى

بَدَّدْتَ شمل الملحدين جميعهم ... وجمعتَ شمل ذَوى التقَى المتبدد

يا من ترى أقواله مُبْيضَّةً ... فى كل ذى قول ووجه أسود

يا كالئَ الإسلام من أعدائه ... وسمام[2] كل أخى نفاق ملحد

يا واحد الدنيا الذى بعلومه ... يمتاز فى الإسلام كل موحد

يا حامل الأعباء عن مستنصر ... ياكاشف الغماء عن مستنجد

يا طارد الشبهات عن متردد ... يا دافع الفاقات عن مسترفد

قَرَّت عيون مُجاوريك ، وقد غنوا ... بجوار قبرك عن وثير المرقد

فكأنما تلك اللحود حدائق ... تزهو بنرجس زهرها الغَضِّ النَّدى

يا خاتم العلماء صحَّ بموتك الـ ... ـخبر الذى يرويه كل مُجَوِّد

اليوم قَبْضُ العلم قولاً واحدا ... من غير ما منعٍ ، وغير تردد

لو لم يكن خَتم الأئمة أحمدٌ ... بَشَّرتُ أهل الخافقين بأحمد

خَوْضُ الكرائه لم تَزل من دأبه ... فيهِ الفوارس فى المضايق تهتدى

شيخٌ إذا أبصرته فى مَحْفِلٍ ... تَقْذَى برؤيته عيون الحُسَّد

ذو المنقبات الغُرِّ والشِّيَمِ التى ... يَفْنَى الزمان وذكره لم ينفد

يا مَن يروم له عَدِيلاً فى الورى ... قد رُمْتَ كالعنقاء ما لم يوجد

---

(١) كتب الناسخ أربعة أبيات ثم وضع عليها علامة شطب لأنها تكررت بعد ذلك من أول : يا واحد الدنيا الذى بعلومه .. إلى آخره.

(٢) سمام : جمع سُم ، ويجمع - أيضاً - على سموم.

كم بين رِئْبال الفلاة وثعلبٍ — كم بين شعواء البُزاةِ وجُدْجُدِ؟

أرِحِ المَطِيَّ، ولا تكن كمحاول — صَيدَ النُّجوم من المياه الرُّكَّد

[٥٩/أ] قد كان شمسا للصِّحاب منيرة — بضيائها ، فى كل قُطرٍ، نهتدى /

واليوم أدركها الكسوف، فأظلمت — طرق الهدى للسالك المتردد

لهفى على تلك الشمائل والنَّدَى — والجود والهَدْيِ القويم الأرشد

هجم الحِمام ، فلا مَفَرَّ لهارب — والموت فى الدنيا لنا بالمَرْصَد

مات الصديق ، ومات من عاديته — وتموت أنت كمثله ، وكأنْ قَدِ

وإذا مضى أقران عمرك فانتظر — فى يومك الناعِى ، وإلا فى غَدِ

لكن لنا عن كل خِلٍّ سَلوة — بمصاب سيدنا النبى محمد

صلى عليه الله ما هجر الكَرَى — جَفْن التقىِّ القانت المتهجد

تم ولله الحمد . وعدَّتها ستة وخمسون بيتا

بسم الله الرحمن الرحيم

أيضاً للدَّقُوقى، رحمه الله تعالى

مـــا كُفء هذا الرُّزْء جَــفْنٌ تَسْــجم　　أبــدا، ولا قــلــبٌ يــذوب ويـــألــم
رُزء أصَمَّ جــمــيع أســمـــاع الورى　　سـبق الحـدوثَ به القـضـاءُ المبـرم
رُزء يَــجِــلُّ عــن الــبــكــاء، لأنــه　　لا رُزء مـنـه فـى البـــــرية أعـظم
يتـضـاءل اللَّسن الفـصـيح لذكـره　　ويـجلُّ قـــدراً فى النفـــوس ويعظم
رزء له هَـوَت النجــــوم، وكُــــوِّرت　　شـمس الضحى، والصبح ليلُ مُعْـتِم
من عُظْمِ مَـوقـعـه، وقـادح خَطبـه　　لم يَدْرِ قُسٌّ مـــا البـيـــانُ، وأكــثم
لكنَّمـــا تجــرى الأمـــور بكل مـــا　　يقــضى به رب الســمـــاء ويحكم
والأمـر أعظم أن يقـوم ببـعـضـه[1]　　دمع يصـــوب ولم يخـــالطه دم[2]
ذا الخطبُ أعظم أن يداوَى بـالأسَى　　هـذا المصــــاب أجلّ مما تعلم
كلٌّ يدافع حَــتْـــفــه عن أنْفِـــه　　حـتى يفـاجـئـه الحِـمـام المؤلم
أعْـيَى الأنام، فـمـا لَهُ من ملجـأ　　يُـؤويهم عن الخطوب، ويعـــصم
والموت وردٌ للجــــمـــيـع، وكلّهم　　فى مـاء ذاك الوِرْد حـتـمـا يقـدم
من أخطـأته يد الحـوادث فى الصِّبا　　لابـد تدركـــه إذا هـو يهـــرم[3]
سـيَّان فى حكم القـضـاء[4] مـؤجَّل　　فى نفـســه، ومُـعـجل يتـقـدم
أأُخَىَّ، لاتُبْــعـــد، فليس بخـــالد　　أحـــد، ولا حَىٌّ عليـــهـــا ويسلم
لا تَعْـــذل البـــاكى على أحــبـــابه　　واعْـــذُره، وارحـــمـــه، لعلَّك تُرحم
للخَطْب يُدَّخــر الصــديق ولا أرى　　فى الناس يوم البـيْن خِـلاً يرحم

(١) فى هامش الأصل: بحقه بدل ببعضه.　(٢) فى هامش الأصل مكتوب: صب حشاشته تذوب وتكلم.
(٣) فى هامش الأصل: أن تدركه إذ هو يهرم.　(٤) فى هامش الأصل: الفناء بدل القضاء.

لا تحسبوا وُرْقَ الحمَام سواجعا ... يوم الرحيل، ولا المطايا تَدْرَم[1]

هذى تحنُّ فتَشْتكى ألمَ[2] السُّرى ... والوُرْقُ تذكر إلْفَها، فَتَرنَّم

ما حاربت أيدى الرَّدَى فى مَأزقٍ ... إلا غدت أقرانه تَتَخَرَّم

من ذا يُطيق مع الفراق تَجَلّداً؟ ... قُلْ لى، وقد (مات الإمام الأعظم)

أودَى فريد الدهر أوحدَ عصره ... ومضى التقىّ العارف المتوسِّم

شيخ يَسُود بجِده وبجَده ... وسواه فى هذين صِفْرٌ مُعدِم

شيخ كأنَّ الله أودع سِرَّه ... فيه، فما تلقاه إلا يعلم

اليوم أكشف عن غوامض سره ... اليوم منه يُفَسَّر المستعجم

قد كان يؤثِرُ من أتاه بقوته ... ويَظلّ طول نهاره لا يطعم

ويجود بالموجود منه، ويرشد الـ ... جَنف[1] العصىَّ بهَدْيه، ويقوِّم

ظهرت له شِيَم التُقى، فكأنه ... بطهَارة الأثواب نُسْكا: مُحرِم

وإذا تقاعست الرجال، فإنه ... يوم النّزاع: العالم المتقدم

مَنْ ذا يُرى للمشكلات يَحُلها ... والواقعات، ومن به يُستعصم؟

وعلى النصارى الملحدين، إذا أتوا ... من ذَا يَرُدّ، وَمَنْ يُجيب ويُفْهِم؟

[٥٩/ب] يشتاقه الإرسال فى إسناده ... والنسخ والمنسوخ، ثم المُحْكَم /

وبَكَتّه عَنْعنة الحديث وطُرْقه ... وبيان ما يحوى عليه المعجم

هذا الذى للدين منه مُعلِّلٌ ... ومنوِّع، ومجنس، ومعلم

هذا الإمام الحجة الحبر، الذى ... تُنفى به شُبَه الشكوك وتُحْسَمُ

فضلٌ وزهد لا يُعَدُّ[4] وعفَّةٌ ... وديانة ورزانة وتحلُّم

---

(١) تدرم: يقال درم البعير إذا ذهبت جلدة أسنانه ودنا وقوعها فهو أدرم، وأذرم.

(٢) فى هامش الأصل: «طول» بدل «ألم»

(٣) الجَنف: المائل عن الحق.

(٤) فى هامش الأصل: لعله لا يُحدّ.

لك يا ابن مَجْد الدين طَوْدٌ باذخٌ   فى الفضل، ممنوع الجوانب أبْهَمُ[1]

أقسمتُ ما وُصف امرؤ بصيانة   فى نفسه، إلا وصونُك أعظم

أبدَى مُصلاَّك البكاء، وحَسْبه   يبكى عليك، وحَقُّه يتندَّم

أسفاً على ما فاته من وِرْده   والليلُ ساج، والخلائق نُوَّم

حسدوه إذ وجدوه أعلم منهم   ورأوه أفضلهم، وإن كانوا عَموا

عَقَلوه إذ عقلوه. ليثَ كباشهم   والليثُ يُعقل من سِطَاه ويُلْجَمُ

تبكى عليه جوامع، ومجامع   ومناقبٌ، ومراتب تتهدم

وزكَتْ خلائقه الشِّراف، وكُرِّمت   منه المعارش، وهو منها أكرم

جمعت له أشتات كلّ فضيلة   تَروِى مدائح شاردات حُوَّم

ملأت فضائله البلاد، ففضله   كالشمس، نور ضيائها لايُكتم

ولقد دَعوتُ الشِّعر يوم نَعيِّه   فأبى علىَّ. فلم أُطقْ أتكلم

أنَّى يجيب؟ ومن لوازم حَقِّه   أن لا يُجيبَ، وفكرُه مُتَقَسِّم

وأخذتُ أكتب ما أقول، وأدمعى   بين السُّطور كعقد دُرٍّ يُنظم

نَفِدَ المدادُ، فساعدته مَدامعى   فعَصى علىَّ، فساعدَ الدمعَ الدم

حَالَ المداد عن السواد، كأنه   دمع المحاجم صُبَّ فيه العَنْدم[2]

جادت ضريحا بالشَّام غمامة   تسقى التراب سحاب عفو مُثْجَم

وسَقَى قبوراً جاورته من الرِّضا   تحت التراب سحاب عفو مُثْجَم

طوبى لمن أمسى مجاور تُرْبِه   من أجلها الجار المجاور يُكْرم

أمسى وتحت الأرض عُرسٌ إذ نوى   فيها، وفوق الأرض فينا مأتم

هذا وأملاك السماء تَحُفّه   فى كل يوم لا تَمَلّ وتسأم

يا أرض صرت به كرَوْضة جنة   لنزيلها فى كل يوم مَوْسِم

لسواه تشقيق الجيوب، وإنما   شقّ الجيوب عليه مما يلزم

سعِدت به أرض أقام برمْسها   ميْتاً، وهذا الميت حىٌّ مُكرم

(١) الأبهم: هو الجبل المصمت الصلب، ومنه البهمة وهى الصخرة الصلدة الصماء.

(٢) فى هامش الأصل: جود بدل عفو.

نُقلت إلى جنات عَدْنٍ روحه	والْحُورُ والولدان فيها تَخدِم
جُثمانه تحت العَراء، وروحه	فى مقعد الصِّدق الرضا تتنعم
لو كان للقبر المحيط بجسمه	يوما لسانٌ ناطق يتكلم
لسمعت بُشراه بمَنْ وافَى إلى	عَرَصاته من خير ضَيْف يقدُم
هو فى جوار الله أشرفِ منزل	واللّهُ أرأف بالعباد وأرحم
تبكى له السبع الطَّوافُ وسَعْيه	والحِجْرُ، والبيت العتيق، وزمزم
وتَعطَّل المحراب من متهجد	بالذكر فى أسحاره يَتَرنَّم
والخلق إن نُسبوا إليه كواحد	فى أمةٍ، وهُو الفريد الأعلم
أضحت سُطور الفضل يصعب فهمها	كالخط أصعبه الغريب المبهم
فأبان مشكلها، وأوضح رمزها	فغدت بتنقيط الفضائل تُعْجَم
إن كان قد أمسى رهين مُوَدَّأ	زَلِخُ الجوانب جَدْرُه متهدم[1]
فلُربَّ عانٍ قد أعان وأكْمه	هَدَّى، فأرشده، ولا يَتَبرَّم
وضريحه كالمسك، يَنْشقُ عَرْفهُ	من كان من حَنقٍ عليه يُسَلم
[٦٠/أ] إن كان هذا الرُّزء يعظم ذكره /	شرفاً، ويُنْجد فى البلاد ويُتْهم
فالصبر أكرم مَلْبَس يختاره	حُرٌّ بصير، بالعواقب مسلم
وعلى النبى من الإله صلاته	ما سارت الأظعان سوقا تَرْزِم

قال الشيخ أبو بكر بن أحمد الدُّريبى[2] رحمه الله:

كان على النسخة التى نقلت منها نسختى هذه ما صورته:

نقلتها من خط مؤلفها الشيخ الإمام العلامة، أوحد عصره، وفريد دهره أبى الثناء محمود بن على بن محمود الدقوقى، البغدادى، قدس الله روحه:

---

(١) ودأ عليه الأرض تودئياً: سواها، وزلخ الجوانب: أملسها.
(٢) لم نجد له ترجمة.

وقال أيضا: شاهدت على الأصل المنقول منه ما صورته:

سمع عليّ الولدُ السعيد أبو الخير، سعيد بن عبد الله الذُّهْلى الحريرى جميع هذه القصيدة الموسومة: بمرثاة الشيخ العالم الربانى تقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى. بقراءة الشيخ الإمام الأوحد الفاضل المحقق الكامل، جمال الدين أبى أحمد يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد السامُرِّى. وذلك فى يوم الثلاثاء سادس عشر ربيع الأول سنة ثلاثين وسبعمائة.

وكتب ناظمها محمود بن على بن محمود الدقوقى حامدا ومصليا.

توفى ناظم هذه المرثاة الشيخ تقى الدين الدقوقى يوم الاثنين العشرين من المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة، ودفن يوم الثلاثاء بمقبرة الإمام أحمد، وحملت جنازته على الرءوس. رحمه الله.

وأيضاً للدقوقى ـ رحمه الله تعالى ـ:

مضى عالم الدنيا الذى عزَّ فقده ... وأضرم ناراً فى الجوائح بعده

فدمعى طليق فوق خَدِّى مُسلسل ... أُكَفْكِفُه حينا، وجَفنى يَرُدُّه

ويرجو التلاقى، والفراق يَصُدُّه ... وما حيلة الرَّاجى إذا خاب قصده

مضى الطاهر الأثواب، ذو العلم والحجى ... ولم يتدنس قط بالإثم بُرْده

مضى الزاهد النَّدب ابن تيمية الذى ... أقَرَّ له بالعلم والفضل ضِدّه

بكَتْه بلاد الشام طُرًّا وأهلُها ... وجامعها وانْماعَ للحزن صَلْده

يَحِنُّ إليه فى النهار صِيامه ... ويشتاقه فى ظلمة الليل وِرْده

ويبكى له نوع الكلام وجنسه ... ويَنْدبُهُ فصل الخطاب وجَدّه

حَمَى نفسَه الدنيا، وعَفَّ تكرما ... ولَمَّا يُصَعِّر للدَّنيَّات خَدّه

ولم يجتمع زوجان من شهواتها ... لديه، وبين الناس قد صَحَّ زهده

ويؤثر عن فقر، وفيه قَناعة ... ويعجبه من كل شىء أشَدُّه
عليم بمنسوخ الحديث وحكمه ... وناسخه، فخر الزمان ومَجده
قؤول، فعول، طيب الخيم، طاهر ... إمام، له من كل علم أسَدُّه
فما قال فى دنياه هُجْرا ولا هوى ... ولا زاغ عن حق تبيَّن رشده
علوم كنَشر المِسْك من كل سيرة ... يُشَيِّد دين المصطفى ويُجدّه
فلله ما ضَمَّ التراب، وما حوى ... من الفضل، فليَفْخَرْ على الأرض لَحده
فيا نَعْشَه، ما ذا حملت من امرئ ... جميع الورى فيه، وفوقك فرده؟
وكان لنا بحرا من العلم زاخرا ... فما باله لم يصف مُذْ غاب وِرْده؟
وما مات من تبقى التصانيف بعده ... مخلَّدَةً، والعلم والفضل وُلْده
وخلّف آثارا حِساناً حميدة ... إذا عُدّدت زادت على ما نعده
ولست مطيقا شرح ذاك مُفصلاً ... ولكن على الإجمال يعكس طرده
لقد فارق الأصحاب منه مصاحبا ... يُراعِى وداد الخِلّ إن خان أوده
قضى نَحبَه والله راضٍ بفعله ... ولله فيما قد قضى فيه حمده
[٦٠/ب] يدل تراب القبر من جاء زائرا ... إليه بطيب فيه يَعْبق ندّه /
ولا تحسبوا ما فاح عِطرَ حُنوطه ... ولكنه حُسن الثناء ومَجْده
وكان لأهل العلم تاجًا مُكلّلا ... يحوطهُم من مُبْطِل خِيفَ حقده
وما كان إلا التِّبْرَ عند امتحانه ... يبين لعين الحاذق النَّقد نَقدُه
وكان يقول الحق، والحق حلوُه ... مَرير، لهذا كان يُكْرَه ردّه
وفى الحق لم تأخذه لومة لائم ... ولا خاف من غُمْر تشدّد حَرْده[1]
وما كان إلا السيف غارت يد العلا ... عليه، فردته كما غار غمده
ولم تلهه الدنيا وزخرفها الذى ... يروق لمن لم يؤنس الدهر رشده

---

(١) الغمر (مثلث الغين): هو من لم يجرب الأمور، والحرد: شدة الغضب والغيظ.

لقـد فـقـدت منه المحـافل زينهـا ... ولمَّا يفـارق علمـه الجم وجـده

وخـضـبت الأقـلام بعـد مـدادهـا ... عليه دما، قد فاض فى الطِّرس مَدُّه

فللدَّهر مـا ضَمَّ الثَّـرى من مـحـقق ... ويالك من عـضْب تَثَلَّم جَـدُّه

وكـان إمـامــا يُسـتـضـاء بنوره ... وبحراً من الأفضال قَد غيْض عدّه

وكنتُ أرَجِّى أن أراه، ونلتـــقى ... ولكن قـضـاء الله، مَنْ ذا يردُّه؟

نرى الموت مــألوف الطبـاع، وربما ... يُـعَـلل بـالمـألـوف مـن لا يَـوَدّه

فـآه على تفـريق شـمل مُـجـمَّع ... وحَـرٌّ فـؤاد بان، مُـذْ بان بَرده

إلا أنهـــا نفس، وللنفس حـــرة ... وقلب وقد يَشْجَى و يُضنيه وجده

ولست بناس عـهـد خلٍّ تغـيـبت ... مـحـاسنه، والخِلُّ يُحفَظ عهده

ومـا عُـذْر دمع لا يَجـيشُ بدمـعـه ... غـداة نأى عنه الصديق ورفـده

يروم الأمـــانى، والمنايا تصـــدُّه ... ومـا حيلة الراجى إذا حـار قصده

عليك ـ أبا العباس ـ فاضت مدامعى ... وقلبى لبُـعْـدى عنك أُجِّجَ وَقْـده

على مـثلك الآن المراثى مـبـاحـة ... وإن غـاض دمعى، فـالدمـاء تمدُّه

شَددتَ عُرَى الإسلام شَدَّة عارف ... قـوىّ على الأعداء لم يألُ جـهـده

تركت لهم دنيـــاهم تَرْك عـــالم ... عـلا قَـدْرُه عند الإلهَ ومجـده

وكنتَ لمجـمـوع الطوائف مـقْـتَـدًى ... وعَـقْـداً لهـذا الدين أبْرم عـقـده

وكنتَ ربيـعـا للمـريد وعـصْـمـةً ... فمُذْ صرْت تحت الأرض صَوَّح وَرْده[1]

جـمـعت علوم الأولين مع التـقى ... إلى الورع الشاقى الذى شاع حمده

وكنتَ تقىَّ الدين مـعنى وصـورة ... قـؤولا، وخير القـول عندك جَدّه

رحلتَ وخلَّفت القلوب جـريحـة ... تذوب وجيش الصبر قد قلَّ جنده

عليك سـلام الله حـيـا ومـيِّـتـا ... مدى مـابدى نجمٌ وأشـرق سَـعْـده

تمت وهى اثنان وخمسون بيتا .

●●●

تقـى الدين لما مـتَّ أضـحت ... لك الدنيـا تُصَـيِّح بانتـحـاب

وكنت البـحـر، فـوق الأرض تمشى ... فـعـاد البحـر من تحت التراب

---

(١) صوّح ورده: ذبل وجف.

[رثاء تقى الدين الجعبرى للشيخ]

للإمام المحدث الفقيه الفاضل تَقى الدين أبى عبد الله محمد بن سليمان ابن عبد الله بن سالم الجَعْبَرى مرثاة فى شيخ الإسلام تقى الدين أبى العباس أحمد بن تيمية رحمة الله عليه:

جَلَّ رُزئى وقَلَّ منى اصطبارى ... يا لقومى من قاصم الأعمار

مَنْ معينى على نوائب دهرى ... ومُلماته، ومَنْ أنصارى؟

قد سقتنى الأيام جَرْعة صبْر ... عَزَّ صبرى لها، وبان اصطبارى

فدموعى مثل الغمام انسجاما ... ونُواحى فى الليل مثل القَمارى(١)

يا عذولى، اقْصِرْ، فإنك خلوٌ ... من شجونى، فلا احْترقت بنارى

طاب كأس المنونِ صِرفاً، أدِرْها ... لاكؤوسا ممزوجة من عُقَار

لست أبغى الحياة بعدُ، ولكن ... بُغْيتى أن أموت فى الأبرار

[٦١/أ] بعد سبع من المئين وعشريـ ... ن / خريفاً من هجرة المختار

مع ثمان للعقد عشرونْ، إذ ذا ... ك يوم الاثنين بعد نصف النهار

مدفن الحبْر محرز العلم حقاً ... تَرجمان الكتاب والآثار

أحمدُ، أحمدُ المناقب والوصـ ... ف ابن تيميَّة الكريم النَّجار

التقى النقىّ ذى المجد والسـ ... ؤدد والمكرمات، والإيثار

إن يكن جسمه تغيَّب فى التُّر ... ب فمعناه نَشْرُه كالعِرار(٢)

كان قطبا، وعالما، وإماما ... وشيخا لوحده بالفَخار

جابراً لليتيم، بَراً، رحيما ... علمه مشرق على الأمصار

---

(١) القُمر (بضم القاف): نوع من الحمام، والجمع، القُمارى (بفتح القاف).

(٢) نشره: طيب ريحه، والعِرار: نبت طيب الرائحة.

لم أجـد بعـده مـعـيناً على الدهـر مـعـينا سـوى عـيـون جـوارى
فنهـارى من فـقـده مـثل ليلى بعـد ليل، بوصله كـالنهـار
يا ابن تيـمـيـة، ويَا أوحـد العـصـ ـر، وياسـيـدا غـريب الديار
كنت كـالكهف ملجـأ لمخـيف من ضـلال، وناصـراً باقـتـدار
إن دعـوت البكاء بعـدك والصـبـر أجـاب البكا، وولّى اصطبـارى
فـرجـائى إن ينقطع من وصـال سـوف يبـقى حـزنى مـدى الأعـمـار
كنْت حِـبّـا للمـتـقين إمـامـا فَلّق مـا قـد وُعـدت من سَـتّـار
غـافـر الذنب، قـابل التـوب، ذى الطو ل، العـزيز المهـيـمن الغـفـار
وعلى نفـسك الزكـيـة منى يامـنائـى ومـنتـهـى أوطـارى
كل وقت تحـيـة، وسـلام مـا أضـاءت كـواكب الأسـحـار

تمت والحمد لله وحده.

[رثاء المقرى للشيخ]

للشيخ قاسم بن عبد الرحمن بن نصر المقرى، فى الشيخ تقى الدين بن تيمية يرثيه:

عظم المصاب وزادت الأفكار … وجرت بحكم فراقك الأقدار

يا أوحداً فى حلمه وعلومه … خَلَت البقاع، وقلَّت النصار

أعَلَى تقِّى الدين يحسنُ صبرُنا؟ … ولمثله تُتَهَتك الأسْتار

تجرى لعُظم فراقنا عَبَراتنا … أسفاً عليه، كأنها أخطار

لَهْفى على بحر العلوم وغَوْصِه … يحوى الجواهر باهرٌ زخار

ينثال منه إلى القلوب جواهر … والدرّ من فيه السَّنِىِّ نثار

وله بتفسير الكتاب غرائب … جُلِيَتْ له. وكذلك الأخبار

حَبْر، لبيب، أوحد فى عصرنا … سَلْ ما تشاء، له به أخبار

غلب الملوك مهابةً وشجاعة … ليثٌ يهاب لقاءَه الكفار

ما كان إلا شامة فى شامنا … وعليه من تقوى الإله شِعَار

وله من الله الكريم عناية … وله من الصبر الجميل دثار

ما كان إلا دُرَّة مكتوبة … لا يعتريه تدنس وغبار

لا يَلْوِيَنْ إلى الحطام تَعَفُّفًا … وعليه من تقوى الإله وقار

ما كان إلا حبر أمة أحمد … شخصت لعظم مُصَابه الأبصار

ومجاهد فى الله حق جهاده … بحر النَّدى ونواله مدرار

وله الزَّهادة والعبادة منهج … وبسنة الهادى له استبصار

حاز العلوم: أصولها وفروعها … وبكل ما يروى له آثار

يلوى عن الدنيا. وما يُعْنَى بها | وزواه عنها الواحد القهار

لما اقتناه(1) هداه منهاج الهدى | وعطاء ربك وافر مكثار

نزل القضاء به فآنس رحمةً | من ربه لا تدفع الأقدار

بكت السماء عليه يوم فراقه | أسفا. وجاء الغَيْث والأمطار

وبكى الشام، ومُدْنه، وبقاعه / | لما قضى. وكذلك الأمصار [٦١/ب

أوَ ما نظرتَ إليه فوق سريره | حَفَّت به من ربه الأنوار؟

والناس من باك عليه بَحسْرَة | ودموعهم فوق الخدود غِزار

وهُم ألوف، ليس يَحصِى جمعهم | إلا إله غافر ستار

نزلوا به، كالبدر فى إشراقه | فتباشرت بقدومه الأقطار

عبد الحليم، وجده، سعدوا به | وأخوه عبد الله والأبرار

ولمثل هذا سارعوا أهل التقى | فازوا بما فازت به الأخيار

الله يكرمه بأفضل رحمة | فى جنة من تحتها الأنهار

أكوابها موضوعة، وقبابها | مرفوعة حفت بها الأنوار

وكؤوسها قد أدهقت: وقصورها | قد أشرقت من فوقها الأستار

وصحافها من فضة، ولباسهم | من سندس، وطعامهم أطيار

والحور فى تلك الخيام ببهجة | لكنهن على المدى أبكار

عُرْبا لأصحاب اليمين، فليتنا | منهم إذا صرنا إلى ما صاروا

وعلى الأرائك ينظرون نعيمهم | وعليهم كأس الرَّحيق تُدار

ووجوههم مثل الصَّباح إذا بدا | للناظرين، كأنهم أقمار

ويُمتَّعون بنظرة قُدْسية | من ربهم، سبحانه الجبار

فى عمر عيسى، والجمال كيوسف | وبطول آدم، كلهم أبرار

ثم الصلاة على النبى محمد ... فهو الرسول المصطفى المختار
هادى الورى وإمامهم وشفيعهم ... أنصاره الأملاك والأنصار
صلى عليه الله ما اهتز الثرى ... فرحا، إذا ما جادت الأمطار

تمت. وهى أحد وأربعون بيتا.

[رثاء أحمد بن الحسن الخياط للشيخ]

من قصائد الشيخ مُجير الدين أحمد بن الحسن بن محمد الخياط الجوخى الدمشقى[1]، مرثية فى الشيخ رحمه الله تعالى:

خشعَت لهيبة نعشك الأبصار ... لما عليه تبدّت الأنوار
وبه الملائكة الكرام تطوَّفت ... زُمَرا، وحَفَّت حوله الأبرار
فكساه العرش نورا ساطعا ... فكأنما غَشِى النهار نهار
ولأمَّة الإسلام حول سريره ... سام إلى رب السماء جُؤار
ولهم دموع من خشوع نفوسهم ... ودموعها فوق الخدود غزار
وسَرَوا به فوق الإران[2]، وتحته ... منهم يمين أنامل ويسار
ولرحمة الرحمن ظلٌّ سَجْسَج ... يغشاهم، وسكينة ووقار
فَلَكَم عيون من تموّج مائها ... حزنا تأجج فى الجوانح نار
كان الممات زفاف عرس حياته ... وبه النفوس مع الدموع تثار
إن كان من أهل وجيران نأى ... فله دنا من ذى الجلال جوار
أو كان عن دار الفناء رحيله ... فلديه فى دار البقاء ديار
أو كان أزعج عن ذرى أوطانه ... فله بخلد فى الجنان قرار
ما كان إلا مُزْن علم رُوِّضت ... منه بصَيِّب قطره الأقطار

---

(١) هو أحمد بن الحسن بن محمد الدمشقى، مجد الدين ابن الخياط، تأدب وكتب الشعر إلا إنه عريض الدعوى قليل الجدوى، وديوانه فى عدة مجلدات، توفى - رحمه الله - بدمشق سنة (٧٣٥هـ). انظر عنه: الدرر الكامنة لابن حجر: ١/٧٥ - ط دار الكتب العلمية - بيروت.
(٢) الإران (ككتاب): سرير الميت أو تابوته.

كـالغـيث أقلع بعـد سَحٍّ غـيـمـه   وتـخـلـفـت مـن بعـده الآثـار

مـا كـان إلا طـود عـلـم بـاذخ   من دون وزن حصاته القنطار

مـا كـان إلا بحـر جـود، كَـفُّـه   تيـارة بنواله زَخّار

مـا كـان إلا ديمة معروضها(1)   بهباته لِعفاته مدرار

ما كان إلا البدر عند كماله   وافاه من نقص التَّمام سِرار / [٦٢/أ]

ما كان إلا خير أمة أحمد   فى العصر، لم تسمح به الأعصار

حبر، وبحر للمكارم، والتقى   والجود، والإحسان فيه بحار

وَلكَمْ لأحمد فى المحامد رتبة   من طولها تتقاصر الأفكار

وله مناقب مالحصر صفاتها   عد، ولا حد، ولا مقدار

وله الشعور بكل علم نافع   عقلا، ونقلا، فى الأنام: شعار

وله التزهد، والتعبد، والتقى   ما بين أرباب الدثور: دثار

وله إذا فخر الفخور بزينة الـ   ـدنيا بتشعيب الحياة، فخار

ولأشرف الأشياء علمٌ نافع   لادرهم يغنى، ولا دينار

إن أظلمت سبل النهى لسكونه   فلذكره فى الخافقين منار

ولقد علا الإسلام جَلَّ مصابه   لكنها لا تُدفع الأقدار

لو كان فى الدنيا يدوم مخلدا   بشر، لخلد أحمد المختار

ولكل حى خلع ثوب حياته   علما بأنّ ثوب الحياة معار

فيم النجاة؟ وكل حى ميت   إلا الإلَهُ الواحد القهار

ولقد أسفت على فراقى أحمدا   إذ ليس لى قُضيت به الأوطار

لو كان يُفدى هان عند فدائه الـ   أموال، والأولاد، والأعمار

قد كان مغناطيس أفئدة الورى   أنسا. ولكن فى القليل نفار

ماكنت أحسب أن يوم وفاته   يبدو المصون وتهتك الأستار

بكر النسـاء من السـتـور ثواكـلاً ... ومـن الخـدور النُّهَّـد الأبكار

والنـاس أمـثـال الجـراد، لهم على الـ ... ـتـابوت منه تهـافت ودوار

فكأنه يعـسـوب نحل نحـوه ... حـيـا ومـيـتـا للنفـوس مطار

مـلأت مـحـاسنه البـلاد، ونوهت ... بحـديث مـعـجـز فضله الأمـصـار

وجـرى بأفـواه الأنام ثناؤه ... فَـالأَرْضُ روضـة ذكـره مـعطار

يفنى الزمـان وينقـضى وبأحـمـد ... وحـديثـه تتـحـدث السُّـمَّـار

فـأحَلَّه الرحـمن دار أمـانه ... لِيـزول من خـوف عليـه حـذار

وحـبـاه ظلا صـافـيـا فى جنة ... فَـيـحـاء، تجـرى تحـتـهـا الأنهـار

تمت. وهى ثلاثة وأربعون بيتا

***

وله أيضا يرثى شيخ الإسلام رحمه الله:

لمصـاب البـر التـقى الإمـام ... كل دمع من الورى فى انسـجـام

والبـواكى لهم عليـه نواح ... كـفـقـيـدات صـادحـات الحـمـام

مـات يوم الاثنين، والسـرُّ فـيـه ... غـيـر خـاف على ذوى الأفـهـام

مـوتة عظَّم المهـيـمن فـيـهـا ... قـدره فى عـمـوم جـمع الأنام

حـفَّـه الناس أجـمـعـون: رجـالا ... ونسـاء، سـعـيـا على الأقـدام

ومـشـوا تحت نعـشـه، وهـو من فـو ... ق رؤس الأعـيـان والحكام[1]

يسلبـون الدمـوع من خـشـيـة اللـ ... ـه، وحـزنا كـمـسـبـلات الغـمـام

وضـجـيج العـبـاد سـرا وجـهـرا ... كـدوىٍّ فى سـامق الجـوِّ سـام

يالَهُ مكفـهـر يوم عـبـوس ... عـاث فى غـارب السـهى والسنام

كم به عـاين الهـلاك قـوى ... ذو نشـاط لفـرط كَظٍّ الزحَـام

(١) فى الأصل: الأحكام، والتصويب من الهامش.

يالهـا من رزِّية، كـان فـيـهـا … يوم بؤس فى طوله فـوق عـام

جلَّ فـيـه المصـاب، حـتى لقـد دَ … قَّ تَـعْـبِـيـرُه عـلى الأوهام

كـان شيخ الإسـلام فى العلم والزهد … وحـل مـشـكـلات الـكـلام

فـقـد الناسُ منه بحـراً عليـمـا … هـديه كـالأئمـة الأعـلام

منه حب الكتـاب والسنة المثلى / … ، جـرى فى عـروقـه والعظام [٦٢/ب

بلغ الأوج من سـمـاء المعـالى … وتسـامى علمـا على كل سـامى

وطوى ذكـره البـلاد انتـشـارا … فـهـو حـتى المعـاد فى الناس نامى

كان جبـر الكسيـر إن هاضـه الدهر، … وعـون العـانى، وحطم الحطام

كـان حب الدنيـا إليـه بغـيـضـا … فوق بغض الصـحـيح ثوب السقـام

كـان لا يـرهـب الملوك ولا يـر … غب فـيـمـا لهم من الأنعـام

كـان وترا فى الفـضل فَـذًّا، وكل … الناس جـاءوا بشـفـعـهم والتُّـؤام

كـان سـمـحـا، بمثله الدهر ضَنَّا … فى ليـالى الزمـان والأيام

كان سطراً فى جبـهـة الدهر يُقـرا … فى البـرايا، وشـامـة فى الشـام

كـان نفـعـا لكل من خـاف ضـرا … فى سـبـيلَىْ حـلاله والحـرام

لم يكن ذا تـأنق فى مـتـاع … ولبـاس، ومـشـرب، وطعـام

كـان يخـشى داء، ويرجـو دواء … وشـفـاء لكل داء عُـقـامِ

كـان فى الله ذا انتـقـام ولا يو … جـد يومـا لنفـسـه ذا انتـقـام

كـانَ بَرًّا يُهـدَى به ذو ضـلال … كـان بحـراً، يُروى به كل ظام

كـان كـالليث بالنوائب فـتكا … كـان كـالغـيـث بالمواهب هام

فى يديه وصـدره كل بحـر … زاخـر بالـنـوال والعـلـم طام

أىُّ نَدْب، شـهم، شـجـاع، جـواد … أروع، مـاجـد سَـرِىٍّ همـام

قـام لمـا تَـذَبْـذَب النـا … س عليـهم لما نبـا كل حـام

كم له فى حنادس الخطب والخلـ ... ق نيام حتى الضحى من قيام

وجميع الأنام من شدة الخو ... ف نيام من الردى فى منام

وبنو فارس قد افترسوا النا ... س افتراس الأسود سَرْح السَّوَام

ودمَشْقُ الشام بعد انبساط ... من ضواحى رُستاقها فى انضمام

إذ غزانا علْجُ العلوجِ قَزان ... وغزانا من فارس بالطَّغام

فأعاد العزيز منا ذليلا ... ذا صَغار، ينقاد كالأنعام

فنضاه الجبار، جَلّ ثناه ... فى وجوه العدى كحد الحسام

فحمانا بالله من كل طاغ ... لا برمح، وصارم، وسهام

يالَهُ ـ حين فَرَّ كل كَمِيٍّ ... من حُماة الإسلام عنا محامى

يا ابن تيمية، عليك خصوصا ... وعموما: تحيتى وسلامى

يا سليل العلا، عليك القوافى ... قد بكت فى الطروس بالأقلام

يا فقيد المثال: علما، وحلما ... وقريب المرمى، بعيد المرام

يا بطىء الإحجام إن عَزَّ خطب ... وسريع القيام والإقدام

يا مُحَلَّى، وكاسيا كل فضل ... ومُعَرَّى من كل عار وذام

كُفَّ طرفى إن لَذَّ من بعد مرآ ... ك لأجفانه لذيذ المنام

وبِوُدّى ـ بفقد شخصك ـ لوحا ... م على أيكتى حَمام حِمامى

ولعمرى، يامن له فى فؤادى ... لَحْدُ ذكر، دوامه بدوامى

إن حلَلْتَ الثَّرى فروحك حلت ... يا ابن عبد السلام، دار السلام

فسقى تربةً حواك ثَراها ... كل مُزْنٍ بوابل وَرُهام

وإذا سَحّت السوارى بسحٍ ... والغوادى، جُدْناك بالدمع دام

تمت بحمد الله وعونه. وعدتها اثنان وخمسون بيتا، والحمد لله رب العالمين. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

[قصيدة نجم الدين التركى يرد بها على ابن الوكيل]

للإمام نجم الدين إسحاق بن أَلْمَى التركى، يُجيب صَدْرَ الدين ابن الوكيل، فى قصيدة / هجا بها شيخَ الإسلام أحمد بن تيمية، وزعم أنه لما خرج من دمشق [٦٣/أ] فى محنته الأولى مطرت السماء:

مَنْ مُبلغٌ عنى الخبيث مقالة ... كالسَّيف أقْصِم ظهره بفِرَنْده[1]

أزعمتَ إذ غاب الإمام همى الغما ... م كذبتَ، بل بكت السماء لفقده

أو ما ترى شمس الضحى فى مأتم ... والجو قد لبس الحداد لبعده؟

فَلَيَدْخُلَنَّ لأرض مصر إمامُنا ... بسكينة حُفَّتْ به من عنده

وليرجعن إلى دمشق مؤيداً ... حقا، كما عاد الحسام لغمده

وترى بعينك ما يسوؤك من علا ... يَفْنى الزمان، ولا نفاد لمجده

أظللت من حمق به متشبها ... أين الثعالب فى الثرى من أسده؟

مَخَضَتْكما أيدى الزمان، فكنت كالز ... بد الجُفاء. وكان خالص زُبده

فاستر معايبك التى سارت بها الر ... كبان فى غَوْر الوجود ونجده

فكفاك مَقْتاً أن تكون محاربا ... لولىّ رب العالمين وعبده

تمت وهى عشرة أبيات.

***

تُب إلى الله، أيها الإنسان ... فَلِمَنْ تاب روضة وجنان

ولمن تاب فى القيامة فوز ... ونعيم، وقاصرات حسان

تُبْ إلى الله من جميع المعاصى ... فلمن تاب عنده غفران

---

(١) بفرندة: الفرند هو السيف عند انعكاس ضوء الشمس على صفحته.

[رثاء مجد الدين الدمشقى للشيخ]

للشيخ مجد الدين أحمد بن الحسن الخياط الجوخى الدمشقى، يرثى شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه أيضا:

بمصرعك الناعى أصم وأسمعا ... وصُمّ الصَّفا من صدمة الحزن صدّعا
فكم مُقْلة جَفّت جمودا من الأسى ... وكم مُهْجة سالت من الدمع أدمعا
وكم ثا كل بالنوح والندب رجّعت ... وكم فاضل بالنظم والنثر سجعا
ولم يبق ذو علم، وزهد من الورى ... لفقدك إلا كاسف البال موجعا
تنكرت الدنيا على كل عارف ... رأى منك مأهول المنازل بلقعا[1]
جعلتُ لمن أخلى مضيفا ومربعا ... فؤداى وأجفانى مضيْفا ومربعا
فيا أحمد المحمود، قد كنت للهدى ... مناراً، وللشرع الحنيفى مشرعا
وللدين والدنيا ضياء وبهجة ... إذا لاح وجه الخطب أسودَ أسفعا
رُمينا برزء منك، لم تستطع له ... يداى، شديد الأيْد والكيد مدفعا
رحلتَ عن الأوطان رحلة نازح ... إليهن لم تُزمع مَدَى الدهر مرْجعا
لقد كنتَ عن شر بطيئا ووانيا ... وفى طلب الخيرات عَجلان مسرعا
وللحلم طوداً راسخاً باذخ الذّرى ... وللجود والإحسان والعلم منبعا
وركنا لدين الله حين تهدمت ... قواعده منه وَهىً وَتَضَعْضُعا
وروضَ عُلاء ناضرا عاد مُمْعَرا ... وَصَوّح منه كل ما كان مُمْرعا[2]
ومجمع شمل شَتَّت الشمل فقده ... وأنواع أشتات النوائب جمّعا
وحبراً حوى حَيْزومه وبنانه ... بحار النّدى والجود والعلم أجمعا
سرى ذكره فى الأرض شرقا ومغربا ... سُرى نَشْر عَرف الْمَنْدَلِ والرّطب ضَوّعا[3]

---

(١) بلقع: قفر مجدب خرب خال من الأهل والسكان.

(٢) ممرعا: أمعرت الأرض: لم يكن بها نبات أو قل نباتها، وأصله: أمعرت ناصية الرأس إذا انحسر شعرها، وصوح بمعنى جف وذبل، والممرع هو كثير المرعى.

وجازت مساعيه الكواكب عدة ... مع القطر إذ فاتت رمالا ويرمعا

فيا حلمه، ما كان فى القلب أوجعا ... ويا يومه، ما كان فى العين أفظعا

ويالك من خطب جليل وحادث ... عدمنا به الشهم الجواد السَّمَيدعا(1)

ومن يوم بؤس عابس الوجه كالح ... سبانا هماما، يؤمن الروع أروعا

مطيعاً لرب العرش لم يعص أمره ... ومنه له فى العصر لم نر أطوعا

منيبا إليه، قائما بحدوده / ... إلى حين ولّى مذ نشا وترعرعا [٦٣/ب]

هزَبْرا ومقداما على العرف كله ... مليكا لمنع المنكرات ممنعا

شجاعَ جلال فى جدال بحوثه ... يعيد جبانا كلَّ من كان أشجعا

يصول بسيف العلم فى معرك النهى ... وأرماح شرع الجهل أقبلن شُرّعا

وفى عصره كم من إزالة بدعة ... ومنكر فعل قد أجاد وأبدعا

وما كان إلا الشمس فى ليل باطل ... يرينا بنور منه للحق مَطلعا

فكم من ظلام زَحْزَح غَيْهَبًا ... بساطع نور العدل من حين شَعْشَعا

وكم مِنْ كرامات له ومناقب ... يضيق بها وُسْعُ الزمان توسُّعا

وكم من طريق فى المباحث مُبْهمٍ ... بإيضاحه أضحى لسارية مَهْيَعا(2)

وكم سامها النقصان والخفض حاسد ... وخُصَّ كمالا زائدا وترفعا

تولىّ عن الدنيا حميدا، ولم يكن ... لزخرفها المذموم يُبْدى تطلعا

وعاش إلى أن مات، لم يُعط نَفْسَه ... بتأميل ما فى دار دنياه مطمعا

إمام عليم، خاشع، متواضع ... لهيبته تُغْضى النواظر خشعا

سحاب علوم رَوّضَ الأرض فضله ... وألبسها بُرْدَ البيان الموسعا

ونَضّر منها بالفضائل أوجها ... وتوّجَها تاج المعالى المرصّعا

وخلّفها من بعد صَيِّب صوبه ... عليها رياضا للعقول، وأقلعا

كذا المزن، أنّى جادَ بالوابل الثرى ... وروّى صداها حُقَّ أن يتقشعا

---

(١) السميدع هو السيد الكريم الشجاع المعروف بين قومه ويشار إليه.

(٢) مهيعا بمعنى منبسطا واضح المعالم.

فلله مــفــقــود فــقــدناه نافع لنا منه - غـيـرَ الله - لم نر أنفـعـا

شـغـفنا به في الله حـبـا، فلم يدع هواه لغـيـر الله في القلب مـوضـعـا

عليك، أبا العـبـاس، أحـمـد لم يزل فـؤادي بتـذكـار الفـؤاد مـروعـا

إلى أن يريني الله وجـهـك سـافـرا بنضـرته يوم المعـاد مـبـرقـعـا

تمت. وهي ثلاثة وأربعون بيتاً

***

[رثاء برهان الدين التبريزى للشيخ]

مرثية للشيخ برهان الدين أبى إسحاق إبراهيم بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الكريم التبريزى[1]، يرثى شيخ الإسلام، وهى ثالثة ثلاث مرات، عدة أبياتها ثمانون بيتا:

لفقد الفتى التيمى تجرى المدامع ... وتصدع بالنوح الحمام الصوادع
فتغرق جفنا، قد تقرَّح بالبكا ... وتُضرم نيرانا حوَتْها الأضالع
وبالماء يُطفَى كل نارٍ، ونارنا ... مؤجِّجها بين الضلوع المدامع
وأما الحمام الصادحات فإنها ... حِمام حمام للقلوب صوادع
على ماجد جلَّت مآثره التى ... لها فى قلوب العارفين مواقع
علوم، وأخلاق كرام، وسؤدد ... وجود، ومَجْد باذخ، وتواضع
وزهد، وإيثار، وتقوى، وعفة ... وتلك سجايا حازها وهو يافع
هو الحبر، أما المشكلات فحلها ... يسير لديه، وهو فى الحل بارع
وأما عقود الدِّين فهى وثيقة ... لديه، وعنها بالرماح ينازع
إمام، بكته أرضه وسماؤه ... بكاء حزين، حزنه متتابع
ومالهما لا يبكيان لفقد من ... عن الله لم يقطعه فى الكون قاطع
وحُقَّ لمن كانت جوامعهم له ... جوامع، يبكوا فقده، والجوامع
ولو بكت الدنيا، وما كان حقها ... فواحدها قد كان، والشمل جامع

(١) هو العدل الأديب الفاضل أحمد بن عبد الكريم بن عبد الصمد أنوشروان التبريزى الحنفى عرف بكرشت، وذكر ابن حجر أنه عرف بابن المكوشة، اشتغل بالفقه على مذهب أبى حنيفة حتى مهر فيه وتقدم على أقرانه، وقال الشعر الحسن، سمع منه الحافظان بهاء الدين بن خليل وصلاح الدين العلائى ووصفه العلائى بالعلم والفضل والأدب، ومن شعره قصيدة نبوية جيدة عدتها ستون بيتا، توفى - رحمه الله تعالى - سنة (٧٣٥هـ).
انظر عنه: الدرر الكامنة: ١٠٩/١، شذرات الذهب: ١١١/٣.

وقد أصبحت ثَكْلَى تُعَزّى بفقده   ومن بعده هالت عليها الفجائع

ولولا ابتغاء الأجر كان اصطبارنا الـ   جميل قبيحا، إنما الصبر نافع

ومنبره لولا حرارة وعظه   عليه قديما، حرقته المدامع

[٦٤/أ] وما زال فى حق ابن تيمية الفتى / الإ   مام تقى الدين أحمد ضائع

أما كان شمسا فى المطالع يجتلى؟   فعادت عليه فاختبته المطالع

وشامة خد الشام قد كان علمه الشـ   ريف على الخد المكرم طابع

ونجم هدى للسالكين إذا سروا   وبدر منير فى الدياجى طالع

قد غاب غاب البدر عنه ولم يشم   لشائمه برق على الشام لامع

ولا أفتر ثغر الشام من فرط حزنه   على من عليه مدمع العين هامع

وبدر الدجى إن غاب لم تشرق الدُّنَا   ولو أشرقت فيها النجوم الطوالع

ومن مودعات الله كان استرده   ولابد يوما أن ترد الودائع

ولكن به عاشت نفوس ومتعت   قلوب وأبصار، ولذت مسامع

أجاب لداعى ربه مسرعا، كما   أجابوه أهل الاحتباء وسارعوا

دعاه إليه ربه فأجابه   ومن يدعه المولى إليه يسارع

وأصبح جاراً للذى عزَّ جاره   كما كان يمضى ليله وهو راكع

تبارك من حلاَّه بالزهد والتقى   ورصع ذاك الحلى منه التواضع

وملكه قلباً منيراً، وكيف لا   وفيه من السر المصون ودائع

وتوّجه تاجا من الزهد والتقى   لمعناه تيجان الملوك خواضع

ومالى إذا بالغت فى وصف سيد   حوى كل فضل فى الأنام منازع

وما أنا وحدى واصف بعض وصفه   فكم فيه وصاف وبالحق صادع

ومن بابه قد خصه الله دون من   سواه، وفضل الله ذى العرش واسع

إذا قيل: قد قال ابن تيمية الفتى   مقالا، فكل للذى قال سامع

ونور الهدى والعلم والزهد والتقى   عليه، على رغم الحواسد ساطع

ما ذاك إلا أنه لنبيه — نبى الهدى فى كل شىء متابع
وفى الله لم تأخذه لومة لائم — وليس له فى نُصرة الحق وازع
له راعداً مثل الهلال إذا بدا — تشير إليه حيث كان الأصابع
وإن كان فى تقوى سواه منازع — فما فى تُقَى هذا التقى منازع
إمام، عظيم، عالم، ومعلم — صبور، شكور للمهيمن طائع
وآتاه ذو العرش المجيد مواهبا — وليس لما يعطيه ذو العرش مانع
أما كان فى وقعات غازان جائلا — بعَزْمة ليث، لم ترعه الوقائع
يقول لجيش المسلمين: ألا ابشروا — بنصر على الأعداء، والنصر واقع
فأصبح جيش المسلمين مُؤَيَّدا — وغازان لاقى حتفه وهو راجع
تصانيفه فى كل علم بديعة — وفيها لأهل الابتداع بدائع
ولم يبتغ شيئا سوى وجه ربه — وَفى زخرف الدنيا عدته المطامع
فيا فوز من يحوى تصانيفه، ولا — يزال لها فى كل وقت يطالع
علوما لمن يبغى النجاة اعتنى بها — وللناس فى تلك العلوم منافع
وذو الفضل يؤتيه المهيمن فضله — ولا حاصد إلا لما هو زارع
فيا ثلمة فى الدين، لم يرج سدها — وخرقا عظيما، ماله الدهر راقع
فإن انتقاص الأرض من علمائها — سيوف حداد للظهور قواطع
ويامحنة أربت على كل محنة — وقارعة، غابت لديها القوارع
فكم شت شملا بينه بعد جمعه — وليس لما قد فرق البين جامع
كما فاق فى الآفاق بالعلم والتقى — وشاع له فى الناس ما هو شائع
كذلك لم يُسمع بمثل جنازة الإ — مام تقى الدين أحمد سامع
مشيعها ضاق الفضا بازدحامهم — ورصَّت بمن صلى عليه الجوامع / [٦٤/ب]
وزف على الأعناق فوق سريره — زفاف عروس نحو حبٍّ تسارع

وأودعه الأحباب عند وداعه   لمن لم تَخبْ يوما لديه الودائع
وعادوا من التوديع حَرْقىَ جوانح   وغَرْقىَ جفون، أغرقتها المدامع
ومازالت النسوان يبكين فقده   إلى أن نَضَتْ مع دمعهن البراقع
فلو أنه يفدى فدته نفائس   النفوس . ولكنَّ القضا لا يدافع
هنيئا لرمس ضمّ بحر فضائل   فطوبىَ لقوم جاوروه وضاجعوا
فلا بدمن فضل عظيم ورحمة   تحَّيى بها طول المقام المضاجع
وانى بتذكارى حلاوة عيشه   [مدى الدهر ما] استمرت [لدى] يقائع؟
وإنى بتذكاريه صب مولع   ولست لعذابى عليه أطاوع
ولولا التقى كان التصبر يتقى   على رزئه لو أن صبراً يطاوع
وكيف يطيع الصبر فى رزء سيد   به لخطوب الدهر، كنا بدافع
فان شئتمُ يالأعينا فإننا   لكم نتناسى ذكره ونصائع
فآتوا، ولن تأتوا بحبر مؤيد   يضارعه، هيهات، عز المضارع
وَإن عمَّكم عجز بإظهار سيد   يناوئه. إن شئتم، صلوُا أو فقاطعوا
فقد وضحت أعذار كل من انتهى   إلى السيد التيمى، وخاب المنازع
ثمانون عاما قد كسرت بحبها   ومن جيش تسعين طلعن طلائع
فلم أر فى عمرى الذى طال مثله   وما أنا فى رؤيا المماثل طامع
ثلاث مرار قد نظمت بهذه   له، ولى النظم الجموع مطاوع
فمن أجل ذا طالت وطابت لسامع   وود من استجلى سناها يراجع
ومن حقه أنا تموت صبابة   كما مات أحباب على الموت تابع
وإنا لنرجو أن نقوم بحقه   إلى حين يأتى حيننا وننازع
عسى الله فى الجنات يجمعنا به   فكل امرئ منا بذلك طامع
فلا أوحشت منه مواضعه التى   به أهِّلت، واليوم هن بلاقع
وكان بها يتلو القرآن مفسرا   غوامضه، حتى تنير المواضع
ولا برحت تهمى سحائب رحمة   عليه كما تهمى عليه المدامع

تمت والحمد لله وحده.

[مرثية الذهبى للشيخ]

للشيخ شمس الدين الذهبى مرثية فى الشيخ ـ رحمه الله :

يامـوت خـذ من أردت، أو فـدعِ	مـحـوت رسم العلوم والورعِ
أخـذت شـيخ الإسـلام وانفـصـمت	عـرى التقى، واشتفى أولو البدع
غـيِّـبت بحـرا مـفـسـرا، جـبـلا	حـبـرا، تقـيـا، مـجـانب الشبع
فـإن يُحَـدِّثْ، فـمسلم ثقـة	وإن يناظر، فـصـاحبُ اللُّمَع
وإن يخض نحـو سـيـبـوبه يَفُـهْ	بكل مـعنى فى الفن مـخـتـرع
وصـار عـالى الإسناد حـافظة	كـشـعـبـة، أو سـعـيد الضـبـعى
والفـقـه فـيـه، فكان مـجـتـهـدا	وذا جـهـاد، عـارٍ من الجـزع
وجـوده الحـاتمى مـشـتـهـر	وزهـده القـادرى فـى الـطـبـع
أسـكـنـه الله فـى الجـنـان، ولا	زال عـلـينـا فـى أجـمـل الخلع
مع مـالك، والإمـام أحـمـد، والنعـ	ـمـان، والشـافـعى، والنخـعى[1]
مـضى ابن تيـمـيـة، ومـوعـده	مع خـصـمـه يوم نفـخـة الفـزع

تمت ، وعدتها أحد عشر بيتا .

---

(١) فى الأصل الخلعى، والمثبت من هامش الأصل.

[رثاء زين الدين الشبلى للشيخ]

للشيخ زين الدين عمر بن حسام الدين أقش الشبلى يرثى الشيخ تقى الدين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

هل بعد بعدك طرف دمعه راق ... أم هل لداء أخى الأحزان من راق؟

[٦٥/أ] بعدت عنا، فللاحشا نار جَوًى / ... تَشُبُّ فيها بإزعاج وإحراق

إنا إلى الله من خطب غدا مثلا ... عم الأنام بأوجال وإشفاق

كدنا من الحزن أن نقضى عليك أسىً ... لما برزت لنا من فوق أعناق

لما خرجت بيوم الدفن فى أمم ... كأنه كان يوم الكشف عن ساق

وقلت: مات إمام المسلمين، فيا ... عين اذْرِفى، إن رَعَيتى حفظ ميثاق

لهفى على ناصر للدين وهو الـ ... ـغايات من كل فضل خيرُ سَبَّاق

حوى فنون النهى، صدقا بلا كذب ... وحازم علم الورى فى طيب أخلاق

لهفى على حجة الإسلام، كان له ... مناقب حازها فى حسن أعراق

بحار علم حوى فى صدره، وغدا ... ببحر جود لوافى المال نفاق

يزداد حزنى عليه كل آوانة ... وليس يطفى لهيبى فيض آماق

غاضت بحار علوم الدين يوم ثوى ... ذاك الإمام بلحد تحت أطباق

نسعى إلى الدفن مشيا فوق أرجلنا ... وَقَلَّ لو كان مشيا فوق أحداق

يا جامع الفضل قد جف الكتاب بما ... قد كان من بسط آجال وأرزاق

والموت بعدك لايبقى على أحد ... لم يبقى إلا الإله الدائم الباقى

تمت، وهى خمسة عشر بيتا

وقال بعضهم فى شيخ الإسلام تقى الدين ـ قدس الله روحه:

الحمد لله حمدا دائما أبدا ... مباركا طيبا يستغرق العددا

ثم الصلاة على الهادى وعترته ... وصحبه وذويه الصفوة السعدا

بهم وهم خير مأمول وأكرم مرجو ... وأعظم مقصود لمن قصدا[1]

قد أنجز الله للأبرار ما وعدوا ... من رفع نازلة مست إمام هدى

وأصل الله ذات البين وانفرجت ... شدائد فككت أهوالها الزردا[2]

وأغمد الله سيفا، كان مشتهرا ... وأطفأ الله جمرا كان قد وُقدا

وألف الله مابين القلوب على التـ ... ـقوى، وعَرَّفها طرق الهدى وهدى

فأصبح الناس فى صفو بلا كدر ... من بعدما كان كلُّ عيشه نَكِداً

وَعْداً على الله حقا نصر ناصره ... كذا عليه به القرآن قد شهدا

ولم تكن محنة، بل منحة جمعت ... لُطفْاً خفيا، ولطفا للعيون بدا

فيها بصائر للمستبصرين بها ... تُنْبى لمن غاب عنها مَنْ لها شهدا

فداوموا شكر نَعْماً كالحيا وَكَفَتْ ... على الورى وكَفَتْ كل الأنام رَدَى

فيالها نعمة عمَّت سلامة من ... بالروح يفدى وقَلَّت أن تكون فدا

فهو الإمام الذى مازال عند ذوى الـ ... ـأحكام فى سائر الأحكام مجتهدا

إن قيل من هو؟ فاطرَبْ عند ذاك وقل ... نجل ابن تيمية فاشدد به عضدا

---

(١) هذا البيت ساقط من (ط)، وفى هامش الأصل مكتوب: بدء البيت فيه إطراء فتأمله ـ كذا فى المنقول عنه ـ كتبه أبو إسماعيل يوسف حسين ـ عفا عنه.

(٢) الزردا: هو حلق المغفر والدرع، ومنه الزرَّاد صانع الزرد.

أو قيل منْ وَلد من هذا الكريم؟ فقل: من ولد مــجــدٍ عــلا، أكــرم به ولدا

مــولى، له فى جــلاد أو مــجــادلة   لواء نصــر وتوفــيق قــد انعــقــدا

تهــاب مـجلســه العــالى الملوك، ومن   يخشى سطاه ومن لم يرهب الأسـدا

من أجل تعظيـمـه للحق لو وقف الليـ   ـث الهــصــور لديه راح مــرتعــدا

وكــونه ترك الدنيــا وزينتــهــا   زهدا ولا سَـبَـدا أبقى ولا لَبـدا[1]

تصغى المسامع لِيتًا[2] عند منطقه   كـأنما السمع بالألفاظ قـد عـقـدا

تُذكّــر الله ذكــراه ورؤيتــهُ   تذكـار واجـد مـاقـد كـان قـد فـقـدا

ترى ازدحــامــا على أبوابه أبدا   إمــا لكسب علوم، أو لنيل جــدى

لم يدع يوما على من خـاض فى دمه   بغــيــا، ولا لام ذالوم ولا حــقــدا

وربما اســتــغــفــر الله العظيم لمن   عمدا عليه اعتدى، أوقتله اعتمدا

[٦٠/ب] كـذا يكون فـتى الفـتـيـان، لا رجل /   يكون كـالنمــر الضــارى إذا حَـرَدا

هذى المكارم لاقُــعــبــان من لَبَن   لايكفـيـان لبـعض الجـائعين غـدا

له صــفــات كنشــر الروض تالدة   غب العـمـاد عليك الريح مـفـتـقـدا

أو كـالنجـوم التى تهـدى أخـا سـفـر   ليــلا، إذا ظل فى الظلمـاء منفـردا

عليــه ألبــاب أرباب التــقى عكفت   ومُجتنى الشهد لم يعكف عليه سُدى

من للمسائل، إن أعيت غـوامضـهـا   يحل مـشكلهـا المستـصعب العـقـدا؟

---

(١) سبدا .. لبِدا، مثل يضرب لمن لم يترك شيئا لاقليلا ولاكثيرا فقال ماترك سبدا ولبدا، والسبد: الشعر ينبت بعد الحلق، واللبد هو الصوف الملبد والمعنى أنه لم يترك شيئا قط.

(٢) فى هامش الأصل: لعله «ليتًا بالتاء المثناه، والليت صفحة العنق، وفى الحديث: «ثم ينفخ فى الصور فلايسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتا» ـ والله أعلم.

ومن إذا رُصّ بالسادات مجلسه يكون فى صدره صدرا إذا قعدا؟

يكاد يسلب ألباب الرجال بما يرويه مما يزيد المهتدين هدى

من العلوم التى عن ربه صدرت ومن حديث عن المختار قد وردا

وعن صحابته، والتابعين، وعن أئمة ساد مَنْ عنهم روى سندا

أم مَنْ يشنِّف أسماع الأنام بما يربو على الدر مَنْثوراً ومنتضدا

سوى الإمام تقىٌّ الدين أحمد تا ج العارفين، وقاه الله كل رَدَى

ومَنْ يُحدِّث عن بَحْرٍ، فلاحرج عليه، بل هو مأثوم إذا اقتصدا

وكم بمصر وبالشام الشريف فتى؟ لكن بمجموع هذا الحبر ما وجدا

كفاه آية تأييد سعاية مَن سعى، ولم يستطع يؤذى له جسدا

لكنه حين حاز السبق من صغر وفاق كل كبير فاق وانفردا

وحاز علما لَدُنِّيًّا، ومَنْقَبة تفتتت منه أكباد العدى حَسدا

فأجمعوا كيدهم يبغون فتنته فما أعان عليه ربه أحدا

ولم يطق حاسد فى الأرض قاطبة بأن يَمُدَّ بمكروه إليه يدا

وكان سيفا على الأضداد مشتهراً فحاولوا أن يكون السيف منغمدا

ومن يصُدَّ سَنا شمس إذا طلعت أو يحجب البدر إن شق الدّجى وبدا

ونور ربك لايطفَى، وإن حرص الخِبّ اللئيم على الإطفاء واجتهدا

وقد درى كل ذى خبر بأن له من فيض بحر عطايا ربه مددا

وقد علمتم به لما دعاه إلى مصر الذين علمتم مابها وجدا

فاسترشد الله فى الإصدارِ عن بلد ... نَبأ به، واستخار الله، ثم غدا

فاختار مسراه مولاه ووفقه ... فيه، وهَيَّا له من أمره رشدا

وسار، والله يكلؤه ويحرسه ... وكيف لا؟ وعليه كان معتمدا

والشمس ماحجبت بالغيم عن بلد ... إلا أنار سناها غيره بلدا

فالدر لو لزم الأصداف ماارتفع[1] ... اللبات، وارتكب التيجان واقتعدا

لم يُبق توديعه يوم الرحيل لذى ... صبر وذى جلد صبراً ولا جَلَدا

كأن حاديه يوم استقل به ... مسيره نحو مصر بالقلوب حدا

فاستعبرت أعين كادت لفرقته ... تبيضُّ حزنا، وأولاها البكى رمدا

وهذا، وكم قضى ظامٍ إليه ولم ... يُقضىَ له قبل وَشْك البين أن يردا

ومايَضُرُّ فتىً حالت منيته ... دون الأمانى إذا ماعُدَّ فى الشهدا

فحلَّ مصر عزيزاً عند مالكها ... وفى مهماته أضحى له عضدا

لتشرق الدولة الغَرَّا به، وإذا ... أضلَّ جهل جهول بالعلوم هدى

ويأمر الناس بالتقوى ويخبرهم ... بسنة المصطفى، فعلا ومعتقدا

ولايزال بأعلى فرق منبره ... منزهاً أحداً فى ملكه صمدا[2]

وفى مجالسه اللاّتى يحف بها ... ملائك الذكر تحصى من لها شهدا

يدعو لسيدنا السلطان ناصر د ... ين الله نجل قلاوون الفتى أبدا

---

(١) ارتفخ: كذا بالأصل وهو خطأ من الناسخ والصواب ماأثبتناه، واللبات واللب واللبة - بتشديد الباء هو موضع القلادة من الصدر فى كل شىء وتجمع على لبات ولباب.

(٢) هذا البيت ساقط من (ط).

بأن يدوم له فى الملك أربعة / ... عز، ونصر، وتأييد، وكَبْت عدى [٦٦/أ]

حتى يملكه الله العراق فيمـ ... حو الشرك، والرفض منها، والذى مردا

وعاد من مصر نحو الشام فى دعة ... مصالحا، مُصْلحا، ماكان قد فسدا

فحين وافى دمشق الشام محترزا ... من حَلِّ عقد وداد للورى عقدا

روّى صَدَى مُهج قد طالما ظمئت ... إليه شوقا، وجلَّى للقلوب صدا

وجاءنا بعد يأس مثل عافية ... جاءت عليلا، فلما لابسته هدى

ولاح شمس على روض وسحّ نَدى ... والشمس عادتها فى الروض رفع ندى

واخضر روض الأمانى ثم فاح شذا ... بان لحمى، وتغنى وُرْقه، وشدا

وصفق النهر، والأغصان قد رقصت ... مَسَرَّةً بفتى من مصر قد وردا

وسر أهل التقى من كل طائفة ... أنْ عاد أكرم مما كان حين بدا

وأنجح الله فى الدنيا مقاصده ... وسوف يؤتيه أجر الصابرين غدا

فادعوا له، ولمن كان السفير له ... حتى ألمَّ بكم من بعد مابَعُدا

وحقق الله ماأمَّلتموه له ... وصار كلٌّ بكلٍ عيشة رغدا

فقل لقوم شقوا: زال الشقاء إلى ... أعدائكم، وبقيتم أنتم السعدا

عين أصابت، ولكن عين عائنة ... ألا تروه رقاد الموت قد رقدا

والله ماخيَّب الله الدعاة له ... من كل عبد له يدعو إذا سجدا

لكن أجاب وأعطى فوق ماطلبوا ... فالحمد لله حمدا دائما أبدا

تمت بحمد الله وحسن توفيقه.

[مدح ابن نجيح للشيخ]

أنشد هذه القصيدة الشيخ الأجل شمس الدين أبو الثناء محمود بن خليفة ابن محمد بن خلف المنبجى.

قال: أنشدنا لنفسه جميع هذه القصائد الشيخ الإمام سعد الدين أبو محمد سعد الله بن نجيح فى مدح شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية ـ قدس الله روحه ونور ضريحه ورحمه وعفا عنه:

أيها الماجد الذى فاق فخرًا	وسما رفعة على الأقران
ياإماماً أقامه الله للعالمـ	ين هادياً باللطف والإحسان
ياغريب المثال، ياموضح الإشـ	كال بالبينات والبرهان
ياتقى الدنيا مع الدين، يامن	خُصَّ بالفضل واكتمال المعانى
لاتمل العُوَّاد إن أكثروا التر	داد أو أقدموا بلا استئذان
أنت روح الوجود فى عصرك الآ	ن وقلب الورى، وعين الزمان
والبرايا إذا اعتبرت جميعا	منك أضحوا بمنزل الجثمان
وإذا الداء خامر الروح والقلـ	ب تعدى الداء إلى الأبدان
فجدير بسائر الصحب إن هم	أطنبوا فى السؤال للرحمن
أن يديم ظلّك الظليل عليهم	سالما من طوارق الحدثان
بالنبى الهادى محمد المبعوث	بالمعجزات والقرآن
وبأصحابه مع الأزواج	والتابعين بالإحسان
صلوات الإله تترى عليهم	وعليه ماأشرق النيران

عدتها ثلاثة عشر بيتا.

وله ـ رحمه الله

يامن له فطنة فـــاقت ذوى الفطن ياذا المناقب والأفـــضـــال والمنن
يامن أُواليـــه فى ســـرى وفى علنى لاتلجنى فى انجـذابى عن بنى الزمن
/ ولا اغترابى عن الأهلين والوطنِ [٦٦/ب

يامن لدين هواه بتُّ مـــعـــتـــقـــدا ومن بديل هواه ظلت مـــعـــتـــضـــدا
كن لى عـذيرا فـلا نلتُ العـدات غـدا ولاتلمنى إذا أصـــبـــحت منفـــردا
عن الوجود بلا خِل ولا سكنِ

كم جـهـد مـثلى أن يُخـفى تململه عن الوشـــاة، وأن يخـــفى تحـــمله
إن نَمَّ دمـــعـى بأســـرارى يحق له فـبى من الوجـد مـا إن لو تحـمله
رَضْوى لذاب جوى، أو يذبل لفنى[1]

لكن قلبى، وإن ضـاقت مـسـارحـه لما حـــوته من البلوى جـــوارحـــه
به غـــريم غـــرام لايبـــارحـــه ولى من الفكر ندمـــان أطارحـــه
مابى، فأفهم ماأشكو ويفهمنى

شـغلت فـيـه به عـمن سـواه فـمـا ألوى على صـرف دهر جـار أو رحـمـا
ولا أبالى أذيع الســـر أم كـــتـــمـــا وكـيـف أصـبح بالأغـيـار ملتـئـمـا[2]
وبعض مابى عن آباى يشغلنى

(١) رضوى ويذبل: جبلان عظيمان.
(٢) فى هامش الأصل مكتوب: منقول عنه ملتهما.

هذا ولو أُضرمت فى القلب نار غضى ما ازددت إلا ابتهاجا بالهوى ورضا

لكن جوهر صبرى مذ غدا عرضا أنشدت قول الفتى الجيلى متّعضا

به ومن مثل قول السيد الحسنِ

مخاطبا لجهول بات يؤلمه عذلا، ويلحاه فيما ليس يعلمه

عنى ملامَك إنى لست أفهمه ورب وقت وجودى فيه أسأمه

دع الأجانب؛ بل روحى تزاحمنى

تمت

وله فيه - أيضاً - رحمه الله ورضى عنه

يا عالمًا جلَّ عن ضد يضاهيه — وفاق أقرانه فيما يعانيه

ياذا الفضائل، يازين الأماثل، يا — مُردى المماثل، يامُوهى مُناويه

إيضاح فضلك لايحتاج تكملة — لكن مفصَّلَه عن ذاك مجزيه

يامن إذا رمتُ أن أحصى مناقبه — نظماً ونثرًا وأنشيه وأرويه

حصُرت لولا سجاياه تهذبنى — لما ظفرت بمعنى من معانيه

مُحَرر المجد فى مدجيك لخص لى — هداية أرشدت إرشاد تنبيه

ياعمدة المقتدى حقاً، ومقنعة — فيما يروم، وكافيه ومغنيه

ويانهاية طلاب الرعايا من — وسيط علم، وخبر أنت حاويه

ياغنية المبتغين الرشد مانحهم — فتوح غيب أتى من عند باريه

أبديت تعجيز أهل النظم فاعترفوا — بالمعجز عن كنه ماأصبحت تبديه

لله كم ميت علم أنت تنشره — من بعد ماكادت الأيام تطويه

وكم حصون ضلال أنت هادمها — قهرا، وكم قول غاوٍ أنت موهيه

بينت إفساد ماقد حللوه لهم — تبيين تحريم لاتبيين تنزيه

من الديانة، حيث الجعل يبذله المسـ — ـكين من كفه، كيما يكافيه

وقمت بالحق فى ذا العصر مجتهدًا — فى نصره، مبطلاً دعوى أعاديه

ياحجة الله فى هذا الزمان على الـ — وجود مابين قاصيه ودانيه

يامن براه إله العرش داعية — إلى الهدى بلطيف من تأتيه

ياكـاشف المشكلات المعـضـلات لنا	بـأبلج مـسـتنيـر من فـتـاويه
يامن أبى مـقـولى إلا مـدائحـه	ولو مـدحت سـواه كنت أعنيـه
ومن حـدانى إلى أنى أخـاطبـه	بالمدح، حـتى كـأنى لا أناجـيـه
[٦٧/أ] إلا مـخـافـة ذى مَـحْل وذى حـسـد	يلحى، فيـعـزب عـمـا فيـه من فيـه /
وإن تعـرض ذو ضـغـن تلوت له	فـذلكن الـذى لمتننـى فـيـه

تمت

وله ـ أيضاً ـ يذكر ذل الخصوم ـ رحمه الله

لئن نافقوه، وهو فى السجن، وابتغوا	رضـاه، وأبـدوا رقـة، وتـوددا
فـلا غـرو إن ذل الخـصـوم لبـأسـه	ولاعـجـب إن هـاب سطوته العـدا
فـمن شـيـمـة العـضب المهند أنه	يُخـاف ويُرجى، مـغـمـدا ومـجـردا

وله ـ أيضا ـ فيه يمدحه ـ رحمه الله

أيا من مناقبه فاخرة ... ويا من مواهبه غامره
ويا من سحائب إفضاله ... بآمال آمالها ماطره
ويا من له همة لم تزل ... بنجح مقاصده ظافره
ويا من عزائمه لا تنى ... إلى درجات العلا سائره
ويا ليث حرب إذا ما سطا ... تذل له الأسدُ الكاسره
ويا طور حلم إذا ما جنى ... عليه امرؤ ينثنى عاذره
وإن نال منه بسوء المقال ... وقبح الفعال غدا غافره
ويا بحر علم تكاد البحا ... د تفيض بأمواجه الزاهره
ويا من أدلته بالنصو ... ص لأخصامه أبدا قاهره
ويا من براهين أقواله ... كشمس الضحى إذ بدت سافره
ويا من عوارف عرفانه ... تفوق على الأنجم الزاهره
ويا من صوارم آرائه ... لأعناق أعدائه باتره
ويا قدوة يقتدى العارفون ... بنور هدايته الوافره
ومن قصده بِهُدى الطالبـ ... ـين يؤيد باطنه ظاهره
ويا داعى الخلق فى عصره ... إلى الحق بالحجج الباهره
ويا من مكارم أخلاقه ... زكت بعناصره الطاهره
ويا من بدائع أوصافه ... تعين على مدحه شاعره

ومـــاذا عـــسى يبلغ المادحـــو	ن من القــول بالفطن القــاصــره[1]
ومــجـدك قــد أعـيـا[2] الواصـفـ	ين وصـــيـــر آذانهـم حـــائره
ولـكن ذلـك جـــهـــد المقـل	فكن بالقـــبـــول له جـــابره
أيـا مـن دعـــائـى ويا مـن ولائـى	وفـــائح أُثْنيَـــتى العـــاطره
لعليــاء حـــضـــرته دائمـــاً	تــردد واردة صــــــــادره
لعـــمــرك إن كـــان حظـى غـــدًا	مـن الـلـه فـى داره الآخـــــره
كـــمـــا هو عـندك فـى هـذه	فــتلك إذاً كـــرة خـــاســـره

(١) فى الأصل: الطاهرة، والمثبت من هامش الأصل.
(٢) فى هامش الأصل: أعز بدل أعيا.

وله - أيضاً - فيه يمدحه - رحمه الله

الله نشكر مخلصين، ونحمده	وله نعظم دائماً، ونوحد
وبفضله[1] الضافى نلوذ ونلتجى	وإليه نسعى مخبتين ونحفد
وبه نصول ونستعين على العدى	إذ لا سواه لنا إله نعبد
فله الثنا والمجد، إذ هو أهله	وله الجلالة والبقاء السرمد
مولى حبانا فى فتور زماننا	بفتى يثقف ديننا ويسدد
أعنى تقى الدين، أكمل سيد	لدعائم الشرع الشريف يشيد
العالم الورع المحقق، والذى	من دون رتبته السهى والفرقد
من جاد بالنفس النفيسة منه فى	ذات الإله ولم يرعه تهدد
من لم يخف فى الله لومة لائم	كلا، ولم يرجعه عنه مفند
حبر حباه الله جل جلاله	بصفات مجدٍ فى علاه تخلد
هو بحر علم، طود حلم راسخ	فى الحق لاوان ولا متردد
صدر لديه تحبب وتألف	للمؤمنين ورأفة وتودد
وكذاك فيه على المنافق غلظة	وتمنع، وتصعب، وتشدد
هو قائم لله يهدى خلقه /	أبدا إلى سبل النجاة ويرشد [٦٧/ب]
فلذاك أصبح للبرية قدوة	فى الصر إذ هو فيه قطب مفرد
لك ياأبا العباس، إذْ عَنْ فرقة	من قبل، قد كانت لحقك تجحد
ضاقت بهم سعة الفضا مذ عاينوا	لك كل يوم رفعة تتجدد
ورأوك ممتازا بحسن مناقب	ليست لغيرك فى زمانك توجد

(١) فى الأصل: بذيله، والمثبت من هامش الأصل، وكتب فى الهامش: بفضله كذا فى الأصل؛ ولكن الظاهر عندى فى متن الأصل - والله أعلم؛ أبو إسماعيل يوسف حسين.

فعراهم الحسد المضل فأصبحوا   ولديهم منه المقيم المقعد

إن يحسدوك فغير بدع منهم   جَمُّ الفضائل لامحالة يحسد

راموا بلوغ مقامك العالى، وما   علموا بأنك فى المعالى أوحد

فدعا بهم داعى قصورهم: اخلدوا   ومع الخوالف ماحييتم فاقعدوا

لما نأت عزماتهم عن شأوك السا   مى، وصدوا عن حماهُ وأوبعدوا

هموا بأمر لم ينالوا منه ما   طلبوا، لقد ضلوا ولما يهتدوا

ورموك بالإفك الفظيع، وأطنبوا   بالقول فيما زوَّروا، وتقلدوا

وبغوا عليك بما افتروه تعمدا   وسجيَّة الباغين أن يتعمدوا

لم يتركوا شيئا به يتوصلوا   طمعا إلى ماقرروه وأكَّدوا

إلا نَحوه، وبالغوا فى جهدهم   لكن سعدت، وإنهم لن يسعدوا

حتى إذا ما استيأسوا نيل ما   كانوا جميعا حاولوا وتقصدوا

خافوا سطاك فأجمعوا آراءهم   أن يودعوك السجن، ثم يخلدوا

فأبى إلهك أن ينالوا منك ما   راموا وهل يزكو لباغ مقصد

ماذاك إلا حال يوسف حُزته   إرثا حباك به الكريم المرفد

فبلغت فيه من الرياضة فوق ما   تختاره، وصفا لديك المورد

ثم انقضت أيام خلوتك التى   كمل العلاء بها وتم السؤدد

وبرزت كالإبريز فارق كيره   فاحتار فيه الجهبذ المستنقد

وظهرت كالصبح المنير إذا بدا   فى الأفق فانقشع الظلام الأسود

وشُهرت كالعضب المجرد مقسما   فى غير هام عداته لايغمد

فهناك أعقد للجدال مجالس كانوا أرادوا أنها لاتعقد

فرأوا نكولاً عن جدالك خيفة وتذبذبت آراؤهم وتفندوا

حتى إذا أمروا بذاك وأيقنوا أن الخميس، ولاخلاف، الموعد

حشدوا عليك جموعهم وتحزبوا وتواثبوا وتحفلوا وتجردوا

وحموا عصابتك الحضور وجادلوا [1] إذا همُ لك أفردوا

فنهضت معتصماً بربك واثقاً متوكلاً تثنى عليه وتحمد

وإليه أخلصت التوكل موقناً أن ليس يُخذل من به يستنجد

ثم استخرت الله واستفتحته فيما تروم من الأمور وتقصد

فحباك منه عواطفاً ولواطفاً يفنى الزمان وذكرها لاينفد

وأتاك نصر الله والفتح الذى بهما جميعاً كنت منه توعد

فوثبت وثبة ثائر لله لم يحفل بما حشدوا، ولاماجندوا

أبديت من كنز العلوم غوامضاً مكنونة، لولاك كانت تفقد

أسمعتهم منها لما لم يسمعوا وأتيتهم منها بما لم يعهدوا

أسندتها ورويتها نصا، كما جاءت معنعنة، فيالك مُسند!

حصرت صدورهم عن استفهامها وتحيروا لسماعها وتبلدوا

وبدالهم مالم يكونوا يحسبوا مما يسوؤهم ومما يكمد

فاسعد بها من محنة فى طيها منَح أقرَّ لها الجحود الملحد / [٦٨/أ]

نلت الفخار بها وحزت مآثرًا سرُ الصحاب بها وغُم الحسد

(١) فى هامش الأصل: كذا فى الأصل بياض ـ كتبه أبو إسماعيل يوسف حسين.

وغدوت فيها كابن حنبل تاليا تقفوا جميل جماله وتجدد

أخمدت نار جهالة، ماخلتها لولا جهادك واجتهادك، تخمد

أرضيت ربك إذ أضفت كلامه حقا إليه، وليس فيه تردد

وكذاك أثبت العلوم والاستوا من غير تكييف وحصر يوجد

ونزول خالقنا إلى أدنى سما ليلاً، كما صح الحديث المسند

وذكرت أسماء الإله، ولم تزغ ميلا إلى ما حرفوه وألحدوا

ورويت أخبار الصفات وآيها مَرًّا، كما نقل الثقات وجودوا

ونصرت ملة أحمد الهادى، وقد أيدّت سنته، فأنت مؤيد

وأقمت مذهب أحمد الثبت الصبو ر على الأذى، فلك إلهنا، ياأحمد

أوضحت منهجه السوى، وأنه مذ كان، فهو المستقيم الأرشد

وأثرت محنته، وقمت مقامه فى العصر، ترغم شانئيك وتكمد

فاحمد إلهك، إنه لك ناصر وابشر، فعاضدك النبى محمد

المصطفى الطهر الزكى المجتبى الهاشمى الأبطحى السيد

خير الورى وأجل من وطىء الثرى وأبر مبعوث به يسترشد

صلى عليه الله ماسجعت ضحى ورق على أعلا الغصون تُغرد

وعلى صحابته الكرام وآله والتابعين لهديه وبه هدوا

والحمد لله العميم نواله والحمد (أفضل)[1] مايقال وأوكد

تمت، والحمد لله وحده.

---

(١) يوجد مكان أفضل فراغ بالأصل، والمثبت من (ط).

وله - أيضاً - يمدحه - رحمه الله ورضى عنه

الحقُّ حَصْحَصَ، لا عذرٌ لمعتذر ... وقد تحققه من كان ذا بَصَر

وفاح عَرْفُ شذاه فى الوجود فظَلْـ ... ـل الكون فى أرَجٍ من نَشْرِه العَطِر

ولاح لألاؤه فى الأفق، فانقشعتْ ... غياهب الأفك من خوف ومن حذر

وَفَرَّ يُدْبر يمشى القَهْقَرى [وهنا[1]] ... له تبع يسعون فى الأثر

مذبذبين لضعف العزم، تحسبهم ... سفرا قد أصامهم جبن عن السفر

ضاقت بهم سعة الأقطار حين سما ... سمو قدر تقىٍّ الدين فى البشر

وفاق أنداده فى العصر قاطبة ... بالعلم، والحلم، والتفسير، والنظر

وامتاز بالدرجات العاليات على ... شيوخ أشياخهم فى سالف الدهر

كانوا يظنون أن العلم منحصر ... فيهم إلى أن أتاهم أحمد الأثر

ركن الشريعة، محيى العدل ناصر ديـ ... ـن الحق، مستتصر بالآى والخبر

فـفَلّ بالنص والإجماع جمعهم ... فأصبحوا بعد ذاك الحصْر فى حَصَر

لا يهتدون إلى رشد، وإنهمُ ... لفى ضلال، وفى غَيّ، وفى سُعُرِ

قد حُمِّلوا حسدا من عند أنفسهم ... له، فهمْ منه فى هَمٍّ وفى فكر

تَبًّا لهم، ما الذى نالوا بسعيهم؟ ... وما عسى بلغوا فى ذاك من وَطر؟

أيستطيعون أن يمحوا لما كتبت ... يد المهيمين بعد الذكر فى الزُّبُر؟

---

(١) يوجد مكانها بالأصل كلمة تقرأ هكذا: «واهيبكو» وأشار الناسخ فى الهامش بقوله: كذا بالأصل.

أم يقــدرون علــى تبــديل مــا نفــذت — به نوافـــذ أمـــر الله من قـــدر؟
بل كلمــا أوقــدوا للحــرب نار غَـضًى — بالكيـد منهم، طفــاهـا مُنزل الســور
وردّ كـيــدهم فــيــهم وأرجــعــهم — بـالتَّـعْسِ وَالتَّكْسِ والخــذلان والدَّبَر
واخـتـاره للورى داع إلى سـبل الخيـ — ـيــرات، والنفع نَهَّــاءً عن الضَّــرر
واخــتــصَّــه منه بالزُّلْفَى وثبَّــتــه — بالحـزم، والعـزم، والتـأييـد، والظفـر
[٦٨/ب] وكم مناقب مَـجَّـدٍ قـد حبـاه بهـا — وزاده بَسْطة في العلم والعــمــر /
وكم له فى ذُرى العليــاء مــرتبــة — منيــفــة نالهــا من بارىء الصــور
وكم له من أيادٍ فى العطاء، غــدت — تُزْبى على العــارض الهَطَّال بالمطر
وهمَّــه فى المعــالى غــيــر دانيــة — تُزْرِى إذا ابتــديت بالصــارم الذكــر
وكم له من كــرامــات مــبــينة — سناؤها كـضـيـاء الشـمس والقـمـر
وحـسـبنا عـود أهل العـود مـعـجـزة — مـامـثلهـا عـبـرة تبـقى لمعـتـبـر
رءوس كل ضـــلالات، ومـــحـــدثة — وبدعـة نشـأت فى البـدو والحـضـر
لما اســتــقــرَّ لديهم علو همــتــه — وأن ســيـــرته من أكــمل الســيــر
وأن دعـــــــوتـه لـلنـاس كـلـهـم — إلى الهدى باجتـهـاد غيـر مـحتصـر
وأنـه قـــــائم لله منـتـــصـب — فى نصرة الدين، لا يخشى من الخطر
خـافـوا سطاه، فـمـذ حلوا بسـاحـتـه — وشـاهدوا مَـخْـبـرا يوفـى على الخـبـر
وعــايوا وجــهــه الهــادى، وقــابلهم — منصـور عـزم بربِ العـرش مـقـتـدر
وجـــاءهم بأســـانيـــد مــعنعنة — عن الهـداة الثـقـات القـادة الَغـزر

وقـام بـالحـجج للقـبـول شـاهدها مميـــزا بين عُـــرْف القـــول والنُّكُر

مــــــبـــــــرهـنـا بـدلالات مـنـورة يُهْـدَى لعـرفـانهـا مـن كـان ذا نظر

فـــأذعنوا عَنوة للأمـــر حين رأوا نور الحـقـيـقـة بادٍ غـيـر مـسـتـتـر

ولم يسـعـهـم مُـمـاراةٌ، ولا جــدل لكنهم سلّمـــوا تسليم منقـــهـــر

وهذه شِـيْـمَـةٌ بين الورى عُـرفت فـيـمـن يخـالفـه من سـائر البـشـر

إذ قلّمـا فـاء منهم للهــدى أحــد حــتى يرى فـيــه أنواع من العــبــر

فــالحـــمـــد لله كــاليــه وناصـــره ومـجــتـبـيــه وواقـيــه من الغــيــر

وأكـــمل الصلوات الزاكـــيـــات على رسـوله المصطفى المختـار من مـضـر

مـحـمـد السـيـد الهـادى وعـتـرته وصـحـبـه الأكـرمـين الأنجم الزُّهُر

صلى الإله عليـهم كلمـا سـجـعت حـمـائم الدوح بالألحـان فى السّحَـر

تمت والحمد لله وحده. وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

وله ـ أيضاً ـ فى تبيين عدم قيام الأصحاب مع الشيخ، حين يعظم الخطب ويقع الحرب

سبرتُ خلال الأصفياء تدبراً ... وميزت أحوال الصحاب تأملا
فشاهدتهم فى السلم من تلق منهم ... تجده محباً يدعى صحة الولا
وعند نزول الخطب حاولت أن أرى ... أخاثقة إن أدبر الحرب أقبلا
فلم ألق إلا لائماً متبرِّماً ... ولم أر إلا شاتماً متعقلا
فلما تحققت التخلف منهم ... شطبت عليهم شطبة الصب، لا إلى

تمت

وله ـ أيضاً ـ فيمن أبدى عذلاً فى حبه ومتابعته جهلاً

سيان إن عذل الواشون أو عذروا ... لاخُبرٌ عندهمُ ولا خَبر
لاموا على حبه جهلاً، وماعقلوا ... وعنفوا فيه عدوانًا، وما شعروا
ولو رأوا حسنه الزاهى بأعينهم ... كما أراه أقلوا اللوم[1]، واقتصروا
ولو تجلت معانيه الحسان لهم ... وشاهدوها كما شاهدتها بهروا
لكنه مُذْ بَدا لألاؤه غشيت ... أبصارهم، فانثنوا منه، ومانظروا

تمت، والحمد لله وحده، وصلى الله على محمد وآله.

---

(١) فى الأصل: اللؤم، والمثبت من (ط).

مرثاة أخرى لغيره

فقد الأنام فوائدا وفضائلا فقدوا من العلم الشريف جلائلا
فى موت بحر العلم والحبر الذى سلك العلوم مذاهباً ودلائلا
أعنى تقى الدين أوحد عصره قد كان حقا بالفضائل عاملا
قد أودع القبر الشريف علومه عجبا لوسع القبر بحراً سائلا
قد كان لايحتاج طالب علمه / كثر السؤال، وليس يلقى سائلا [٦٩/أ]
قد كان ركنا فى المواعظ جملة بحراً عميقا إن أردت مسائلا
وإذا رآك يكون حقاً باديا لك بالسلام مواردًا ومسائلا
يارب، فارحمه، وبُلَّ ثراه بالغيـ ث الكريم، معاودًا ومواصلا
يارب، وافعل ذا بكل موادد ومجاور قبر الإمام مؤملا
يارب، وارحمنا، وكل مشيع صلى عليه، أو أتاه مقبلا
من كان مسرورًا به وبعلمه من بعده، فالحزن أضحى عاجلا
زكى الإله ثراه، فضلاً منه فى كل الزمان، وزاد غيثاً هاطلا
بعد السلام على النبى المصطفى أعلى البرية فى المعاد منازلا
وعلى الصحابة والقرابة كلهم والتابعين أواخراً وأوائلا

وقال بعضهم فى شيخ الإسلام - رحمه الله ورضى عنه وجعل الجنة مأواه :

دموعى على صحن الخدود تسيل ... وصبرى قصير والغرام طويل
على فقد من قد كان للدين ناصحًا ... وكافح أهل الشرك وهو فضيل
لفقد تقى الدين ضاقت مذاهبى ... وفى كبدى نار الفراق تجول
إمام كريم، كان لله عابدًا ... وفى زهده شرح هناك يطول
قد كان للإسلام كهفاً ومسعدًا ... إذا ماأصاب المسلمين نزول
وكان على حكم المهيمن صابرا ... وفى كل مايلقى إليه حمول
بشرع رسول الله قد كان قائماً ... وعن سنة الرحمن ليس يحول
وجاهد فى الرحمن حق جهاده ... وكان له صبر عليه جميل
لقد بكت الدنيا حقيقاً لفقده ... ويبكيه علم نافع وأصول
وفى أرض مصر، يالها من عجائب ... لديه جرت، وهو الصبور الحمول
إلا يوم الأثنين الذى كان قبضه ... ففيه عزاء المسلمين جزيل
وفى سجنه يتلو ثمانين ختمة ... قراءة ترتيل وقصد سبيل
وفى موته دقت بشائر رحمة ... أتاه من المولى رضا وقبول
وسار إلى رب قديم مهيمن ... عظيم كريم ليس ذاك قليل
عليه سلام الله مالاح بارق ... وماسارغيث بالسماء هطول

[رثــاء المارداني]

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا نظمه العبد الفقير إلى رحمة ربه ومغفرته؛ بدر الدين حسن بن محمد النحوى الماردانى فى الشيخ الإمام العالم العامل، الأوحد شيخ الإسلام، وقدوة الأنام تقى الدين أحمد ابن تيمية ـ تغمده الله برحمته ورضى عنه :

ألا أيها القلب الذى عدم الصبرا ... أفق، طالما جُرّعت من لوعة صبْرا
وياعبرات الجفن أظهرت بالأسى ... لنا عبَرًا بالدمع أسطرها تُقْرا[1]
أيأمَن من خطب الليالى مُخَاطبُ ... وشيمتها فى الناس أن تظهر الغدرا
وهل خالد فى الدهر عمرو وخالد ... لعمرك ـ لايبقى، ولو أمَّل العمرا
قضى ماجد، مامثله اليوم واحد ... وأبقى جميل الفعل من بعده ذكرا
دما لوبكته دِمْنَة الربع والدما ... وأمطرت الشعْرى العبور لها العبرا
أو اغبَرّ وجه الروض يوم مصابه ... لقلّ، وجَل الخطب من فقده قدرا
فتىً ألف المعروف، والجود عادة ... تعوّدها طفلاً، وكان بها أحرى
كأن لم يقل يوماً مقالاً، فتنثنى ... إلى قوله الأسماع طائعة قهرا
ولا ظهرت بين الأنام علومه ... ولا طرّزت شاماً، ولاجملت مصرا
دعانى ظلال الصبر فى صبر فقده / ... فأرسل رسل الدمع من مقلتى تَترَى [٦٩/ب]
سننتَ، تقى الدين، أحمد سنة ... وأوسعت فى كسب العلا بالندى صدرا
أيا شافعى الوقت فى ضبط نقله ... نثرت على الأيام من لفظك الدرا

---

(١) فى الأصل : أسطرها سطرًا، والمثبت من هامش الأصل.

قنعت، وفى الدنيـــا زهدت ديانة، وفـارقهـا، واختـرت ضـرتها الأخـرى

أفـــضت على الأيام بحـــر مكارم وعلم، فـأربحت المتـاجـر والأجـرا

عـجـبت لقـبـر ضَمّ جـسـمك تُرْبه أيحوى الثّرَى فى تربه الشمسَ والبحرا؟

نقلت من الدنيـــا إلى ظل روضـــة وحُـزْت الذى أمَّلت بالمقلة السـهـرا

وشـاهدت فى حـسن الزيادة نضـرة وألبـست وَشْـياً عند نظرتهـا نظرا

تدرعت أثواب المحـــامـــد والتـــقى كعـرضك بيضا وابتدلت بها خضـرا

لئن نقل الأعـــداء عنك ضـــلالة رواية نقل مـاأحـاطت بهـا خُـبْـرا

وإن أودعـوك السـجن منهم جـهـالة فقد زِدتَ قدرًا، عندما نقصوا قدرا

فمـا يختـفى إلا الجـواهـر فى الورى ومن ظلم الأصـداف يسـتخـرج الدرا

أيا سـائلى، عن علمــه، وصـــفـاته هو البحر، فاعجب فيه! من يصف البحرا؟

هـو الغـيث، يثنى عنه كل لطيـمـــة من الروض، بل تزكو لأوصـافه بشـرا

سـمـا حاتمًا جودًا، وفاخـرًا عاصـمًا ففـاق لمن يقـرى الضـيوف ومن يقـرا

أيا بطل، يوم الجـــدال مـــجـــدّل فـوارس علم من فــواضله قــهـــرا

إذا قـــال فى عليـــاك أمــعن قـــائل فما حاط من معشار مانلته العشرا

ومـــاذا يقـــول المادحـــون بوصـــفـــه وقدرك فوق الشعر حل عن الشعرى

تفــــــردت فى علم وزهد وفطنة فضلت بها فى الفضل بين الورى ذكرا

أعـدت نهـار الجـهل ليـلاً مـسـودًا وكـافـر ليل الكفـر صيـرته فـجـرا

نظمت على جـيـد الزمـان قـلائدًا بفـضلك نظمـاً من علومك أو نثـرا

لقـد كنت فى يوم الفخار وفى الوغى شـجـاعـاً يرد الليث عن سـبله قـهـرا

سيوفك بيض، مثل عرضك فى الورى إذا اسود ليل النقع، صيرتها حمرا

كـأنك قـد أُفـرِغتَ فى فَـرْد قـالب تلاشى، فلم يصبـر على قلبة أخرى

فـجئت على الأيام فـرداً، ومن رأى مـثـالك من كنز المكارم قـد أثرى

فـأقسم بالقرآن فى العصر صادقاً بأنك قد شرفت من دهرك العصرا

سقاك حياً، ومن وابل الغيث سحرة وحيّاندًى قد ضم من كفك البحرا

ونـوّر نـوار الـربيـع ربـوعـه وأطلع فى أرجـائه الزهر والزهرا

تمت بحمد الله وحسن توفيقه.

وله - أيضًا - فيه - رحمه الله ورضى عنه - آمين

أبى اليـوم سـر الكون أن يتكتـمـا ... وصـبغ مـشـيب الدمع أن يتكلمـا

وكل مـصـون من شـجـون ولوعـة ... به تم فـرط الحـزن والدمع قـد نما(1)

قضى، ومضى، مولى سما كل ماجد ... فـأوحش ربع المكرمـات وأظلمـا

غـمـامـة جـود أقلعت بعـد صـوبهـا ... وبدر سـعـود غـاب لما تتـمَّـمـا

وبحـر علوم غـاض زاخـرُ يَمِّـه ... وركن مـعـالٍ قـد وهَى وتهـدمـا

عـيونى مـصـاب الخطب لما تحـققت ... بهـا الدمع من جـفنى تعندم عندمـا

أيا فـاضل العـصـر الذى فى صـفـاته ... تأخـر من فى الفـضل عنه تقـدمـا

قـضـيت جـمـيل الفـعل أوحـد ملة ... حمى الدين والإسـلام عـزمـاً وسلمـا

ليـهنك كم جـدّلت يومـاً مـجـادلاً ... وكلمـتـه باللفظ منه تكلمـا

نثـرت على فـرق الزمـان جـواهرا ... ودرا على جـيـد الليـالى تنظمـا

بفـضل صـلاة مع صـلاتك فى الدجى ... وجـودك والإحـسـان أربحت مـغنمـا

[٧٠/أ] سبقت إلى الغايات فى الفضل للورى ... على قـدم، مـقـدامهـا قـد تقـدمـا /

مـضـى علم فى الناس حَـبْـر مـعنم ... فـأوحش من ربع المدارس مـعلمـا

فـأصـبح درس الفـضل والعلم دارسـاً ... يَوَدّ بأن يشكو الجـوَى وتكلمـا

فـتى لو قُـلامـات الأظافـر قَلّمـا ... لكان شـبـيـه مـثله اليـوم قلمـا

فلو أنصـفـتـه البـاكـيـات لفـقـده ... بكتـه دمـا من فيض أجفـانهـا الدمـا

فتى صَيّـر المعـراج للخلد فى الدّجى ... بـأوراده، لمـا تـسـلم سـلمـا

فكم جـادلت أقـواله من مـعـانـد ... تقـاصَـر عنه، حين أقـدم أحـجـمـا

---

(١) فى هامش الأصل: مذنما، والمثبت من الأصل.

وكم رَدَعَتْ آراؤه من مـــخــــالف ... عن الدين بحـثـاً، حين سلَّم أسلمـا
لبـــستَ، تقىَّ الدين، ثوب تقـــاوة ... من الفضل عن مولى سواك تَحرّما
تخـيَّــرت مـايبـقى على كل مـالك ... فـأربحت من تلك التجـارة مـغنمـا
لقـيت الذى قـدمـتـه من صنائع ... من الخيـر أو مـاجـدت منك تكرمـا
وفى الحـشـر تلقى كل نفس نفـائسـا ... وتجزى الذى فى الناس أجرم، أجرما
تأخـرت عن نيل المناصب رفـعـة ... ومـــثلك فى أيامنا مـــاتقــدمـــا(1)
بنيت على الإسلام ركنا ومـعـصـمـاً ... يُقَـبِّلُ منه المجـدُ كَـفّـا ومـعـصـمـا
أقـــمت قناة الدين منك بعـــزمـــة ... وأطفـأت نار الشـرك منك فـأظلمـا
صبرت على حمل الأذى منك راضياً ... وأعـرضت عن فـعل الأعـادى تكرمـا
شـهـرت على أهل البـدائع فى الورى ... صـوارم شـرك الكفـر منهـا تصـرمـا
وقـفت على يوم الجـلاد شـجـاعـة ... بعـــزم يَردُّ المشـــرفىَّ مُـــثَلّمـــا
إذا بكت الأبطال خــوف قــبـــيلة ... ضحكت بثغر فى الوغى(2) قد تبسما
ولما تبـــدى نور نعـــشك لامـــعـــاً ... تمنت بنات النعش أن تتـــحطمـــا
وودت بأن تدنو الثـــريا إلى الثـــرى ... نثـاراً عليـــه، رفـــعـــة وتعظمـــا
نـزلت على أهل المقــابر رحـــمـــة ... وأنقـذتهم من ظلمـة الظلم والظمـا
سـقى قبـرك الوَسْمِىَّ فى كل سَحْرة ... سـحـائب رضـوان به الروض وسّـمـا
ورفّ عليـــه الأقـــحـــوان مـــفلَّجـــاً ... وأطلع فـيـه الروض نجـمـاً وأنجـمـا

تمت، والحمد لله رب العالمين.

(1) فى الأصل: قد تقدما، والمثبت من هامش الأصل.
(2) فى هامش الأصل: الورى، والمثبت من الأصل.

[رثاء جمال الدين الحنبلى]

قصيــدة

للشيخ الإمام جمال الدين عبد الصمد بن إبراهيم بن الخليل بن إبراهيم بن الخليل الحنبلى. يرثى شيخ الإسلام والمسلمين أبا العباس أحمد بن تيمية ـ قدس الله روحه ـ وعدتها ثمانية وأربعون بيتا :

عش مــاتشــاء، فــإن آخــره الفنا ... الموت مــــالا بد منه ولا غِنى

والدهر إن يومــا أعــان، فطالما ... بالسوء عان، فعونه عين العنا

لابد من يوم يؤمُّك حتفه ... حتما، نأى الأجلُ المقدر، أو دنا

للنفس سهم من سهام نوائب ... تَرمى، فتُصمى من هناك ومن هنا

مَنْ غَرَّه الأملُ المديد، فإنه ... غِرٌّ، لأن طعامه لن يُسمنا

شمس الحياة تَضَيَّفت[1]، ومشيبه ... ضيف يجر من المنية ضيفنا

من حين أُوجد كان نفسُ وجوده ... فى الكون بالعدم المحقق مؤذنا

يامن يَعُدُّ الدهر صاحب دهره ... ويُعد فيه للإقامة موطنا

أوَ مارأيتَ الموت كيف سطا بمن ... فى الخلق عن محض العلوم تكونا

نَدْبٌ مباح الصبر حظر بعده ... فلم استحال، وكان شيئا ممكنا؟

بذّ الأنام، مع البَذاذة[2]، فضله ... إذ لم يكن بسوى التقى متزينا

ترك الجميع على الجموع، فلم يهب ... تلك الجموع ولااستراب، ولا وَنى

---

(١) تضيفت : مالت إلى الغروب.

(٢) فاق الناس مع عدم الاعتناء والتأنق فى اللبس؛ لأن تجمله كان بالتقى.

وَلكم مـــقـــامـــات له فى الحق، لا   بيضَ الظُّبـا يخـشى، ولاسُـمْـر القَنا

بالعُـــرف يأمـــر، ناهيـــا عن منكر   مـتـقـرباً، وهو البـعـيـد عن الخنا [٧٠/ب

ويخص أوقات الخصـاصـة بالنَّدى   فـيـعم عـادا، فـقـره أعـلا الغنا

فبخير ماسَنَن، وبالسنن اقتدى   والشكر والذكر الجميلين اقتنى

ماجار عن نهج الصواب ومااعتدى   وبغير تحصيل الفضائل ما اعتنى

إمـــا تُبـــارزه، تجـــده مُـــبَـــرِّزا   فى أى علم شئت، حبرا متقنا

وإذا تجاريه، فما السيل انبرى   إمـا جرى فى بحثه متفننا

متزهدا، متعبداً، متهجدًا   متخشعا، متورعا، متدينا

فى كل عصر سيد، هو حجة الـ   ـبارى على كل الخلائق فى الدُّنا

ونرى أحق من استحق، فحاز ذا   مَنْ للإمامة لم يزل متعينا

شيخ الأنام وحجة الإسلام من   أغناه نشر الذكر عن ذكر الكنى

أعنى أبا العباس أحمد،بل تقيـ   ـى الدين حقا والعليم الممعنا

فى الله ليس يخاف لومة لائم   ويرى النوى فيه نهايات المنى

لما تحقق أن كل مخلف   يفنى، وإن كان النفيس المثمنا

لم يدخر قوتا لأجل غد، وَلا   أبقى له إرثا سوى حسن الثنا

صدر حوى فى صدره لكماله   من كل علم مع معلوى معدنا

ظهرت ولايات الولاية بعده   واسألْ لتصبح بالحقائق موقنا

واسمع مقالة أحمد متوعدا   أعداءه : يومُ الجنائز بيننا

فأحق ما يُبكى عليه فقده   ما موت هذا الحبر رزءاً هينا

فـيض النفـوس يقل فـيــه، فـلا تلم وأعن عـيــونا فــضن فــيــه أعــينا

يامن أعــاد أولى التــشـدق علمــه خــــرســـــا، وأنطق بالثناء الألسنا

يادوحــة الفــضل التى فى أصلهــا طيب، وزاكى فــرعـــهـــا حلو الجنا

ياحـبــر، بل يابحــر، كم حـيّــرتَ مِن حــبــر تصــيــر ذا الفـصــاحــة ألكنا

ياخـاتم الفـضــلاء، علمك مـعـجــز بهــر الورى، فــصــدرت عنه مــؤمنا

إن كــان ذا حــفظ، فــوقــتك ضــيق عنــه. ولو كــــان الـزمــــان لـه أنا

لكنه من فـــضل مـــا هـو قـــاذف بـالحــق مــن نــور الــولايــة والــســنــا

أســست بنيــانا على تقــوى ورضــ ـوان، فــلاسـِـيــمـــا قــد ارتفع البنا

غـــبـــرت، يامن لايشق غـــبـــاره فى أوجــه الفــضــلاء قــدمــا قلبنا

جـاهـدت فى ذات المهــيــمن صـــابرا عند الأذى، فـــأتت بشــــارات الهنا

إن الـذين يـجـــــاهـدون عـــــدونـا فـــينا، سنهـــديهم إلينا سُـــبْلنا

الله قـــد أثنـى على العلمـــاء فى نص الكتـــاب وأنت أولى مـن عنى

لاغـــرو إن كنت ابتليت بحـــاســـد فـــالحـــر ممتـــحن بأولاد الزنا

أشـكـو إلـيـك، وأنت أصـل شـكـايـتـى من فـرض ضــر فى افتـقـادك مـسنا

قــد عــبّــرت عــبــراتنا من حــزننا وبمـا نُجنُّ من الجـــوى نطقَ الضنى

سـقـيـاً لتلك الروح من سُحْب الرضـا وتبـــوأت جنان عـــدن مـــسكنا

لو كــان فــيــهــا الموت يقـبـل فـدية كــــان الأنـام فــــدى، وأولـهـم أنـا

تمت بحـمد الله وعـونه وحسن توفيقـه. وصلى الله على سيدنا محمـد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

[رثاء عبد الله الرومى]

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه القصيدة نظم الشيخ عبد الله بن خضر بن عبد الرحمن الرومى الأصل، الدمشقى الحريرى، المعروف بالمتيم، يرثى الشيخ تقى الدين ابن تيمية. و هو أحد أصحابه، رضى الله عنه وأرضاه /. [٧١/أ]

لقد عذبوا قلبى بنار المحبة ... وذاب فؤادى من فراق الأحبة

وزاد غرامى فى اشتياقى إلى الحمى ... وهيّج بلبالى حنينى ولوعتى

فياعُظم أحزانى ووجدى عليهمُ ... وياطول أشواقى إليهم ووحشتى

فلم أنس أياما تقضت بقربهم ... ومن عيشتى، لما تولوا تولت

ملأت النواحى من نواحى، وكيف لا ... أنوح على قوم هم خير جيرتى؟

ومن عجبى أنى أحن إليهم ... وقد سكنوا قلبى وروحى ومهجتى

ذكرت فلم أنس زمان وصالهم ... أأنسى ليالٍ بالعُذَيب[1] تقضت؟

منازل أحبابى مواطن سادتى ... مطالع أقمارى شروق أهلتى

معاهد أفراحى ديار سعادتى ... مواسم أرباحى أويقات لذتى

مضت وانقضت عنى، كأن لم أكن بها ... وماذاك إلا من ترادف غفلتى

أعلل روحى بالغُوَير، وبانة ... وما شوقها إلا لسكان رامة

إذا لم يلح لى بارق من حماهمُ ... فياخيبة المسعى، وياطول شقوتى

(١) كتب الناسخ بالهامش : بالعقيق.

وإن لم أقضّ العمر بين خيامهم ... فلا عشت فى الدنيا، ولانلت منيتى

وإن لم أشاهد حسنهم فى مشاهدى ... فقد فاتنى سؤلى، ومت بحسرتى

وإن لم أجد نور الهدى من خبائهم ... يضىء به قلبى، فيا عظم حيرتى

لغير رضاهم ما تمنت مطامعى ... ولا لسواهم ما حلالى تلفتى

يقولون لى : لِم لاسَلَوْت هواهمُ؟ ... فقلت : دعونى، ما بليتم بمحنتى

ولاذقتمُ ماذاق قلبى من الجوى ... ولامسَّكم ضرى، ونارى وحرقتى

فهل لى جنان أن يهمَّ بغيرهم ... وهل لى لسان أن يفوه بسلوتى

وحاشاى أن أسلو هواهم، وحبهم ... يذكرنى حفظ العهود القديمة

فهم سِرُّ أسرارى، ونور مناظرى ... وروحى، وريحانى، وأنسى وبهجتى

وهم عين أعيانى، وقلبى، وقالبى ... وهم منتهى قصدى، ومشهد رؤيتى

وهم فى معاينهم حياتى حقيقة ... وهم فى مغانيهم، أهيل مودتى

وهم فى تجليهم شموس إذا بدوا ... وهم فى تجنيهم رياضى ونزهتى

وهم أينما كانوا نهاية مقصدى ... وهم أينما حلوا مرادى وبغيتى

وهم نور أنوارى، وسرى حقائقى ... وهم أنس تأنيسى ومأمن خيفتى[1]

ترى يشتفى قلبى برؤيتهم على ... رياض الهنا يوما، وتبرد غلتى؟

وتحيا بهم روحى حياة هنيئة ... مسرمدة التنعيم فى روض جنة

---

(١) فى هامش الأصل : لعله سواهم.

إذا سـمـحـوا لى نظرة من جـمـالهم فـقـد نلت من رضـوانهم كل وصلة

عليـهم سـلام الله مـاهبت الصـبـا ومـا ناحت الأطيـار شـوقـا وحنت

وقـد آن أن أبدى خـفـايا صـبـابتى وأظهـــر للعـــذال أصل رزيتى

وأبكي على من كـان يجـمع شـملنا على طاعـة الرحـمن فى كل لمحـة

وأندب أحــزانى بما قـد أصــابنى وأنثـر أشـجـانى بنظم قـصـيـدتى

فـقـدت إمـامـا كـان أوحـد عـصـره وقـد فـجـعت فـيـه جـمـيع البـرية

فـقــدت إمــامــا، لم يزل مـتـوكـلا على الله لايُصـغى إلى غـيـر سنة

فـقـدت إمـامـا كـان بالعلم عـامـلا وكـان حـقـيـقـاً قـامـعـاً كل بدعـة

أتـى بكتـــاب الله والسنة التى علت وارتقت حــقـــاً على كل ملة

أتى بأحـاديث الرسـول وشـرحـهـا وعـمن رواها بالمتـون الصـحـيـحـة

أتى بعلوم العــالمين جـمـيـعـهـا بـزهـد، وتـأييـــد، وديـن، وقـــوة

أتى بأصـول الدين والفـقـه مـجـمـلا وفصَّلها تفصيـلاً من غـيـر شـبـهـة

أتانا بأحـوال الرسـول حـقـيـقـة / وسـيـرته تسـمـو على كل سـيـرة [٧١/ب]

أتانا بأحـــوال الصـحـــابة كلهم والتـابعين الملة المسـتـقـيـمـة

أتانا بأوصـــاف الأئمـــة كلهـــا وصنف كـتـبـا فى صـفـات الأئمـة

أتانا بوصف الصـــالحين وحـــالهم ومـا هم عليـه من جـمـيل العـقـيـدة

وعلـمنا شـــرع الرســـول ودينـه بأفـصـح ألفـاظ وأصـدق لهـجـة

وأعلمنا أن النجاة من الهوى تمسكنا بالسنة النبوية

وحذرنا من كل زيغ وبدعة وعن كل طاغ خارج عن محجة

وناظر أرباب العقائد كلهم وبيَّن من قد ضل من كل فرقة

ورد على أهل الضلال جميعهم بأوضح برهان وأبلغ حجة

وبيَّن تكذيب اليهود وخبثهم وما بدّلوا فى الملة الموسوية

وأخبرهم عن سر أسباب كفرهم فتعسًا لهم من أمة غَضَبِية

وأظهر أيضا للنصارى ضلالهم وما أحدثوا فى الملة العيسوية

وباحثهم حتى تبين أنهم سكارى حيارى بالطباع الخبيثة

ورد على كتب الفلاسفة الأولى بمنقول أحكام ومعقول حكمة

وقرر إثبات النبوات عندهم وجال عليهم كَرَّة بعد كرة

وردّ على جَهْم وجَعْد بن درهم وبشر المَريسىِّ عمدة الجهمية

زنادقة، كم أهلكوا من عَوالم بسوء اعتقادات النفوس السقيمة

وجادل أهل الاعتزال جميعهم وسلَّ عليهم سيفه بالأدلة

يقولون : قول الله من بعض خلقه لقد كُبكُبوا فى قعر نار حمية

وباحث أشياخ الروافض وانثنى يقاتلهم بالدرّة العمرية

لأنهمُ عادوا خواص محمد وسبُّوا، فهم فى الأصل شر الخليقة

بغوا، وافتروا جهلا، فهم أنجس الورى وأكذب خلق الله من كل فرقة

وهم خصماء الله، تبًا لدينهم ... وبعداً لهم من عصبة ثَنَوية
فكم أحدثوا فى ديننا من ضلالة ... فلا مرحبا بالفرقة القدرية
وردّ على قوم، تربت نفوسهم ... على النفى والتعطيل من غير حجة
وردّ على قوم وشتت شملهم ... وهم أهل تشبيه أتوا بكبيرة
ورد على أهل التناسخ عندما ... تجروا وخاضوا فى أمور عظيمة
ومزّقهم فى كل واد، لأنهم ... يقولون لاشىء سوى البرزخية
وقد أنكروا أمر المعاد بقولهم ... نفوس نأت عنا وفى الغير حلت
وجاهد أهل الاتحاد، وردهم ... إلى أشرف المسرى، وأهدى طريقة
وأنقذهم من ظلمة الجهل والعمى ... بنور وبرهان، ودين النصيحة
ورد على أهل الحلول، فإنهم ... يرون تجلى الحق فى كل صورة
وقد زعموا أن التجلى مظاهر ... ولاسيما فى صورة أمرَدِيَّة
فمن أجل هذا يرقصون ديانة ... وفى رقصهم جاءوا بكل قبيحة
يرون شهود المرد والرقص قربة ... فياويلهم من خزى يوم الفضيحة
ورد على تُبَّاع إبليس عند ما ... رآهم وقد مالوا إلى الجبرية
وكم قد طوى فى علمه من طوائف ... حرورية منهم على حشوية
مطايا بُنَيَّات الطريق سرت بهم ... إلى أن أناخوا فى عِراصِ القطيعة
وفى بحر آراء العقائد أغرقوا ... رمتهم خيالات العقول السخيفة

وكم قد أراهم كلهم سبل الهدى | وكم قد نهاهم مرة بعد مرة
فمن كان قطب الكون فى حال عصره | سواه؟ ومن قد فاز بالبدلية؟
[٧٢/أ] شجاع همام بارع فى صفاته / | يروم مراما فى المراقى العلية
تزهد فى كل الوجود، وغيره | يدور على الدنيا بنفس دنيَّة
يجود على المسكين فى حال عسره | بأطماره فى حب بارى البرية
ويلقى لمن يلقاه بالبشر والرضا | بأوصافه الحسنى، ونفس زكية
ويدعو لمن قد نال من ثلم عرضه | ولم ينتقم ممن أتى بالأذية
يسارع فى الخيرات سرا وجهرة | ويلهو عن اللذات فى كل طرفة
يجاهد فى الله الكريم بجهده | بصدق وإخلاص وعزم ونية
ويأمر بالمعروف حبا لربه | وينهى عن الفحشاء نهيا بهمة
تقى نقى، طاهر الذيل مذ نشا | كريم السجايا، ذو صفات حميدة
أليس الذى قد شاع فى الكون ذكره | وعمَّ البرايا بالفتاوى العظيمة؟
فمن كان تاج العارفين لوقتنا | وشيخ الهدى؟ قل لى، بغير حمية
هو الحبر والقطب الذى شاع ذكره | وفاح شذاه كالعبير المفتت
إذا ما ذكرنا حاله وصفاته | كأنا حللنا فى نعيم وروضة

* * *

تهنأ أبا العباس بالقرب والرضا | لقد نلت ما ترجو بكل مسرة

ألا ياتقى الدين، يا فرد عصره ... بروقك قد لاحت كشمس مضيئة

وبانت لكل الناس أوصافك التى ... برزت بها مثل العيون الغزيرة

ظهرت بأنواع العلوم وجنسها ... وسارت بها الركبان فى كل بلدة

فأظهرت ما قد كان للناس خافيا ... بكل معان، والفنون الغريبة

وأوضحت إشكالا، وبينت مبهما ... وأبديت أسرارًا بنفس عليمة

وكم غصت فى بحر المعارف غوصة ... ولجت فاستخرجت كل يتيمة

ظهرت بإحسان وحسن سماحة ... ودين وتوحيد، وكل فضيلة

خرجت من السجن الذى كان ضيقا ... إلى دار فوز فى رياض فسيحة

وقد نلت من مولاك ما كنت راجيا ... وأشهدك المعنى بعين قريرة

حملت على النعش الذى كان تحته ... مئين أُلوفا فى بكاء وضَجَّة

وصلى عليك الحاضرون[1] جميعهم ... بحسن اعتقاد فيك، ياشيخ قدوة

وأما النساء المؤمنات فإنهن ... خرجن حيارى، فوجة بعد فوجة

ومعهن أبكار تحجبن بالتقى ... ينحن بأكباد عليك حزينة

صبرت على الأحكام طوعا وطاعة ... وذقت من الآلام طعم البلية

وكنت حمولا للنوائب كلها ... صبورا على الأقدار فى دار غربة

وأوسعت صدراً للمقادير عندما ... شهدت جمال الحب فى كل خلوة

ولاحت لك الأنوار بالمشهد الذى ... تطوف به الأنوار فى روض جنة

---

(١) فى هامش الأصل : المسلمون.

وعـاينت مـوجـودا تعـالت صـفـاته ... وشـاهدت مـحـبـوبا بعين البـصـيـرة

فـلا أوحش الرحـمن منك، ولاخلت ... ربوعك من تلك العلوم الجليلة

ولاأقـفـرت منك الطلول، ولانأت ... ديارك من تلك الصفات الجميلة

ولاسكنت يوم الوداع دمـوعنا ... ولا اكتحلت فيك الجفون بغمضة

ولا احتجبت أسماعنا عنك ساعة ... ولا أيست منك العيون بنظرة

لقد كنت روحا للقلوب وراحة ... وقوتا وأنسًا للنفوس النفيسة

تمسكت بالدين الحنيفى والهدى ... وبالعروة الوثقى وأصل الشريعة

ظهرت إلى الدنيا بأحسن مظهر ... ورحت إلى الأخرى بأكمل روحة

وودعتنا توديع من غير راجع ... وفارقتنا والدار غير بعيدة

[٧٢/ب] شربت بكأس العارفين مدامة ... حقيقتها من سر عين الحقيقة /

وجدت بكأس الفضل منك تكرما ... على تابعين السنة الأحمدية

فسبحان من أعطاك من فضل جوده ... لقد نلت قربا لاينال بحيلة

لقد عشت محبوبا ومت مكرما ... عليك من الرحمن أزكى تحيتى

ومـا برحت تعلوك أنوار أنسه ... ومـا زلت فى عز وقرب ورفعة

ومأواك جنات النعيم مع الذى ... تفرد من بين الورى بالوسيلة

نبى الهدى خير الورى صاحب اللوا ... شفيع على الإطلاق فى كل أمة

عليه صلاة الحق ثم سلامه ... على عدد الأنفاس فى كل طرفة

وبعـــد، فلله المحـــامـــد كلهـــا على مـــا أرانا من وضـوح المحـجـة
وهـا أنا ياربى عُــبَـيْــد مُـتـيم عــســاك ترى حـالى وتغـفــر زلتى

تمت، وعدتها مائة وسبعة وعشرون بيتا[1]، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وله أيضا ـ رحمه الله ـ يرثى شيخ الإسلام ابن تيمية مرة أخرى :

لله عــيـــشـــا تقــضى بالشيـــات مع جـيـرة لذّ لى فـيـهم صـبـاباتى
مــا كـــان أهنا زمـــانى فى ربوعــهمُ والســعــد يسـعى بما فـيـه إراداتى
والكأس تُجلَى بأنواع الســرور، وفى قــرب الأحـبــة تبـدو لى سـعـاداتى
إذا تجلوا على قلبى بحـــسنهم كـــأننى فى نعـــيم وسط روضـــاتى
قد كنت فى قربهم والوصل مقترنى لم يخطر الصـد والهـجـران فى ذاتى
واليـوم أصـبـحت أبكى بعد بُعدهم لما تناءوا نأت عنى مــســـــراتى
وغـاب مـذ غـاب عن عينى جمـالهمُ راحى وروحى، وريحـــانى وراحـــاتى
ولاصـــفـــا بعـدهم عـيـشى بمنهلة ومـــــذ تولوا تولى طيب لذاتى
ياســـادة ملكوا قلبى بلطفــــهم مـــاضـرهم لو أعـــادوا لى أويقـاتى؟
فـهم مـرادى، وهم سـؤلى، وهم أملى وهـم نهـاية مـقـصـودى وغـاياتى
وهم سرورى، وهم سمعى، وهم بصرى وهـم نعــيـــمى، وروضـــاتى وجناتى

---
(١) كذا فى الأصل، ولكن عدد أبيات القصيدة مائة وواحد وثلاثون بيتاً.

وهم حياتى، وهم أنسى، وهم شرفى ... وذكـرهم لم يزل فى القلب جلواتى

لهفى على زمن ولىّ وما ظفرت ... روحى بما ترتجى يوم الأثيلات

لما سروا وفؤادى فى هوادجهم ...ناديت من حرقى : ياعظم لوعاتى

ما كنت أعلم قربى فى محبتهم ... حتى رمتنى إلى الأبعاد راياتى

فاندب على مامضى من عيشنا وصفا ... وابْكِ على ما قد جرى، ياقلبى العاتى

واذكر مصارع قوم، كيف قد شربوا ... بعد الزلال بكاسات المنيات

فأصبحوا فى الثرى تَبْلى وجوههم ... تحت التراب، فياعظم المصيبات

وأنت من بعدهم تسرى لسيرهم ... إمـا بدار هوان أو بجنات

أقول ما قاله العبد المنيب[1]، وقد ... أودى به السجن فى برّ رِطاعات

أنا الذليل، أنا المسكين، ذو شجن ... أنا الفقير إلى رب السماوات

أنا الكسير، أنا المحتاج، يا أملى ... جُد لى بفضلك، واعف عن خطياتى

أنا الغريب، فلا أهل ولاوطن ... أنا الوحيد، فكن لى فى ملماتى

أنا العُبيد الذى مازلت مفتقراً ... إليك، ياسيدى فى كل حالاتى

مالى سواك، ومالى عنك منصرف ... ذكراك فى القلب قرآنى وآياتى

أنت القدير على جبرى بوصلك لى ... أنت العليم بأسرارى الخفيات

أدعوك ياسيدى، يامشتكى حزنى ... ياجابرى، يامغيثى فى مهماتى

---

(١) هو ابن تيمية، والشاعر يشير بهذا إلى قصيدة الشيخ التى قالها فى السجن؛ ومطلعها: «أنا الفقير إلى رب السماوات» التى تقدمت فى صفحة (٣٧٥)

فانظر إلى عَبرتى وارحم صبا جسدى ياراحم الخـيـر ياباري البـريات

مـازال مـفـتـقـراً فى باب سـيـده / مـازال مـبـتليـاً بالامـتـحـانات [٧٣/أ]

مـازال يتـبع آثار الرسـول على النـ ـهج القـويم بأعـلام الدلالات

يهـدى لسنتـه، يفـتى بشـرعـتـه يرعى لحـرمـتـه فى كل سـاعـات

قطب الزمـان وتاج الناس كلهمُ روح المعـانى، حـوى كل العـبـادات

حبـر الوجـود، فـريد فى مـعـارفـه أفنى بسيف الهـدى أهل الضـلالات

حـوى من المصطفى علمـاً ومعـرفـة وجـاءه منه إمـداد النوالات

مـاجـاءه سـائل إلا ويمنحـه إمـا بجـود، وإمـا بالمداراة

مـاذا أقـول؟ وقـولى فـيـه منحـصـر فى وصف أخـلاقـه؟ كلَّت عـبـاراتى

فى علمـه، مـاعلمنا من يناسـبـه إلا أئمـتنا، أهـل العـنـايـات

فى زهده، مـا سـمـعنا من يشـاكله إلا رجـال مـضـوا، أهل الكرامـات

فى جـوده، مـا وجـدنا من يماثله غـيـر البـرامك، كـانوا فى سـعـادات

يجـود، وهو فـقـيـر، إنَّ ذا عـجب هو الذى مـا سـمـعنا فى الحكايات

تلوح شـمس المعـالى فى شـمـائله وفى صـفـا وجـهـه نور الهـدايات

بحـر المعـارف، تاهوا فى بدايتـه أهل المعـانى وأرباب النهـايات

قطب الحـقـائق، حـاروا فى فضـائله أهل التصـوف أصـحـاب الرياضـات

أعـجـوبة الدهر، فـرد فى فـضـائله عـلاّمـة الوقت فى الماضى وفى الآتى

والَهْف قلبى على من كان يجمعنا ... على فنون المعانى والإشارات

فارقت من كان يُروينى برؤيته ... إذا تبدَّى بدا سِرُّ العبادات

يروى الأحاديث عن سكان كاظمة ... فيطرب الكون من طيب الروايات

ويطنب الذكر فى إحسان حسنهم ... فيرقص القلب شوقا نحو سادات

أفضى إلى الله والجنات مسكنه ... عليه من ربه أزكى تحيات

ثم الصلاة على خير الأنام ومن ... قد خصه الله من بين البريات

اختاره ليلة الإسراء لحضرته ... حتى تجلى له رب السماوات

فهو الشفيع الذى ترجى شفاعته ... عند الشدائد فى يوم المجازاة

عليه منى سلام الله ماهمعت ... سحب وجادت بالزيادات

والحمد لله حمداً لا انقطاع له ... أرجو به من إلهى محو زلاتى

تمت، وعدتها خمسة وخمسون بيتا.

وسئل الناظم لهذه القصيدة عن عمره فقال: نحو التسعين، ومولدى ببلاد الروم، وتوفى يوم الأربعاء سادس شعبان سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة، ودفن بباب الصغير ـ رحمه الله تعالى ورضى عنه.

[مرثية جمال الدين بن الأمير]

فى الشيخ تقى الدين ابن تيمية رحمه الله، نظمها رجل اسمه جمال الدين محمود بن الأمير الحلبى، وأرسلها من حلب المحروسة :

يادموعى سحى كسحب الغمام ... هاطلات على الخدود سجام

لفراق الشيخ الإمام المفدى ... ابن تيمية، ونجل الكرام

زاهد، عابد، تقى، نقى ... فهمه لايقاس بالأفهام

ابن تيمية يتيمة دهر ... ماله من مساوم ومسامى

فجعت فيه كل أهل البرايا ... جمعها للعلوم والأحكام

أوحد فى العلوم والفضل والزهـ ... ـد، لايرائى فى ملة الإسلام

بحر علم يغوص كل لبيب ... فى معانيه، حار كل الأنام

فاق بالعلم والفضائل للخلـ ... ـق، فأضحى إمام كل إمام

إن يكن غاب شخصه وتوارى ... ومضت روحه لدار السلام

فمناقبه والفضائل تبقى ... فى ممر الدهور والأعوام

سيد قد علا بعلم وحلم ... فعداه لديه كالأنعام

كم رموه الحساد بالكيد والبغـ ... ـى، وهو لاينثنى عن الإقدام

طالب الحق لايخاف لحيف ... وهو يحمى عن ذروة الإسلام

لايخاف الملوك أيضا، ولا الخلـ ... ـق، ولاالعبيد مع اللوام

كم ملوك أتى بحزم وعزم ... وهو فى الله مسرع الإقدام

ولـغـــــــــــازان إذ أتـاه بـقـلـب ... مــا أســود الـغــابات مع ضــرغــام

فــتلقـــاه بالبـــشـــاشـــة والرحــ ... ــب والـعطايا، والـعـــز والإكـــرام

أخــذ العــهــد منه للناس جــمــيــ ... عـــا بـأمــــان لكل أهل الشـــام

نـفـس صـــــــادق تـقـــــبـلـه الـلـ ... ـه، فـــأطـاعـــتـــه كل تلك الأنام

وحــمــاهم فـى الحــمـى بخـشــوع ... وخـــضـــوع للواحـــد العــــلام

قل لمن رام للفـــخـــار ويبــــغى ... رتبـــة قـــد علت بحـــد الحـســـام

هـو فـى رتبـــة النبــيين، فـــاعلم ... هـكـذا أخـــبـــر النبـى التـــهـــامى

فـــقـــدته الدنى، مع الدين والعلــ ... ــم، وكـل الـزهـاد والأيـتـــــــام

كم فـتــاوى أتتـــه. مع كل شــخص ... أعــجـــزت كل عـــالم صـــمـــصـــام

حلهــا كــالنسـيم فـى الحــال، وجلى ... لصـــــداهـا مـن علـة الأســـقــــام

كــان بحــراً للناس، مَنْ غــاص فـيــه ... فـــــاز بـالـدر مـنـه، لا بـالحـطـام

أوحـد الخلق فـى التـفــاسـيــر طرا ... والأحــــاديث، والعـلـوم التـــمــــام

شــيخ كل الإســلام فـى الزهد والنسـ ... ـك والعــبــادات، والتـقـى، والصــيـام

كــان شــمس الضــحى، ونيل البــرايا ... وإمــــام العلوم، والاحــــتــــشــــام

[٧١/ب] صــــــدره للعـلـوم، والـقـلـب لـلـرب ... ويـداه لـلـبــــــذل والإنـعــــــام /

ولـديـه أهـــل الـعـلـوم تـداعـت ... إذ هـوت حـــــوله فـى الازدحــــــام

تبــتــغى من جَنَى مــعــانيــه نطقــا ... يســتــضـىء منه فـى دياجى الظلام

فـــــيـــــــروى قـلـوبـهـم بـعـلـوم ... فـــتــراهـم سكرى بغـــيـــر مـــدام

كـلـمــــــــا رُمْتُ سَلْوة عـن هـواه ... قـــادنى الشـــوق نحـــوه بزمــــام

لاتلمني على المديح، ودعني فهو شيخي، وبغيتي، وغرامي

خجل البدر من سناه فأضحى يعتريه النقصان عند التمام

كل من مات في هواه بوجد ما عليه في حتفه من ملام

استمع ياعذول، بالله، وافهم لمعانيه في جميع نظامي

قد تساوى في الحق كل وزير عنده، مع رذالة الأعوام

فضله شاع بين كل البرايا بعلوم شبه البحار الطوامي

كان بدرا يضيء في الناس بالعلـ ـم وإماما، فياله من إمام!

حسدوه عند الوفاة على الخلـ ـق، فلم يخل منهمُ في الحمام

نقلته أيدي المنية بالحق بجنان الخلود، والدمع دامي

يالها ساعة! لقى الله فيها حاز فيها المُنى ونيل المرام

فهو في جنة النعيم مفدّى بين حور، كلولؤ في الخيام

قدس الله روحه، مع أخيه ما أضاء الصباح بالابتسام

يانسيم الصبا - بالله - بلغ لحبيبي تحيتي وسلامي

وتعرض على المحبين ذكرى وشجوني وشقوتي وسقامي

ثم صف ما أكابد الآن فيه من همومي ولوعتي وهيامي

وتقول العُبيد: محمود أضحى بدموع وعبرة كالغمام

تمت، والحمد لله وحده، وهي إحدى وخمسون بيتا.

[مرثية علاء الدين المقدسى]

للشيخ علاء الدين أبى الحسن، على بن محمد بن سليمان بن حمائل بن غانم المقدسى ـ رحمه الله ـ يرثى شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية ـ رضى الله عنه :

أى حـــبـــر مـــضى، وأىّ إمـــام ... فــجــعت فــيـــه مِلَّة الإســـلام

بحـر جـود وعلم، قـد غـاض من بعـ ... ـد مـا فـاض نداه، وعم بالإنعـام

زاهد، عـــابد، تنـزه فى دنيـــا ... ه عن كل مـــا بهـــا من حطام

كـــان كنـزا لـكل طـالب عـلم ... ولمن خـــاف أن يرى فى حــرام

ولعـاف، قـد جـاء يشكو من الفـقـ ... ـر لـديه ينـالُ كـلّ مـــرام

حـاز علمًـا مـاله من مـســاوٍ ... فـيـه، من عـالم، ولا من مُـسـام

ولم يكن فى الدنيـا له من نظيـر ... فى البـرايا فى الفـضل، والأحكام[1]

كـان فى علمـه وحـيـدا فـريدا ... لم ينـالوا مـا نال فى الأحــلام

عـالم فى زمـانه، فـاق بالعـ ... ـلم جـمـيـع الأئمـة الأعـلام

كل من فى دمـشق ناح عليـه ... ببـكـاء، مـن شـــدة الآلام

حـملوه على الرقـاب إلى القـبـ ... ـر، وكـادوا أن يهلكوا بالزحـام

مـايرى عند يومـه عندمـا سـا ... ر على النعش نحـو دار السـلام

فـجع الناس فيـه فى الغـرب والشر ... ق، وأضـحـوا فى الحـزن كـالأيتـام

---

(١) كتب فى هامش الأصل : فى جميع العلوم والأحكام.

كل من فى الوجود فيه مصاب فيعزى به جميع الأنام

أعظم الله أجرهم فيه إذ صا ر على الرَّغم فى الثرى والرغام

صار جار الإله، رب السموا ت، الرحيم، المهيمن، العلام

كان وقت الحروب بالطعن والضر ب / سريع القدوم والإقدام [٧٤/أ]

لايهاب الهول العظيم بقو ل الحق فى نقضه، وفى الإبرام

تابع سنة الرسول، عليه من إله السماء أذكى سلام

قائم فى نصر الشريعة بالعلـ ـم، وبالفضل منه كل القيام

كم بنور العلم أخرج قوما من ضلال، ومن عظيم ظلام

نال ما نال من شريف مقال بعلوم شتى، وعُظم مقام

طبّق الأرض بالفتاوى اللواتى هى منقذات الورى من الآثام

حسدوه إذ ماله من نظير من بنى دهره الكبار الكرام

خصه بالكمال من كل علم ربُّنا، ذو الجلال والإكرام

لو يُفدَّى بالروح كنا جميعاً[1] قد فديناه من هجوم الحمام

قدس الله روحه وسقى قبـ ـراً حواه هاطلات الغمام

ورضى عنه ربنا وترضا ه،وملاَّه بالنعيم النامى

فلقد كان نادراً فى بنى الدهـ ـر، وحسنا فى أوجه الأيام

تمت، والحمد لله رب العالمين، وعدتها ثلاثون بيتا.

(١) جميعاً : مكانها بياض بالأصل، وقد أثبتناها من ط.

[مرثية جندى بالديار المصرية]

قصيدة من القصائد التى رثى بها شيخ الإسلام، تقي الدين ابن تيمية وهى لرجل جندى بالديار المصرية يقال له : بدر الدين محمد بن عز الدين أنْدُمُن المغيثى، رجل فاضل له محفوظات متنوعة، وفيه ديانة وصلابة فى دينه. أرسلها، وذكر أنه عرضها على الإمام أبى حيان :

خطبٌ دنا، فبكى له الإسلام ... وبكت لعظم بكائه الأيام

وبكت بعبرتها السماء، فأمطرت ... فى غير فصل تسمح الأعوام

وبكت له الأرض الجليدة بعدما ... أضحى عليها وحشة وقتام

وتزلزلت كل القلوب لفقده ... وتواترت من بعده الآلام

ولمؤمنى الجن حزن شامل ... ونياحة نطقت بها الأحلام

وتفجّع الدين القويم لفقده ... وبقى غريباً يُبتلى ويُضام

مُذْ مات ناصره الذى أوصافه ... أبداً تكون على سواه حرام

لتقىّ دين الله وصفٌ باهر ... وخصائص خضعت لها الأفهام

ومواهب من ذى الجلال تُمدُّه ... فيتم فخر شامخ ومقام

وغدا تقىّ الدين أحمد ماله ... حد فتحمل فقده الأجسام

العالم الحبر الإمام، ومَن غدا ... فى راحتيه من العلوم زمام

ذو المنصب الأعلى الذى نصبت له ... فى الأرض فى أقطارها الأعلام

بحـــر العلوم، وكنز كل فـضـــيلة — فى الدهر فــردٌ. فى الزمــان إمـــام

حَـــبـــرٌ تَخـــيـــره الإله لدينه — خـــتمٌ لأعـــلام الهـــدى وخـــتـــام

فـــوَفى بأحكام الكتـــاب، فكم له — فى نصـــر توحـــيـــد الإله قـــيـــام؟

والسنة البـيـضـاء أحـيـا مـيـتـهـا — فـغـدت عليـهـا حـرمـة وحِـجـام

وأمـــات من بدع الضـــلال عـــوائدا — لايســتطيع لدفـعـهـا الصـمـصـام

أسُّ الفـضـــائل، والذى لاتهـــتـــدى — لفـنـونـه[1] وعـلـومــــــه الأوهـام

وأناله رب الســـمــــاوات العـــلا — فى العلم ســبــقــا مــا إليــه مــرام

ونفـــوذه فى العلم قـــول مـــحـــمـــد — صلى عليـــه الخـــالق العـــلاَّم

إن المنـزّه ربَّنَا ســـبـــحــــانه — يقـــــضـى بما تأتى به الأحكام

يبـــدى لكم فى كل قـــرن قـــادم — للدين من تُهـــدَى به الأقـــوام

فلئن تأخـــر فى القـــرون لثـــامن / — فلقـــد تقـــدم فى العلوم إمـــام [٧٤/ب]

فـاق القـــرون ســـوى الثـلاث فـإنها — خـــيـــر القـــرون يزينهن تمام

وســـوى ابن حَنْبل إنه علم الهـــدى — حـــبـــر إمـــام، صـــابر قَـــوَّام

لكنَّ أحـمـد مـثل أحـمـد، قـد حـوى — علمـــــا وزهـدا فى العـلوم تؤام

حَـــدِّث بلا حـــرجٍ وقل عن زهده — مـــــا شـــئت، لارد، ولا آثام

هَجـــرَ المطاعم والملابس، والدنى — ولعـــزمـــه فى تركـــهـــا إحـــزام

نـــزر المـــآكـل، والمـنـــام، ولايُـــرى — لبنـى الدنى فى قلبـــــه إعظام

---

(١) يوجد بياض فى الأصل قبل كلمة «لفنونه».

وتراه يصـــــمت لا لعى دائمـــــا ... إلا لـعـلـم يـقـــــــتـنـى ويـرام

وإذا تـكـلـم لايراجع هيـــــبـــــة ... وسـكـيـنـة، وكـــــلامــــه إبـرام

ألقى عليـــه مـــهـــابـة من ربه ... فـــخطابه الإجــــلال والإكـــرام

وإذا دنا فـــتـــرى الرجـــال ذليلة ... فكأنهـا فى نفـسـهـا أحـجـام

بشـــر يعظم بالقلوب، وقـــدوة ... أبدا يعظم، وهو بعـــد غـــلام

مِنْ يخص بهـا المهـيـمن من يشـا ... من خلقـــه، والجـــاهلون نيـــام

وجـفـا العـبـاد لشـغله بحبـيـبـه ... فـــوداده للأقـــربين ســـلام

وله مـــقـــام فى الوصـــول لربه ... ومـقـامـة نطقت بهـا الأقـتـام (١)

وله فـتـوح من غـيـوب إلهـه ... وتحـــــزن، وتمكن وكـــــلام

وتصـــوف وتقـــشـف وتعـــفـف ... وقـــراءة وعـــبـــادة وصـــيـــام

وعناية، وحـــمـــاية، ووقـــاية ... وصـــيـــانة، وأمـــانة، ومـــقـــام

وله كـــرامـــات، ســمت، وتعـــددت ... ولهـــا على مـــر الدهـور دوام

من ردَّ عن أرض الشـــام بعـزمـه ... مَنْ صَـدَّ وجـه الكفـر وهو حسـام

من ردَّ غـازان الهـمـام بحـسـرة ... مَنْ خلَّص الأســـرى، وهم أيتـــام

من قـام بالفـتح المبين مـؤيدا ... فى كـســروان، وهم طغـاة عظام

من جـد فى بدع الضـلال وحـزبه ... وأذلهم بعـــد الرضـــاع فطام

(١) فى هامش الأصل : الأغتام، ومعنى الأغتم : الذى لايفصح شيئاً، والأقتم : الذى تعلوه ظلمة وسواد.

من صار فى سنن الرسول ونصرها حتى استقر لأمرهن نظام

من قام فى خذل الصليب ودينه لما تداعوا[1] للباس، وقاموا

فوهوا وردوا خائبين بذلة وعليهم فوق الوجوه ظلام

فالأمر بالمعروف يُفقد بعده والفاعلون النكر ليس يلاموا

فكأن أشراط القيامة قد دنت وانحلَّ من سَرْج الزمان حزام

فالعلم فينا ليس يقبض سرعة كلا، ولا يأتى حماه حمام

لكن بقبض الراسخين ذهابُه وزواله، وبقى رعاع طغام

لله مما لاقى تقى الدين من مِحَنٍ تتابعه، وهُنّ ضخام

ومَكاره حُفَّت بكل شديدة ومواقف زلت بها الأقدام

ومكائد نصبت له، وحبائل قصداً إليه، فردها الإقدام

فحكى ابنَ حنبل فى فنون بلائه بجنان ثبتٍ، ليس فيه ذؤام

وبسجنه، وبحصره، ونكاله حتى رثى العذّال واللوام

فأراد رب العرش، جل جلاله للقائه مُذ حانه الإعدام

وأتاه آتى الموت، يخطب نفسه فأجابه طوعا له القمقام[2]

فخلت مرابعه، وأوحش ربعه وتقوضت عند الرحيل خيام

وتفجّعت كل ا لقلوب بفقده وغدا عليها ذِلة وسقام

---

(١) كتب فى الهامش : كذا فى الأصل، ولكن لايستقيم وزنه ـ والله أعلم ـ أبو إسماعيل يوسف حسين.

(٢) القمقام : مثل الصمصام : وهو السيد العظيم، وفى هامش الأصل : الشهام بد القمقام.

ومـضت جنـازته الشـريفـة بعـد مـا ... ســدَّ المســالك صــارخٌ وزحــام

[٧٥/أ] وأتت روايات الشــام بجــمــعــهــا ... خـبـراً صـحـيـحـاً، ليس فـيـه أثام /

إن الذى شـهـدوا الصـلاة وشـيـعـوا ... والله - لاتحــصــيــهم الأقــلام

فـعليــه أفـضـل رحــمــة تهـدى له ... ومـن الإله تحــيــة وســلام

مــادامت الأفــلاك فـى دورانهــا ... أو نـاح من فـوق الغـصـون حـمـام

تمت، وعدتها ستة وستون بيتا.

* * *

[مرثية الشيخ قاسم بن عبد الرحمن المقرئ]

مرثاة للشيخ قاسم بن عبد الرحمن المقرئ، فى الشيخ تقى الدين - رضى الله عنه.

عز التبصر، والزمان رمانى ... بسهامه، وترادفت أحزانى

أصبحت مكتئباً لفقد أحبة ... جبلت جبلتهم على الإحسان

لاصبر لى عنهم، وكيف تصبرى ... عن سادة رحلوا من الأوطان؟

إن أوحشوا نظرى، فقلبى موطن ... وعمارة الأوطان بالسكان

خلت الديار، فأصبحوا فى بلقع ... ياوحشتاه لفرقة الإخوان

لما سمعت بأن أحمد قد قضى ... نحبا[1] على التوحيد والإيمان

ولقاء رب، لامرد لحكمه ... سبحانه من قادر منان

عظمت مصيبتنا لسيد عصرنا ... فى شرح سيد أحمد ببيان

والعلم حاز أصوله وفروعه ... وغرائب التفسير للقرآن

ويناظر الفقهاء فى أقوالهم ... ويجيبهم بالثبت والتبيان

غلب الملوك بثبته وجنانه ... وشجاعةٍ بلغت إلى غازان

أفديه من بطل يلاقى عصبة ... منهم، بلا عون، ولاأعوان

من ذا يقوم مقامه فى عصرنا ... إذ ما مضى فى سالف الأزمان

وله الزهادة والعبادة منهج ... وكذا يكون العالم الربانى

سارت ركائبه إلى دار الجزا ... متمسكا بمواعد الرحمن

---

(١) فى هامش الأصل : النحب : العهد؛ كذا فى الأصل.

أوَ مــا نظرت إليــه فــوق ســريره — حـــــفـت بـه الأنـوار بـالإمـكـان؟

والناس من حــول الجنازة أحــدقــوا — كل يـجــــود بعـــبـــرة الثكلان

وهم ألوف ليس يحـصى جـمـعـهم — إلا إلـه عـم بـالـغـــــفــــران

نـزلوا به كـــالبـــدر فى إشـــراقـــه — فـتـبـاشـرت بقـدومــه القــمـران

عــبـد الحليم أبوه سـيـد عـصـره — وأخــوه عـــبـــد الله حــبــر ثان

والمجد حاز المجد فى عصر مضى — فى الجــرح والتــعــديل والبــرهان

ولمثل هذا ســارعــوا أهل التــقى — فـــازوا بـأرفع رتبــــة وأمــــان

فى جنـة أنوارها قـــد أشـــرقت — وقـطوفــــهـــــا للطـائفـين دوان

أكـوابهـا مـوضـوعـة وقـبـابهـا — من لؤلؤ مـــرفـــوعـــة البنيـــان

والنور يغـــشـى أهـلهـــا وهمُ على — تلك الأسِـــرَّة فى رضى وأمــــان

ولبــاســهم من سندس وخـيــامــهم — قــد ألبــسـوا من أحـسن التـيـجـان

ولأهلهـا مـايشـتـهــون وشـغـلهم — بـالله لا بـالحــــور والـغـلمــــان

مـنـهم تقـى الـديـن فـــاز بـزهـده — وبصـــبـــره فى طاعـــة الرحـــمن

ثم الصـــلاة على النبى مـحــمـــد — خـيــر الأنام، ومـعــدن الإحـســان

هـادٍ وأول شــــافـع ومــــشــــفـع — وله الـوســـيـلة مـظهـــر الإيمان

مـــاحنَّ مـــشــتـــاق إلى وادى منى — وتطوفـــوا بـالبـــيت والأركـــان

تمت، والحمد لله رب العالمين، وعدتها إحدى وثلاثون بيتا.

[مرثية للشيخ برهان الدين العجمى]

مرثاة للشيخ برهان الدين إبراهيم ابن الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبدالكريم العجمى، يرثى الشيخ تقى الدين ابن تيمية فى جمادى الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة، ومولده فى أوائل سنة سبع وتسعين وستمائة، وتوفى / فى رمضان [٧٥/ب] سنة خمس وثلاثين وسبعمائة :

جدى بانسجام الدمع يامقلة العانى ... إلى أن تروى الأرض من فيض أجفانى

وذق يافؤادى كل يوم وليلة ... مرارة أشواق ولوعة أشجان

إلى أن أرى وجه ابن تيمية الذى ... به الله من أهل الضلالة نجانى

ومن لى بأن ألقاه، والموت قد أتى ... فغيبه فى الترب عن كل إنسان

فيا وحشة الدنيا لأنوار وجهه ... ويالهف إخوان عليه وجيران

يحق لعين لاترجى لقاءه ... إلى الحشر أن ينهل بدمعها القانى

لقد عم أهل الأرض رزء مصابه ... ولم ينج فيهم منه قاص ولادانى

لقد كانت الدنيا به ذات بهجة ... ونور، وإشراق، وروح وريحان

وما كان إلا آية فى زمانه ... وفى كل علم[1] حاز ليس له ثان

إمام هدى، يدعو إلى دين ربه ... دعاء نصوح مشفق غير خوان

فمذهبه : ما جاء عن خير مرسل ... وأصحابه، والتابعين بإحسان

أتى بعلوم حيرت كل واصف ... على أنه يهدى بها كل حيران

فكم مبطل وافاه يبغى جداله ... فأنصفه فى البحث من غير عدوان

---

(١) فى هامش الأصل كلمة : سبق.

ويكشف عنه شبهة بعد شبهة إلى أن يبين الحق أحسن تبيان
فيصبح عن تلك المقالة معرضا ولو كان من أحبار سوء ورهبان
يغار على الإسلام من كل بدعة ومازال منها هادما كل بنيان
وفى الله لم تأخذه لومة لائم ولم يخش مخلوقا من الإنس والجان
ولم ينتقم فى الدهر يوما لنفسه ولكنه يُؤذَى فيعفو عن الجانى
وأما سخاء الكف فالبحر دونه ولم يك فى بذل العطايا بمنان
ولو وزنوا أهل الشجاعة كلهم به رجح الشجعان فى كل ميزان
فمن جاهد الأعداء فى الدين مثله؟ ومن سل سيف العزم فى وجه غازان؟
ومن قال للناس : اثبتوا يوم شقحب؟ فإن الأعادى فى انهزام وخذلان
فمن خشى الرحمن بالغيب واتقى إله البرايا، خافه كل سلطان
وماضره إن طال فى السجن مكثه إذا كان فى نسك وطاعة رحمن
منيباً إلى مولاه، يقطع وقته بنقل أحاديث، وتفسير قرآن
ولم يك مشغوفا بحب رياسة ولاشد بغلات، ولاحسن غلمان
وما كان مشغولا بجاه ومنصب ولارفع بنيان ولاغرس بستان
ولكن بعلم نافع وعبادة وزهد، وإخلاص، وصبر وإيمان
وفى موته قد كان للناس عبرة لما شهدوا من غير زور وبهتان
إذ انتشروا مثل الجراد، وكاد أن تزيغ عقول من رجال ونسوان

وسـار على أعناقـهم نحـو قـبـره	يجـاور مـولى، ذا امـتنان وغـفـران
إلى الذهب البـاقى دعـاه إلهـه	فـذاك له خـيـر من الخـزف الفـانى
دعـاه إلى جنان عـدن وطيـبـهـا	ومـتـعـه فـيـهـا بحـور وولدان
فنسـأل رب العـرش يجـمع شـملنا	به فى جنان الخلد من بعـد حـرمـان
ويجـبـرنا بعـد انكسـار قلوبنا	ويروى برؤيا وجـهـه كل ظمـآن

تمت، ولله الحمد، وهى خمسة وثلاثون بيتاً.

* * *

[مرثية للإمام صفى الدين عبد المؤمن]

للشيخ الإمام المحدث الفاضل، الأديب البارع، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق، مدرس البشيرية ببغداد ـ البغدادى الحنبلى.

[٧٦/أ] يقول : قال العبد الفقير: عبد المؤمن بن عبد الحق، حين بلغه وفاة الشيخ / الإمام العالم، بقية العلماء المجتهدين، تقى الدين أحمد بن تيمية الحرانى، رحمه الله ورضى عنه، وبوأه الجنة، بمنه وكرمه آمين :

طبت مـــثـــوى ياخـــاتم العلمـــاء ... فى مـــقـــام الزلفى، مع الأتقـــيـــاء

أوليـــاء الرحـــمن والســـادة الغـ ... ـر، الهـــداة، الأئمـــة، الصلحـــاء

ويح للمـــوت، كم طوى بك من علـ ... ـم غـــــزير، وفطنة وذكـــــاء

وبيـــان يشـــفى القلوب من الغـ ... ـى، ويجلو عنهـا صـدى الغـمـاء

أين تلك العلوم والمنطق الصـــا ... ئب عند الســـؤال والإفـــتـــاء؟

أين ذاك الخلق الجـــمـــيل وحسـ ... ـن البـــشـــر للزائرين عند اللقـــاء؟

رمـــدت مـــقلة الفـــضـــائل مُـــذْ مـِ ... ـتَّ، وقـــرت عـــيـــون أهل الشـــقـــاء

حين لا عـــــالم يرد الذى قـــــا ... لوا، ومـــــا نمقـــــوه للإغـــــواء

من ضـــلال أهل فلسـفـة اليـــو — نان والاعـــتـــزال، والإرجـــاء
وذوى الرفض من يدينون بالطعـ — ـن على الصـالحين، والإزراء
مَنْ لحل الشكوك بعـــدك والمردو — د من شـبـهـة، وقـول هذاء؟
من لتبيين مشكل قصرت عنـ — ـه عقول لما به من خفاء؟
من لقمع الخصم المجادل فى الديـ — ـن عنادا من ملة عوجاء؟
من ترى للغريب بعدك يلقـ — ـاه بوجه طلق، وفضل حياء؟
ضاع بعدك الغريب فما يلـ — ـقى معينا له على اللأواء
أيما عالم نعاه لنا النا — عى وحبر قد صين فى الغبراء؟
أى حبر قد غيضته المنايا — فى رجا حفرة من الأرجاء
أعلم الناس كلهم بكتا — ب الله، جل اسمه، بغير مراء
بمعانيه والعلوم التى فيـ — ـه، وأدرى بالسنة الغراء
من أحاديث سيد الرسل يرويـ — ـه كبار الأئمة، النبلاء
من صحيح ومن سقيم وأخبا — ر الرواة الثقات والضعفاء
وبآثار صحبه وفتاو — ى من أتى بعدهم من العلماء
وبإجماعهم وما اختلفوا فيـ — ـه من الحكم، سادة الفقهاء
حاله، إن نظرت فيه، تجد — مثل أحوال سادة الأولياء

قـــانع النفس بـالـدّنى من العــيـــ ـــش، غنيـــا يعــد فى الفـــقـــراء

مــــــــؤثـراً بـالـذى لـديـه لـعـــ ـافـيــة على نفـســه بغـيــر ريـاء

ورع طـاهـر، ونسـك وإخــــبـــــا ت، وشـكـر فـى شــــدة ورخـــــاء

والتقى والعفـاف، والـزهد فى الدنيـــ ـا حـــلاًه، والصـــبـــر عند البـــلاء

لم يـزل جـــاهـدا يجـــاهـد فى اللـــ ـه قــــبـــيل الضــــلال والأهـواء

بـجنـان ثبـت، وجـــــأش قـــــوى وفـــؤاد راسٍ لدى الهـــيـــجـــاء

يـزع الخـــصـم بـالجـــواب عن الشك ويدلى بـالحـــجـــة البـــيـــضـــاء

صـــابـراً نفــســـه إلى أن قـضى اللـــ ـه بما قـــد قـضى على الأنبـيــاء

وقـــد أضـــمـــروا لـه الســـوء قـــوم للذى حـــملوا من البـــغـــضـــاء

حـــســـداً منهم لما خـــصـــه اللـــ ـه به من مـــلابس الفـــضـــلاء

فـــاســـتـــحلوا منه الذى حـــرم اللـــ ـه لما أضـــمـــروا من الشـــحنـاء

حــرفـــوا قــولـه كـــمـــا حــرف القـــ ـوم نصـــوص القـــرآن للإغـــواء

ورمـــــــوه بـكـل قـــــول شـنيـع بيّن الكـذب ظاهـر الافـــتــــراء

[٧٦/ب] أعـــجـزوا عنه مـــرة بعـــد أخـــرى / فـــاســـتـــعـــانوا عليــه بإغـــراء

هل يبارى العضب[١] الصقيل[٢] كهام[٣] صـــدئ فى ضـــرابه ومـــضـــاء

---

(١) العضب : يقال عضب السيف إذا كان قاطعا.
(٢) الصقيل : السيف الصقيل هو المجلو شديد اللمعان.
(٣) كهام : يقال كهام السيف إذا كلَّ وضعف فهو كهام لايسعف صاحبه.

أم تجارى الحمير فى حلبة السبـ ـق جوادا مضمر الأحشاء

لم ينالوا منه الذى أملوه بل رمى الله جمعهم بالفناء

ياتقى الدين الذى صدقت فيـ ـه، وحقت مخايل الآباء

عند تلقيبه كذلك ، قد كنـ ـت وسميت أحسن الأسماء

ياابن تيمية لقد فزت فى الدنـ ـيا بذكر باق، وحسن ثناء

وكذا أنت ـ يعلم الله ـ فى الأخـ ـرى مع الصالحين والشهداء

بوئت روحك الشريفة فى الجنـ ـة أعلى منازل السعداء

وسقى قبرك الرضا وأتا ك الروح فى كل بكرة وعشاء

وتوالت عليك من نعم اللـ ـه ورضوانه صنوف العطاء

آخرها، وعدتها ثمانية وأربعون بيتاً.

* * *

[رثاء زين الدين الشبلى للشيخ]

للشيخ زين الدين ابن الشيخ حسام الدين، أقش الشبلى، يرثى الشيخ تقى الدين ابن تيمية ـ رضى الله عنه :

لو كـــان يقنعنى عليك بكائى ... لجـرت سـوابق عـبـرتى بدمـاء
أو كنت فى يوم انتـــقـــالك للبلى ... صـخـراً لزدت على بكا الخنسـاء
لكن أصــبــر عنك نفـسى كـاتماً ... للحـزن، خـوف شـمـاتة الأعـداء
أترى علمت، وأنت أفـضل عـالم، ... مـــاعندنا من لوعـــة وبلاء؟
أســفى على تلك الديانة والتـقى ... والجـــود آذن قـــربه بتناء
أسفى عليك، نفى الكرى عن ناظرى ... من فـرط أحـزانى وفـرط عنائى
أسـفى عليك، ومـا التـأسف نافع ... صـبـا عليل مـقلقل الأحـشـاء
غـاضت بحـار العلم بعـدك، والورى ... فى غـفلة، ياسـيـد العلمـاء
بأبى، وحـيـدا مـات منفـردا عن الـ ... أحـبـاب، كـان بقـيـة الصلحـاء
بحـر العلوم، حـوى الفـضائل كلهـا ... وسـمـا سـمـو كـواكب الجـوزاء
منفــــرداً فى كل علم دونه ... لعلو رتبــتـــه ذرى العليـــاء
بالفـضل قـد شـهـدت له أعـداؤه ... وبه سـمـا فـضـلا على النظراء
شــيخ العلوم، وتابع السلف، الذى ... تبـعـوا الرسـول بشـدة ورخـاء
وإمـــام أهل الأرض، والمبـــدى لهم ... سنن الهـدى عن صـحـة الأنباء

ذو الصالحات، وذو الشجاعة والتقى والجـــود، والبـــركـــات، والآلاء

من كـــان لايثنى لطالب جـــوده حـــتى يبلغـــه لكل رجـــاء

يجفو المضاجع راكعًا أو ساجدا أو ذاكـــراً لله فى الظلمـــاء

كالصبر فى حنك العدو مذاقه وألذ من شـــهـــد إلى الجلســاء

المانح، البـحـر، الإمـام، العـالم الحبر، الهمام ، وحجة الفقهاء

الواهب المال الجزيل، وغامر الضيـ ـف النزيل بوافـر النعـمـاء

المحسن الكافى السؤال، وحاسم الداء العـضـال، وكـاشف الغـمـاء

صدر المدارس والمجالس أحمد المحـ ـمـود فى عـود، وفى إبداء

وإذا المسائل فى الفتاوى أفحمت أهل العلوم وحـجـبت بخـفـاء

وأتت تقى الدين أشهر ما اختفى منهـــا، وأبداه لعين الرائى

فترى سهاها فى الخفاء بكشفه كالشمس مشرقة بصحو سماء

ويرى البصير الحق فيما قاله والحق لا يخفى على البصراء

سجنوه خشية أن يرى متبذلا صـونا، فنال منازل الشهداء / [٧٧/أ]

للمؤمنين له، وعند عدوهم ذاك الكسير، وعزة الخلفاء

فى المحدثين أتى بفضل باهر ومناقب أربت على القدماء

أى خاشع! أى شاكر! أى ذاكر لله فى الإصباح والإمساء!

أى زاهد! أى حامد! أى باذل للمسلمين نصائح النصحاء!

خـيــر الصــفــات صــفــاته، وثناؤه بالجـــود بين الناس خـــيـــر ثناء

ويظل يســأل جــوده عن ســائل ذى فـــاقـــة ليـــبـــره بعطاء

وتراه يشـــرق وجــهـــه مـــتـــهللا للســـائلين له شـــروق ذكـــاء

بادى التـــبـــسم عند بذل نواله لطفـــا إلى الفـــقـــراء والضـــعـــفـــاء

أربى على فـــضل البـــرامكة الأُلى وطوت مكارمـــه حـــديث الطائى

من جـــاء يســأله ويشـــاهد عنده بذل الملوك، وعـــيـــشـــة الفـــقـــراء

يربى على سح الســحـــائب جـــوده وكـــذا يكون مـــواهب الكرمـــاء

والجـــــود يـرفع أهـلـه بين الورى أبدا، ويهــوى البــخل بالبــخــلاء

وله إذا اصطدم القـتـال شـجـاعـة قـامت بنصـر الدين فـى الهـيـجـاء

سل عنـه غـــازانا، وسل أمـــراءه لما أتـوا بـطـلائـع الأســـــــراء

والمغل قـــد ملكوا البـــلاد وأهلهـــا كم فك من عـــان بغـــيـــر عناء؟

وكـذا بشـقـحب، التـتـار قـد أقـبلوا كـــالطم فى أمم بغـــيـــر مـــراء

والمسلمون على النزول، قد أجمعوا والمـغـل عـنـهـم نـظـرة لـلـرائـى

من حـــرِّض السلطان والأمـــرا على ترك النزول، ســواه عند مـــســاء؟

قـال: اثبـتـوا، فلكم دليل النصـر قـد وافى. فكان النصــــر عند لقـــاء

وأتى جـــبـــال الكســروان، فـــأذنت بدمـــارها من بعـــد طول بقـــاء

ولـه بـكل مـــــديـنـة ذكـــــر أتى بالمسك فـــهـــو مـــعطر الأرجـــاء

سير له[1] نظّمتها، سارت بها الر ... كبان، دون قصائد الشعراء
وإذا إمام المسلمين وشيخهم ... ولى، وعز على عزاه عزائى
أدعو إله العرش يجمع بيننا ... فى جنة الفردوس، فهو رجائى
وعليه من رب السماء تحية ... تبقى له أبدا بغير فناء

تمت وهى اثنان وخمسون بيتًا.

وله أخرى على قافية القاف نحو خمسة عشر بيتًا تقدم ذكرها. وقال الشيخ المؤلف ـ رحمه الله : وقد رثى الشيخ ـ رضى الله عنه ـ بقصائد كثيرة غير هذه، وفيما ذكرنا كفاية.

والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

[مرثية شمس الدين الحنبلى]

مرثاة فى شيخ الإسلام العالم الربانى أحمد بن تيمية الحراني، للشيخ شمس الدين الحنبلى، من أهل الصالحية ومولده تقريبا من سنة إحدى وسبعمائة بسفح قاسيون:

خطب جسيم هائل جلل ... قد عز منه العزا، وابيضت المقل
والوقت قبض، فلا صبر، ولا جلد ... أتى وصرف الليالى سابق عجل
والأمر معظم، والأفكار حائرة ... وقد أحاطت بنا الأهوال والوجل
كأنما الشمس فى جو السما كسفت ... وضوؤها بائن عنها ومنفصل
والجو فى مأتم، كالليل منظره ... كأن جنح الدجى فى الكون منسبل
فدمعتى بدمى، ياسعد، قد مزجت ... كأنما فى فؤادى النار تشتعل
أمسى وأصبح، والأحزان تكمدنى ... وحسرتى بدوام الدهر تتصل[2]
قد زادنى أسفى، واشتد بى جزعى / ... أيقنت أن حياتى حثها الأجل [٧٧/ب

(١) له : لاتوجد بالأصل، ويحتاجها الوزن والقافية.
(٢) فى هامش الأصل: لعله يتصل.

وا رحـمـتـا لقلوب قطرت أسـفـا — لقـد عـراها مـصـاب حـادث جلل

وسـاءها فَـقْـد من كـان الأنيس لهـا — وخـاب عند رجـاها القـصـد والأمل

ياباكـيـاً بطول الليل منتـحـبـاً — لا يعـتـريه على طول البكا ملل

زد فـى الـبـكـاء بـدمـع هـاطـل هـمـل — عـسى بدمـعك حُـرُّ الوجـه ينغـسل

واعلم بأن السـمـا والأرض باكـيـة — على ابن تيـمـيـة، والسـهل والجـبل

هذا الإمام التقى السيد الألْمَعى[1] البـ — ارع، الـلـوذعـى الجـامـع، الـوجـل

حـبـر، إمـام تقى، زاهد، ورع — ليث همـام، حـصـور، أوحـد، بطل

العلم، والحلم والآداب شـيـمـتـه — واللطف والجـود والإحـسـان مكتـمل

مـاذا يقـول فـصـيح فى مناقـبـه — والـزهد منهـجـه، والعلم والعـمـل؟

لقـد حـبـا الله أيام الزمـان به — علومـه أبحـر، والخلق تنتـهـل

وقـد كـان كـالشـمس للدنيا إذا طلعت — واليـوم، لاعـوض عنـه، ولابدل

نـال الهـداية فى مـبـدا هدايتـه — وفـى نهـايتـه الإرشـاد والجـمـل

قـد كـان مـعـتـصـمـا بالله منتـصـرا — وواثقـا مكتـفـى بالله، مـتكل

لله در أبـى العـبـاس مـن رجـل! — مـا إن يرى فى البـرايا مـثله رجل

تالله لا عـاذل بـالعـذل يعـدلنى — عنه، وحـاشـاى أن يلهـينى العـذل

يا سـيـد العـصـر كم خلفت من كـبـد — جـرى عليك، وعين دمـعـهـا هطل؟

ليـبكين عـلـيـك العـلـم مـن أسـف — ليـبكين عليك الفـقـه والجـدل

---

(١) فى هامش الأصل : لعله اللمعى ـ كذا فى الأصل ـ يوسف حسين.

ليـــبكينك أقـــوام إذا وفـــدوا   من البــــلاد بعلم أمــــره شكل

لتـــبكينك دار كنت تسكنهـــا   وتشـتكى فـقـدك الأسـحـار والأصل

فـازوا بعلمك أقـوام، وقـد سـعـدوا   إذ عن جناب حماك الرحب ما عدلوا

وشـاع ذكـرك فى الدنيـا بأجـمـعـهـا   فـأنت فى الناس مـضـروب بك المثل

دانت لعلمك أهل الأرض قـاطبـة   فـأنت مـفـتى الورى فى كل مـا جـهلوا

شبهت علمك بالبحر المحيط؛ كما الـ   بحـر المحـيط بكل الأرض مـشـتـمل

وإن تكن فى مـجـال الدرس كنت به   ليـثـا تصـول، ومن ألفـاظك الأسَل[1]

تروى الخـلاف وتأتى بالأصـول وعن   أهل الحـديث بما قـالوا ومـا نقلوا

وذكـر علمك فى الآفـاق منتـشـر   على ممر الليـالى، ليس ينفـصل

كم قـد أتتك فـتـاوى لاعـداد لهـا   أجـبت أربابهـا عن كل مـا سـألوا؟

وكم أجـبت النصـارى عن مـسـائلهم   بمخـرقـات علوم عنك تنتـقل؟

وكم قـمـعت ـ فـدتك النفس ـ من بدع   وكنت فـيـهـا بأمـر الله تسـتطل؟

وكم تواضـعت عن علم ومـعـرفـة   تقى، وقـدرك بالجـوزاء منتـعل

لقـد رويت من الآثار أوضـحـهـا   كـمـا روتهـا الثـقـات السـادة الأول

من ذا يضاهيك فيما قد خصصت به   وبحـر علمك منهـا العـارض الهطل؟

قد كنت أعجوبة فى الدهر مدهشة   وكـان درسك فـيـه العـقل ينذهل

---

(١) الأسل: أسَلَ إذا ملُسَ واستوى فهو أسَل يقال : خدٌّ أسيل بمعنى أملس، والأسلة كل عود طويل لاعوج فيه.

وكـــان يومك يومـــا آمنا عـــجـــبـــا والناس للنعش بالهـامـات قـد حـملوا

والخلق لا يهتدوا من عظم ما ازدحموا فكم دمـــــوع تراهـا وهـى تنهـــــمل

يارحـمـة نزلت فى الأرض وانتـشـرت علـى جـــمـــيع الذى فى تربه نـزلوا

ســقت ثراك الغــوادى طيب وابلهــا كما ضر يحك من تحت الرضا خضل[1]

كـــمـــا حُـــبـــيت بدار الخلد منزلة حللتـــهـــا، وعليك الحلى والحلل

وتاجك النـور والنعـــــلان من ذهب وهكذا عن فـتى شـيـبـان قـد نقلوا

[٧٨/أ] قل للذى ســـره مـــوت الإمـــام: لقـــد يكفـيك جـهلك، يامن غــره الأمل /

أمـــا علمت بأن الموت مـــا سلمت منه ملوك بنـى الدنيـــا ولا الرسل

أيـن الملوك وأبنـاء الملوك؟ لقـــــــد صالت عليهم صروف الدهر فارتحلوا

وعـن قليل ترى الدنيـــا وقـــد رحلت فـلـيـس يـغـنـى ولايـات ولا دول

وليس يغنى المسىء يوم اللقـــا ندم إذ أثقلت ظهــــــره الأوزار والـزلل

وإنما المتـــــقـى ترجى النجــــاة له لأنـه خـــــــــــائـف مـن ربـه وجـل

ولم يـزل فى قـيـام الدين مـجـتـهـداً وإن خـلا فى الدياجى فـهـو مـبـتـهل

قل للذى كـتـبـوا عليـاه واجـتـهـدوا: إن الذى علمـوا بعض الذى جـهلوا

والله، لست بمحص مـــدحـــه أبدا ولو أتيت بما ضـــاقت به الســـبل

عليــه منى ســلام الله مـا صــدحت ورق على فنن، فى نوحـــهـــا زجل

تمت، وهى سبعة وخمسون بيتًا.

* * *

(١) خضل: يقال خضل الشجر إذا كثرت أغصانه وأورقت.

ياقوم توبوا إلى الرحمن وابتهلوا ... فقد قضى رجل ما مثله رجل[1]

ياقوم استغفروا الرحمن خالقنا ... قد غار بحر علوم موجه العمل

روى[2] أحاديث الصحيح وعنه سا ... ئر أخبار رسل الله تنتقل

والعلم والحلم والزهد المكين ومن ... ما فى مقالاته ريب ولا زلل

كم بدعة قد محاها ثم أبطلها ... وكم أزاح لنا من منكر عملوا

كم قام فى أمر دين الله مجتهداً ... ولم يكن عنده فى أمره ملل

كم نار شر طفاها وهو مبتسم ... [من غير همٍّ][3] ولا خوف ولا وجل؟

كم أظهر الحق لما قل ناصره ... وكم أبان لهم أمرًا له جهلوا؟

كم طوق الناس فى أعناقهم مننا ... ما ليس يحمله سهل ولا جبل؟

قد كان ذا مورد عذب لقاصده ... والناس تصدر منه ثم ترتحل

من قبله جا إلى غازان مبتسما ... على الجواد وكل الخلق قد نزلوا

حتى إذا جاءه والخلق تنظره ... قام الجميع ولم يأخذهمُ كسل

فقال جهراً له، والخلق تسمعه: ... هل أنت محمود بالإسلام متصل؟

فقال له: الشام، يامحمود دار تقى ... ومعقل الأنبياء، عنها فارتحلوا

يكفيكم ما رأيتم من جنازته ... ونعشه فوق رءوس الخلق ينتقل

إن كان فوق رءوس حملوه فقد ... أولاهم نعما ما ليس تنحمل

قد كنت أرجوه لى ذخرًا وآمله ... وأرتجيه إذا ضاقت بى الحيل

قد كان ذا رحل للناس كلهم ... يا أيها الناس كفوا قد قضى الأجل

تمت، وهى ثمانية عشر بيتاً.

* * *

(١) فى هامش الأصل كتب الناسخ مايلى: كذا وجدت فى الأصل: لم يعز هذه القصيدة.

(٢) أشار الناسخ فى هامش الأصل بقوله: لا يستقيم وزن البيت - والله أعلم - أبو اسماعيل يوسف حسين.

(٣) بياض بالأصل، وقد أضفنا ما بين المعقوفتين ليستقيم وزن البيت.

[رسالة عبد الله بن حامد عن حاله مع كتب الشيخ]

بسم الله الرحمن الرحيم

من أصغر العباد، عبد الله بن حامد: إلى الشيخ الإمام العالم العامل قدوة الأفاضل والأماثل، مجمِّل المجالس والمحافل، المحامى عن دين الله والذاب عن سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم، والمعتصم بحبل الله، الشيخ المبجل المكرم، أبى عبد الله، أسبغ الله عليه نعمه، وأيد بإصابة الصواب لسانه وقلمه، وجمع له بين السعادتين، ورفع درجته فى الدارين، بمَنِّه ورحمته.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته

(أما بعد) فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو: ثم وافانى كتابك، وأنا إليك بالأشواق، ولم أزل مسائلا ومستخبرا، الصادر والوارد، عن الأنباء، طاب مسموعها، وسر ما يسر منها.

وما تأخر كتابى عنك هذه المدة، مللا وَلا خللا بالمودة، ولا تهاونا بحقوق الإخاء/، حاشى لله أن يشوب الأخوة فى الله جفاء. [٧٨/ب]

ولأزال أتعلل بعد وفاة الشيخ الإمام، إمام الدنيا، رضي الله عنه بالاسترواح إلى أخبار تلامذته وإخوانه، وأقاربه وعشيرته، والخصيصين به، لما فى نفسى من المحبة الضرورية التى لا يدفعها شىء، على الخصوص، لما اطلعت على مباحثه واستدلالاته التى تزلزل أركان المبطلين، ولا يثبت فى ميادينها سفسطة المتفلسفين، ولا يقف فى حلباتها أقدام المبتدعين من المتكلمين.

وكنت قبل وقوفى على مباحث إمام الدنيا ـ رحمه الله ـ قد طالعت مصنفات المتقدمين، ووَقفت على مقالات المتأخرين من أهل الفلسفة ونظار أهل الإسلام، فرأيت منها الزخارف والأباطيل والشكوكات، التى يأنف المسلم الضعيف فى الإسلام أن يخطر بباله، فضلا عن القوى فى الدين، فكان يتعب قلبى ويحزننى

ما يصير إليه الأعاظم من المقالات السخيفة، والآراء الضعيفة؛ التى لا يعتقد جوازها آحاد العامة.

وكنت أفتش على السنة المحضة فى مصنفات المتكلمين من أصحاب الإمام أحمد - رحمه الله - على الخصوص، لاشتهارهم بالتمسك بمنصوصات إمامهم فى أصول العقائد، فلا أجد عندهم ما يكفى[1].

وكنت أراهم يتناقضون، إذ يؤصلون أصولا يلزم فيها ضد ما يعتقدونه أو يعتقدون خلاف مقتضى أدلتهم، فإذا جمعت بين أقاويل المعتزلة والأشعرية، وحنابلة بغداد، وكرامية خراسان، أرى أن إجماع هؤلاء المتكلمين فى المسألة الواحدة على ما يخالف الدليل العقلى والنقلى، فيسؤنى ذلك، وأظل أحزن حزنا لا يعلم كنهه إلا الله، حتى قاسيت من مكابدة هذه الأمور شيئًا عظيما، لا أستطيع شرح أيسره.

وكنت ألتجئ إلى الله سبحانه وتعالى وأتضرع إليه، وأهرب إلى ظواهر النصوص، وألقى المعقولات المتباينة، والتأويلات المصنوعة لنبو[2] الفطرة عن قبولها.

ثم قد تشبثت فطرتى بالحق الصريح فى أمهات المسائل، غير متجاسرة على التصريح بالمجاهرة قولا وتصميما للعقد عليه، حيث لا أراه مأثورا عن الأئمة وقدماء السلف؛ إلى أن قدر الله سبحانه وقوع مصنف الشيخ الإمام - إمام الدنيا رحمه الله - فى يدى، قبيل واقعته الأخيرة بقليل، فوجدت ما بهرنى، من موافقة فطرتى لما فيه، وعزو الحق إلى أئمة السنة وسلف الأمة، مع مطابقة العقول والنقول، فبُهِتُّ لذلك، سرورا بالحق وفرحا بوجود الضالة التى ليس لفقدها عوض. فصارت محبة هذا الرجل - رحمه الله - محبة ضرورية، يقصر عن شرح أقلها العبارة ولو أطنبت. ولما عزمت على المهاجرة إلى لقيه، وصلنى خبر اعتقاله، وأصابنى لذلك المقيم المقعد.

---

(١) كتب الناسخ فى هامش الأصل عبارة: يشفى بدل يكفى.

(٢) أشار الناسخ بالهامش بما يلى: كذا فى الأصل.

ولما حججت سنة ثمان وعشرين صممت العزم على السفر إلى دمشق، لأتوصل إلى ملاقاته ببذل مهما أمكن من النفس والمال للتفريج عنه. فوافانى خبر وفاته - رحمه الله تعالى - مع الرجوع إلى العراق قبيل وصول الكوفة، وجدت عليه مالا يجده الأخ على شقيقه، وأستغفر الله /، بل ولا الوالد الثاكل على ولده، وما دخل [٧٩/أ] على قلبى من الحزن لموت أحد من الولد والأقارب والإخوان كما وجدته عليه، رحمه الله تعالى، ولا تخيلته قط فى نفسى، ولا تمثلته فى قلبى إلا ويتجدد لى حزن، قديمه كأنه محدثه. ووالله ما كتبتها إلا وأدمعى تتساقط عند ذكره، أسفا على فراقه، وعدم ملاقاته، فإنا لله وإنا إليه راجعون، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وما شرحت هذه النبذة من محبة الشيخ - رحمه الله تعالى؛ إلا ليتحقق بعدى عن الملك الموهوم.

لكن لما سبق الوعد الكريم منكم، بإنفاذ فهرست مصنفات الشيخ - رضى الله عنه - وتأخر ذلك عنى، اعتقدت أن الإضراب عن ذلك نوع تقية، أو لعذر لا يسعنى السؤال عنه، فسكت عن الطلب، خشية أن يلحق أحدًا ضرر - والعياذ بالله - بسببى، لما كان قد اشتهر من تلك الأحوال، فإن أنعمتم بشىء من مصنفات الشيخ، رحمه الله تعالى، كانت لكم الحسنة عند الله تعالى علينا بذلك. فما أشبه كلام هذا الرجل بالتبر الخالص المصفى، وقد يقع فى كلام غيره من الغش والشبه المدلس بالتبر؛ مالا يخفى على طالب الحق، لحرص وعدم هوى.

ولا أزال أتعجب من المنتسبين إلى حب الإنصاف فى البحث، المزرين[1] على أهل التقليد المعقولات التى يزعمون أن مستندهم الأعظم الصريح منها، كيف يباينون ما أوضحه من الحق، وكشف عن قناعه، وقد كان الواجب على الطلبة شد الرحال إليه من الآفاق؛ ليروا العجب.

(١) فى الأصل : المبذرين، والمثبت من هامش الأصل.

وما أشبه حال المباينين له؛ من المنتسبين إلى العلم، الطالبين للحق الصريح الذى أعياهم وجدانه - بحال قوم ذبحهم العطش والظمأ فى بعض المفازات، فحين أشرفوا على التلف، لمع لهم شط كالفرات أو دجلة أو كالنيل، فعند معاينتهم لذلك، اعتقدوه سرابا، لا شرابا، فتولوا عنه مدبرين، فتقطعت أعناقهم عطشا وظمأ، فالحكم لله العلى الكبير.

وما أرسلنا الكتب المقابلة من إحدى الطرفين، ففيه تعسف، وتمهدون العذر فى الإطناب، فهذا الذى ذكرته من حالى مع الشيخ كالقطرة من بحر. وإن أنعمتم بالسلام على أصحاب الشيخ وأقاربه، كبيرهم وصغيرهم، كان ذلك مضافا إلى سابق إنعامكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأنتم فى أمان الله ورعايته. والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

* * *

(رثاء ابن الوردى للشيخ)

قال الشيخ الإمام العلامة زين الدين، أبو حفص، عمر بن المظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس بن على بن الوردى، الشافعى ـ رضى الله عنه؛ يرثى شيخ الإسلام تقى الدين ابن تيمية رضي الله عنه:

عتا فى عرضه قوم سلاط ... لهم من نثر جوهره التقاط

تقى الدين أحمد خير حَبْرٍ ... خروق المعضلات به تخاط

توفى وهو مسجون فريد ... وليس له إلى الدنيا انبساط

ولو حضروه حين قضى لألفوا ... ملائكة النعيم به أحاطوا

[٧٩/ب] قضى نحبا وليس له قرين / ... ولا لنظيره، لفَّ القماط

فتى فى علمه أضحى فريدا ... وحل المشكلات به يناط

وكان إلى التقى يدعو البرايا ... وينهى فرقة فسقوا ولاطوا

وكان يخاف إبليس سطاه ... بوعظ للقلوب هو السياط

فيا لله ما قد ضم لحد ... ويالله ما غطى البلاط

هم حسدوه، لما لم ينالوا ... مناقبه فقد فسقوا وشاطوا

وكانوا عن طرائقه كسالى ... ولكن فى أذاه لهم نشاط

وحبس الدر فى الأصداف فخر ... وعند الشيخ بالسجن اغتباط

---

(١) هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبى الفوارس المعرى زين الدين، المعروف بابن الوردى الفقيه الشافعى الشاعر المشهور، نشأ بحلب وتفقه بها، وأخذ عن القاضى شرف الدين البارزى بحماة، وعن الفخر خطيب جبرين بحلب، ونظم البهجة الوردية فى خمسة آلاف بيت وثلاثة وستين بيتًا أتى على الحاوى الصغير بغالب ألفاظه وأقسم بالله لم ينظم أحد بعده الفقه إلا وقصر دونه، وله ضوء الدرة على ألفية ابن معطى، وشرح الألفية لابن مالك، توفى بسبب الطاعون - رحمه الله - سنة (٧٤٩هـ)؛ انظر عنه: الدرر الكامنة لابن حجر: ٣ ,١١٥ - ١١٦- رقم ٣١٠٥.

بآل الهــاشـــمى له اقـــتـــداء فـقــد ذاقــوا المنون ولم يواطوا
بنو تيـــمـــيـــة كــانوا، فــبــانوا نجــوم العلم أدركـــهــا انهــبــاط
ولكن يا ندامـــة حـــابســـيــــه فــشك الشـــرك كـــان به يماط
ويافـــرح اليـــهـــود بما فــعلتم فـإن الضـد يعــجـبــه الخـبــاط
ألم يك فــــيكمُ رجل رشــــيـــد يرى ســجن الإمــام فـيـسـتـشـاط
إمــــام لاولاية كـــان يرجـــو ولا وقـف علـيـــــــه ولا ربـاط
ولا جـــاراكمُ فـى كـــسب مـــال ولم يعـــهـــد له بكم اخـــتـــلاط
فـفـيم سـجنتـمـوه وغـضـتـمـوه أمـــا لجـــزا أذيتـــه اشـــتـــراط؟
وســجن الشــيـخ لا يرضـــاه مـــثلى فـفـيـــه لقـــدر مـــثلكم انحطاط
أمـــا والله لولا كـــتم ســـرى وخـــوف الشـــر لا نحل الرباط
وكنت أقـــول مـــا عندى، ولكن بأهل العلم مــا حـسن اشـتطاط
فـمـا أحـد إلى الإنصـاف يدعـو وكـل فـى هـواه لـه انـخـــــراط
سـيظهـر قـصـدكم ياحـابسـيـه ونيـــتكم إذا نصب الصـــراط
فـهـاهو مـات عنكم، واسـتـرحـتم فـعـــاطوا مـــا أردتم أن تعـــاطوا
وحلوا واعـــقـــدوا من غـيـــر رد عليكم وانطوى ذاك البـــســــاط

تمت، والحمد لله رب العالمين

مرثى فى الشيخ تقى الدين أبى العباس، أحمد ابن تيمية ـ قدس الله روحه :

لما نعى الشـيخ الإمـام المتـقى ... نجل رئيس فـاضل حـبـر تقى
فاضت محاجر مقلتى، ياحسرتى ... لفـراقـه فـرقـا، وزاد تقلقى
زفـرات أشـواقى أكـاد لحـرها ... تنقض منى مهـجـتى بتـحـرقى
وتركت من بعـد التـقى بلوعـة ... ومـدامـعى من بعـده لا ترتقى
متـهتك الأستـار ولهـان الحشا ... أبكى الدمـاء عليـه حتى نلتـقى
حزنى عليه مدى الزمـان تأسفا ... يامـقلتى سـحى دمـا وترقـرقى
ياقلب ذب أسـفـا عليـه وحسـرة ... فـقليل مـالاقـيت شـيب مـفـرقى
يامهـجـتى ذوبى عليـه صـبـابة ... وتقطعى لفـراقـه وتمزقى
يامـقلتى سـحى بدمع هاطل ... مـتـحـدر سح السـحـاب المطبق
ياليـتنى يوم الفـراق حـضـرته ... حتى أجـدد مـا مـضى من مـوثقى
وأودع الوجـه المليـح بنظرة ... يحـيـا بهـا قلب الكئـيب المشـفق
مـاكـان أهنا عـيـشنا بحـيـاته ... ياليت يوم فـراقـه لم يخلق
لو كـان يفـدى مـا بخلت بمهـجـتى ... فى حـقـه، ولكنت أول من يقى
يا أهله، لاتجـزعـوا لفـراقـه ... ولأجل كـأس من حمام قد سـقى
فله جنان الخلد يسكنهـا غـداً ... وعلى مناصـبـهـا العليـة يرتقى
هو شـيـخنا، ورئيـسنا، وإمـامنا ... لله در الطاهر الحـبـر التـقى
[٨٠/أ] إن قلت طود العلم فهـو حـقـيقـة / ... فـاسـمع بهـذا القـول فـيـه وحـقق

يفـتى بجـمع مـذاهب عن أربع … لكنه فى الفـضل آخـر من بقى

هو فى القـراءة أوحـد فى عـصره … هو فى الأصـول مـفـيدنا والمنطقى

شـيخ الطريقـة والحـقيقـة عـارف … ورث الإمـامـة والعلوم، فـحـقق

مـتـصـدق، مـتـفـضل، مـتطول … لله مـا أجـزاه من مـتـصـدق

قـد كـان فـينا وابلا نحـيـا به … وثناؤه فـينا كـمـسك مـعـبق

قـد كـان فـينا جنة أنهـارها … تجـرى لنا من علمـه المتـدفق

قـد كـان فـينا سـيدًا من سـيد … فـاقطع بهـذا القـول فـيه وصـدق

ياقـبـره يهنيك مـا قـد حـزته … من زاهـد بـر زكى مـتـقى

قـد صـرت جنة روضـة بحلوله … فلك الفـخـار بسـيـد ومـوفق

فـالله يرحـمـه ويجـبـر كـسـره … ويغـيـثنا من فـضله المغـدودق

واجـبـر بعـفـوك ناظمـا لقـريضـها … حـسـنًا أعنه تفـضـلا وتصـدق

ثم الصـلاة على النبى مـحـمـد … خـيـر الأنام ومن لعـرشك يرتقى

والحق به الآل الكرام وصـحـبـه … بكرامـة فـلأنت أكـرم ملحق

* * *

(رثاء ابن فضل الله للشيخ)

مرثية فى شيخ الإسلام تقى الدين أحمد بن تيمية من نظم الشيخ شهاب الدين أحمد بن فضل الله[1] ـ رحمهما الله تعالى ورضى عنهما:

أهكذا فى الدياجى يحجب القمر ... ويحبس النور حتى يذهب المطر؟

أهكذا تمنع الشمس المنيرة عن ... منافع الأرض أحيانًا فتستتر؟

أهكذا الدهر ليلا كله أبدا ... فليس يعرف فى أوقاته سحر؟

أهكذا السيف لا تمضى مضاربه ... والسيف فى الفتك مافى عزمه خور؟

أهكذا القوس تُرمى بالعراء، وما ... تصمى الرمايا، وما فى باعها قصر؟

أهكذا يترك البحر الخضم ولا ... يلوى عليه، وفى أصدافه الدرر؟

أهكذا بتقى الدين قد عبثت ... أيدى العدَى، وتعدى نحوه الضرر؟

إلى ابن تيمية ترمى سهام أذى ... من الأنام، ويدمى الناب والظفر

بذَّ السوابق ممتد العبادة لا ... يناله ملل فيها ولا ضجر

ولم يكن مثله بعد الصحابة فى ... علم عظيم وزهد ماله خطر

طريقه كان يمشى قبل مشيته ... بها أبو بكر الصديق، أو عمر

---

(١) هو شهاب الدين أحمد بن يحيى بن فضل الله بن مجلى القرشى العمرى الشافعى،القاضى الكبير الإمام البارع، ولد بدمشق سنة (٧٠٠هـ) وسمع بالقاهرة ودمشق من كثير من العلماء؛ أخذ الأدب عن والده، والأصول عن الأصفهانى، والنحو عن أبى حيان، والفقه عن البرهان الفزارى وابن الزملكانى وغيرهما، من مؤلفاته: كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار فى سبعة وعشرين مجلدًا، وفواضل السمر فى فضائل عمر أربع مجلدات، وله ديوان فى المدائح النبوية، كان مشهورًا بالبلاغة والفصاحة مع حسن الخلق، توفى بسبب الطاعون ـ رحمه الله ـ يوم عرفة سنة (٧٤٩هـ). انظر عنه: البداية والنهاية : ١٤/١٨٣، شذرات الذهب: ٣/١٥٨.

فـــرد المذاهب فى أقـــوال أربعـــة ... جـاءوا على أثر السـبـاق وابتـدروا

لما نبـوا قـبله عليـا مـذاهبـهم ... بنى وعـمـر منهـا مـثل مـا عـمـروا

مـثل الأئمـة قـد أحـيـا زمـانهم ... كـأنه كـان فـيـهم وهو منتظر

إن يرفـعـوهم جـمـيـعـا رفع مبـتـدأ ... فـحـقـه الرفع أيضـا، إنه خـبـر

أمـــثله بينكم يلقى بموعظة[1] ... حـتى يطيح له عـمـدا دم هدر

يكون، وهو أمـانى لغـيـركم ... تنوبه منكمُ الأحـداث والغـيـر

والله، لو أنه فى غـيـر أرضكم ... لكان منكم على أبوابه زمـر

مـثل ابن تيـمـيـة ينسى بمحـبـسـه ... حـتى يموت، ولم يكحل به بصـر

مـثل ابن تيـمـيـة ترضى حواسـده ... بحبسـه، أو لكم فى حبسه عـذر؟

مـثل ابن تيـمـيـة فى السجن معـتقل ... والسجن كالغمد وهو الصارم الذكر

مـثل ابن تيـمـيـة يرمى بكل أذى ... وليس يجلى قـذى منه، ولانظر

مـثل ابن تيـمـيـة تذوى خـمـائله ... وليس يلقط من أفنانه الزهر

مـثل ابن تيـمـيـة شمس تغيب سدى ... ومـا تروق بهـا الآصـال والبكر / [٨٠/ب]

مـثل ابن تيـمية يمضى، ومـا عبقت ... بمسكه العطر الأردان والطرر[2]

مـثل ابن تيـمـيـة يمضى ومـا نهلت ... له سـيـوف ولا خطيـة سـمـر

ولا تجـارى له خـيل مـسـومـة ... وجوه فرسـانها الأوضـاح والغـرر

---

(١) فى هامش الأصل : بمضيعة.

(٢) الأردان: مفرده ردن وهو ما يغزل من القز والخز، والطرار والطرورة: المنظر والهيئة الحسنة والذى طر وطلع شاربه..

ولا تحف به الأبطال دائرة — كأنهم أنجم فى وسطها قمر

ولا تعبس حرب فى مواقفه — يوما، ويضحك فى أرجائها الظفر

حتى يقوم هذا الدين من ميل — ويستقيم على منهاجه البشر

بل هكذا السلف الأبرار ما برحوا — يبلى اصطبارهم جهدا، وهم صبروا

تأس بالأنبياء الطهر، كم بلغت — فيهم مضرة أقوام، وكم هجروا

فى يوسف، فى دخول السجن منقبة — لمن يكابد ما يلقى ويصطبر

ما أهملوا أبداً بل أمهلوا لمدى — والله يعقب تأييدا وينتصر

أيذهب المنهل الصافى وما نفعت — به الظماة، وتبقى الحمأة الكدر؟

مضى حميدا، ولم يعلق به وضر — وكلهم وضر فى الناس أو وذر[1]

طود من الحلم لا يرقى له فنن — كأنما الطود من أحجاره حجر

بحر من العلم، قد فاضت بقيته — فغاضت الأبحر العظمى، وما شعروا

ياليت شعرى، هل فى الحاسدين له — نظيره فى جميع القوم إن ذكروا؟

هل فيهم لحديث المصطفى أحد — يميز النقد، أو يروى له خبر؟

هل فيهم من يضم البحث فى نظر — أو مثله من يضم البحث والنظر؟

هلا جمعتم له من قومكم ملأ — كفعل فرعون مع موسى ليعتذروا؟

قولوا لهم: قال هذا، فابحثوا معه — قدامنا، وانظروا الجهال إن قدروا

يلقى الأباطيل أسحار لها دهش — فيلقف الحق، ما قالوا، وما سحروا

---

(١) الوضر: الوسخ والدرن وغسالة الإناء.
والوذر : ماتبقى من قطعة اللحم، والوذر: ذو الرائحة الكريمة.

فليتهم مثل ذاك الرهط من ملأ … حتى يكون لكم فى شأنهم عبر

وليتهم أذعنوا للحق مثلهم … فآمنوا كلهم من بعد ما كفروا

ياطالما نفروا عنه مجانبة … وليتهم نفعوا فى الضيم أو نفروا

هل فيهمُ صادع للحق مقوله … أو خائض للوغى، والحرب تستعر؟

رمى إلى نحر غازان مواجهة … سهامه من دعاء عونه القدر

بتَلٍّ راهط، والأعداء قد غلبوا … على الشام، وطار الشر والشرر

وشق فى المرج والأسياف مصلتة … طوائف كلها، أو بعضها التتر

هذا، وأعداؤه فى الدور أشجعهم … مثل النساء بظل الباب مستتر

وبعدها كسروان، والجبال، وقد … أقام أطوادها، والطود منفطر

واستحصد القوم بالأسياف جهدهم … فطالما بطلوا طغوى وما بطروا

قالوا: قبرناه، قلنا: إن ذاعجب … حقا، وللكوكب الدرى قد قبروا

وليس يذهب معنى منه متقد … وإنما تذهب الأجسام والصور

لم يبكه ندما من لا يصب دما … يجرى به وبما يهمى وتنهمر

لهفى عليك، أبا العباس، كم كرم … لما قضيت قضى من عمره العمر

سقى ثراك من الوسمى صيبه … وزار مغناك قطر كله قطر

ولا يزال له برق يغازله … حلو المراشف فى أجفانه حور

لفقد مثلك، يامن ماله مثل … تأسى المحاريب والآيات والسور

ياوارثًا من علوم الأنبياء نهى … أورثت قلبى نارًا وقدها الفكر

ياواحــدًا لست أسـتـثنى به أحـدا	مـــن الأنــام، ولا أبـــقـــى ولا أذر
ياعــالما بنقـول الفـقــه أجـمـعـهـا	أعنك تحــفظ زلات كـمــا ذكــروا؟
[٨١/أ] ياقــامع البــدع اللاتى تحـبـبـهـا /	أهل الزمــان وأهل البــدو والحــضــر
ومـرشـد الفـرقـة الضـلال نهـجـهم	إلى الطريق، فـمـا حـاروا ولاسـهـروا
ألم تكن للنصــارى واليــهــود مــعــا	مجادلا، وهم فى البحث قد حضروا؟
وكم فــتـى جـــاهل غـــر أبنت له	رشـد المقـال فـزال الجـهل والضـرر؟
مـــا أنكروا منك إلا أنهم جـــهلوا	عظيم قــدرك، لكن سـاعـد القــدر
قــالوا بـأنك قــد أخطأت مـســألة	وقــد يكون، فـهــلا منك تغــتـفـر؟
غلطت فى الدهر، أو أخطأت واحدة	أمــا أجـدت إصــابات فـتـعـتـذر؟
ومن يكون على التـحـقـيق مـجـتـهـدا	له الثــواب على الحـــالين، لا الوزر
ألـم تـكـن بـأحـــــاديث الـنـبـى إذا	ســئلت تعـــرف مـــا تأتى ومـــاتذر
حـاشـاك مـا شـبـه فيـهـا، ومـا شـبـه	كـــلاهمـــا منك لا يبــقى له أثر
عليك فى البحث أن تبدى غوامضه	ومـــا عليك إذا لم تفـــهم البـــقـــر
قـــدمت لله مـــا قـــدمت من عـــمل	ومـــا عليك بهم ذمـــوك أو شـكروا
هل كـان مـثلك من يخفى عليـه هدى	ومن ســمــائك تبــدو الأنجم الزهر؟
وكــــيف تحـــــذر من شىء تزل بـه	أنت التقى، فـمـاذا الخـوف والحـذر؟

تمت، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

[قصيدة الشيخ البعلى فى مدح الشيخ]

وقال الشيخ الصالح العابد محمد أبو طاهر، البعلى الحنبلى، يمدح شيخ الإسلام والمسلمين الإمام أحمد بن تيمية - رحمه الله ورضى عنه:

يا ابن تيمية، يا أنصح العلما ... يامن لأسرار دين الله قد فهما

يا آية ظهرت فى الكون باهرة ... لا زلت فى سلك دين الله منتظما

وكنت واسطة فى عقده أبدا ... تزيل منه الأذى والفحش والسقما

جمعت منه الذى قد كان فرقه ... قوم رأوه هدى منه، وكان عمى

وكنت أحرص خلق الله كلهم ... على التآلف، تعطى الفضل والنعما

ولست خباً لئيما، باخلا شرهًا ... لكن تقياً، نقياً، سيد الكرما

تعفو عن الجاهل الجانى وترحمه ... وتكثر العدل والإنصاف للخصما

مازلت تغضب فى ذات الإله ولم ... تكن لنفسك يا ذا الحلم منتقما

فأنت حَبْر هدى أحيا الإله به ... من دينه سننا أماته الغشما

فى رأس سبع مئين كنت قد وجبت ... لك الإمامة[1] ياخلاصة العلما

وكل شىء به جل الورى هلكوا ... فشيخنا ذو السخا[2] من شره سلما

وكل وصف كمال فى نظائره ... له خصائصه لا تقتضى العدما

كان المبرز فى كل العلوم، وقد ... أضحت له فى ذرى أسنامها علما

وكان حاوى صفات الخير أجمعها ... قد حل فى كل حالات التقى قدما

لما أراد عداه دحضه دحضوا ... وزاده الله عزا، دائماً، وسما

أضحت عوائده تبدى فوائده ... على موائده فى حضرة الحكما

(١) كتب الناسخ فى هامش الأصل عبارة: فى الأصل لا يستقيم الوزن - أبو اسماعيل يوسف حسين.
(٢) فى هامش الأصل: التقى بدل السخا.

فـهـو الـتـقى، به أهل الـتـقى ألفـوا ● وأبعـــد الله عنه المجـــرم الزنما[1]
وهو المحك الذى بان العـــبـــاد به ● إمـا كـرامـا وإمـا خـيـبـا لؤمـا
فـــإن أردت تعــاييـــر العـــبـــاد به ● عـرض بذكـراه مدحًا، وانظر السيـما
ترى القــوى حـزينًا ثم منقـضـبـاً ● وتنظر المتـقى قـد سُـر مـبـتـسـمـا
فـحـبـه نـعـمـة فـاز السـعـيـد بهـا ● وبغـضـه نقـمـة بهـا الشـقى وسـمـا
فـالحـمـد لله، أهل الحـمـد، خـالقنا ● كم قـد أفـاض علينا فى الورى نعـمـا
عـافى القلوب من الأسـقـام أجـمـعـهـا ● وعم بالجـــود من وفىَّ ومن ظلمـــا
كم أفــرجت كـــربة عنا بمنتـــه ● وكم أعـان، وكم عـفى، وكم رحـمـا؟
لا ترتجى غـــيـــره فى رفع نازلة ● يبقى الهدى عنك والإحسان منصرما
ولا تكن بســواه عنه مـشــتــغــلا ● لكى تنال التـقى والفـــوز والكرمـا
وكن مــحـبًــا له ســاعٍ بطاعـتــه ● فـالسـعى فى غـيـر هذا يورث الندما

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وقع الفراغ التام من نسخ الكتاب المستطاب؛ من أوله إلى صفـحـة (١١٥) بيد أبى عبد الله محمد بن حسن رحمة الله؛ سلمه ربه.

ومن صـفـحـة (١١٦) إلى آخره بيـد أبى إسـمـاعيل يوسف حسين ابن مـحـمـد حسن رحمة الله؛ الصابر الحنيف السنى المحمدى.

رواح يوم الاثنين ١٢ شوال سنة ١٣١٢ هجرية ـ على صـاحبهـا أنمى الصـلاة وأزكى التحية ..

ستبقى خطوطى فى الدفاتر برهة ● وأنملتى تحت التراب رميم

(١) الزنما :الزنيم: الدَّعىُّ اللئيم المعروف بلؤمه وشره.

ملحق رقم (١)
ترجمة ابن تيمية
من «الذيل على طبقات الحنابلة»
لابن رجب الحنبلي

ملحق رقم (١)

ترجمة ابن تيمية من «الذيل على طبقات الحنابلة» لابن رجب الحنبلى

أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم ابن الخضر بن محمد ابن تيميةً الحرَّانى، ثم الدمشقى، الإمام الفقيه، المجتهد المحدِّث، الحافظ، المفسر، الأصولى الزاهد، تقى الدين أبو العباس، شيخ الإسلام وعلم الأعلام، وشهرته تغنى عن الإطناب فى ذكره، والإسهاب فى أمره.

ولد يوم الاثنين عاشر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة بحَرَّان.

وقدم به والده وبإخوته إلى دمشق، عند استيلاء التتر على البلاد، سنة سبع وستين.

فسمع الشيخ بها من ابن عبد الدايم، وابن أبى اليسر، وابن عبد، والمجد ابن عساكر، ويحيى بن الصيرفى الفقيه، وأحمد بن أبى الخير الحداد، والقاسم الأربلى، والشيخ شمس الدين ابن أبى عمر، والمسلم بن علان، وإبراهيم بن الدرجى، وخلق كثير.

وعنى بالحديث. وسمع «المسند» مرات، والكتب الستة، ومُعجم الطبرانى الكبير، ومالا يحصى من الكتب والأجزاء، وقرأ بنفسه، وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وأقبل على العلوم فى صغره؛ فأخذ الفقه والأصول عن والده، وعن الشيخ شمس الدين ابن أبى عمر، والشيخ زين الدين ابن المنجا، وبرع فى ذلك، وناظر، وقرأ فى العربية أياماً على سليمان بن عبد القوى، ثم أخذ كتاب سيبويه فتأمله ففهمه، وأقبل على تفسير القرآن الكريم، فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه، والفرائض، والحساب والجبر والمقابلة، وغير ذلك من العلوم، ونظر فى علم الكلام والفلسفة، وبرز فى ذلك على أهله، ورد على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر فى هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس، وله دون العشرين سنة، وأفتى من قبل

العشرين أيضاً، وأمده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك والفهم، وبُطء النسيان، حتى قال غير واحد: إنه لم يكن يحفظ شيئا فينساه.

ثم توفى والده الشيخ شهاب الدين، المتقدم ذكره، وكان له حينئذ إحدى وعشرين سنة، فقام بوظائفه بعده، فدرس بدار الحديث السكرية فى أول سنة ثلاث وثمانين وستمائة.

وحضر عنده قاضى القضاة بهاء الدين بن الزكى، والشيخ تاج الدين الفزارى، وزين الدين بن المرجل، والشيخ زين الدين ابن المنجا، وجماعة، وذكر درسًا عظيما فى البسملة، وهو مشهور بين الناس، وعظمه الجماعة الحاضرون، وأثنوا عليه ثناء كثيراً.

قال الذهبى: وكان الشيخ تاج الدين الفزارى يبالغ فى تعظيمه الشيخ تقى الدين، بحيث إنه علق بخطه درسه بالسكرية.

ثم جلس عقب ذلك مكان والده بالجامع على منبر أيام الجمع؛ لتفسير القرآن العظيم، وشرع من أول القرآن؛ فكان يورد من حفظه فى المجلس نحو كراسين أو أكثر، وبقى يفسر فى سورة نوح عدة سنين أيام الجمع.

وفى سنة تسعين: ذكر على الكرسى يوم جمعة شيئا من الصفات، فقام بعض المخالفين، وسعوا فى منعه من الجلوس، فلم يمكنهم ذلك.

وقال قاضى القضاة شهاب الدين الخوى: أنا على اعتقاد الشيخ تقى الدين، فعوتب فى ذلك، فقال: لأن ذهنه صحيح، ومواده كثيرة، فهو لا يقول إلا الصحيح.

وقال الشيخ شرف الدين المقدسى: أنا أرجو بركته ودعاءه، وهو صاحبى، وأخى. ذكر ذلك البرزالى فى تاريخه.

وشرع الشيخ فى الجمع والتصنيف من دون العشرين، ولم يزل فى علو وازدياد من العلم والقدر إلى آخر عمره.

قال الذهبى فى معجم شيوخه: أحمد بن عبد الحليم ـ وساق نسبه ـ الحرانى،

ثم الدمشقى، الحنبلى، أبو العباس، تقى الدين، شيخنا وشيخ الإسلام، وفريد العصر علماً ومعرفة، وشجاعة وذكاء، وتنويرًا إلهيًا، وكرمًا ونصحًا للأمة، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر. سمع الحديث، وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب وخرَّج، ونظر فى الرجال والطبقات، وحصَّل مالم يحصله غيره. برع فى تفسير القرآن، وغاص فى دقيق معانيه بطبع سيال، وخاطر إلى مواقع الإشكال ميال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع فى الحديث وحفظه، فقلَّ من يحفظ ما يحفظه من الحديث، معزوا إلى أصوله وصحابته، مع شدة استحضاره له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس فى معرفة الفقه، واختلاف المذاهب، وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل يقول بما دليله عنده، وأتقن العربية أصولا وفروعاً، وتعليلا واختلافا، ونظر فى العقليات، وعرف أقوال المتكلمين، وَرَدَّ عليهم وَنبه على خطئهم، وحذَّر منهم، ونصر السنة بأوضح حجج وأبهر براهين، وأوذى فى ذات الله من المخالفين، وأخيف فى نصر السنة المحضة، حتى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وَكَبَتَ أعداءه، وهدى به رجالاً من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً، وعلى طاعته، وأحيا به الشام، بل والإسلام، بعد أن كاد ينثلم بتثبيت أولى الأمر لما أقبل حزب التتر والبغى فى خيلائهم، فظُنت بالله الظنون، وزلزل المؤمنون، واشْرَأَبَّ النفاق وأبدى صفحته. ومحاسنه كثيرة، وهو أكبر من أن ينبه على سيرته مثلى، فلو حلفت بين الركن والمقام، لحلفت: أنى ما رأيت بعينى مثله، وأنه مارأى مثل نفسه.

وقد قرأت بخط الشيخ العلامة شيخنا كمال الدين ابن الزملكانى، ما كتبه سنة بضع وتسعين تحت اسم «ابن تيمية» : كان إذا سئل عن فن من العلم ظن الرائى والسامع أنه لا يعرف غير ذلك الفن، وحكم أن أحدا لا يعرفه مثله. وكان الفقهاء من سائر الطوائف إذا جالسوه استفادوا منه فى مذهبهم أشياء، ولا يعرف أنه ناظر أحداً فانقطع منه، ولا تكلم فى علم من العلوم - سواء كان من علوم الشرع أو غيرها - إلا فاق فيه أهله، واجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها.

وقال الذهبى فى معجمه المختصر: كان إمامًا متبحراً فى علوم الديانة، صحيح الذهن، سريع الإدراك، سيَّال الفهم، كثير المحاسن، موصوفا بفرط الشجاعة والكرم، فارغا عن شهوات المأكل والملبس والجماع، لا لذة له فى غير نشر العلم وتدوينه، والعمل بمقتضاه.

قلت: وقد عرض عليه قضاء القضاة قبل التسعين، ومشيخة الشيوخ؛ فلم يقبل شيئاً من ذلك. قرأت ذلك بخطه.

قال الذهبى: ذكره أبو الفتح اليعمرى الحافظ ـ يعنى ابن سيد الناس ـ فى جواب سؤالات أبى العباس بن الدمياطى الحافظ؛ فقال: أَلْفَيْتُه ممن أدرك من العلوم حظا، وكاد يستوعب السنن والآثار حفظاً، إن تكلم فى التفسير فهو حامل رايته، وإن أفتى فى الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وذو روايته، أو حاضر بالنِّحَل والمِلَل لم ير أوسع من نحلته، ولا أرفع من درايته. برز فى كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه.

وقد كتب الذهبى فى تاريخه الكبير للشيخ ترجمة مطولة؛ وقال فيها: وله خبرة تامة بالرجال، وجرحهم وتعديلهم، وطبقاتهم، ومعرفة بفنون الحديث، وبالعالى والنازل، والصحيح والسقيم، مع حفظه لمتونه، الذى انفرد به، فلا يبلغ أحد فى العصر رتبته، ولا يقاربه، وهو عجيب فى استحضاره، واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى فى عزوه إلى الكتب الستة، والمسند، بحيث يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث.

وقال: ولما كان معتقلا بالإسكندرية: التمس منه صاحب سَبْتة أن يجيز لأولاده، فكتب لهم فى ذلك نحواً من ستمائة سطر، منها سبعة أحاديث بأسانيدها، والكلام على صحتها ومعانيها، وبحث وعمل ما إذا نظر فيه المحدث خضع له من صناعة الحديث. وذكر أسانيده فى عدة كتب، ونَبَّه على العوالى. عمل ذلك كله من حفظه، من غير أن يكون عنده ثَبَت أو من يراجعه.

ولقد كان عجيباً فى معرفة علم الحديث. فأما حفظه متون الصحاح وغالب متون السنن والمسند: فما رأيت من يُدانيه فى ذلك أصلا.

قال: وأما التفسير فمسلم إليه. وله من استحضار الآيات من القرآن - وقت إقامة الدليل بها على المسألة - قوة عجيبة. وإذا رآه المقرىء تحير فيه. ولفرط إمامته فى التفسير، وعظم اطلاعه؛ يبين خطأ كثير من أقوال المفسرين، ويُوهى أقوالا عديدة، وينصر قولا واحداً، موافقا لما دل عليه القرآن والحديث، ويكتب فى اليوم والليلة من التفسير، أو من الفقه، أو من الأصلين، أو من الرد على الفلاسفة والأوائل: نحواً من أربعة كراريس أو أزيد.

قلت: وقد كتب «الحموية» فى قعدة واحدة؛ وهى أزيد من ذلك، وكتب فى بعض الأحيان فى اليوم ما يبيض منه مجلد.

وكان رحمه الله فريد دهره فى فهم القرآن، ومعرفة حقائق الإيمان، وله يد طولى فى الكلام على المعارف والأحوال، والتمييز بين صحيح ذلك وسقيمه، ومعوجه وقويمه.

وقد كتب ابن الزملكانى بخطه علي كتاب «إبطال التحليل» للشيخ ترجمة الكتاب واسم الشيخ، وترجم له ترجمة عظيمة، وأثنى عليه ثناء عظيما، وكتب أيضاً تحت ذلك:

ماذا يقول الواصفون له	وصفاته جلَّتْ عن الحصر
هو حجة لله قاهرة	هو بيننا أُعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة	أنوارها أربت على الفجر

وللشيخ أثير الدين أبى حيان الأندلسى النحوى - لما دخل الشيخ مصر واجتمع به - ويقال : إن أبا حيان لم يقل أبياتا خيرا منها ولا أفحل:

لما رأينا تقى الدين لاح لنا	داعٍ إلى الله فرداً، ماله وزر
على محياه من سيما الأولى صحبوا	خير البرية نورٌ دونه القمر
حَبْر تسربل منه دهره حِبَرًا	بحر تقاذفُ من أمواجه الدرر
قام ابن تيمية فى نصر شرعتنا	مقام سيدٌ تَيْمٍ إذْ عَصَتْ مُضر

فـــأظهـــر الديـن إذْ آثاره درست وأخـمـد الشـرك إذ طارت له شـرر
يامن تحـدث عن علم الكتـاب أصِخْ هـذا الإمـام الذى قـد كـان ينتظر

وحكى الذهبى عن الشيخ: أن الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد قال له ـ عند اجتماعه به وسماعه لكلامه ـ: ما كنت أظن أن الله بقى يخلق مثلك. ومما وجد فى كتاب كتبه العلامة قاضى القضاة أبو الحسن السبكى إلى الحافظ أبى عبدالله الذهبى فى أمر الشيخ تقى الدين المذكور: أما قول سيدى فى الشيخ؛ فالمملوك يتحقق كبر قدره، وزخارة بحره، وتوسعه فى العلوم الشرعية والعقلية، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه فى كل من ذلك المبلغ الذى يتجاوز الوصف، والمملوك يقول ذلك دائمًا، وقدره فى نفسى أكبر من ذلك وأجلّ، مع ما جمعه الله له من الزهادة والورع والديانة، ونصرة الحق، والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه على سنن السلف، وأخذه من ذلك بالمأخذ الأوفى، وغرابة مثله فى هذا الزمان؛ بل من أزمان.

وكان الحافظ أبو الحجاج المزى يبالغ فى تعظيم الشيخ والثناء عليهم، حتى كان يقول: لم يُر مثله منذ أربعمائة سنة.

وبلغنى من طريق صحيح عن ابن الزملكانى: أنه سئل عن الشيخ ..

فقال: لم ير من خمسمائة سنة، أو أربعمائة سنة ـ الشك من الناقل، وغالب ظنه أنه قال: من خمسمائة ـ أحفظ منه.

وكذلك كان أخوه الشيخ شرف الدين يبالغ فى تعظيمه جدا، وكذلك المشايخ العارفون، كالقدوة أبى عبد الله محمد بن قوام. ويحكى عنه أنه كان يقول: ما أسلمت معارفنا إلا على يد ابن تيمية.

والشيخ عماد الدين الواسطى كان يعظمه جداً، وتتلمذ له، مع أنه كان أسن منه. وكان يقول: قد شارف مقام الأئمة الكبار، ويناسب قيامه فى بعض الأمور قيام الصديقيين.

وكتب رسالة إلى خواص أصحاب الشيخ يوصيهم بتعظيمه واحترامه، ويعرفهم حقوقه، ويذكر فيها: أنه طاف أعيان بلاد الإسلام، ولم ير فيها مثل الشيخ علما وعملا، وحالا وخلقا واتباعا، وكرما وحلما فى حق نفسه، وقياما فى حق الله تعالى، عند انتهاك حرماته. وأقسم على ذلك بالله ثلاث مرات ثم قال: أصدق الناس عقدا، وأصحهم علما وعزما، وأنفذهم وأعلاهم فى انتصار الحق وقيامه، وأسخاهم كفًا، وأكملهم اتباعا لنبيه محمد ﷺ، ما رأينا فى عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل، بحيث يشهد القلب الصحيح: أن هذا هو الاتباع حقيقة.

ولكن كان هو وجماعة من خواص أصحابه ربما أنكروا من الشيخ كلامه فى بعض الأئمة الأكابر الأعيان، أو فى أهل التخلى والانقطاع ونحو ذلك.

وكان الشيخ - رحمه الله - لا يقصد بذلك إلا الخير، والانتصار للحق - إن شاء الله تعالى.

وطوائف من أئمة أهل الحديث وحفاظهم وفقهائهم: كانوا يحبون الشيخ ويعظمونه، ولم يكونوا يحبون له التوغل مع أهل الكلام ولا الفلاسفة، كما هو طريق أئمة أهل الحديث المتقدمين؛ كالشافعى وأحمد وإسحاق وأبى عبيد ونحوهم، وكذلك كثير من العلماء من الفقهاء والمحدثين والصالحين كرهوا له التفرد ببعض شذوذ المسائل التى أنكرها السلف على من شذّ بها[1]، حتى إن بعض قضاة العدل من أصحابنا منعه من الإفتاء ببعض ذلك.

قال الذهبى: وغالب حَطِّه على الفضلاء والمتزهدة فبحق، وفى بعضه هو مجتهد، ومذهبه توسعة العذر للخلق، ولا يكفر أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه.

قال: ولقد نصر السنة المحضة، والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات، وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون

(١) ما كان الشيخ رحمه الله إلا محيياً لآثار السلف - رضى الله عنهم - من الصحابة والتابعين، وليس كل من تقدم قبل زمن الشيخ يكون من السلف.

وهابوا، وجسر هو عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قياما لا مزيد عليه، وبدَّعوه وناظروه وكابروه، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابى، بل يقول الحق المرَّ الذى أدَّاه إليه اجتهاده، وحدة ذهنه، وسعة دائرته فى السنن والأقوال؛ ما اشتهر عنه من الورع، وكمال الفكر، وسرعة الإدراك، والخوف من الله، والتعظيم لحرمات الله.

فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة، فينجيه الله. فإنه دائم الابتهال، كثير الاستغاثة، والاستعانة به، قوى التوكل، ثابت الجأش، له أوراد وأذكار يُدْمنها بكيفية وجمعية. وله من الطرف الآخر محبون من العلماء والصلحاء، ومن الجند والأمراء، ومن التجار والكبراء، وسائر العامة تحبه؛ لأنه منتصب لنفعهم ليلا ونهاراً، بلسانه وقلمه.

وأما شجاعته: فبها تضرب الأمثال، وببعضها يتشبه أكابر الأبطال، ولقد أقامه الله تعالى فى نوبة قازان. والتقى أعباء الأمر بنفسه. وقام وقعد وطلع، ودخل وخرج، واجتمع بالملك ـ يعنى قازان ـ مرتين، وبقَطْلُو شاه، وبولاى. وكان قبجق يتعجب من إقدامه وجرائته على المغول.

وله حدة قوية تعتريه فى البحث، حتى كأنه ليث حَرِب. وهو أكبر من أن ينبه مثلى على نعوته، وفيه قلة مداراة، وعدم تؤدة غالبا، والله يغفر له. وله إقدام وشهامة، وقوة نفس توقعه فى أمور صعبة، فيدفع الله عنه.

وله نظم قليل وسط. ولم يتزوج، ولا تسرى، ولا له من المعلوم إلا شىء قليل. وأخوه يقوم بمصالحه، ولا يطلب منهم غذاء ولا عشاء فى غالب الوقت.

وما رأيت فى العالم أكرم منه، ولا أفرغ منه عن الدينار والدرهم، لا يذكره، ولا أظنه يدور فى ذهنه. وفيه مروءة، وقيام مع أصحابه، وسعى فى مصالحهم. وهو فقير لا مال له. وملبوسه كآحاد الفقهاء: فَرَّجِيَّه، ودِلْق، وعمامة تكون قيمة ثلاثين درهما، ومداس ضعيف الثمن. وشعره مقصوص.

وهو رَبْع القامة، بعيد ما بين المنكبين، كأن عينيه لسانان ناطقان، ويصلى بالناس صلاة لا يكون أطول من ركوعها وسجودها. وربما قام لمن يجىء من سفر أو غاب عنه، وإذا جاء فربما يقومون له، الكل عنده سواء، كأنه فارغ من هذه الرسوم، ولم ينحن لأحد قط، وإنما يسلم ويصافح ويبتسم. وقد يعظم جليسه مرة، ويهينه فى المحاورة مرات.

قلت: وقد سافر الشيخ مرة على البريد إلى الديار المصرية يستنفر السلطان عند مجىء التتر سنة من السنين، وتلا عليهم آيات الجهاد، وقال: إن تخليتم عن الشام ونصرة أهله، والذَّبِّ عنهم، فإن الله تعالى يقيم لهم من ينصرهم غيركم، ويستبدل بكم سواكم. وتلا قوله تعالى: ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[2].

وبلغ ذلك الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد - وكان هو القاضى حينئذ - فاستحسن ذلك، وأعجبه هذا الاستنباط، وتعجب من مواجهة الشيخ للسلطان بمثل هذا الكلام.

وأما محَنُ الشيخ: فكثيرة وشرحها يطول جداً ..

وقد اعتقله مرة بعض نواب السلطان بالشام قليلا، بسبب قيامه على نصرانى سَبَّ الرسول ﷺ، واعتقل معه الشيخ زين الدين الفاروقى، ثم أطلقهما مكرمين.

ولما صنف المسألة «الحموية» فى الصفات: شنَّع بها جماعة، ونودى عليها فى الأسواق على قصبة، وأن لا يستفتى من جهة بعض القضاة الحنفية، ثم انتصر للشيخ بعض الولاة، ولم يكن فى البلد حينئذ نائب، وضُرب المنادى وبعض من معه، وسكن الأمر.

---

(١) سورة محمد : (٣٨).

(٢) سورة التوبة : (٣٩).

ثم امتحن سنة خمس وسبعمائة بالسؤال عن معتقده بأمر السلطان؛ فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، وأحضر الشيخ، وسأله عن ذلك، فبعث الشيخ من أحضر من داره «العقيدة الواسطية» فقرءوها فى ثلاث مجالس، وحاققوه، وبحثوا معه، ووقع الاتفاق بعد ذلك على أن هذه عقيدة سُنية سلفية، فمنهم من قال ذلك طوعًا، ومنهم من قاله كرهًا.

وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه: إنما قصدنا براءة ساحة الشيخ، وتبين لنا أنه على عقيدة السلف.

ثم إن المصريين دبروا الحيلة فى أمر الشيخ، ورأوا أنه لا يمكن البحث معه، ولكن يعقد له مجلس، ويُدَّعى عليه، وتقام عليه الشهادات، وكان القائمون فى ذلك منهم: بيبرس الجاشنكير، الذى تسلطن بعد ذلك، ونصر المنبجى وابن مخلوف قاضى المالكية، فُطلب الشيخ على البريد إلى القاهرة، وعُقد له ثانى يوم وصوله - وهو ثانى عشرين رمضان سنة خمس وسبعمائة - مجلس بالقلعة، وادُّعِى عليه عند ابن مخلوف قاضى المالكية، أنه يقول: إن الله تكلم بالقرآن بحرف وصوت، وأنه على العرش بذاته، وأنه يشار إليه بالإشارة الحسية.

وقال المدعى: أطلب تعزيره على ذلك التعزير البليغ - يشير إلى القتل على مذهب مالك - فقال القاضى: ماتقول يافقيه؟ فحمد الله وأثنى عليه، فقيل له: أسرع ما جئت لتخطب، فقال: أأُمنع من الثناء على الله تعالى؟ فقال القاضى:أجب، فقد حمدت الله تعالى. فسكت الشيخ، فقال: أجب. فقال الشيخ له: من هو الحاكم فىَّ؟ فأشاروا: القاضى هو الحاكم، فقال الشيخ لابن مخلوف: أنت خصمى، كيف تحكم فىَّ؟ وغضب، ومراده: إنى وإياك متنازعان فى هذه المسائل، فكيف يحكم أحد الخصمين على الآخر فيها؟ فأقيم الشيخ ومعه أخواه، ثم رد الشيخ، وقال : رضيت أن تحكم فىَّ، فلم يمكَّن من الجلوس، ويقال: إن أخاه الشيخ شرف الدين ابتهل، ودعا الله عليهم فى حال خروجهم، فمنعه الشيخ، وقال له: بل قل: اللهم هب لهم نورا يهتدون به إلى الحق.

ثم حبسوا فى بُرْج أياما، ونقلوا إلى الجب ليلة عيد الفطر، ثم بعث كتاب سلطانى إلى الشام بالحط على الشيخ، وإلزام الناس - خصوصا أهل مذهبه - بالرجوع عن عقيدته، والتهديد بالعزل والحبس، ونودى بذلك فى الجامع والأسواق. ثم قرئ الكتاب بسُدَّة الجامع بعد الجمعة، وحصل أذى كثير للحنابلة بالقاهرة، وحبس بعضهم، وأخذ خطوط بعضهم بالرجوع، وكان قاضيهم الحرانى قليل العلم.

ثم فى سلخ رمضان سنة ست: أحضر سلار - نائب السلطان بمصر - القضاة والفقهاء، وتكلم فى إخراج الشيخ، فاتفقوا على أنه يشترط عليه أمور، ويلزم بالرجوع عن بعض العقيدة، فأرسلوا إليه من يحضره، وليتكلموا معه فى ذلك، فلم يجب إلى الحضور، وتكرر الرسول إليه فى ذلك ست مرات، وصمم على عدم الحضور، فطال عليهم المجلس، فانصرفوا من غير شىء.

ثم فى آخر هذه السنة وصل كتاب إلى نائب السلطنة بدمشق من الشيخ، فأخبر بذلك جماعة ممن حضر مجلسه، وأثنى عليه: وقال: ما رأيت مثله، ولا أشجع منه. وذكر ما هو عليه فى السجن: من التوجه إلى الله تعالى، وأنه لا يقبل شيئا من الكسوة السلطانية، ولا من الأدرار السلطانى، ولا تدنس بشىء من ذلك.

ثم فى ربيع الأول من سنة سبع وسبعمائة دخل مهنا بن عيسى - أمير العرب - إلى مصر، وحضر بنفسه إلى السجن، وأخرج الشيخ منه، وبعد أن استأذن فى ذلك، وعقد للشيخ مجالس حضرها أكابر الفقهاء، وانفصلت على خير.

وذكر الذهبى والبرزالى وغيرهما: أن الشيخ كتب لهم بخطه مجملا من القول وألفاظًا فيها بعض مافيها، لما خاف وهدد بالقتل، ثم أطلق وامتنع من المجىء إلى دمشق. وأقام بالقاهرة يقرئ العلم، ويتكلم فى الجوامع والمجالس العامة، ويجتمع عليه خلق.

ثم فى شوال من السنة المذكورة: اجتمع جماعة كثيرة من الصوفية، وشكوا من الشيخ إلى الحاكم الشافعى، وعقد له مجلس لكلامه فى ابن عربى وغيره، وادعى

عليه ابن عطاء بأشياء، ولم يثبت منها شيئا، لكنه اعترف أنه قال: لا يستغاث بالنبى ﷺ، استغاثة بمعنى العبادة، ولكن يتوسل به، فبعض الحاضرين قال: ليس فى هذا شىء.

ورأى الحاكم ابن جماعة: أن هذا إساءة أدب، وعنفه على ذلك، فحضرت رسالة إلى القاضى: أن يعمل معه ما تقتضيه الشريعة فى ذلك، فقال القاضى: قد قلت له ما يقال لمثله.

ثم إن الدولة خيروه بين أشياء، وهى الإقامة بدمشق، أو بالإسكندرية بشروط، أو الحبس، فاختار الحبس. فدخل عليه أصحابه فى السفر إلى دمشق، ملتزما ما شرط عليه، فأجابهم، فأركبوه خيل البريد، ثم ردوه فى الغد، وحضر عند القاضى بحضور جماعة من الفقهاء، فقال له بعضهم: ما ترضى الدولة إلا بالحبس، فقال القاضى: وفيه مصلحة له، واستناب التونسى المالكى وأذن له أن يحكم عليه بالحبس، فامتنع، وقال : ماثبت عليه شىء ، فأذن لنور الدين الزواوى المالكى، فتحير، فقال الشيخ: أنا أمضى إلى الحبس، وأتبع ما تقتضيه المصلحة، فقال الزواوى المذكور: فيكون فى موضع يصلح لمثله، فقيل له: ما ترضى الدولة إلا بمسمى الحبس، فأرسل إلى حبس القاضى وأجلس فى الموضع الذى أجلس فيه القاضى تقى الدين ابن بنت الأعز لما حبس، وأذن أن يكون عنده من يخدمه.

وكان جميع ذلك بإشارة نصر المنبجى.

واستمر الشيخ فى الحبس يستفتى ويقصده الناس، ويزورونه، وتأتيه الفتاوى المشكلة من الأمراء وأعيان الناس.

وكان أصحابه يدخلون عليه أولاً سرًا، ثم شرعوا يتظاهرون بالدخول عليه، فأخرجوه فى سلطنة الششنكير الملقب بالمظفر، إلى الإسكندرية على البريد، وحبس فيها فى برج حسن مضىء متسع، يدخل عليه من شاء، ويمنع هو من شاء، ويخرج إلى الحمام إذا شاء، وكان قد أخرج وحده، وأرجف الأعداء بقتله وتفريقه

غير مرة، فضاقت بذلك صدور محبيه بالشام وغيره، وكثر الدعاء له. وبقى فى الإسكندرية مدة سلطنة المظفر.

فلما عاد الملك الناصر إلى السلطنة وتمكن، وأهلك المظفر، وحمل شيخه نصر المنبجى، واشتدت موجدة السلطان على القضاة لمداخلتهم المظفر، وعزل بعضهم: بادر بإحضار الشيخ إلى القاهرة مكرما فى شوال سنة تسع وسبعمائة، وأكرمه السلطان إكرامًا زائدًا، وقام إليه، وتلقاه فى مجلس حفل، فيه قضاة المصريين والشاميين، والفقهاء وأعيان الدولة. وزاد فى إكرامه عليهم، وبقى يُسارّه ويستشيره سويعة، وأثنى عليه بحضورهم ثناء كثيرا، وأصلح بينه وبينهم. ويقال: إنه شاوره فى أمرهم به فى حق القضاة، فصرفه عن ذلك، وأثنى عليهم، وأن ابن مخلوف كان يقول: ما رأينا أفتى من ابن تيمية، سعينا فى دمه، فلما قدر علينا عفا عنا.

واجتمع بالسلطان مرة ثانية بعد أشهر، وسكن الشيخ بالقاهرة، والناس يترددون إليه، والأمراء والجند، وطائفة من الفقهاء، ومنهم من يعتذر إليه ويتنصل مما وقع.

قال الذهبى: وفى شعبان سنة إحدى عشرة: وصل النبأ: أن الفقيه البكرى - أحد المبغضين للشيخ - استفرد بالشيخ بمصر، ووثب عليه، ونتش بأطواقه، وقال: احضر معى إلى الشرع، فلى عليك دعوى، فلما تكاثر الناس انملص، فطلب من جهة الدولة، فهرب واختفى.

وذكر غيره: أنه ثار بسبب ذلك فتنة، وأراد جماعة الانتصار من البكرى فلم يمكنهم الشيخ من ذلك.

واتفق بعد مدة: أن البكرى همّ السلطان بقتله، ثم رسم بقطع لسانه؛ لكثرة فضوله وجراءته، ثم شفع فيه، فنفى إلى الصعيد، ومنع من الفتوى بالكلام فى العلم، وكان الشيخ فى هذه المدة يقرىء العلم، ويجلس للناس فى مجالس عامة.

قدم إلى الشام هو وإخوته سنة اثنتى عشرة بنية الجهاد، لما قدم السلطان لكف التتر عن الشام، فخرج مع الجيش، وفارقهم من عسقلان، وزار البيت المقدس.

ثم دخل دمشق بعد غيبته عنها فوق سبع سنين، ومعه أخواه وجماعة من أصحابه، وخرج خلق كثير لتلقيه، وسُرَّ الناس بمقدمه، واستمر على ما كان عليه أولا، من إقراء العلم، وتدريسه بمدرسة السكرية، والحنبلية، وإفتاء الناس ونفعهم.

ثم فى سنة ثمان عشرة: ورد كتاب من السلطان بمنعه من الفتوى فى مسألة الحلف بالطلاق بالتكفير، وعقد له مجلس بدار السعادة، ومنع ذلك، ونودى به فى البلد.

ثم فى سنة تسع عشرة عقد له مجلس أيضا كالمجلس الأول، وقرىء كتاب السلطان بمنعه من ذلك، وعوتب على فتياه بعد المنع، وانفصل المجلس على تأكيد المنع.

ثم بعد مدة عقد له مجلس ثالث بسبب ذلك، وعوتب وحبس بالقلعة. ثم حبس لأجل ذلك مرة أخرى. ومنع بسببه من الفتيا مطلقا، فأقام مدة يفتى بلسانه، ويقول: لا يسعنى كتم العلم.

وفى آخر الأمر: دبروا عليه الحيلة فى مسألة المنع من السفر إلى قبور الأنبياء والصالحين، وألزموه من ذلك التنقص بالأنبياء، وذلك كفر، وأفتى بذلك طائفة من أهل الأهواء، وهم ثمانية عشر نفسا، رأسهم القاضى الإخنائى المالكى وأفتى قضاة مصر الأربعة بحبسه، فحبس بقلعة دمشق سنتين وأشهرًا. وبها مات - رحمه الله تعالى.

وقد بين - رحمه الله -: أن ماحكم عليه به باطل بإجماع المسلمين من وجوه كثيرة جداً، وأفتى جماعة بأنه يخطىء فى ذلك خطأ المجتهدين المغفور لهم، ووافقه جماعة من علماء بغداد، وغيرهم. وكذلك ابنا أبى الوليد شيخ المالكية بدمشق أفتيا: أنه لا وجه للاعتراض عليه فيما قاله أصلا، وأنه نقل خلاف العلماء فى المسألة، ورجح أحد القولين فيها.

وبقى مدة فى القلعة يكتب العلم ويصنفه، ويرسل إلى أصحابه الرسائل، ويذكر مافتح الله به عليه فى هذه المرة من العلوم العظيمة، والأحوال الجسيمة وقال: قد فتح الله علىَّ فى هذا الحصن فى هذه المرة من معانى القرآن، ومن أصول العلم بأشياء، كان كثير من العلماء يتمنونها، وندمت على تضييع أكثر أوقاتى في غير معانى القرآن، ثم إنه منع من الكتابة، ولم يترك عنده دواة ولا قلم ولا ورق، فأقبل على التلاوة والتهجد والمناجاة والذكر.

قال شيخنا أبو عبد الله ابن القيم: سمعت شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه، ونور ضريحه، يقول: إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة. قال : وقال لى مرة: ما يصنع أعدائى بى؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى، أين رحت فهى معى، لا تفارقنى، أنا حبسى خلوة، وقتلى شهادة، وإخراجى من بلدى سياحة.

وكان فى حبسه فى القلعة يقول: لو بذلت ملء هذه القلعة ذهبا ما عدل عندى شكر هذه النعمة - أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لى فيه من الخير - ونحو هذا.

وكان يقول فى سجوده، وهو محبوس: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ما شاء الله.

وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة، وصار داخل سورها نظر إليه، وقال ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴾[1].

قال شيخنا: وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط، مع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرجاف، وهو مع ذلك أطيب الناس عيشا، وأشرحهم صدرا، وأقواهم قلبا، وأسرهم نفسا، تلوح نضرة النعيم على وجهه. وكنا إذا اشتد بنا

---

(١) الحديد : (١٣).

الخوف وساءت بنا الظنون، وضاقت بنا الأرض : أتيناه، فما هو إلا أن نراه، ونسمع كلامه، فيذهب عنا ذلك كله، وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة. فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها فى دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها، والمسابقة إليها. ا هـ.

وأما تصانيفه ـ رحمه الله: فهى أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر. سارت مسير الشمس فى الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار. قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان لعد المعروف منها، ولا ذكرها.

ولنذكر نبذة من أسماء أعيان المصنفات الكبار: كتاب «الإيمان» مجلد، كتاب «الاستقامة» مجلدان، «جواب الاعتراضات المصرية على الفتاوى الحموية» أربع مجلدات، كتاب «تلبيس الجهمية فى تأسيس بدعهم الكلامية» فى ست مجلدات كبار، كتاب «المحنة المصرية» مجلدان، «المسائل الإسكندرانية» مجلد، «الفتاوى المصرية» سبع مجلدات.

وكل هذه التصانيف ماعدا كتاب «الإيمان» كتبه وهو بمصر فى مدة سبع سنين صنفها فى السجن. وكتب معها أكثر من مائة لَفَّة ورق أيضًا، كتاب «درء تعارض العقل والنقل» أربع مجلدات كبار، والجواب عما أورده للشيخ كمال الدين بن الشريشى على هذا الكتاب نحو مجلد كتاب، «منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية» أربع مجلدات، «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» مجلدان، «شرح أول المحصل للرازى» مجلد، «شرح بضعة عشر مسألة من الأربعين للرازى» مجلدان، «الرد على المنطق» مجلد كبير، «الرد على البكرى فى مسألة الاستغاثة» مجلد، «الرد على أهل كسروان الروافض» مجلدان، «الصفدية»، «جواب من قال: إن معجزات الأنبياء قوى نفسانية» مجلد، «الهلاونية» مجلد، «شرح عقيدة الأصبهانى» مجلد، «شرح العمدة» للشيخ موفق الدين؛ كتب منه نحو أربع مجلدات، «تعليقة على المحرر» فى الفقه لجده عدة مجلدات، «الصارم المسلول على شاتم الرسول» مجلد، «بيان الدليل على بطلان التحليل» مجلد، «اقتضاء الصراط المستقيم فى مخالفة أصحاب الجحيم» مجلد، «التحرير فى مسألة

حفير» مجلد فى مسألة من القسمة؛ كتبها اعتراضا على الخوى فى حادثة حكم فيها، «الرد الكبير على من اعترض عليه فى مسألة الحلف بالطلاق» ثلاث مجلدات، كتاب «تحقيق الفرقان بين التطليق والأيمان» مجلد كبير، «الرد على الإخنائى فى مسألة الزيارة» مجلد. وأما القواعد المتوسطة والصغار وأجوبة الفتاوى: فلا يمكن الإحاطة بها، لكثرتها وانتشارها وتفرقها. ومن أشهرها: «الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» مجلد لطيف، «الفرقان بين الحق والبطلان» مجلد لطيف، «الفرقان بين الطلاق والأيمان» مجلد لطيف، «السياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية» مجلد لطيف، «رفع الملام عن الأئمة الأعلام» مجلد لطيف.

ذكر نبذة من مفرداته وغرائبه

• اختار ارتفاع الحدث بالمياه المتعصرة؛ كماء الورد ونحوه، واختار جواز المسح على النعلين والقدمين، وكل ما يحتاج فى نزعه من الرجل إلى معالجة باليد أو بالرجل الأخرى، فإنه يجوز عنده المسح عليه مع القدمين.

• واختار أن المسح على الخفين لا يتوقف مع الحاجة؛ كالمسافر على البريد ونحوه، وفعل ذلك فى ذهابه إلى الديار المصرية على خيل البريد، ويتوقف مع إمكان النزع وتيسره.

• واختار جواز المسح على اللفائف ونحوها.

• واختار جواز التيمم لخشية فوات الوقت فى حق غير المعذور، كمن أخر الصلاة عمداً حتى تضايق وقتها، وكذا من خشى فوات الجمعة والعيدين وهو محدث، فأما من استيقظ أو ذكر فى آخر وقت الصلاة؛ فإنه يتطهر بالماء ويصلى؛ لأن الوقت متسع فى حقه.

• واختار أن المرأة إذا لم يمكنها الاغتسال فى البيت، أو شق عليها النزول إلى الحمام وتكرره؛ أنها تتيمم وتصلى.

• واختار أن لاحَدَّ لأقلِّ الحيض ولا لأكثره، ولا لأقلِّ الطهر بين الحيضتين، ولا لسنِّ الإياس من الحيض، وأن ذلك راجع إلى ماتعرفه كل امرأة من نفسها.

• واختار أن تارك الصلاة عمداً: لا يجب عليه القضاء. ولا يشرع له؛ بل يكثر من النوافل، وأن القصر يجوز فى قصير السفر وطويله، وأن سجود التلاوة لا يشترط له طهارة.

ذكــــر وفاتـــه

مكث الشيخ فى القلعة من شعبان سنة ست وعشرين إلى ذى القعدة سنة ثمان وعشرين، ثم مرض بضعة وعشرين يوما، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه، ولم يفجأهم إلا موته.

وكانت وفاته فى سحر ليلة الاثنين عشرين ذى القعدة، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة.

وذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع، وتكلم به الحرس على الأبراج، فتسامع الناس بذلك، وبعضهم أعلم به فى منامه، وأصبح الناس، واجتمعوا حول القلعة حتى أهل الغوطة والمرج، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئا، ولا فتحوا كثيرا من الدكاكين التى من شأنها أن تفتح أول النهار، وفتح باب القلعة.

وكان نائب السلطنة غائبا عن البلد، فجاء الصاحب إلى نائب القلعة، فعزاه به وجلس عنده، واجتمع عند الشيخ فى القلعة خلق كثير من أصحابه، يبكون ويثنون، وأخبرهم أخوه زين الدين عبد الرحمن: أنه ختم هو والشيخ منذ دخلا القلعة ثمانين ختمة، وشرعا فى الحادية والثمانين، فانتهيا إلى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ** ﴾[1].

---

(١) القمر: (٥٤ - ٥٥).

فشرع حينئذ الشيخان الصالحان: عبد الله بن المحب الصالحى، والزرعى الضرير - وكان الشيخ يحب قراءتهما - فابتدآ من سورة الرحمن حتى ختما القرآن. وخرج الرجال، ودخل النساء من أقارب الشيخ، فشاهدوه ثم خرجوا، واقتصروا على من يغسله، ويساعد على تغسيله، وكانوا جماعة من أكابر الصالحين وأهل العلم، كالمزى وغيره، ولم يفرغ من غسله حتى امتلأت القلعة بالرجال وما حولها إلى الجامع، فصلى عليه بدركات القلعة؛ الزاهد القدوة محمد ابن تمام، وضج الناس حينئذ بالبكاء والثناء، وبالدعاء والترحم.

وأخرج الشيخ إلى جامع دمشق فى الساعة الرابعة أو نحوها، وكان قد امتلأ الجامع وصحنه، والكلاسة، وباب البريد، وباب الساعات، إلى الميادين والفوارة. وكان الجمع أعظم من جمع الجمعة، ووضع الشيخ فى موضع الجنائز، مما يلى المقصورة، والجند يحفظون الجنازة من الزحام، وجلس الناس على غير صفوف، بل مرصوصين، لا يتمكن أحد من الجلوس والسجود إلا بكلفة. وكثر الناس كثرة لا توصف.

فلما أذن المؤذن الظهر أقيمت الصلاة على السدة، بخلاف العادة، وصلوا الظهر، ثم صلوا على الشيخ، وكان الإمام نائب الخطابة علاء الدين ابن الخراط لغيبة القزوينى بالديار المصرية، ثم ساروا به، والناس فى بكاء ودعاء وثناء، وتهليل وتأسف، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يدعين ويبكين أيضا. وكان يوما مشهودًا، لم يعهد بدمشق مثله، ولم يتخلف من أهل البلد وحواضره إلا القليل من الضعفاء والمخدَّرات[1]، وصرخ صارخ: هكذا تكون جنائز أئمة أهل السنة، فبكا الناس بكاء كثيرا عند ذلك.

وأخرج من باب البريد، واشتد الزحام، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم، وصار النعش على الرءوس، يتقدم تارة، ويتأخر أخرى. وخرج الناس من أبواب الجامع كلها وهى مزدحمة. ثم من أبواب المدينة كلها؛ لكن كان المعظم

(١) المخدَّرات ذوات الخِدْر : أى الستر.

من باب الفرج، ومنه خرج الجنازة، وباب الفراديس، وباب النصر، وباب الجابية، وعظم الأمر بسوق الخيل. وتقدم فى الصلاة عليه هناك: أخوه زين الدين عبد الرحمن.

ودفن وقت العصر أو قبلها بيسير إلى جانب أخيه شرف الدين عبدالله بمقابر الصوفية، وحُزِر الرجال: بستين ألفًا وأكثر؛ إلى مائتى ألف، والنساء بخمسة عشر ألفا، وظهر بذلك قول الإمام أحمد: بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز.

وختم له ختمات كثيرة بالصالحية والمدينة، وتردد الناس إلى زيارة قبره أياما كثيرة، ليلا ونهارا، ورئيت له منامات كثيرة صالحة، ورثاه خلق كثير من العلماء والشعراء بقصائد كثيرة من بلدان شتى، وأقطار متباعدة، وتأسف المسلمون لفقده ـ رضى الله عنه ورحمه، وغفر له.

وصلى عليه صلاة الغائب فى غالب بلاد الإسلام القريبة والبعيدة، حتى فى اليمن والصين، وأخبر المسافرون: أنه نودى بأقصى الصين للصلاة عليه يوم جمعة: «الصلاة على ترجمان القرآن».

وقد أفرد الحافظ أبو عبد الله ابن عبد الهادى له ترجمة فى مجلدة، وكذلك أبو حفص عمر بن علىّ البزار البغدادى فى كراريس. وإنما ذكرناها هنا على وجه الاقتصار ما يليق بتراجم هذا الكتاب.

وقد حدث الشيخ كثيرا، وسمع منه خلق من الحفاظ والأئمة من الحديث، ومن تصانيفه، وخرج له ابن الوانى أربعين حديثاً حدث بها.

ملحق رقم (٢)
ترجمة ابن تيمية
من «البداية والنهاية» لابن كثير

ملحق رقم (٢)
ترجمة ابن تيمية
من «البداية والنهاية» لابن كثير

ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وسبعمائة[1]

فى ذى القعدة منها كانت وفاة شيخ الإسلام أبى العباس أحمد بن تيمية - قدس الله روحه - كما ستأتى ترجمة وفاته فى الوفيات - إن شاء الله تعالى.

وفى يوم الاثنين تاسع جمادى الآخرة أخرج ما كان عند الشيخ تقى الدين ابن تيمية من الكتب والأوراق والدواة والقلم، ومنع من الكتب والمطالعة، وحملت كتبه فى مستهل رجب إلى خزانة الكتب بالعادلية الكبيرة. قال البرزالى: وكانت نحو ستين مجلدًا، وأربع عشرة ربطة كراريس، فنظر القضاة والفقهاء فيها وتفرقوها بينهم، وكان سبب ذلك أنه أجاب لما كان رد عليه التقى ابن الأخنائى المالكى فى مسألة الزيارة، فرد عليه الشيخ تقى الدين واستجهله، وأعلمه أنه قليل البضاعة فى العلم، فطلع الأخنائى إلى السلطان وشكاه، فرسم السلطان عند ذلك بإخراج ما عنده من ذلك وكان ما كان - كما ذكرنا.

وفاة شيخ الإسلام أبى العباس تقى الدين أحمد بن تيمية

قال الشيخ علم الدين البرزالى فى تاريخه: وفى ليلة الاثنين العشرين من ذى القعدة توفى الشيخ الإمام، العالم العلم العلامة، الفقيه الحافظ، الزاهد العابد المجاهد القدوة، شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد ابن شيخنا الإمام العلامة المفتى شهاب الدين أبى المحاسن عبد الحليم ابن الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبى البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبى القاسم محمد بن الخضر

(١) اكتفينا بما ذكره ابن كثير عن وفاة ابن تيمية وترجمته فى هذه السنة، وحذفنا بقية الأحداث لعدم تعلقها بموضوعنا.

ابن محمد بن الخضر بن على بن عبد الله ابن تيمية الحرانى ثم الدمشقى، بقلعة دمشق، بالقاعة التى كان محبوسا بها، وحضر جمع كثير إلى القلعة وأذن لهم فى الدخول عليه، وحبس جماعة عنده قبل الغسل، وقرأوا القرآن، وتبركوا برؤيته وتقبيله، ثم انصرفوا، ثم حضر جماعة من النساء ففعلن مثل ذلك ثم انصرفن، واقتصروا على من يغسله، فلما فرغ من غسله أخرج، ثم اجتمع الخلق بالقلعة، والطريق إلى الجامع، وامتلأ الجامع أيضاً وصحنه، والكلاسة وباب البريد، وباب الساعات إلى باب اللبادين والغوارة، وحضرت الجنازة فى الساعة الرابعة من النهار أو نحو ذلك، ووضعت فى الجامع، والجند قد احتاطوا بها، يحفظونها من الناس من شدة الزحام، وصلى عليه أولا بالقلعة، تقدم فى الصلاة عليه أولا الشيخ محمد بن تمام، ثم صلى عليه بالجامع الأموى عقيب صلاة الظهر، وقد تضاعف اجتماع الناس على ما تقدم ذكره، ثم تزايد الجمع إلى أن ضاقت الرحاب والأزقة والأسواق بأهلها ومن فيها، ثم حمل بعد أن صلى عليه على الرءوس والأصابع، وخرج النعش به من باب البريد، واشتد الزحام، وعلت الأصوات بالبكاء والنحيب والترحم عليه،والثناء والدعاء له، وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم وثيابهم، وذهبت النعال من أرجل الناس وقباقيبهم ومناديلهم وعمائمهم، لا يلتفتون إليها لشغلهم بالنظر إلى الجنازة، وصار النعش على الرءوس تارة يتقدم وتارة يتأخر، وتارة يقف حتى يمر الناس، وخرج الناس من الجامع من أبوابه كلها، وهى شديدة الزحام، كل باب أشد زحمة من الآخر، ثم خرج الناس من أبواب البلد جميعها من شدة الزحام فيها، لكن كان معظم الزحام من الأبواب الأربعة: باب الفرج الذى أخرجت منه الجنازة، وباب الفراديس، وباب النصر، وباب الجابية، وعظم الأمر بسوق الخيل، وتضاعف الخلق، وكثر الناس، ووضعت الجنازة هناك، وتقدم للصلاة عليه هناك أخوه زين الدين عبد الرحمن، فلما قضيت الصلاة حمل إلى مقبرة الصوفية، فدفن إلى جانب أخيه شرف الدين عبدالله ـ رحمهما الله، وكان دفنه قبل العصر بيسير، وذلك من كثرة من يأتى ويصلى عليه من أهل البساتين وأهل الغوطة وأهل القرى وغيرهم، وأغلق الناس حوانيتهم، ولم يتخلف عن الحضور إلا من هو عاجز عن الحضور، مع الترحم

والدعاء له وأنه لو قدر ما تخلف، وحضر نساء كثيرات بحيث حزرن بخمسة عشر ألف امرأة، غير اللاتى كن على الأسطحة وغيرهن، الجميع يترحمن ويبكين عليه فيما قيل، وأماالرجال فحزروا بستين ألفا إلى مائة ألف، إلى أكثر من ذلك إلى مائتى ألف، وشرب جماعة الماء الذى فضل من غسله، واقتسم جماعة بقية السدر الذى غسل به ودفع فى الخيط الذى كان فيه الزئبق الذى كان فى عنقه بسبب القمل مائة وخمسون درهماً، وقيل إن الطاقية التى كانت على رأسه دفع فيها خمسمائة درهما، وحصل فى الجنازة ضجيج وبكاء كثير، وتضرع، وختمت له ختمات كثيرة بالصالحية وبالبلد، وتردد الناس إلى قبره أياما كثيرة، ليلاً ونهاراً يبيتون عنده ويصبحون، ورؤيت له منامات صالحة كثيرة، ورثاه جماعة بقصائد جمة.

وكان مولده يوم الاثنين عاشر ربيع الأول بحران، سنة إحدى وستين وستمائة، وقدم معه والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، فسمع الحديث من ابن عبدالدائم، وابن أبى اليسر، وابن عبدان، والشيخ شمس الدين ابن الحنبلى، والشيخ شمس الدين ابن عطاء الحنفى، والشيخ جمال الدين ابن الصيرفى، ومجد الدين ابن عساكر، والشيخ جمال الدين البغدادى، والنجيب بن المقداد، وابن أبى الخير، وابن علان، وابن أبى بكر اليهودى، والكمال عبد الرحيم، والفخر على، وابن شيبان، والشرف ابن القواس، وزينب بنت مكى، وخلق كثير سمع منهم الحديث، وقرأ بنفسه الكثير، وطلب الحديث، وكتب الطباق والإثبات، ولازم السماع بنفسه مدة سنين، وقل أن سمع شيئا إلا حفظه، ثم اشتغل بالعلوم، وكان ذكيا كثير المحفوظ، فسار إماما فى التفسير وما يتعلق به، عارفا بالفقه، فيقال: إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا فى زمانه وغيره، وكان عالما باختلاف العلماء، عالما فى الأصول والفروع، والنحو واللغة، وغير ذلك من العلوم النقلية والعقلية، وما قطع فى مجلس ولا تكلم معه فاضل فى فن من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه، ورآه عارفا به متقنا له، وأما الحديث فكان حامل رايته، حافظا له، مميزا بين صحيحه وسقيمه، عارفا برجاله متضلعًا من ذلك، وله تصانيف كثيرة، وتعاليق

مفيدة فى الأصول والفروع، كمل منها جملة وبيضت وكتبت عنه، وقرئت عليه أو بعضها، وجملة كبيرة لم يكملها، وجملة كملها ولم تبيض إلى الآن، وأثنى عليه وعلى علومه وفضائله جماعة من علماء عصره، مثل القاضى الخوبى، وابن دقيق العيد، وابن النحاس، والقاضى الحنفى قاضى قضاة مصر ابن الحريرى، وابن الزملكانى وغيرهم، ووجدت بخط ابن الزملكانى أنه قال: اجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها، وأن له اليد الطولى فى حسن التصنيف، وجودة العبارة، والترتيب والتقسيم، والتدين، وكتب على تصنيف له هذه الأبيات:

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلَّتْ عن الحصر
هو حجة لله قاهرة ... هو بيننا أُعجوبة الدهر
هو آية للخلق ظاهرة ... أنوارها أربت على الفجر

وهذا الثناء عليه، وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة، وكان بينى وبينه مودة وصحبة من الصغر، وسماع الحديث والطلب من نحو سنة، وله فضائل كثيرة، وأسماء مصنفاته، وسيرته، وما جرى بينه وبين الفقهاء والدولة، وحبسه مرات، وأحواله لا يحتمل ذكر جميعها هذا الموضع، وهذا الكتاب.

ولما مات كنت غائبا عن دمشق بطريق الحجاز، ثم بلغنا خبر موته بعد وفاته بأكثر من خمسين يوما لما وصلنا إلى تبوك، وحصل التأسف لفقده - رحمه الله تعالى، هذا لفظه فى هذا الموضع من تاريخه.

ثم ذكر الشيخ علم الدين بعد إيراد هذه الترجمة جنازة أبى بكر بن داود وعظمها، وجنازة الإمام أحمد ببغداد وشهرتها، وقال الإمام أبو عثمان الصابونى: سمعت أبا عبد الرحمن السيوفى يقول: حضرت جنازة أبى الفتح القواس الزاهد مع الشيخ الحسن الدارقطنى، فلما بلغ إلى ذلك الجمع العظيم أقبل علينا وقال: سمعت أبا سهل بن زياد القطان يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : سمعت أبى يقول: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم الجنائز، قال: ولا شك أن جنازة أحمد بن حنبل كانت هائلة عظيمة، بسبب كثرة أهل بلده واجتماعهم لذلك، وتعظيمهم له، وأن الدولة كانت تحبه، والشيخ تقى الدين ابن تيمية - رحمه الله -

توفى ببلدة دمشق، وأهلها لا يعشرون أهل بغداد حينئذ كثرة، ولكنهم اجتمعوا لجنازته اجتماعا لو جمعهم سلطان قاهر، وديوان حاضر لما بلغوا هذه الكثرة التى اجتمعوها فى جنازته، وانتهوا إليها، هذا مع أن الرجل مات بالقلعة محبوسا من جهة السلطان، وكثير من الفقهاء والفقراء يذكرون عنه للناس أشياء كثيرة، مما ينفر منها طباع أهل الأديان، فضلا عن أهل الإسلام، وهذه كانت جنازته.

قال: وقد اتفق موته فى سحر ليلة الاثنين المذكور، فذكر ذلك مؤذن القلعة على المنارة بها، وتكلم به الحراس على الأبرجة، فما أصبح الناس إلا وقد تسامعوا بهذا الخطب العظيم والأمر الجسيم، فبادر الناس على الفور إلى الاجتماع حول القلعة، من كل مكان أمكنهم المجىء منه، حتى من الغوطة والمرج، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئا، ولا فتحوا كثيرا من الدكاكين التى من شأنها أن تفتح أوائل النهار على العادة، وكان نائب السلطنة تنكز قد ذهب يتصيد فى بعض الأمكنة، فحارت الدولة ماذا يصنعون، وجاء الصاحب شمس الدين غبريال نائب القلعة فعزاه فيه، وجلس عنده، وفتح باب القلعة لمن يدخل من الخواص والأصحاب والأحباب، فاجتمع عند الشيخ فى قاعته خلق من أخصاء أصحابه من الدولة، وغيرهم من أهل البلد والصالحية، فجلسوا عنده يبكون ويثنون؛ على مثل ليلى يقتل المرء نفسه، وكنت فيمن حضر هناك مع شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزى - رحمه الله، وكشفت عن وجه الشيخ، ونظرت إليه وقبلته، وعلى رأسه عمامة بعذب مغروزة، وقد علاه الشيب أكثر مما فارقناه، وأخبر الحاضرين أخوه زين الدين عبد الرحمن أنه قرأ هو والشيخ منذ دخل القلعة ثمانين ختمة وشرعا فى الحادية والثمانين، فانتهينا فيها إلى آخر اقتربت الساعة ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ**﴾[1]، فشرع عند ذلك الشيخان الصالحان الخيران عبد الله بن المحب، وعبد الله الزرعى الضرير - وكان الشيخ رحمه الله يحب قراءتهما - فابتدآ من أول سورة الرحمن حتى ختموا القرآن، وأنا حاضر أسمع وأرى.

---

(١) القمر: (٥٤ - ٥٥).

ثم شرعوا فى غسل الشيخ، وخرجت إلى مسجد هناك، ولم يدعوا عنده إلا من ساعد فى غسله، منهم شيخنا الحافظ المزى، وجماعة من كبار الصالحين الأخيار، أهل العلم والإيمان، فما فرغ منه حتى امتلأت القلعة، وضج الناس بالبكاء، والثناء والدعاء والترحم، ثم ساروا به إلى الجامع، فسلكوا طريق العمادية على العادلية الكبيرة، ثم عطفوا على ثلث الناطفانيين، وذلك أن سويقة باب البريد كانت قد هدمت لتصلح، ودخلوا بالجنازة إلى الجامع الأموى، والخلائق فيه بين يدى الجنازة، وخلفها، وعن يمينها وشمالها، ما لايحصى عدته إلا الله تعالى، فصرخ صارخ، وصاح صائح: هكذا تكون جنائز أئمة السنة، فتباكى الناس، وضجوا عند سماع هذا الصارخ، ووضع الشيخ فى موضع الجنائز مما يلى المقصورة، وجلس الناس من كثرتهم وزحمتهم على غير صفوف، بل مرصوصين رصا، لا يتمكن أحد من السجود إلا بكلفة جو الجامع، وبرى الأزقة والأسواق، وذلك قبل آذان الظهر بقليل، وجاء الناس من كل مكان، ونوى خلق الصيام لأنهم لا يتفرغون فى هذا اليوم لأكل ولا لشرب، وكثر الناس كثرة لا تحد ولاتوصف، فلما فرغ من آذان الظهر أقيمت الصلاة عقبه على السدة خلاف العادة، فلما فرغوا من الصلاة خرج نائب الخطيب لغيبة الخطيب بمصر فصلى عليه إماماً، وهو الشيخ علاء الدين الخراط، ثم خرج الناس من كل مكان من أبواب الجامع، والبلد كما ذكرنا، واجتمعوا بسوق الخيل، ومن الناس من تعجل بعد أن صلى فى الجامع إلى مقابر الصوفية، والناس فى بكاء وتهليل، فى مخافته كل واحد بنفسه وفى ثناء وتأسف، والنساء فوق الأسطحة من هناك إلى المقبرة يبكين، ويدعين ويقلن هذا العالم.

وبالجملة كان يوما مشهودا لم يعهد مثله بدمشق، إلا أن يكون فى زمن بنى أمية، حين كان الناس كثيرين، وكانت دار الخلافة، ثم دفن عند أخيه قريبا من

أذان العصر على التحديد، ولا يمكن أحد حصر من حضر الجنازة، وتقريب ذلك أنه عبارة عمن أمكنه الحضور من أهل البلد وحواضره، ولم يتخلف من الناس إلا القليل من الصغار والمخدرات، وما علمت أحداً من أهل العلم - إلا النفر اليسير - تخلف عن الحضور فى جنازته، وهم ثلاثة أنفس: وهم ابن حملة، والصدر، والقفجارى، وهؤلاء كانوا قد اشتهروا بمعاداته، فاختفوا من الناس خوفا على أنفسهم، بحيث إنهم علموا متى خرجوا قتلوا وأهلكهم الناس، وتردد شيخنا الإمام العلامة برهان الدين الفزارى إلى قبره فى الأيام الثلاثة، وكذلك جماعة من علماء الشافعية، وكان برهان الدين الفزارى يأتى راكبا على حماره، وعليه الجلالة والوقار - رحمه الله.

وعملت له ختمات كثيرة ورؤيت له منامات صالحة عجيبة، ورثى بأشعار كثيرة وقصائد مطولة جداً، وقد أفردت له تراجم كثيرة، وصنف فى ذلك جماعة من الفضلاء وغيرهم، وسألخص من مجموع ذلك ترجمة وجيزة فى ذكر مناقبه، وفضائله، وشجاعته، وكرمه ونصحه، وزهادته، وعبادته، وعلومه المتنوعة الكثيرة المجودة، وصفاته الكبار والصغار، التى احتوت على غالب العلوم، ومفرداته فى الاختيارات التى نصرها بالكتاب والسنة وأفتى بها.

وبالجملة كان - رحمه الله - من كبار العلماء، وممن يخطىء ويصيب، ولكن خطأه بالنسبة إلى صوابه، كنقطة فى بحر لجى، وخطؤه أيضًا مغفور له، كما فى صحيح البخارى: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»؛ فهو مأجور، وقال الإمام مالك بن أنس: كل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا صاحب هذا القبر.

قائمة المصادر والمراجع

اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة والتحقيق
الآمدى وآراؤه الكلامية	د. حسن الشافعى	الطبعة الأولى - دار السلام سنة ١٩٩٨م
الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية	عبد الرءوف المناوى	ط. محمد على صبيح - الأزهر
الاستيعاب فى أسماء الأصحاب	أبو عمر يوسف بن عبدالبر	ط. دار الكتاب العربى - بيروت
الإصابة فى تمييز الصحابة	أحمد بن على بن محمد ابن حجر العسقلانى - الشافعى	ط. دار الكتاب العربى - بيروت سنة ١٩٨٨م
الأعلام	خير الدين الزركلى	ط. دار العلم للملايين سنة ١٩٩٢م
إعلام الموقعين عن رب العالمين	شمس الدين محمد بن أبى بكر، ابن قيم الجوزية	ط. المكتبة التجارية الكبرى - الطبعة الأولى ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م - تحقيق محمد محيى الدين عبدالحميد
إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان	ابن قيم الجوزية	ط. مصطفى الحلبى

اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة والتحقيق
البداية والنهاية	عماد الدين، أبوالفداء، إسماعيل بن عمر، ابن كثير	ط. دار الفكر العربى
البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع	محمد بن على الشوكانى	جزءان - مطبعة السعادة بمصر
إلجام العوام عن علم الكلام	محمد بن أحمد، الغزالى (أبو حامد)	ط. المنيرية - القاهرة (مجموعة القصور العوالى)
الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة	أحمد بن حجر العسقلانى	ط. دار الكتب العلمية - بيروت
الذيل على طبقات الحنابلة	زين الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين، ابن رجب الحنبلى (ت٧٩٥هـ)	ط. دار إحياء الكتب العربية - الطبعة الأولى سنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م تحقيق/ محمد حامد الفقى
الرسالة المحمدية	أحمد بن عبدالحليم، ابن تيمية	ط. المطبعة المنيرية
الشهادة الزكية فى ثناء الأئمة على ابن تيمية	مرعى بن يوسف الحنبلى	ط. دار الفرقان - بيروت تحقيق/نجم عبدالرحمن خلف
الطبقات الكبرى	عبد الوهاب الشعرانى	ط. محمد على صبيح وأولاده بالأزهر - القاهرة - بدون تاريخ

اسم الكتاب	المؤلـــف	الطبعة والتحقيق
العبر فى خبر من غبر	محمد بن أحمد ، شمس الدين الذهبى	ط. دار الكتب العلمية - بيروت - تحقيق/ سعيد زغلول (أبوهاجر)
العقيدة النظامية	عبد الملك بن محمد، الجوينى	ط. الخانجى - تحقيق/ محمد زاهد الكوثرى
الفتاوى الكبرى	أحمد بن عبد الحليم، ابن تيمية	ط. دار الكتب الحديثة بتصحيح وعناية الشيخ حسنين مخلوف
الفَرْق بين الفِرَق	عبدالقاهر بن طاهر، البغدادى	ط. دار المعارف ١٩١٠م تحقيق/ محمد بدر
الفصل فى الملل والأهواء والنحل	على بن محمد، ابن حزم	ط. المثنى - بغداد ١٩٥٠م
الفهرست	محمد بن إسحاق ، ابن النديم	ط. من سلسلة روائع التراث العربى - لبنان
القاموس المحيط	محمد بن يعقوب الفيروز آبادى	ط. دار الفكر - الطبعة الثالثة
الكامل فى التاريخ	على بن أبى الكرم، ابن الأثير	ط. دار صادر ١٩٧٩م
الكتاب التذكاري لمحيى الدين ابن عربى	أبو الوفا التفتازانى	ط. ١٩٦٩م
المستدرك على الصحيحين	محمد بن عبد الله ، الحاكم النيسابورى	ط. دار الكتب العلمية - بيروت

اسم الكتاب	المؤلـــف	الطبعة والتحقيق
المسند	أحمد بن محمد، ابن حنبل	ط. دار المعـــــــارف - الطبعـة الثـالثـة ١٩٤٩م بتحقيق الشيخ/ أحمد محمد شاكر
المسند	أحمد بن محمد، ابن حنبل	ط. دار إحـيـاء التـراث العربى - بيروت
الملل والنحل	محمد بن عبد الكريم ، الشهرستانى	ط. الأزهر ١٩٦٦م
المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم	جمال الدين، أبوالفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى	ط. دائرة المعـــــارف العثمانية حيدر آباد - الطبعة الأولى ١٣٥٨هـ
المنقذ من الضلال	مـحـمـد بن أحـمـد، الغزالى، أبوحامد	ط. دار الكتب الحديثة - القاهرة ١٩٧٠م
الموطأ	مالك بن أنس	ط. عيسى الحلبى - تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقى
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة	يوسف بن عبد الله بن تغرى بردى	ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر
النهـــاية فى غـــريب الحديث والأثر	مجدالدين أبو السعادات المبارك ابن محمد الجزرى، ابن الأثير	ط. المكتبة الإسلامية
الوافى بالوفيات	خليل بن أيبك الصفدى	ط. فـرانز شـتـاينر - الطبعة الثانية ١٩٨١م

اسم الكتاب	المؤلــف	الطبعة والتحقيق
تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام	شمس الدين محمد بن أحمد ابن عثمان الذهبى	ط. دار الكتاب العربى - بيروت سنة ١٩٨٧م
تاريخ بغداد	الحافظ أبو بكر أحمد بن على، الخطيب البغدادى	ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
تراجم رجال القرنين السادس والسابع	أبو شامة الشافعى	ط. دار الجيل - بيروت - تحقيق/ السيد عزت العكار
تفسير (ابن كثير) (تفسير القرآن العظيم)	عماد الدين بن إسماعيل، ابن كثير	ط. عيسى الحلبى - القاهرة
تفسير الطبرى (جامع البيان فى تفسير القرآن)	محمد بن جرير، الطبرى	ط. دار الريان للتراث - القاهرة
تفسير سورة الإخلاص	تقى الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية (٧٢٨هـ)	ط. مكتبة القاهرة - بدون تاريخ - تحقيق/ طه يوسف شاهين
تلبيس إبليس	أبو الفرج عبدالرحمن بن على ابن الجوزى (٥٩٧هـ)	ط. مكتبة القرآن الكريم بالقاهرة - الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
تهذيب الكمال فى أسماء الرجال	جمال الدين أبو الحجاج بن يوسف المِزِّى	ط. مؤسسة الرسالة - بيروت - سنة ١٩٨٥م
حلية الأولياء	الحافظ أبو نعيم، أحمد بن عبدالله الأصفهانى (٤٣٠هـ)	ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان سنة ١٩٨٨م
حياة ابن تومرت ومذهبه	عبد الله كنون	القاهرة ١٩٧٦م

اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة والتحقيق
درء تعارض العقل والنقل	أحمد بن عبد الحليم ، ابن تيمية	ط. دار الكتب ١٩٧٣م - تحقيق/ د. محمد رشاد سالم
دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية	د. محمد السيد الجليند	ط. مؤسسة علوم القرآن - دمشق - بيروت - الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
ديوان عبدالله بن رواحة (دراسة فى سيرته وشعره)	د. وليد القصاب	ط. دار الضياء - الأردن ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
رفع الملام عن الأئمة الأعلام	أحمد بن عبد الحليم ، ابن تيمية	ط. الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد - الرياض - السعودية - سنة ١٤١٣هـ
سلسلة الأحاديث الصحيحة	محمد بن ناصر الدين ، الألبانى	ط. المكتب الإسلامى - بيروت سنة ١٩٧٢م
سنن ابن ماجة	محمد بن يزيد، القزمينى	ط. دار الحديث - تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقى
سنن أبى داود	سليمان بن الأشعث، أبو داود	ط. دار إحياء التراث العربى - لبنان
سنن الترمذى	محمد بن عيسى، الترمذى	ط. دار الفكر - بيروت ١٩٨٣م - تحقيق/ عبدالوهاب عبداللطيف

اسم الكتاب	المؤلـــف	الطبعة والتحقيق
سنن الدارمى	محمد بن عبدالله، الدارمى	ط. دار الاعتدال - دمشق ١٤٣٩هـ
سنن النسائى	أحمد بن شعيب، النسائى	ط. دار الكتب العلمية - بيروت
شذرات الذهب فى أخبار من ذهب	عبدالحى بن العماد الحنبلى - العسقلانى	ط. دار الكتب العلمية - بيروت - بدون تاريخ
شرح العقيدة الأصفهانية	أحمد بن عبد الحليم ، ابن تيمية	ط. دار الكتب الحديثة - بدون تاريخ بتقديم الشيخ حسنين مخلوف
صحيح ابن حبان	علاء الدين بن أحمد بن محمد الفارسى	ط. دار المعارف - القاهرة بدون تاريخ تحقيق/ أحمد محمد شاكر
صحيح الجامع الصغير	محمد بن ناصر الدين، الألبانى	ط. المكتب الإسلامى - بيروت ١٩٩٠م
صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام	جلال الدين بن عبدالرحمن ابن محمد، السيوطى	ط. سلسلة إحياء التراث الإسلامى - القاهرة - الطبعة الثانية سنة ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م - تحقيق/ د. على سامى النشار والسيدة سعاد على عبد الرازق
طبقات الشافعية	عبد الوهاب بن على، السبكى	ط. الحلبى - تحقيق/ د.محمود الطناحى، د.عبدالفتاح الحلو

اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة والتحقيق
عون المعبود شرح سنن أبى داود	أبوالطيب محمد، شمس الحق العظيم آبادى	ط. المكتبة السلفية بالمدينة المنورة - تحقيق/ عبدالرحمن محمد عثمان
فتح البارى بشرح صحيح البخارى	أحمد بن على بن حجر العسقلانى	ط. دار الكتب العلمية - بيروت بدون تاريخ - تحقيق/ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز
فوات الوفيات والذيل عليها	محمد بن شاكر ، الكتبى	ط. دار صادر - بيروت - تحقيق/ د. إحسان عباس
كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس	إسماعيل بن محمد، العجلونى	ط. مكتبة عباس أحمد الباز - المروة - مكة المكرمة
كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون	مصطفى بن عبدالله القسطنطنى - المعروف بحاجى خليفة	ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بدون تاريخ
لسان العرب	محمد بن مكرم، ابن منظور	ط. دار صادر - بيروت
مجموع الرسائل والمسائل	أحمد بن عبد الحليم ، ابن تيمية	ط. المنار - القاهرة ١٩٣٢م
مجموع الفتاوى	أحمد بن عبد الحليم ، ابن تيمية	ط. الرياض - جمع وترتيب عبدالرحمن بن محمد النجدى

اسم الكتاب	المؤلف	الطبعة والتحقيق
مخطوطات ابن سينا	أمين مرسى قنديل	ط. دار الكتب المصرية ١٩٥٠م
مسند البزَّار	أحمد بن عمرو بن عبدالخالق، البزَّار	ط. مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة - الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م - تحقيق/ د. محفوظ عبدالرحمن زين الله
مسند الطيالسى	سليمان بن داود الجارود الفارسى الطيالسى	ط. دار الكتاب - بيروت ١٣٢١هـ
مفتاح السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم	أحمد بن مصطفى ، الشهير بطاش كبرى زاده	ط. دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان
مقالات الإسلاميين	على بن إسماعيل، الأشعرى	ط. استنبول ١٩٢٩م - تحقيق ريتز
مناقب الإمام أحمد	جمال الدين، أبوالفرج عبدالرحمن بن على بن الجوزى	ط. دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطبعة الأولى ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م تحقيق/ عادل نويهض
منهاج السنة النبوية	أحمد بن عبد الحليم ، ابن تيمية	ط. مكتبة ابن تيمية ١٩٨٩م تحقيق/ د. محمد رشاد سالم
ميزان الاعتدال	محمد بن أحمد، شمس الدين الذهبى	ط. المنيرية - القاهرة

اسم الكتاب	المؤلـــف	الطبعة والتحقيق
نفح الطيب من غـــصن الأندلس الرطيب	أحـمـد بن مـحـمـد بن على المقرى التلمسانى	ط. دار صـــادر - بيـــروت ١٩٨٨م تحقيق/ إحسان عباس
نهـــاية الإقـــدام فى علم الكلام	مـحـمـد بن عـبـدالكريم، الشهرستانى	ط. المثنى - بغداد، ١٩٣٤م تصحيح/ ألفريد جيوم

الفهـــارس

الفهـــارس

فهرس الآيات القرآنية

●●●

سورة البقرة

ســـورة آل عمـــران

ســورة النســاء

ســورة المائدة

سورة هــود

ســـورة يوسف

الآيـــة	رقمها	الصفحة
ســـورة آلنحـــل		
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون .... الآية	٣٢	١١٧
والذين هاجـروا فى الله .... الآية	٤٢:٤١	١٩٨
يخافون ربهم من فوقهم .... الآية	٥٠	١٤١
وجادلهم بالتى هى أحسن .... الآية	١٢٥	٩٣
ســـورة الإســـراء		
وقل لعبـادى يقولوا التى هـى أحسن .... الآية	٥٣	٣٧٨
ســـورةمـــريم		
هل تعلم له سميًا .	٦٥	٢٥٦,١٤٨
ســـورة طـــه		
الرحمن على العرش استوى .	٥	٢٦٦,١٤١,١٣٩
ليس كمـثله شىء .... الآية	١١	١٣٩
ولا يحيطون به علما .	١١٠	١٣٩
ســـورة آلأنبياء		
أو لم ير الذين كفروا .... الآية	٣٠	٩

الآيــة	رقمها	الصفحــة

ســـورة آلأحـــزاب

فهرس الأحاديث النبوية

الحـــديث	الصفحة
(حرف الألف)	
آمن شعره وكفر قلبه.	١٤٣
آية المنافق ثلاث ...	١٦٤
إذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منها.	٢١٠
أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً...	١٦٧، ١٩٢
أسألك حبك وحب من أحبك ...	٣٢٥
استحللتم فروجهن بكلمة الله ...	١٢٢
أسلمت على ما أسلفت من خير.	١٢٧
اشترطت لهم الولاء ...	١٢٨
أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رأت ...	١٥٤، ٢٠٠
الآن نغزوهم ولا يغزونا.	١٤٢
ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء.	٢١٧
الدين النصيحة.	٣٧٦
اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من منكرات الأخلاق...	٢٠٦
اللهمَّ إنِّى ظلمت نفسى ظلماً كثيراً...	١٢٦
اللهمَّ صلِّ على محمد وعلى آل محمد ...	١٢٨
أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم.	١٢٠
أن تعبد الله كأنك تراه ...	١٢٧
أنزل القرآن على سبعة أحرف.	١٢٧
إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره...	٢٦٩

(حرف الميم)

فهرس الآثار

الأثـر	الراوى	الصفحة
لقد حضرت كذا وكذا صفاً ، وإن ببدنى بضعاً وثمانين.	خالد بن الوليد	٢١١
ليس فى الدنيا مما فى الجنة إلا الأسماء.	عبدالله بن عباس	١٥٣
ما نقض قوم العهد إلا أديل عليهم العدو.	عبدالله بن عباس	٢٣٨
نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه.	عمر بن الخطاب	١٢٩
هى الفاضحة، مازالت تنزل ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أن لايبقى أحد إلا ذكر فيها.	عبد الله بن عباس	١٩٢
هى المبعثرة.	عبد الله بن عباس	١٩٢
هى سورة البحوث ، لأنها بحثت عن سرائر المنافقين.	المقداد بن الأسود	١٩٢

فهرس الأعـلام(*)

(أ)

(*) روعى فى ترتيب الأعلام عدم اعتبار (ابن – بنت – أبو – «أل» التعريفية – تشديد الحرف)؛ مع وضع رقم الصفحة التى فيها ترجمة العَلَم بين قوسين.

(ب)

(خ)

(س)

(ش)

(ل)

(م)

(ن)

المذاهب والفرق

فهرس الموضوعات (المحتويات)

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر